

مَجَلَّةُ الْعِلْمِ وَالشَّرْعِ وَاللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ

بجامعة الأمير سغام بن عبد العزيز

دورية علمية مُحَكَّمة تُعنى بنشر البحوث والدراسات في العلوم الشرعية واللغة العربية
تصدر ثلاث مرات في السنة

موضوعات العدد

- عناية القرآن بعلم الأديان
- دفع غير المستحق في نظام المعاملات المدنية السعودي (دراسة مقارنة بالفقه الإسلامي)
- القذف في وسائل التواصل الاجتماعي (دراسة فقهية نظامية)
- النسخ غير القانوني للكتب العلمية بين طلاب الجامعات السعودية (دراسة تحليلية)
- تقارير أم المؤمنين خديجة للقيم الاجتماعية اللازمة لشخصية الداعية من خلال وصفها للرسول ﷺ في حديث بدء الوحي
- الكلام على تفصيل إعراب قول سيويو رحمه الله في أول الكتاب: هذا باب علم ما الكلم من العربية لأبي جعفر النحاس أحمد بن محمد بن إسماعيل المرادي المصري (ت ٣٣٨هـ) (دراسة وصفية تحليلية إحصائية)
- توهم السامع وأثره في توجيه الاستعمال اللغوي
- الحجاج البلاغي في العتاب الإلهي للمصطفى ﷺ دراسة في ضوء المنهج الأسلوبي
- تفاعل الأنساق اللغوية والبصرية في إنتاج الدلالة (دراسة في مجموعة «مناهاة» الشعرية لـ محمد إبراهيم يعقوب)
- الجبل فضاءً سردياً (دراسة في المنجز القصصي لـ محمد علوان)
- الأنساق الثقافية للمرأة في سيرة «عشيات الحمى» لـ محمد البليهد: قراءة من منظور النقد الثقافي

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مَجَلَّةُ الْعِلْمِ الشَّرْعِيِّ وَاللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ

بجامعة الأمير سقطام بن عبد العزيز

دورية علمية مُحَكَّمة تُعنى بنشر البحوث والدراسات في العلوم الشرعية واللغة العربية
تصدر ثلاث مرات في السنة

A peer-reviewed scientific periodical concerned with publishing
researches and studies in the field of Islamic sciences and Arabic language.
It is published three times a year

العدد الثاني والعشرون
شعبان ١٤٤٧ هـ - يناير/ فبراير ٢٠٢٦ م
رقم الإيداع: 1437/3960

Issue: 22
Dhu Al-Hijjah 1447 AH - January / February 2026 AD
ISSN : 7278 – 1658

إدارة تحرير المجلة

الاسم	المنصب	الرتبة العلمية والتخصص
أ.د. مليحة بنت محمد القحطاني	رئيس هيئة التحرير	أستاذ النحو واللغة جامعة الأمير سطام بن عبدالعزيز
د. وائل بن مطر الحربي	مدير التحرير	أستاذ اللغويات التطبيقية المساعد جامعة الأمير سطام بن عبدالعزيز

أعضاء هيئة التحرير

الاسم	الرتبة العلمية والتخصص	جهة العمل
أ.د. وليد بن عبدالله الدوسري	أستاذ النقد ومنهج الأدب الإسلامي	جامعة الأمير سطام بن عبدالعزيز
أ.د. عمر أبو المجد النعيمي	أستاذ الدعوة والاحتساب	جامعة الأمير سطام بن عبدالعزيز
أ.د. فيصل عبدالرحمن الشدي	أستاذ الفقه والسياسة الشرعية	جامعة الأمير سطام بن عبدالعزيز
أ. د. لفاي بن لافي السلمي	أستاذ علم اللغة	جامعة الأمير سطام بن عبدالعزيز
أ. د. فيصل بن محمد العسيري	أستاذ البلاغة والنقد	جامعة الأمير سطام بن عبدالعزيز
أ.د. مسفر بن محماس الكبير	أستاذ اللغويات التطبيقية	جامعة الأمير سطام بن عبدالعزيز
أ.د. سعاد بنت جابر الفيفي	أستاذ القرآن وعلومه	جامعة الأمير سطام بن عبدالعزيز
أ.د. إندونيسيا بنت خالد حسون	أستاذ الحديث وعلومه	جامعة الملك عبدالعزيز
أ.د. جنان بنت عبدالعزيز التميمي	أستاذ اللسانيات العربية	جامعة الأمير سطام بن عبدالعزيز
د. سعد بن محمد التميمي	أستاذ الفقه المقارن المشارك	جامعة الأمير سطام بن عبدالعزيز
د. حياة بنت عبدالله المطلق	أستاذ الفقه وأصوله المشارك	جامعة الأميرة نورة بنت عبدالرحمن

أعضاء الهيئة الاستشارية

الاسم	الدولة
أ.د. سعد بن ناصر الشثري	السعودية
أ.د. سعد بن تركي الخثلان	السعودية
أ.د. طارق بن محمد الطواري	الكويت
أ.د. أحمد سعد الخطيب	مصر
أ.د. سمير شريف استيتية	الأردن
أ.د. جمال إدريس	السودان
أ.د. غاثم قدوري الحمد	العراق
أ.د. عمر يوسف حمدان	ألمانيا
أ.د. عبد الرزاق الهرماس	المغرب
أ.د. عبدالوهاب لطف الدليمي	اليمن

جميع المراسلات توجه إلى البريد الإلكتروني sattamjournal@psau.edu.sa

١٤٤٧هـ/٢٠٢٥م، جامعة الأمير سطام بن عبدالعزيز

ردمد (issn) ٧٢٧٨ - ١٦٥٨ رقم الإيداع ١٤٣٧/٣٩٦٠

جميع الحقوق محفوظة لمجلة العلوم الشرعية واللغة العربية بجامعة الأمير سطام بن عبدالعزيز، ولا يسمح بإعادة طباعة أي جزء من المجلة، أو نسخه، أو إدخاله في أي نظام حفظ معلومات دون الحصول على موافقة كتابية من رئيسة هيئة التحرير.

Journal editorial management

Prof. Meleha Mohamed Al-Qhatani	Editor in Chief	Professor of grammar and language
Dr. Wael bin Matar Al-Harbi	Editorial Manager	Assistant Professor of Applied Linguistics

Editorial Board

prof. Waleed Abdullah Al-Dossari	professor in Prince Sattam Bin Abdulaziz University
Prof. Omar Aboualmajd Al-Noimi	professor in Prince Sattam Bin Abdulaziz University
Prof. Faisal Abdulrahman Al-Shidd	professor in Prince Sattam Bin Abdulaziz University
Prof. Lafai Lafi Al-Sulami	Associate Professor in Prince Sattam Bin Abdulaziz University
Prof. Faisal Mohamed Al-assiri	professor in Prince Sattam Bin Abdulaziz University
Prof. Misfer bin Mahmas Al-Kubairy	Professor of Applied Linguistics at Prince Sattam Bin Abdulaziz University
Prof. Suad Gaber Al-Fefy	professor in Prince Sattam Bin Abdulaziz University
Prof. Indonesia Khaled Hassoun	professor in King Abdulaziz University
Prof. Jinan bint Abdulaziz Al-Tamimi	professor in Prince Sattam Bin Abdulaziz University
Dr. Saad Mohamed Al-Tamimi	Associate Professor in Prince Sattam Bin Abdulaziz University

Advisory Board:

Name	Country
Prof. Saad Nasser Al-Shathri	Saudi Arabia
Prof. Saad Turki Al-Khathlan	Saudi Arabia
Prof. Tariq Mohammed Al-Tawari	Kuwait
Prof. Ahmed Saad Al-Khatib	Egypt
Prof. Samir Sharif Estetia	Jordan
Prof. Jamal Idris	Sudan
Prof. Ghanem Qadouri Al-Hamad	Iraq
Prof. Omar Youssef Hamdan	Germany
Prof. Abdel Razzak Al Hermas	Morocco
Prof. Abdulwahab Lotf Al Dolaimi	Yemen

**All correspondence should be directed to
e-mail: sattamjournal@psau.edu.sa**

**1447 AH/2025 AD, Prince Sattam Bin Abdulaziz University
ISSN 7278 – 1658, deposit number 3960/1437**

All rights are reserved for the Journal of Islamic Sciences and the Arabic Language at Prince Sattam bin Abdulaziz University. It is not permitted to reprint, copy, or enter any part of the journal into any information storage system without obtaining written approval from the head of the editorial board.

التعريف بالمجلة

الرؤية:

أن تكون خيار الباحثين الأول لنشر بحوثهم في العلوم الشرعية واللغة العربية.

الرسالة:

نشر البحوث المحكمة في العلوم الشرعية واللغة العربية مع الالتزام بالمعايير المهنية العالمية في النشر.

الأهداف:

- المشاركة في خدمة النشر العلمي المتخصص في العلوم الشرعية واللغة العربية من خلال نشر البحوث المحكمة والدراسات الرصينة.
- تحقيق إضافة علمية للباحثين في الدراسات الإسلامية واللغة العربية من خلال محتوى المجلة.
- فتح نافذة جديدة للباحثين محليًا وعالميًا لنشر بحوثهم في التخصصات العلمية الشرعية والعربية.

Introduction to Journal of Islamic Sciences and Arabic Language at Prince Sattam Bin Abdulaziz University

Vision:

To be the first choice for researchers to publish their research in Islamic Studies and Arabic language.

Mission:

Publishing peer-reviewed research in Islamic Studies and Arabic language while adhering to international professional standards in publishing.

Objectives:

1. Participation in the scientific publishing service specializing in Islamic Studies and Arabic language through the publication of peer-reviewed research and rigorous studies.
2. Achieving scientific addition of researchers in Islamic and Arab studies through the Journals content.
3. Opening a new window for researchers locally and globally to publish their research into Islamic and Arab scientific disciplines.

قواعد وتعليمات النشر في المجلة

أولاً: طبيعة المواد المنشورة:

تهدف المجلة إلى إتاحة الفرصة للباحثين في جميع بلدان العالم لنشر إنتاجهم العلمي في مجالات العلوم الشرعية واللغة العربية؛ الذي تتوافر فيه الأصالة والجدة، وأخلاقيات البحث العلمي، والمنهجية العلمية.

وتقوم المجلة بنشر المواد التي لم يسبق نشرها باللغة العربية، وتقبل المواد في الفئات التالية: البحوث الأصلية، والمراجعات العلمية، ومستخلصات الرسائل العلمية، وتقارير المؤتمرات والندوات، ولا تقبل البحوث المعدة بواسطة الذكاء الصناعي.

ثانياً: قواعد النشر:

- ١- أن يتسم البحث بالأصالة، والسلامة الفكرية.
- ٢- ألا يكون البحث مستنلاً من رسالة علمية للباحث أياً كانت: ماجستير أو دكتوراه.
- ٣- ألا يكون البحث قد سبق نشره، ولم يقدم للنشر في أي جهة أخرى، ويقدم الباحث تعهداً خطياً بذلك.
- ٤- ألا تقل عدد كلمات البحث عن (أربعة آلاف كلمة)، ولا تزيد على (عشرة آلاف كلمة).
- ٥- يرفق الباحث نسختين: الأولى بصيغة (word) فيها بيانات الباحث كاملة. والثانية بصيغة (pdf) خالية من بيانات الباحث.
- ٦- لكتابة المادة العلمية للبحث يستخدم خط (Traditional Arabic) بحجم (١٨)، وللحاشية بحجم (١٢).
- ٧- للحاشية الإنجليزية يستخدم خط (Times New Roman) وبحجم (١٠).
- ٨- يعتني الباحث بسلامة بحثه من الأخطاء اللغوية والنحوية.
- ٩- يكتب الملخص وفق الآتي:
 - لا يزيد الملخص على (٢٠٠) كلمة:
 - موضوع البحث.

- أهداف البحث.
- منهج البحث.
- أهم النتائج -دون تعداد. -
- أهم التوصيات -دون تعداد. -
- الكلمات المفتاحية -لا تقل عن ثلاث ولا تزيد على خمس كلمات -.
- يترجم الملخص إلى اللغة الإنجليزية من مركز معتمد مع إرفاق ما يثبت الترجمة.

١٠- كتابة البحث وفق الآتي:

- المقدمة وتحتوي على: (موضوع البحث، أهميته، مشكلته، أهدافه، حدوده، منهجه، خطة البحث).
- الدراسات السابقة.
- تقسيم البحث إلى أقسام وفق خطة البحث، ويراعى فيها الترابط والتسلسل المنطقي.
- تكتب الآيات الكريمة بالرسم العثماني (مصحف المدينة المنورة).

التوثيق: تعتمد المجلة نظام شيكاغو، وفق الآتي:

أولاً: التوثيق في الحاشية السفلية للصفحة:

- أ) ترقم حواشي كل صفحة على حدة.
- ب) جميع التوثيقات توضع في الحاشية السفلية، ولا يوضع شيء في المتن.
- ت) تكتب الحواشي السفلية باللغة العربية وفق نظام شيكاغو.
- ث) توثيق الآيات وفق الآتي: القرآن الكريم، النمل: ١٦، وذلك في الحاشية.
- ج) توثيق الكتب: تكتب معلومات الكتاب كاملة عند أول ورود له: اسم المؤلف الثلاثي، اسم الكتاب (بخط مائل)، اسم المحقق إن وجد، (الطبعة، البلد، دار النشر، تاريخ النشر)، الجزء والصفحة. ومثاله:
- للحديث الشريف: محمد بن إسماعيل البخاري، صحيح البخاري، تحقيق: مصطفى البغا، ط٥، دمشق، دار ابن كثير ودار اليمامة، ١٩٩٣م، ٦٦٣/٢.

- للمرجع اللغوي: أحمد بن فارس بن زكريا، مقاييس اللغة، تحقيق: عبدالسلام هارون، ط ٣، بيروت، دار الجليل، ١٩٧٢م، ١/٤٧٩، ج ١.
- للمخطوطات: محمد بن أبي بكر الأرموي، أمثلة التعارض، مخطوط، إيداع رقم ١٤٠، أصول تيمور، دار الكتب، مصر)، لوح ١٣.
- للمراجع الأخرى: أحمد بن عبدالحليم بن تيمية، السياسة الشرعية في إصلاح الراعي والرعية، تحقيق: علي بن محمد العمران، ط ٤، بيروت، دار ابن حزم، ٢٠١٩م، ص ٢٢٧.
- للإحالة إلى البحوث: أحمد مسلم، التأصيل المنطقي لأحوال انقضاء الخصومة، مجلة العلوم العربية، الرياض-السعودية، العدد السادس عشر، المجلد السادس عشر، ١٤٣١هـ، ص ٥٤.
- للرسائل العلمية غير المنشورة: محمد علي البكري، داعي الفلاح لمخبات الاقتراح في النحو، تحقيق ودراسة: أويس ياسين ويسى، حمص، جامعة البعث، الآداب والعلوم الإنسانية، قسم اللغة العربية، رسالة ماجستير، ٢٠١١م.
- ح) الاقتباس بالمعنى: تسبق الإحالة إليه بـ (ينظر).
- خ) المصدر الذي يتكرر مباشرة لأكثر من مرة؛ يُعزى إليه بعبارة: (المراجع نفسه) مع الجزء والصفحة إن كانا مختلفين. ويكتفى (بالمراجع نفسه) في حال التطابق في الجزء والصفحة.
- د) المصدر الذي يتكرر ذكره مع وجود فاصل أو في صفحة أخرى؛ يعتمد له التوثيق المختصر (اسم الكتاب مقترن بالمؤلف، الجزء والصفحة)، فيقال على سبيل المثال: البخاري، صحيح البخاري، ١/٤٧٩. مثال آخر: الأصمعي، كتاب النبات، ١/٤٧٩.
- ذ) المصدر المشترك بين مؤلّفين أو ثلاثة: يذكرون جميعاً.
- ر) المصدر المشترك بين أربعة فأكثر: يذكر المؤلف الأول، ويشار إلى البقية بـ (وآخرون).

ثالثاً: التوثيق في فهرس المراجع:

- تكتب المراجع بالحروف اللاتينية (الرومنة)، بخط (Times New Roman) وحجم ١٢.

• طريقة التوثيق: اسم الشهرة للمؤلف، اسم المؤلف واسم أبيه إن وُجد، عنوان الكتاب، المحقق أو المترجم أو الجامع إن وُجد، الطبعة، البلد، دار النشر، سنة النشر. الأمثلة:

1 al-Bukhārī Muḥammad ibn Ismā'īl, Ṣaḥīḥ al-Bukhārī, inv. Muṣṭafā al-Bughā, 5th ed., Dimashq, Dār Ibn Kathīr wa-Dār al-Yamāmah, 1993m.

• معاني الاختصارات: (تحقيق inv.)، (ترجمة trans.)، (جمع comp.)، (الطبعة ed.)، (المجلد Vol.)، (العدد Issue).

يفضل أن يستعين الباحث بالقبالب المرفوع على موقع المجلة

رابعاً: متطلبات عامة:

١- يرفع البحث على الموقع الرسمي للمجلة، ويرسل كذلك إلى بريد المجلة الإلكتروني.

٢- لهيئة التحرير في المجلة حق الفحص الأولي للبحث، وتقرير مدى صلاحيته للتحكيم من عدمها.

٣- يزود الباحث بخطاب قبول البحث للنشر في حالة الموافقة عليه، أو بخطاب الاعتذار عن النشر إن لم تتم الموافقة عليه، دون الإفصاح عن تقارير المحكمين.

٤- لا يحق للمباحث - بعد نشر بحثه في المجلة - أن ينشره في وعاء آخر إلا بعد مضي خمس سنوات على تاريخ النشر، مع إشعار المجلة بذلك، والإشارة إلى أنه سبق نشره.

٥- إرسال الباحث ببحثه إلى بريد المجلة أو رفعه على موقعها يعدّ قبولاً بشروط النشر في المجلة.

٦- الآراء الواردة في البحوث المنشورة تعبر عن وجهة نظر الباحثين، ولا تعبر عن وجهة نظر المجلة.

٧- في حال نشر البحث ورقياً يمنح الباحث خمس مستلزمات لبحثه، مع ملاحظة أن المجلة تعتمد حالياً سياسة النشر الإلكتروني.

جميع المراسلات وطلبات الاشتراك باسم:

رئيس التحرير

أ.د. مليحة بنت محمد القحطاني

مدير التحرير

د. وائل بن مطر الحربي

للمراسلة والاشتراكات:

البريد الإلكتروني: sattamjournal@psau.edu.sa

الموقع الإلكتروني: <https://jias.psau.edu.sa>



Publication controls in the Journal

First: The Nature of the Published Materials:

The journal aims to provide researchers from all countries with an opportunity to publish their scientific output in the fields of Islamic (Sharia) Sciences and the Arabic Language, provided that the work meets the standards of originality, novelty, research ethics, and sound scientific methodology.

The journal publishes materials that have not been previously published in Arabic and accepts submissions in the following categories: original research, scientific reviews, thesis abstracts, and reports on conferences and seminars.

Second: General Controls:

- 1) The research must be original, well-structured, and free from doctrinal or intellectual violations.
- 2) The research must not be derived from a dissertation for which the researcher has already obtained an academic degree.
- 3) The research must not have been previously published.
- 4) The length of the research must not exceed 40 pages (A4 size), including all related content, and must not be fewer than 25 pages.
- 5) The researcher must submit four (4) copies of the research as follows:
 - One copy of the research containing the researcher's full details in Word format.
 - One copy of the research containing the researcher's full details in PDF format.
 - One anonymized copy of the research (free from any identifying information) in Word format.
 - One anonymized copy of the research (free from any identifying information) in PDF format.
- 6) The researcher must complete and sign an undertaking to submit the research for peer review after approval by the Editorial Board.
- 7) Page margins must be 3 cm on all four sides, and line spacing must be single.
- 8) The Traditional Arabic font must be used for Arabic text: size 18 for the main text, size 14 for footnotes, and size 11 for tables and figures.
- 9) The Times New Roman font must be used for English text: size 12 for the

main text and size 10 for footnotes, tables, and figures.

10) Qur'anic verses must be written according to the Electronic Qur'an of the King Fahd Complex for the Printing of the Holy Qur'an, in size 16, using a plain, non-black color.

11) The researcher must ensure that the manuscript is free from linguistic and grammatical errors.

Third: Writing the Abstract.

The researcher must write an abstract of the research containing the following elements:

- 1) The subject of the research.
- 2) Research objectives.
- 3) Research methodology.
- 4) The most important results (without enumeration).
- 5) The most important recommendations (without enumeration).
- 6) Keywords.
- 7) The abstract must not exceed 200 words.
- 8) The abstract must be translated into English by an accredited center, with proof of translation attached.

Fourth: Writing the Research:

The researcher must organize the research according to the requirements of the scientific research method as follows:

- 1) Introduction: Should include the research topic, problem, limits, objectives, methodology, procedures, and research plan.
- 2) Statement of Previous Studies: If any exist.
- 3) Research Structure: Divide the research into sections according to the research plan, ensuring that the sections are logically interrelated.
- 4) Footnotes: Must include the following information according to the scientific documentation method used in Sharia and Arabic studies: the name of the book, the author's full name, the investigator (if any), edition, page/part. Example: Al-Jami Al-Sahih, Ibn Taymiyyah (8/777).

Qur'anic Verses: Referenced in the text only by mentioning the name of the surah, followed by a colon, then the verse number, in square brackets:

Example: [Al-Baqara: 175]

5) References: Must be documented at the end of the research according to the following system:

a. Book: Name of the book, author's full name, investigator's name (if any), edition, place of publication, publisher, and year of publication.

Example: Al-Jami Al-Sahih, Al-Tirmithi, Abu Issa Muhammad Bin Issa, investigation: Ahmed Shaker, ed: 2, Beirut, Dar Revival of Arab Heritage, 2004 AD.

b. Unpublished Thesis: Title of the thesis, author's full name, type of thesis (Master's/PhD), place, college, university, year.

Example: Doctrinal Provisions Related to Coercion, Al-Junaidi, Wael Yahya, Master's thesis, Saudi Arabia, College of Fundamentals of Religion, Imam Muhammad bin Saud Islamic University, 1437 AH.

c. Journal Article: Title of the article, author's full name, name of the periodical, place, volume/issue number, year, page numbers.

Example: Legal and Innovative Distress in YouTube: An Analytical Study, Al-Dhafiri, Turki Khaled, Prince Sattam Bin Abdulaziz University Journal, Vol. 1, 1437 AH, pp. 155–184.

6) Abbreviations for Missing Data: The researcher must use the following abbreviations when certain information is unavailable in the reference:

a. (D.M) without place of publication.

b. (D.N) without the name of the publisher.

c. (d.i) without edition number.

d. (D.T) without date of publication.

Fifth: General Requirements:

1) Submitting the research to the journal via email, along with the completed form, constitutes a pledge by the researcher that the research has not been previously published, has not been submitted for publication elsewhere, and will not be submitted to another entity until the journal's peer review process is completed.

2) The Editorial Board has the right to conduct a preliminary examination of the research and decide whether it is eligible for peer review.

3) In the case of acceptance for publication, a letter stating the acceptance will be sent. If the research is rejected, a letter of apology for the non-acceptance will be issued.

- 4) After publication in the journal, the researcher may not publish the research elsewhere until four years have passed, and the original publication in this journal must be cited.
- 5) Submission of the research along with the undertaking form is considered as acceptance of the journal's publication terms.
- 6) The Editorial Board reserves the right to prioritize research for publication.
- 7) Opinions expressed in published research reflect the researchers' viewpoints only and do not necessarily represent the journal's position.
- 8) The documentation system adopted for foreign references in the journal is the University of Chicago system.
- 9) If the research is published, the researcher will receive five (5) copies of the journal issue containing the research. Note that the journal currently follows an electronic publishing policy.
- 10) The journal reserves the right to reject a research submission without disclosing the referees' reports.

All correspondence and subscription requests are in the name of:

Editor in Chief

Prof. Meleha Mohamed Al-Qahtani

Editorial Manager

Dr. Wael Matar Al-Harbi

Correspondence and subscriptions:

E-mail: sattamjournal@psau.edu.sa

Website: <https://jias.psau.edu.sa>



المحتويات

الصفحة	الباحث	عنوان البحث
٢٢		افتتاحية العدد
٢٨	د. سامي بن عبد الرحمن الحيسوني	عناية القرآن بعلم الأديان
٦١	د. يحيى بن حسين بن يحيى الحربي	دفع غير المستحق في نظام المعاملات المدنية السعودي (دراسة مقارنة بالفقه الإسلامي)
٩٨	د. مسفر بن سعد بن مسند الجروي	القذف في وسائل التواصل الاجتماعي (دراسة فقهية نظامية)
١٤٨	أ.د. عبد الواحد بن حمد بن عبد الرحمن المزروع	النسخ غير القانوني للكتب العلمية بين طلاب الجامعات السعودية (دراسة تحليلية)
١٨٥	د. عبد الله بن ناصر محمد العطني	تقارير أم المؤمنين خديجة للقيم الاجتماعية اللازمة لشخصية الداعية من خلال وصفها للرسول ﷺ في حديث بدء الوحي
٢٤٠	د. سامي بن محمد بن يحيى الفقيه الزهراني	الكلام على تفصيل إعراب قول سيبويه رَحِمَهُ اللهُ في أول الكتاب: هذا بابٌ علم ما الكلم من العزيم لأبي جعفر النخاس أحمد بن محمد بن إسماعيل المرادي المصري (ت ٥٣٣٨هـ) (دراسة وصفية تحليلية إحصائية)
٢٨٨	د. حسن بن إبراهيم بن محمد قابور	توهم السامع وأثره في توجيه الاستعمال اللغوي
٣٢٥	د. عمر بن نوح بن ثامر المطيري	الحجاج البلاغي في العتاب الإلهي للمصطفى ﷺ دراسة في ضوء المنهج الأسلوبي
٣٧١	د. إبراهيم بن سعيد عبده السيد	تفاعل الأنساق اللغوية والبصرية في إنتاج الدلالة (دراسة في مجموعة «مناهات» الشعرية لمحمد إبراهيم يعقوب)
٤٢٣	د. أحمد بن ماطر اليتيمي	الجبَلُ فضاءً سرديًا (دراسة في المنجز القصصي لمحمد علوان)
٤٦٠	د. البندري بنت ضيف الله بن عبد الرحمن المطيري	الأنساق الثقافية للمرأة في سيرة «عشبات الحمى» لحمد البليهد: قراءة من منظور النقد الثقافي

Content

Research Title	Researcher	Page
Editorial of the issue		25
The Quran's Attention to the Study of Religions	Dr. Sami bin Abdul Rahman Al-Haisuni	28
Payment not due in the Saudi Civil Transactions Law: a comparative study with Islamic jurisprudence	Dr. Yahya bin Hussein bin Yahya Al-Harbi	61
Ejaculation on social media (a systematic jurisprudential study)	Dr. Misfer Saad Musnad Al-Jarawi	98
Illegal Copying of Academic Books Among Saudi University Students: An Analytical Study	Prof. Dr. Abd al-Wahid bin Hamad Al-Mazrou'	148
The reports of Khadija, the Mother of Believers (may Allah be pleased with her) on the social values necessary for the personality of the preacher through her description of the Prophet (peace and blessings of Allah be upon him) in the Hadith of the beginning of Revelation	Dr. Abdullah Nasser Muhammad Al-Atni	185
A Study on the Detailed Syntax of Sībawayh's Statement, May God Have Mercy on Him, in the Beginning of the Book: 'This is the Chapter on the Knowledge of What Words Are in Arabic' By Abū Ja'far al-Nahhās (Aḥmad ibn Muḥammad ibn Ismā'īl ʿṣṣḤ). A Descriptive, Analytical, .al-Murādī al-Miṣrī, d and Statistical Study	Dr. Sami bin Muhammad bin Yahya Al-Faqih Al-Zahrani	240
Listener Misconceptions and Their Impact on Guiding Language Use	Dr. Hasan bin Ibrahim bin Muhammad Qabour	288
Rhetorical argumentation in the divine admonition to the Prophet Muhammad, peace and blessings be upon him, a study in light of the stylistic approach	Omar bin Nuh Al-Mutairi	325
The interaction of linguistic and visual systems in the production of meaning A study in the poetry collection (Matahaat) by Muhammad Ibrahim Yaqoub	Dr. Ibrahim Said Al-Sayed	371
A Study of the Narrative Works of Muhammad Alwan The Mountain as a Narrative Space	Dr. Ahmed Mater Alyatimi	423
The Cultural Patterns of Women in Hamad AlBulahid's" Biography 'Ashiyyat al-Humma': A Study from the "Perspective of Cultural Criticism	Dr. Al-Bandari bint Difa' Allah Al-Mutairi	460

الافتتاحية

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الولي المنان، ذي الفضل والإحسان، والصلاة والسلام على النبي العدنان، خير من أفصح وأبان، وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان، أمّا بعد:

فيسرُّ مجلة العلوم الشرعية واللغة العربية بجامعة الأمير سطارم بن عبد العزيز أن تقدم لقراءها الكرام العدد الثاني والعشرين من إصداراتها؛ الذي يضم دراسات علمية في مجالات العلوم الشرعية وعلوم اللغة العربية؛ حيث يقدم هذا العدد أحد عشر بحثًا في تخصصات (العقيدة، والسياسة الشرعية والأنظمة، والدعوة والاحتساب، والنحو، والبلاغة والنقد، والأدب) أعدها باحثون أفاضل إثراءً للمكتبة الإسلامية والعربية في مستجدات العلوم الشرعية والعربية.

ابتدأ العدد بحوثه ببحث في مجال العقيدة الإسلامية يهدف إلى بيان منهج القرآن الكريم في (العناية بعلم الأديان) التي ذكرت فيه كاليهودية والنصرانية والمجوسية والصابئة، والمقارنة بينها، وبيان الحق في ذلك.

ويقدم العدد في مجال السياسية الشرعية والأنظمة: ثلاثة بحوث:

الأول يدرس موضوع (دفع غير المستحق في نظام المعاملات المدنية السعودي: دراسة مقارنة بالفقه الإسلامي) هادفًا إلى إظهار مدى توافق النظام السعودي مع الفقه الإسلامي والقواعد العامة في الشريعة من خلال دراسة وتحليل نصوص النظام المتعلقة بموضوع الدراسة وتحليله، ومُبرزًا قيمة الفقه الإسلامي، ومدى استيعابه لكافة التعاملات المدنية بين الأفراد، والثاني يبحث مسألة (القذف في وسائل التواصل الاجتماعي) في دراسة فقهية نظامية، مبينًا الصور المعاصرة للقذف وأحكامها، والبحث الثالث يتناول بالدراسة موضوع (النسخ غير القانوني للمكتب العلمية بين طلاب الجامعات السعودية) من خلال استكشاف أسبابه وتوفير بدائل قانونية مناسبة للطلاب، دعمًا للأمانة الأكاديمية وجودة التعليم في الجامعات. وفي مجال الدعوة والاحتساب يقدم العدد بحثًا يتناول بالدراسة والتحليل تقارير أم المؤمنين خديجة -رضي الله عنها- للمقيم الاجتماعية اللازمة لشخصية الداعية من خلال وصفها للرسول ﷺ في حديث بدء الوحي، لافتًا أنظار الدعاة إلى أهمية القيم الاجتماعية وأثرها في العمل الدعوي. وفي



علوم اللغة العربية، ينتقي العدد من علم النحو بحثين، الأول: يستعرض رسالة أبي جعفر النحّاس الموسومة بـ: (الكلام على تفصيل إعراب قول سيبويه - رحمه الله - في أول الكتاب: هذا باب علم ما الكلم من العربية) بدراسة وصفية تحليلية إحصائية، حيث تتعدّد هذه الرسالة أول مُصنّف مُستقلّ يصل إلينا في إعراب قول سيبويه، وهي رسالة فريدة في بابها، تتفرّد باهتمامها على بضعة وأربعين وَجْهًا إعرابيًا رواها أبو جعفر النحّاس عن شيوخه، وزاد فيها وجوهًا، وفَصّل البحث في إيرادها وتحقيقها. والثاني: بعنوان (توهم السامع وأثره في توجيه الاستعمال اللغوي) يعالج قضية نحوية تواصلية ذات أهمية بين المتكلم والسماع، وهي الفهم الصحيح أو الفهم المتوهم، حيث إن فهم السامع من الأمور المهمة التي راعاها موجهو الاستعمال العربي من النحويين والمفسرين.

وفي أبواب البلاغة والنقد يقدم العدد بحثين: الأول يتناول جانب العتاب الإلهي للنبي محمد ﷺ في القرآن الكريم، من منظور بلاغي حجاجي، كاشفًا عن أبعاده التقويمية والأسلوبية، بوصفه توجيهًا إلهيًا عاليًا يجمع بين البيان والحكمة، والتعليم والرحمة، من خلال تحليل الآيات القرآنية الكريمة المشتملة على ذلك، والثاني يختبر فرضية تفاعل النسق اللساني مع البصري لإنتاج الدلالة في دراسة لمجموعة شعرية بعنوان: (متاهات)، لمحمد إبراهيم يعقوب، حيث يُعد الاهتمام بتحليل العلامات غير اللغوية من المجالات المهمة في المناهج النقدية التي تُعنى بتحليل الخطاب في العصر الحديث.

ويُختتم العدد بمجال الأدب ويقدم فيه بحثين؛ الأول: يستعرض المشهد القصصي في الأدب السعودي في نموذج للقصص محمد علي علوان - رحمه الله - أحد أعلام الفن القصصي في المملكة العربية السعودية لافتًا النظر لعناية القاص بالعنصر المكاني والجبلي خاصة، من خلال وصف البيئة الجبلية بمظاهرها الحسية والمعنوية وتقاطباتها المكانية تحت عنوان: (الجبل فضاء سرديا). والثاني: في الأدب السعودي أيضًا يكشف عن الأنساق الثقافية للمرأة وتمثالاتها في سيرة (عشيّات الحمى) للكاتب السعودي حمد البليهد المرتبطة بمرحلة الطفولة التي عاشها الكاتب، وكان لها أثر كبير في تكوين شخصيته، في بيان لمدى حضور المرأة بوصفها شخصية مهمة من الشخصيات المهيمنة والمؤثرة في سير الخطاب السير ذاتي في عينة الدراسة.

وختمًا تأمل هيئة تحرير المجلة أن يكون في نتاج هذا العدد إثراء علمي، وإضافة قيمة نافعة للقراء والمطلّعين.

وتتقدم الهيئة بشكرها الجزيل للمباحثين الأفاضل على جهودهم وعطائهم، وتدعو الله أن يبارك في إنجازهم العلمي، وتأمل منهم مواصلة البحث والدراسة والتحليل نشرًا لنور العلم والمعرفة.

سائلين الله أن يتقبل الجهود ويعظم المثوبة، ويمن على الجميع بالتوفيق والسداد

رئيسة التحرير

أ. د. مليحة بنت محمد القحطاني



Editorial

In the name of Allah, the Most Gracious, the Most Merciful

All praise is due to Allah, the Most Generous Sovereign, the Possessor of bounty and grace. Peace and blessings be upon Prophet Muhammad - the most eloquent of humanity - and upon his family, his Companions, and those who follow them with righteousness.

It is with great pleasure that the Journal of Islamic Sciences and Arabic Language at Prince Sattam bin Abdulaziz University presents to its esteemed readers the twenty-second issue of its publications. This issue contains scholarly studies in the fields of Sharia sciences and Arabic language studies, featuring eleven research papers covering a range of disciplines, including Aqidah (Islamic creed), Sharia politics and legal systems, Da'wah and Hisbah (inviting to good and forbidding wrong), grammar, rhetoric and literary criticism, and Arabic literature. These studies, prepared by distinguished scholars, aim to enrich Islamic and Arabic academic libraries with new insights into contemporary developments in these fields.

The issue opens with a paper in the discipline of Islamic creed, highlighting the Qur'anic methodology in addressing the study of religions mentioned in the Qur'an - such as Judaism, Christianity, Magianism, and Sabeanism - through comparison and clarification of the truth concerning them.

In the field of Sharia politics and legal systems, three studies are presented:

The first explores Unjust Enrichment in the Saudi Civil Transactions Law: A Comparative Study with Islamic Jurisprudence, demonstrating the extent to which the Saudi legal system aligns with Islamic jurisprudence and general Sharia principles, while underscoring the comprehensiveness of Islamic law in regulating civil transactions. The second study examines Defamation through Social Media Platforms from both juristic and legal perspectives, clarifying its contemporary manifestations and rulings. The third investigates Unauthorized Reproduction of

Academic Books among Saudi University Students, identifying underlying causes and proposing lawful alternatives that promote academic integrity and educational quality in universities. In the field of Da'wah and Hisbah, the issue includes a study analyzing the statements of the Mother of the Believers, Khadijah (may Allah be pleased with her), describing the Prophet ﷺ at the beginning of revelation. The study highlights her affirmation of key social values essential for preachers' character formation and underscores the importance of such values in effective Da'wah work. Within Arabic linguistic studies, two papers in the field of grammar are featured: The first offers a descriptive, analytical, and statistical examination of Abu Ja'far al-Nahhas's treatise entitled "A Study on the Detailed Syntax of Sībawayh's Statement, May God Have Mercy on Him, in the Beginning of the Book: 'This is the Chapter on the Knowledge of What Words Are in Arabic'". This unique work represents the earliest independent commentary we possess on Sibawayh's grammar, presenting over forty grammatical interpretations preserved and expanded upon by al-Nahhas. The second, entitled "Listener Misconceptions and Their Impact on Guiding Language Use", explores a communicative grammatical issue concerning accurate versus misconceived understanding, emphasizing the significance of the listener's perception in shaping Arabic grammatical and interpretive traditions.

In rhetoric and literary criticism, the issue includes two studies: The first discusses Divine Reproach of Prophet Muhammad ﷺ in the Qur'an from a rhetorical-argumentative perspective, revealing its corrective, stylistic, and pedagogical dimensions that merge eloquence with wisdom, and instruction with mercy, through detailed analysis of the relevant Qur'anic verses. The second study tests the interaction between linguistic and visual systems in meaning production through an analysis of Muhammad Ibrahim Ya'qub's poetry collection "Labyrinths", highlighting the growing importance of non-verbal semiotic analysis in modern discourse studies. Finally, the issue concludes with two papers in Arabic literature: The first surveys the short story landscape in Saudi literature through the work of the distinguished



writer Muhammad Ali Alwan (may Allah have mercy on him), particularly his attention to spatial elements — and the mountain setting in particular — as reflected in his portrayal of the physical and symbolic aspects of mountainous environments under the title “The Mountain as a Narrative Space”. The second examines Cultural Patterns of Women and Their Representations in “Evenings of Fever” by the Saudi writer Hamad Al-Balheed. The study traces the role of women as influential and dominant figures in autobiographical narratives, relating their presence to the author’s childhood experiences that significantly shaped his personality and worldview.

The Editorial Board sincerely hopes that this issue contributes to advancing scholarly knowledge and enriching readers with valuable insights. The Board extends its deep appreciation to all contributing researchers for their efforts and dedication, praying that Allah bless their academic endeavors and guide them to continued success in the pursuit and dissemination of knowledge.

Editor in Chief

Prof. Maleha Mohamad Al-Qahtani

عناية القرآن بعلم الأديان

The Quran's Attention to the Study of Religions

إعداد:

د. سامي بن عبد الرحمن الحيسوني

أستاذ مساعد بقسم العقيدة، بكلية العقيدة والدعوة

بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة

حاصل على الماجستير من الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، بتخصص العقيدة

حاصل على الدكتوراه من الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة بتخصص العقيدة

Prepared by:

Dr. Sami bin Abdul Rahman Al-Haisuni

Assistant Professor, Department of Creed, College of Creed and Da'wah

Islamic University in Madinah

sami0503337294@gmail.com



<https://doi.org/10.65728/1625-000-022-001>



الملخص

موضوع البحث:

عناية القرآن بعلم الأديان، وهو بحث يبيّن اعتناء القرآن الكريم بعلم الأديان ومقارنته.

أهداف البحث:

- ١- بيان منهج القرآن الكريم في العناية بعلم الأديان.
- ٢- بيان القرآن الكريم أنّ الدين الصحيح المقبول عند الله هو دين الإسلام، وما عداه باطل.

منهج البحث:

اعتمد البحث على المنهج الاستقرائي التحليلي.

أهم نتائج البحث:

- ١- عظيم عناية القرآن بهذا العلم وكذلك في سنة النبي ﷺ.
- ٢- تعدد صور القرآن في العناية بهذا العلم.
- ٣- أنّه لا بدّ من تعلّم هذا العلم لمن أراد أن يدعو إلى الله عز وجل، ويحاجج أهل الأديان.

أهم توصيات البحث:

- ١- الاهتمام بدراسة الأديان الشرقية، وبيان انحرافها وبطلانها خصوصاً التي جاء ذكرها في القرآن الكريم.
- ٢- عقد مقارنات بين الأديان، وبيان مدى تأثير بعضها ببعض.

الكلمات المفتاحية: عناية، القرآن، علم، الأديان.

Summary

Research Topic:

The Quran's attention to the study of religions: a research demonstrating the Quran's emphasis on religious sciences and their comparison.

Research Objectives:

- To illustrate the Quranic methodology in addressing the study of religions.
- To affirm that the true and accepted religion before Allah is Islam, while other religions are invalid.

Research Methodology:

The study employed an inductive-analytical approach.

Key Findings:

- The Quran's profound attention to this field, as well as its emphasis in the Sunnah of the Prophet ﷺ
- The various ways in which the Quran addresses this subject.
- The necessity of studying this discipline for anyone seeking to invite others to Allah ﷻ and to engage in discussions with followers of other religions.

Key Recommendations:

- Focus on studying Eastern religions, highlighting their deviations and falsehoods, particularly those mentioned in the Quran.
- Conducting comparisons between religions and illustrating the extent to which they influence one another.

Keywords: Attention, Quran, Science, Religions.



مقدمة

الحمد لله الذي أنزل على عبده الفرقان ليكون للعالمين نذيرًا، والصلاة والسلام على من أرسله الله للناس هاديًا ومرشدًا وسراجًا منيرًا، وعلى آله وصحبه الكرام، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد:

فإنَّ الله خلق الخلق ليعبدوه، وأرسل لهم الرسل ليوحده، وأنزل لهم الكتاب لئلا يشركوا به شيئًا، هدايةً للناس، وإخراجًا لهم من الظلمات إلى النور، وأعظم تلك الكتب وخاتمها هو القرآن الكريم الذي أنزله الله - عز وجل - على خاتم المرسلين ﷺ، فهو الناسخ للشرائع قبله، وهو المهيم علىها، وهو الذي تضمَّن الأمر بكل خير، والنهي عن كل شر، من تبعه سلم في الدنيا والآخرة، ومن أعرض عنه خاب وخسر، قال تعالى: ﴿فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى﴾ [طه: ١٢٣-١٢٤]، وقال تعالى: ﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَهُمْ بُرْهَانٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَأُنزِلْنَا إِلَيْكُمْ نُورًا مُّبِينًا﴾ [النساء: ١٧٤].

فمن تبع القرآن واعتصم به، فسينال السلامة والخير في الدنيا والآخرة.

ولقد اعتنى القرآن بعلوم كثيرة؛ فيها النفع والخير للعباد، ومن تلك العلوم المهمة والعظيمة التي اعتنى به القرآن هو علم مقارنة الأديان.

وقد أعرض عن هذا العلم جهلاً به وبمكانته كثيرٌ من طلاب العلم للأسف الشديد، ومن أجل ذلك أحببتُ أن أكتب بحثًا مختصرًا أُبين فيه بالأدلة الشرعية عظيم عناية القرآن بهذا العلم، ومنزلته السامية منه.

وسميت هذا البحث بـ: (عناية القرآن الكريم بعلم الأديان)

أسئلة البحث:

- ١- هل بيّن القرآن الكريم جميع الأديان التي ظهرت في البشرية، أم بيّن أصولها العامة؟
- ٢- هل الآيات التي وردت في الرد على أصحاب الديانات السابقة تكون ردّاً على أصحاب الديانات الأخرى؟

أهداف البحث:

تبرز أهداف البحث في النقاط الآتية:

- 1- بيان منهج القرآن الكريم في العناية بعلم الأديان التي ذكرت فيه كاليهودية والنصرانية والمجوسية والصابئة.
- 2- بيان القرآن الكريم أنّ الدين الصحيح المقبول عند الله هو دين الإسلام، وما عداه باطل.

أهمية البحث:

تبرز أهمية البحث في النقاط الآتية:

- ١- أنّ الحاجة ملحة في هذا العصر لبيان منهج القرآن الكريم في العناية بعلم الأديان، وبيان الحق في ذلك.
- ٢- أنّ الرجوع للقرآن الكريم الذي هو المصدر الأساسي في التشريع فيه عصمة من الوقوع في الزلل، وما ينتج عنها من الاعتقاد بوحدة وتصحيح الأديان، أو التقارب بينها.

الدراسات السابقة:

- 1- القرآن الكريم وموقفه من أهل الكتاب، للباحث: أشرف عباس القاسمي. مقال



منشور في مجلة الداعي الشهرية الصادرة عن دار العلوم ديوبند، محرم-صفر ١٤٣٥هـ/ نوفمبر-ديسمبر ٢٠١٣م، العدد: ١-٢، السنة: ٣٨.

2- موقف القرآن الكريم مع الأديان الأخرى (دراسة تحليلية) لمجموعة باحثين. بحث محكم ومنشور في مجلة الحكمة للدراسات الإسلامية والعلوم الإنسانية، المجلد: ٧، العدد ٢ مايو (٢٠٢٤).

3- حصر القرآن لأقسام الأديان (دراسة عقدية)، د. شريفة بنت أحمد الحازمي، بحث محكم منشور في مجلة تبيان للدراسات القرآنية، المجلد: (١)، السنة: ٢٠١٦م.

وكما هو واضح من عناوين الأبحاث المقدمة لا علاقة لهما بموضوع بحثي؛ حيث إنّ بحثي يتعلق بعناية القرآن الكريم بعلم الأديان.

خطة البحث:

تكون خطة البحث من مقدمة، وأربعة مباحث، وخاتمة، وفهرس للمصادر والمراجع.

المقدمة:

وتشتمل على: أسئلة البحث، وأهدافه، وأهميته، والدراسات السابقة له، وخطته، ومنهجه.

المبحث الأول: التعريف بعلم الأديان.

المبحث الثاني: صور عناية القرآن بعلم الأديان.

المبحث الثالث: أهمية العناية بهذا العلم.

المبحث الرابع: سبب الإعراض عن هذا العلم.

الخاتمة: وفيها أهم نتائج البحث.

الفهرس: وفيه فهرس المصادر والمراجع.

منهج البحث:

- 1- اتبعتُ في هذا البحث المنهج الاستقرائي التحليلي، وذلك باستقراء النصوص الشرعيّة من كتاب الله، وتحليلها في بيان عناية القرآن الكريم في العناية بعلم الأديان.
- 2- وثّقتُ النقول من مصادرها الأصليّة.
- 3- عزوتُ الآيات إلى موضعها بذكر اسم السّورة، ورقم الآية، مع كتابتها بالرّسم العثماني.
- 4- خرّجتُ الأحاديث النبويّة من مصادرها، فما كان منها في الصحيحين أو في أحدهما، أكتفي بالعزو إليهما، وما لم يكن فيهما أو في أحدهما، خرّجته من كُتب السّنة المشهورة، مع ذكر حُكم العلماء على الحديث.
- 5- ذيلتُ البحث بفهرس للمصادر والمراجع التي وردت في البحث.

والله أسأل أن يكتب له القبول، وأن ينفعني به في الدنيا والآخرة، وهو حسبي ونعم الوكيل.



المبحث الأول: التعريف بعلم الأديان

تعريف الدين لغةً واصطلاحاً:

الدين لغةً:

قال ابن فارس: «الدال والياء والنون: أصل واحد إليه يرجع فروعه كلها. وهو جنس من الانقياد والذل».^(١)

فالدين: الطاعة، يقال: دان له يدين ديناً، إذا أصحب وانقاد وطاع. وقوم دين، أي: مطيعون منقادون.^(٢)

والدين هو ما يدين به الإنسان ويعتقده سواء كان حقاً أم باطلاً، وقد سَمَّى الله أديان المشركين ديناً كما في قوله تعالى: ﴿لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ﴾ [الكافرون: ٦].

الدين اصطلاحاً:

هو اعتقاد قداسة ذاتٍ، ومجموعة السلوك الذي يدل على الخضوع لتلك الذات ذلاً وحباً، رغبة ورهبةً.

فهذا التعريف فيه شمول للمعبود، سواء كان معبوداً حقاً وهو الله عز وجل، أو معبوداً باطلاً وهو ما سوى الله عز وجل.

كما يشمل أيضاً العبادات التي يتبعها الناس بها لمعبوداتهم، سواء كانت سماويةً صحيحةً كالإسلام، أو لها أصلٌ سماويٌّ ووقع فيها التحريف والنسخ كاليهودية، والنصرانية، أو كانت وضعيةً غير سماويةٍ الأصل كالهندوكية، والبوذية، وعموم الوثنيات.

(١) ابن فارس، أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، الناشر: دار الحيل، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م (٣/٣٣٥).

(٢) انظر: المصدر السابق (٣/٣٣٦).

كما يُبرز التعريف حال العابد إذ لا بد أن يكون العابد متلبساً بالخضوع ذلاً وحباً للمعبود حال العبادة، إذ إنّ ذلك أهم معاني العبادة. ويُبيّن التعريف أيضاً هدف العابد من العبادة، وهو إمّا رغبةً أو رهبةً، أو رغبةً ورهبةً معاً؛ لأنّ ذلك هو مطلب بني آدم من العبادة.^(١)

أقسام الديانات:

ورد حصر الأديان عدا دين الإسلام في كتاب الله -عز وجل- في خمسة أصناف وهم: اليهود والنصارى والصابئة والمجوس والمشركون.^(٢)

يقول ابن القيم: «أكثر الأمم دخلوا في الإسلام طوعاً ورغبةً واختياراً، لا كرهاً ولا اضطراراً، فإنّ الله -عز وجل- بعث محمداً ﷺ رسولاً إلى أهل الأرض وهم خمسة أصناف قد طبقوا الأرض: يهود، ونصارى، ومجوس، وصابئة، ومشركون، وهذه الأصناف هي التي كانت قد استولت على الدنيا من مشارقها إلى مغاربها وأديان أهل الأرض لا تخرج عن هذه الأديان الخمسة، ودين الحنفاء لا يعرف فيهم البتة ... وهذه الأديان الستة مذكورة في آية الفصل في قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّيِّئِينَ وَالنَّصِرَىٰ وَالْمَجُوسَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا إِنَّ اللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ [سورة الحج: ١٧]». ^(٣)

(١) انظر: الخلف، سعود بن عبد العزيز، دراسات في الأديان اليهوديّة والنصرانيّة، الناشر: أضواء السلف للنشر والتوزيع، الرياض، الطبعة الخامسة، ١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م (ص ١٠-١١).

(٢) الحازمي، شريفة بنت أحمد، حصر القرآن لأقسام الأديان (دراسة عقديّة)، الناشر: مجلة تبيان للدراسات القرآنية، المجلد: (١)، السنة: ٢٠١٦م، (ص ٣٨٨).

(٣) ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر بن أيوب، هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى، المحقق: محمد أحمد الحاج، الناشر: دار القلم، جدة، الطبعة: الأولى، ١٤١٦هـ - ١٩٩٦م (ص ٣٠).



وتنقسم الأديان من حيث الصحة والبطلان إلى: ديانات صحيحة في الأصل، وهي الدين السماوي الذي أنزله الله إلى البشرية، وديانات باطلة، وهي الديانات المخترعة التي وضعها البشر من تلقاء أنفسهم كالمندوسية، والبوذية، وغيرها.

والديانات صحيحة الأصل تنقسم إلى قسمين:

١- ديانات انحرفت عن أصلها فحرّفت، وبَدِّلَت، وتُسخت، وهي كل ديانة غير الإسلام الذي أنزله الله على محمد ﷺ.

٢- ديانة صحيحة باقية وهي الإسلام الذي بعث الله به خاتم رسله، وقد تكفل الله بحفظ هذا الدين، ولم يكله لأحد من خلقه كما قال تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ [الحجر: ٩].

ودين الأنبياء جميعاً هو الإسلام، أي الاستسلام لله -عز وجل- وإن اختلفت الشرائع، كما قال الله تعالى: ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ﴾ [آل عمران: ١٩].

قال ابن جرير -رحمه الله- في تفسير هذه الآية: «إن الطاعة التي هي الطاعة عنده الطاعة له، وإقرار الألسن والقلوب له بالعبودية والذلة، وانقيادها له بالطاعة فيما أمر ونهى، وتذللها له بذلك من غير استكبار عليه ولا انحراف عنه دون إشراك غيره من خلقه معه في العبودية والألوهية»^(١).

قال قتادة: «والإسلام: شهادة أن لا إله إلا الله، والإقرار بما جاء به من عند الله، وهو دين الله الذي شرع لنفسه، وبعث به رسله، ودل عليه أوليائه، لا يقبل غيره ولا يجزي إلا به»^(٢).

(١) الطبري، محمد بن جرير بن يزيد بن خالد، جامع البيان في تأويل آي القرآن، تحقيق: د. عبد الله بن عبد المحسن التركي بالتعاون مع مركز البحوث والدراسات الإسلامية بدار هجر، دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠١ م (٢٨١/٥).

(٢) الطبري، جامع البيان، مرجع سابق (٢٨١/٥).

وقال أبو العالية: «الإسلام: الإخلاص لله وحده وعبادته لا شريك له، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وسائر الفرائض لهذا تبع»^(١).

وقال العلامة السعدي في تفسيرها كذلك: «أي: الدين الذي لا دين لله سواه، ولا مقبول غيره، هو ﴿الإسلام﴾ وهو الانقياد لله وحده، ظاهراً وباطناً بما شرعه على السنة رسله، قال تعالى: ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَسِرِينَ﴾ [آل عمران: ٨٥]، فمن دان بغير دين الإسلام، فهو لم يدن لله حقيقة، لأنه لم يسلك الطريق الذي شرعه على السنة رسله»^(٢).

وقد بيّن سبحانه أنه لا يقبل غير الإسلام ديناً كما قال تعالى: ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَسِرِينَ﴾ [آل عمران: ٨٥].

فهو دين الله الذي لا دين غيره للأولين والآخرين لا يقبل الله من العباد إلا هو.

قال السعدي: «أي: من يدين لله بغير دين الإسلام الذي ارتضاه الله لعباده، فعمله مردود غير مقبول، لأن دين الإسلام هو المتضمن للاستسلام لله، إخلاصاً وانقياداً لرسله فما لم يأت به العبد لم يأت بسبب النجاة من عذاب الله والفوز بثوابه، وكل دين سواه فباطل»^(٣).

وقوله سبحانه في هذه الآية: ﴿ومن﴾: عام في الأولين والآخرين، فالإسلام هو الدين الوحيد الذي يقبله الله من كل البشر، وهو الدين الذي عليه أنبياءه، وعباده المؤمنون، كما ذكر الله ذلك في كتابه عن نوح، وإبراهيم، يعقوب، وموسى، وسليمان، وغيرهم من الأنبياء والمؤمنين.

(١) الطبري، جامع البيان (٢٨١/٥).

(٢) السعدي، عبد الرحمن بن ناصر (ت: ١٣٧٦هـ)، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، تحقيق: عبد الرحمن بن معلا الوبيح، مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠ م (ص: ٩٦٤).

(٣) السعدي، تيسير الكريم الرحمن، مرجع سابق (ص: ١٣٧).



قال الله تعالى في حق نوح وخطابه لقومه ﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ نُوحٍ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ يٰقَوْمِ إِن كَانَ كَبُرَ عَلَيْكُمْ مَّقَامِي وَتَذَكِيرِي بِآيَاتِ اللَّهِ فَعَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْتُ فَأَجْمِعُوا أَمْرَكُمْ وَشُرَكَاءَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً ثُمَّ اقْضُوا إِلَيَّ وَلَا تُنظِرُونِ ﴿٧١﴾ فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَمَا سَأَلْتُكُمْ مِنْ أَجَرٍ إِن أَجْرِي إِلَّا عَلَى اللَّهِ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴿٧٢﴾﴾ [يونس: ٧١-٧٢].

وقال تعالى في إبراهيم ويعقوب: ﴿وَمَنْ يَرْغَبُ عَنْ مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مَنْ سَفِهَ نَفْسَهُ وَلَقَدْ اصْطَفَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ ﴿١٣٠﴾ إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمْ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٣١﴾ وَوَصَّىٰ بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يٰبَنِيَّ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ لَكُمُ الدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُمْ مُسْلِمُونَ ﴿١٣٢﴾﴾ [البقرة: ١٣٠-١٣٢].

وقال تعالى عن يوسف ﴿تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ﴾ [يوسف: ١٠١].

وقال تعالى عن موسى وقومه: ﴿وَقَالَ مُوسَىٰ يُقَوْمُ إِن كُنْتُمْ ءَامَنْتُمْ بِاللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوا إِن كُنْتُمْ مُسْلِمِينَ﴾ [يونس: ٨٤].

وقال في أنبياء بني إسرائيل: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّوْرَةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا وَالرَّيِّثُونَ وَالْأَجْبَارُ بِمَا اسْتُحْفِظُوا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ وَكَانُوا عَلَيْهِ شُهَدَاءَ فَلَا تَخْشَوُا النَّاسَ وَآخِشُوا أَنَّهُمْ يُكْفَرُونَ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾ [المائدة: ٤٤].

وقال تعالى عن بلقيس: ﴿قَالَتْ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [النمل: ٤٤].

وقال تعالى عن أمة عيسى: ﴿وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى الْحَوَارِيِّنَ أَنْ ءَامِنُوا بِي وَبِرَسُولِي قَالُوا ءَامَنَّا وَأَشْهَدُ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ [المائدة: ١١١].

وقال تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَاتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا﴾ [النساء: ١٢٥].

وقال تعالى ﴿وَقَالُوا لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ هُودًا أَوْ نَصْرَىٰ تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ بلى مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُ أَجْرُهُ عِنْدَ رَبِّهِ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [البقرة: ١١١ - ١١٢].^(١)

قال ابن تيمية رحمه الله: «ولهذا كان الإسلام شهادة أن لا إله إلا الله وهي متضمنة عبادة الله وحده وترك عبادة ما سواه وهو الإسلام العام الذي لا يقبل الله من أحد من الأولين والآخرين ديناً سواه».^(٢)

المبحث الثاني: صور عناية القرآن بعلم الأديان

لقد اعتنى القرآن بعلم الأديان عنايةً عظيمةً، وقد أخذ ذلك صوراً متعددةً منها:

١- الأمر بالدعوة إلى توحيد الله، وترك الشرك، قال تعالى ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ [فصلت: ٣٣].

فإن الدعوة إلى الله لا تكون بدون علم بما عليه أهل تلك الأديان من المعتقدات الباطلة، كما جاء في حديث ابن عباس في بعث النبي ﷺ معاذاً إلى اليمن: «إِنَّكَ تَأْتِي قَوْمًا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ، فَادْعُهُمْ إِلَى شَهَادَةِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنِّي رَسُولُ اللَّهِ...» الحديث.^(٣) فقد ذكر العلماء

(١) ينظر: ابن تيمية، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم (ت: ٧٢٨هـ)، اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم، تحقيق: ناصر العقل، دار عالم الكتب، بيروت، لبنان، الطبعة: السابعة، ١٤١٩هـ - ١٩٩٩م (٢/٣٧٠ - ٣٧٢).

(٢) ابن تيمية، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم (المتوفى: ٧٢٨هـ)، أمراض القلب وشفائها، المطبعة السلفية - القاهرة، الطبعة: الثانية، ١٣٩٩هـ (ص: ٤١).

(٣) أخرجه البخاري، محمد بن إسماعيل، صحيح البخاري، تحقيق: د. مصطفى ديب البغا، ط ٣، ١٤٠٧هـ، دار ابن كثير، اليمامة - بيروت - ح (٤٣٤٧)، وأخرجه مسلم، مسلم بن الحجاج أبو الحسين القشيري النيسابوري، صحيح مسلم، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، بدون ذكر رقم الطبعة وتاريخها ح (١٩).



أنَّ في ذلك توطئةً لمن يلقاهم من المدعوين، فيعرف حالهم وما هم عليه من الاعتقادات.

قال ابن حجر رحمه الله: «قوله: «ستأتي قومًا أهل كتاب» هي كالتوطئة للوصية لتستجمع همته عليها لكون أهل الكتاب أهل علم في الجملة، فلا تكون العناية في مخاطبتهم كمخاطبة الجهال من عبدة الأوثان».^(١)

وقال سبحانه: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجِدْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾ [النحل: ١٢٥].

قال السعدي رحمه الله: «إن كان المدعو يرى أن ما هو عليه حق، أو كان داعيه إلى الباطل، فيجادل بالتي هي أحسن، وهي الطرق التي تكون أدعى لاستجابته عقلا ونقلا، ومن ذلك الاحتجاج عليه بالأدلة التي كان يعتقدها».^(٢)

فدعوة أهل الأديان المخالفة إلى دين الإسلام لا بد أن تكون بعلم وبرهان ويقين كما قال الله تعالى: ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُوا إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعْتِي وَسُبْحَنَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [يوسف: ١٠٨].

قال الطبري رحمه الله: «﴿قل﴾: يا محمد ﴿هذه﴾ الدعوة التي أدعو إليها، والطريقة التي أنا عليها من الدعاء إلى توحيد الله وإخلاص العبادة له دون الآلهة والأوثان، والانتفاء إلى طاعته وترك معصيته ﴿سبيلي﴾: وطريقي ودعوتي ﴿أدعو إلى الله﴾: وحده لا شريك له ﴿على بصيرة﴾: بذلك ويقين علم مني به، ﴿أنا﴾: يدعو إليه على بصيرة أيضا ﴿من اتبعني﴾: وصدقني وآمن بي ﴿وسبحان الله﴾: يقول له تعالى ذكره: وقل تنزيها لله وتعظيما له من أن يكون له شريك في ملكه، أو معبود سواه في سلطانه ﴿وما أنا من المشركين﴾:

(١) العسقلاني، أحمد بن علي بن حجر، فتح الباري شرح صحيح البخاري، دار المعرفة، بيروت، ١٣٧٩، ت: محب الدين الخطيب، (٣/٣٥٨).

(٢) السعدي، تيسير الكريم الرحمن (ص: ٤٥٢).

يقول: وأنا بريء من أهل الشرك به، لست منهم، ولا هم مني»^(١).

٢- ذكر القرآن ما عليه أهل الأديان من معتقدات باطلة، كما ذكر الله معتقدات اليهود والنصارى في كثير من الآيات كما في قوله تعالى: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ذَلِكَ قَوْلُهُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ قَتَلْنَاهُمْ اللَّهُ أَنْتَى يَوْفُكُونَ﴾ [التوبة: ٣٠].

وقال تعالى: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ﴾ [المائدة: ٦٤].

وقال تعالى: ﴿وَقَالُوا لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ هُودًا أَوْ نَصْرَى تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿١١١﴾ بَلَى مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُ أَجْرُهُ عِنْدَ رَبِّهِ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [البقرة: ١١١، ١١٢].

وقال تعالى: ﴿وَقَالُوا كُونُوا هُودًا أَوْ نَصْرَى تَهْتَدُوا قُلْ بَلْ مِلَّةٌ إِبْرَاهِيمَ خَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [البقرة: ١٣٥].

وقال تعالى: ﴿اتَّخِذُوا أَحْبَابَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِّنْ دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَنَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [التوبة: ٣١].

وقال تعالى: ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَلَاثُ ثُلُثَةٍ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا إِلَهٌ وَاحِدٌ وَإِن لَّمْ يَتَّخِذُوا عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٣﴾ أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى اللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَهُ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٧٤﴾ مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ كَانَا يَأْكُلَانِ الطَّعَامَ انْظُرْ كَيْفَ بُيِّنَ لَهُمُ الْآيَاتِ ثُمَّ انْظُرْ أَنْتَى يَوْفُكُونَ﴾ [المائدة: ٧٣ - ٧٥].

(١) الطبري، جامع البيان (١٣/٣٧٨-١٧٩).



ففي كل هذه الآيات وغيرها بيان عقائد اليهود والنصارى والمشركين وطريقتهم والرد عليهم.

٣- الأمر بمجادلتهم كما قال تعالى: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجِدْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾ [النحل: ١٢٥]، وقال تعالى: ﴿وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ وَقُولُوا ءَامَنَّا بِالَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَأُنْزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِهْنَأْ وَإِهْنَأْ وَحِجْ وَحِجْ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾ [العنكبوت: ٤٦].

ففي هذا الآيات مجادلة أهل الكتاب بالتي هي أحسن، وهي بالحجة والبرهان، وبيان ما هم عليه من المعتقدات الباطلة.

قال العلامة السعدي: «فإن كان المدعو يرى أنَّ ما هو عليه حق، أو كان داعيه إلى الباطل، فيجادل بالتي هي أحسن، وهي الطرق التي تكون أدعى لاستجابته عقلاً ونقلاً. ومن ذلك الاحتجاج عليه بالأدلة التي كان يعتقدوها، فإنه أقرب إلى حصول المقصود، وأن لا تؤدي المجادلة إلى خصام أو مشاقمة تذهب بمقصودها، ولا تحصل الفائدة منها بل يكون القصد منها هداية الخلق إلى الحق لا المغالبة ونحوها»^(١).

وأما الآية الأخرى، فالصحيح في معناها كما عليه كثير من المفسرين أنها لم تُنسخ؛ بل هي باقية محكمة لمن أراد الاستبصار منهم في الدين، فيجادل بالتي هي أحسن؛ ليكون أنجع فيه.^(٢)

ولقد أخذ النبي ﷺ بذلك فجادل أهل الكتاب كما في جداله لعدي بن حاتم وانتهت بإسلامه، وكذلك ما جاء في محاورة النبي ﷺ لعبد الله بن سلام.

(١) السعدي، تيسير الكريم الرحمن (ص: ٤٥٢).

(٢) ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر (٧٧٤هـ) تفسير القرآن العظيم، تحقيق: سامي بن محمد السلامة، الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع، الرياض-السعودية، الطبعة: الثانية، ١٤٢٠ هـ - ١٩٩٩ م (٦/٢٨٣).

والتأمل في القرآن يجد أنه يحث على ذكر ما اتفقت عليه الديانات صحيحة الأصل من توحيد الله، وإرجاعهم إلى ذلك الأصل، وترك الشرك بالله؛ كما في قوله تعالى: ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُولُوا۟ ٱشْهَدُوا۟ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ۝ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لِمَ تُحَآجُّونَ فِىٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمَا أُنزِلَتِ ٱلتَّوْرَةُ وَٱلْإِنْجِيلُ إِلَّا مِّنۢ بَعْدِهِۦ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ۝ هَٰأَنتُمْ هَٰؤُلَاءِ حُجَجْتُمْ فِيمَا لَكُمْ بِهِۦ عِلْمٌ فَلِمَ تُحَآجُّونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِۦ عِلْمٌ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ۝ مَا كَانَ إِبْرَٰهِيمَ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَكِن كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ۝ إِنَّ أَوَّلَى ٱلنَّاسِ بِإِبْرَٰهِيمَ لَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ وَهَٰذَا ٱلنَّبِيُّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱللَّهُ وَبِى ٱلْمُؤْمِنِينَ ۝﴾ [آل عمران: ٦٤-٦٨].

ففي هذه الآيات دعوتهم إلى كلمة الحق وترك الباطل، والدعوة إلى عبادة الله وحده، وترك الشرك به، وبيان ما كان عليه إبراهيم -عليه السلام- الذي ينتسبون إليه من التوحيد، وأنه لم يكن على ما كانوا عليه.

وهذه الآية كما يذكر المفسرون نزلت لما جاء وفد نجران وحاورهم النبي ﷺ فزعموا أن إبراهيم كان نصرانياً، ثم زعمت اليهود أنه كان يهودياً، فبين الله بطلان قولهم وأنه كان على التوحيد، وأنه وجد قبل التوراة والإنجيل.^(١)

والحوار يكون بالتي هي أحسن فإذا تبين الحق وحاد الخصم عنه يُدعى بعد ذلك للمباهلة كما في قوله تعالى: ﴿فَمَنْ حَآجَّكَ فِيهِ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا۟ نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأُنْفُسَنَا وَأُنْفُسَكُمْ ثُمَّ تَبَتَّلْ فَنَجْعَلَ لَّعْنَتِ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰذِبِينَ ۝﴾ [آل عمران: ٦١].

(١) البغوي، محيي السنة، أبو محمد الحسين بن مسعود (٥١٠هـ)، معالم التنزيل في تفسير القرآن «تفسير البغوي»، حققه وخرج أحاديثه: محمد عبد الله النمر، عثمان جمعة ضميرية، سليمان مسلم الحرش، دار طبية للنشر والتوزيع، ط: الرابعة، ١٤١٧هـ (٤٩/٢).



وهذه الآية نزلت في وفد نجران من النصارى.

قال ابن كثير: «ثم قال تعالى آمراً رسوله ﷺ أَنْ يُبَاهِلَ مَنْ عَانَدَ الْحَقَّ فِي أَمْرِ عِيسَى بعد ظهور البيان: ﴿فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ﴾ [آل عمران: ٦١] أي: نخضرم في حال المباهلة ﴿ثُمَّ تَبْتِهَلْ﴾ أي: نلتعن ﴿فَجْعَلْ لَعْنَتُ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ﴾ أي: منا أو منكم». (١)

٤- كذلك من صور اهتمام القرآن بعلم الأديان ما قصّه الله عن أهل تلك الديانات من الأخبار وما كانوا عليه، والمراحل التي مروا بها، كما في ذكره لما كان من بني إسرائيل من عذاب فرعون ومن معه، ثم ما منّ الله عليهم من إرسال موسى عليه السلام، وإهلاك عدوهم، وتمكينهم في الأرض، ثم طلبهم للشرك وما وقع لهم من التيه عند امتناعهم دخول أرض فلسطين مع موسى عليه السلام.

كذلك في القرآن بيان ما كان عليه إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب ويوسف -عليهم السلام- من التوحيد وترك الشرك كما في قوله تعالى ﴿أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ بَعْدِي قَالُوا نَعْبُدُ إِلَهَكَ وَإِلَهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِلَهاً وَاحِداً وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾ [البقرة: ١٣٣].

وفي هذه الآيات حُجَّة على جميع المشركين من العرب ومن بني إسرائيل لانتسابهم جميعاً لإبراهيم عليه السلام، وبيان أنه كان على التوحيد. (٢)

٥- كذلك من صور اهتمام القرآن عنايته ببيان بطلان ما عليه أهل الديانات من الباطل، وبيان أن ذلك لا يستوي مع الحق وضرب الأمثلة التي توضح بطلان اعتقاداتهم.

(١) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، مرجع سابق (٤٩/٢).

(٢) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم (٤٤٧/١).

كما في قوله تعالى: ﴿أَفَمَنْ يَخْلُقُ كَمَنْ لَا يَخْلُقُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ [النحل: ١٧]، وقوله تعالى: ﴿يَأَيُّهَا النَّاسُ ضَرْبٌ مَثَلٌ فَاسْتَمِعُوا لَهُ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوْ اجْتَمَعُوا لَهُ وَإِنْ يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئًا لَا يَسْتَنْقِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ﴾ [الحج: ٧٣]، وهذا في القرآن كثير.

٦- كذلك من صور اهتمام القرآن ذكره للديانات ما في قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّبِيَّانَ وَالنَّصَارَى وَالْمَجُوسَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا إِنَّ اللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ [الحج: ١٧].

ففي هذه الآية بيان لجميع الديانات فهي لا تخرج عن هذه الست؛ إمّا أهل الإيمان وهم المسلمون حقاً، وإمّا يهود، أو نصارى، أو صابئة، أو مجوس، أو أهل شرك، فلا تخرج الديانات الموجودة عن هذه الست.



المبحث الثالث: أهمية العناية بهذا العلم

للعناية بهذا العلم علم الأديان فوائد عظيمة، منها:

١- متابعة القرآن والسنة؛ إذ فيهما كما مضى العناية بهذا العلم والحث عليه، ومتابعة القرآن والسنة فضله عظيم في الدنيا والآخرة.

كما قال الله تعالى عن نبيه محمد ﷺ: ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعْتِي وَسُبْحَنَ اللَّهُ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [يوسف: ١٠٨].

٢- في تعلم هذا العلم دعوة أهل الديانات الباطلة للحق؛ إذ إن دعوتهم لا تكون بالعلم بما هم عليه من الاعتقادات الباطلة.

كما قال تعالى ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَدِّهِمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾ [النحل: ١٢٥]، وقال تعالى: ﴿وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ وَقُولُوا ءَامَنَّا بِالَّذِي أُنزِلَ إِلَيْنَا وَأُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِهْنَأْ وَإِهْنَأْ وَاحِدٌ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾ [العنكبوت: ٤٦].

٣- كذلك من أهمية هذا العلم معرفة المسلم الشر لتوقيه؛ فإنه إذا عرف الاعتقادات الباطلة تجنبها إلى ضدها.

كما قيل:

عرفت الشر لا للشر ولكن لتوقيه

ومن لا يعرف الشر من الخير يقع فيه^(١)

(١) البيت: لأبي فراس الحمداني. انظر: النويري، أحمد بن عبد الوهاب، نهاية الأرب في فنون الأدب، الناشر: دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، الطبعة: الأولى، ١٤٢٣هـ (١٧٠/٥).

وكما جاء عن حذيفة بن اليمان -رضي الله عنه- قال: «كان الناس يسألون رسول الله ﷺ عن الخير، وكنت أسأله عن الشر مخافة أن يدركني».^(١)

وكم من واقع في الشر وداع إليه وهو يحسب أنه على هدى مستقيم كما قال الله تعالى: ﴿قُلْ هَلْ تَتَّبِعُونَ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا ﴿١٠٣﴾ الَّذِينَ ضَلَّ سَعِيَّهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا﴾ [الكهف: ١٠٣، ١٠٤].

وقد قال النبي ﷺ: «إن الله لا يقبض العلم انتزاعاً ينتزعه من الناس، ولكن يقبض العلم بقبض العلماء، حتى إذا لم يترك عالماً، اتخذ الناس رؤوساً جهالاً، فسئلوا فأفتوا بغير علم، فضلوا وأضلوا».^(٢)

وقال ﷺ: «إنما أخاف على أمتي الأئمة المضلين».^(٣)

٤- الحذر من كيد أعداء الإسلام وتبليسهم؛ لأنه إذا عرف ما هم عليه أمن من شرهم ومكرهم.

٥- تحذير جهلة المسلمين من هجمات أهل تلك الديانات كحملات التنصير، وحملات

(١) أخرجه البخاري، صحيح البخاري، مرجع سابق ح (٣٦٠٦)، ومسلم، صحيح مسلم، مرجع سابق (١٨٤٧).

(٢) أخرجه البخاري، صحيح البخاري ح (١٠٠) ومسلم، صحيح مسلم ح (٢٦٧٣).

(٣) أخرجه أبو داود، سليمان بن الأشعث أبو داود السجستاني الأزدي، سنن أبي داود، ت: محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الفكر، ح (٤٢٥٢)، والترمذي، محمد بن عيسى بن سورة بن موسى بن الضحاك، الترمذي، أبو عيسى (ت ٢٧٩ هـ)، سنن الترمذي، تحقيق وتعليق: أحمد محمد شاكر، ومحمد فؤاد عبد الباقي، وإبراهيم عطوة عوض، الناشر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي - مصر، الطبعة: الثانية، ١٣٩٥ هـ - ١٩٧٥ م، ح (٢٢٢٩)، وابن ماجه، أبو عبد الله محمد بن يزيد ابن ماجه القزويني (٢٧٣ هـ)، سنن ابن ماجه، ت: شعيب الأرناؤوط، عادل مرشد، محمد كامل قره بللي، عبد اللطيف حرز الله، دار الرسالة العالمية، ط: ١، ١٤٣٠ هـ، ح (٣٩٥٢)، وصححه الهيثمي، أبو الحسن نور الدين علي بن أبي بكر بن سليمان الهيثمي (ت ٨٠٧ هـ)، مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، المحقق: حسام الدين القدسي، الناشر: مكتبة القدسي، القاهرة، عام النشر: ١٤١٤ هـ، ١٩٩٤ م، (٢٣٩/٥).



الوحدة بين أهل تلك الديانات، وأنه لا خلاف بينها، فإذا عرف المسلم اعتقاد أهل تلك الديانات وما هم عليه سلم من تلك الدعوات الجائفة الزائفة، فلا يمكن لديانة أن تجتمع مع الإسلام إلا إن ترك أهلها دينهم، وآمنوا بالله وحده.

كما قال تعالى: ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [آل عمران: ٨٥].

ودعوة المسلمين للحذر من طريقة أهل الديانات الباطلة تكون بأمور، منها:

أ- بيان دين الإسلام الحق الذي جاء به النبي ﷺ.

ب- بيان انحراف أهل الديانات الباطلة وضلالهم.

ج- رد الشبه ودحضها.

د- إيضاح السبيل والدليل على الحجج الشرعية وضلال أهل تلك الديانات مما ذكره الله عنهم.

٦- بيان سبب ضلال أهل الديانات السابقة لتحذير المسلمين منها، وعدم الوقوع في الأسباب التي وقعوا فيها.

وقد أمر الله المسلمين بسؤال الله جل وعلا الهداية عن طريقة المغضوب عليهم ولا الضالين، كما قال تعالى: ﴿أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ (١) صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ ﴿ [الفاتحة: ٦، ٧].

وقال تعالى: ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ قَالُوا سَمِعْنَا وَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ﴾ [الأنفال: ٢١].

وقال تعالى: ﴿مُنِيبِينَ إِلَيْهِ وَاتَّقُوهُ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [الروم: ٣١].

وقال تعالى: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ غَيْرَ الْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا مِنْ قَبْلُ وَأَضَلُّوا كَثِيرًا وَضَلُّوا عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ﴾ [المائدة: ٧٧].

وقال ﷺ: «إياكم والغلو في الدين، فإنما أهلك من كان قبلكم الغلو في الدين»^(١).

كما بين القرآن الكريم سبب انحراف أهل الكتاب عن الصراط المستقيم؛ فمن ذلك:

1-الإعراض عن الهدى الذي أنزله الله ومخالفة هدي الأنبياء عليهم الصلاة والسلام: ﴿فَبِمَا تَقْضِيهِمْ مِيثَاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ وَكُفِّرْهُمْ بآيَاتِ اللَّهِ وَقَتِّلْهُمْ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَقَوْلِهِمْ قُلُوبُنَا غُلْفٌ بَلْ طَبَعَ اللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [النساء: ١٥٥].

2-تحريف الهدى الذي أنزله الله ﴿مَنْ الَّذِينَ هَادُوا يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَأَسْمَعُ غَيْرَ مُسْمِعٍ وَرَعْنَا لَيْثًا بِالْأَسِنَّةِ وَطَعْنَا فِي الدِّينِ﴾ [النساء: ٤٦]

3-متابعة أهل الضلال: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ غَيْرُ أَتْبَنُ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ذَلِكَ قَوْلُهُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ قَتَلْتُمُ اللَّهَ أَلَيْسَ يَتُوفَكُونَ﴾ [التوبة: ٣٠]

4-متابعة أئمة الضلال بغير علم ولا هدى من الله: ﴿اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِّنْ دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَنَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [التوبة: ٣١].

(١) أخرجه النسائي، أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي الخراساني، النسائي (المتوفى: ٣٠٣هـ)، السنن الصغرى، تحقيق: عبد الفتاح أبو غدة، مكتب المطبوعات الإسلامية - حلب، الطبعة: الثانية، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م، ح (٣٠٥٧)، وابن ماجه، سنن ابن ماجه، مرجع سابق، ح (٣٠٢٩)، وصححه الألباني، محمد ناصر الدين الألباني (ت ١٤٢٠هـ)، سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها، الناشر: مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض، الطبعة: الأولى لمكتبة المعارف، عام النشر: ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠٢م، (٢٨٧/٣).



5- الإيمان ببعض النصوص والإعراض عن البعض قال تعالى: ﴿أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ﴾ [البقرة: ٨٥].

وفي هذه الآيات دعوة أهل الإيمان للاهتمام إلى الصراط المستقيم والحذر من طريقة أهل الجحيم، وفيها الأمر بمخالفة منهجهم والحذر من سبيلهم، ولا سبيل إلى معرفة ذلك إلا بمعرفة ما كانوا عليه من الضلال.

كما أنَّ هذه الآيات وغيرها تُبين مدى انحراف أصحاب هذه الديانات عن الصراط المستقيم، والحق الذي أنزله الله على رسله الكرام، وهذا يدل على عظيم عناية القرآن بالأديان.

المبحث الرابع: أسباب الإعراض عن هذا العلم

مع أهمية هذا العلم، ومنزلته العظيمة في الشرع، وتدوين هذه المعلومات الغزيرة والمتنوعة عن الأديان التي وردت في القرآن الكريم، والتي تدل دلالة واضحة على عظيم أهمية هذا العلم في مجال الدعوة إلى الله تعالى، وتنبه علماء المسلمين لذلك؛ حيث كتبوا في الأديان قاصدين بذلك الدعوة إلى الله من خلال ذلك فكان من أوائل من كتب في ذلك: علي بن ربن الطبري في كتابيه (الرد على النصارى) وكتاب (الدين والدولة في إثبات نبوة النبي ﷺ)، والجاحظ في كتابه (الرد على النصارى)، والأشعري في كتابه (الفصول في الرد على الملحدين)، والمسعودي في كتابه (المقالات في أصول الديانات)، والبيروني في كتابه (تحقيق ما للهند من مقولة مقبولة في العقل أو مرذولة)، وابن حزم في كتابه (الفصل في الملل والأهواء والنحل)، والشهرستاني في كتابه (الملل والنحل)، والقراي في كتابه (الأجوبة الفاخرة عن الأسئلة الفاجرة)، وشيخ الإسلام ابن تيمية في كتابه (الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح)، والعلامة ابن القيم في كتابه (هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى)، وغيرها كثير أرسى به المسلمون قواعد هذا العلم، حيث أوردوا عقائد أصحاب الديانات وعبادتهم، ونقلوا ذلك عن كتبهم ومصادرهم المعتبرة لديهم، وناقشوا فيها، وأبانوا عن بطلان أقوالهم، وأقاموا الحجة عليهم بالأدلة النقلية والعقلية، وسلكوا في ذلك منهجاً دعوياً متأسين في ذلك بالقرآن الكريم.^(١)

ومع هذا العلم الغزير الذي خلفه لنا علماء المسلمين على مر العصور في هذا الجانب؛ فإننا نجد تساهلاً وإعراضاً عند البعض تجاه هذا العلم، فقد أعرض عنه كثير من المسلمين وبعض طلاب العلم للأسف الشديد، وهذا يعود لأسباب منها:

١- الجهل بدين الله تبارك وتعالى، والجهل بمنزلة هذا العلم وما له من الأهمية والفوائد العظيمة، مع اهتمام الكتاب والسنة بهذا العلم.

٢- الانشغال في الدنيا والانغماس في ملذاتها، والغفلة عن الغاية العظيمة التي خلق الخلق من أجلها.

(١) انظر: دراسات في الأديان اليهودية والنصرانية، لسعود بن الخلف (ص ١٥).



٣- سيطرة أعداء الإسلام على كثير من ديار المسلمين.

٤- ما يتعرض له العالم الإسلامي من هجمات فكرية، وغزو ثقافي لصدّ المسلمين عن دينهم، وإشغالهم بأنفسهم.

٥- اغترار الكثير من جهلة المسلمين بدعوات الوحدة بين أهل تلك الديانات، وأنّ الخلاف بينهم يسير.

الخاتمة

وفي خاتمة هذا البحث توصلتُ لجملة من النتائج والتوصيات:

أولاً: النتائج.

- ١- أهمية العناية بهذا العلم وما له من فوائد عظيمة.
- ٢- عظيم عناية القرآن بهذا العلم وكذلك في سنة النبي ﷺ.
- ٣- تعدّد صور القرآن في العناية بهذا العلم.
- ٤- أنّه لا بدّ من تعلّم هذا العلم لمن أراد أن يدعو إلى الله تبارك وتعالى، ويحاجج أهل الأديان.
- ٥- إعراض المسلمين عن هذا العلم يعود لأسباب من أعظمها: الجهل بالدين، والجهل بأهمية هذا العلم، وما يتعرض له أهل الإسلام من حملات مكثفة القصد منها إضعاف تمسك المسلمين بدينهم، وترويج أفكار الأديان المخالفة.

ثانياً: التوصيات.

- ١- الاهتمام بدراسة الأديان الشرقية، وبيان انحرافها وبطلانها خصوصاً التي جاء ذكرها في القرآن الكريم.
- ٢- عقد مقارنات بين الأديان، وبيان مدى تأثر بعضها ببعض.

والحمد لله أولاً وآخراً وظاهراً وباطناً



فهرس المصادر والمراجع

- 1- ابن تيمية، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم (المتوفى: ٧٢٨هـ)، اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم، تحقيق: ناصر عبد الكريم العقل، دار عالم الكتب، بيروت، لبنان، الطبعة: السابعة، ١٤١٩هـ - ١٩٩٩م.
- 2- ابن تيمية، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم (المتوفى: ٧٢٨هـ)، أمراض القلب وشفائها، المطبعة السلفية، القاهرة، الطبعة: الثانية، ١٣٩٩هـ.
- 3- ابن فارس، أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، الناشر: دار الجليل، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م.
- 4- ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر بن أيوب، هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى، المحقق: محمد أحمد الحاج، الناشر: دار القلم، جدة، الطبعة: الأولى، ١٤١٦هـ - ١٩٩٦م.
- 5- ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر (٧٧٤هـ) تفسير القرآن العظيم، تحقيق: سامي بن محمد السلامة، (تم فيها استدراك السقط الحاصل بالمجلد الأول من طبعة الشعب)، الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع، الرياض، السعودية، الطبعة: الثانية، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م.
- 6- ابن ماجه، أبو عبد الله محمد بن يزيد (٢٧٣هـ)، سنن ابن ماجه، ت: شعيب الأرناؤوط، عادل مرشد، محمد كامل قره بللي، عبد اللطيف حرز الله، دار الرسالة العالمية، ط: ١، ١٤٣٠هـ.
- 7- أبو داود، سليمان بن الأشعث السجستاني الأزدي، سنن أبي داود، ت: محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الفكر.
- 8- الألباني، محمد ناصر الدين (ت ١٤٢٠هـ)، سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها، الناشر: مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض، الطبعة: الأولى لمكتبة المعارف، عام النشر: ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠٢م.
- 9- البخاري، محمد بن إسماعيل، صحيح البخاري، تحقيق: د. مصطفى ديب البغا، ط ٣، ١٤٠٧هـ، دار ابن كثير، اليمامة - بيروت - .

- 10- البغوي، محيي السنة، أبو محمد الحسين بن مسعود (ت ٥١٠هـ)، معالم التنزيل في تفسير القرآن (تفسير البغوي)، حققه وخرج أحاديثه محمد عبد الله النمر، عثمان جمعة ضميرية، سليمان مسلم الحرش، دار طيبة للنشر والتوزيع، ط: الرابعة، ١٤١٧ هـ.
- 11- الترمذي، محمد بن عيسى (ت ٢٧٩هـ)، سنن الترمذي، تحقيق وتعليق: أحمد محمد شاكر، ومحمد فؤاد عبد الباقي، وإبراهيم عطوة عوض، الناشر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي، مصر، الطبعة: الثانية، ١٣٩٥ هـ - ١٩٧٥ م.
- 12- الحازمي، شريفة بنت أحمد، حصر القرآن لأقسام الأديان - دراسة عقدية -، الناشر: مجلة تبيان للدراسات القرآنية، المجلد: (١)، السنة: ٢٠١٦ م.
- 13- الخلف، سعود بن عبد العزيز، دراسات في الأديان اليهودية والنصرانية، الناشر: أضواء السلف للنشر والتوزيع، الرياض، الطبعة الخامسة، ١٤٢٧ هـ - ٢٠٠٦ م.
- 14- السعدي، عبد الرحمن بن ناصر (ت: ١٣٧٦هـ)، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، تحقيق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠ م.
- 15- الطبري، محمد بن جرير بن يزيد بن خالد، جامع البيان في تأويل آي القرآن، تحقيق: الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي بالتعاون مع مركز البحوث والدراسات الإسلامية بدار هجر، دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢ - ٢٠٠١ م.
- 16- العسقلاني، أحمد بن علي بن حجر، فتح الباري شرح صحيح البخاري، دار المعرفة، بيروت، ١٣٧٩، ت: محب الدين الخطيب.
- 17- مسلم، أبو الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري، صحيح مسلم، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، بدون ذكر رقم الطبعة وتاريخها.
- 18- النسائي، أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي الخراساني، (المتوفى: ٣٠٣هـ)، السنن الصغرى، تحقيق: عبد الفتاح أبو غدة، مكتب المطبوعات الإسلامية - حلب، الطبعة: الثانية، ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦ م.



- 19-النويري، أحمد بن عبد الوهاب، نهاية الأرب في فنون الأدب، الناشر: دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، الطبعة: الأولى، ١٤٢٣هـ.
- 20-الهيثمي، أبو الحسن نور الدين علي (ت ٨٠٧هـ)، مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، المحقق: حسام الدين القدسي، الناشر: مكتبة القدسي، القاهرة، عام النشر: ١٤١٤ هـ، ١٩٩٤م.

Bibliography

1. Abu Dawud, Sulayman ibn al-Ash'ath al-Sijistani al-Azdi, *Sunan Abi Dawud*, edited by Muhammad Muhyi al-Din Abdul Hamid, Dar al-Fikr.
2. Al-Albani, Muhammad Nasir al-Din (d. 1420 AH), *Silsilat al-Ahadith al-Sahiha wa Shay'min Fiqhiha wa Fawa'idaha*, published by Maktabat al-Ma'arif for Publishing and Distribution, Riyadh, 1st edition of Maktabat al-Ma'arif, published in 1415 AH - 1995 CE, and 1422 AH - 2002 CE.
3. Al-Asqalani, Ahmad ibn Ali ibn Hajar, *Fath al-Bari Sharh Sahih al-Bukhari*, Dar al-Ma'rifah, Beirut, 1379 AH, edited by Muhibb al-Din al-Khatib.
4. Al-Baghawi, Muhyi al-Sunnah, Abu Muhammad al-Husayn ibn Mas'ud (d. 510 AH), *Ma'alim al-Tanzil fi Tafsir al-Quran* ("Tafsir al-Baghawi"), edited and hadiths verified by Muhammad Abdullah al-Nimr, Uthman Jum'ah Dhamiriyyah, Sulayman Muslim al-Harsh, Dar Tayyibah for Publishing and Distribution, 4th edition, 1417 AH.
5. Al-Bukhari, Muhammad ibn Isma'il, *Sahih al-Bukhari*, edited by Dr. Mustafa Dib al-Bugha, 3rd edition, 1407 AH, Dar Ibn Kathir, al-Yamamah - Beirut.
6. Al-Haythami, Abu al-Hasan Nur al-Din Ali (d. 807 AH), *Majma' al-Zawa'id wa Manba' al-Fawa'id*, edited by Husam al-Din al-Qudsi, published by Maktabat al-Qudsi, Cairo, published in 1414 AH - 1994 CE.
7. Al-Hazmi, Sharifah bint Ahmad, Hasr al-Quran li-Aqdam al-Adyan - Dirasah Aqadiyyah, Publisher: Tabyan Journal for Quranic Studies, Volume: (1), Year: 2016 CE.
8. Al-Khalaf, Saud bin Abdulaziz, Dirasat fi al-Adyan al-Yahudiyyah wa al-Nasraniyyah, Publisher: Adwa al-Salaf for Publishing and Distribution, Riyadh, Fifth Edition, 1427 AH - 2006 CE.
9. Al-Nasa'i, Abu Abdurrahman Ahmad ibn Shu'ayb ibn Ali al-Khu-



- rasani (d. 303 AH), *Al-Sunan al-Sughra*, edited by Abdul Fattah Abu Ghuddah, Maktab al-Matbu'at al-Islamiyyah - Aleppo, 2nd edition, 1406 AH - 1986 CE.
10. Al-Nuwayri, Ahmad ibn Abd al-Wahhab, *Nihayat al-Arb fi Funun al-Adab*, Publisher: Dar al-Kutub wa al-Watha'iq al-Qawmiyyah, Cairo, First Edition, 1423 AH.
 11. Al-Sa'di, Abdul Rahman ibn Nasir (d. 1376 AH), *Tafsir al-Karim al-Rahman fi Tafsir Kalam al-Mannan*, edited by Abdul Rahman ibn Mu'alla al-Luwayhiq, Mu'assasat al-Risalah, 1st edition, 1420 AH - 2000 CE.
 12. Al-Tabari, Muhammad ibn Jarir ibn Yazid ibn Khalid, *Jami' al-Bayan fi Ta'wil Ay al-Quran*, edited by Dr. Abdullah ibn Abdul Muhsin al-Turki in collaboration with the Research and Studies Center at Dar Hajar, Dar Hajar for Printing, Publishing, and Distribution, 1st edition, 1422 AH - 2001 CE.
 13. Al-Tirmidhi, Muhammad ibn Isa (d. 279 AH), *Sunan al-Tirmidhi*, edited and annotated by Ahmad Muhammad Shakir, Muhammad Fu'ad Abdul Baqi, and Ibrahim Atwa Awad, published by Sharikat Maktabat wa Matba'at Mustafa al-Babi al-Halabi, Egypt, 2nd edition, 1395 AH - 1975 CE.
 14. Ibn Faris, Abu Al-Husayn Ahmad ibn Faris ibn Zakariya, Mu'jam Maqayis al-Lughah, Edited by Abd al-Salam Muhammad Harun, Publisher: Dar al-Jil, Beirut, Second Edition, 1420 AH - 1999 CE.
 15. Ibn Kathir, Abu al-Fida Isma'il ibn Umar (d. 774 AH), *Tafsir al-Quran al-Azim*, edited by Edited by Sami ibn Muhammad al-Salamah, including corrections for the omitted sections in the first volume of Sha'b edition, published by Dar Tayyibah for Publishing and Distribution, Riyadh, Saudi Arabia, 2nd edition, 1420 AH - 1999 CE.
 16. Ibn Majah, Abu Abdullah Muhammad ibn Yazid (d. 273 AH), *Sunan Ibn Majah*, edited by Shu'ayb al-Arna'ut, Adel Murshid, Muhammad Kamel Qara Balli, Abdul Latif Harzallah, Dar al-Risalah al-Alami-

yyah, 1st edition, 1430 AH.

17. Ibn Qayyim al-Jawziyyah, Muhammad ibn Abi Bakr ibn Ayyub, Hidayat al-Hiyara fi Ajwibat al-Yahud wa al-Nasara, Edited by: Muhammad Ahmad al-Hajj, Publisher: Dar al-Qalam, Jeddah, First Edition, 1416 AH - 1996 CE.
18. Ibn Taymiyyah, Taqi al-Din Abu al-Abbas Ahmad ibn Abd al-Halim (d. 728 AH), *Iqtida' al-Sirat al-Mustaqim li-Mukhalafat Ashab al-Jahim*, edited by Nasir Abd al-Karim al-Aql, Dar Alam al-Kutub, Beirut, Lebanon, 7th edition, 1419 AH - 1999 CE.
19. Ibn Taymiyyah, Taqi al-Din Abu al-Abbas Ahmad ibn Abd al-Halim (d. 728 AH), *Amrad al-Qulub wa Shifa'uha*, Al-Matba'ah al-Salafiyyah, Cairo, 2nd edition, 1399 AH.
20. Muslim, Abu al-Husayn Muslim ibn al-Hajjaj al-Qushayri al-Nisaburi, *Sahih Muslim*, edited by Muhammad Fu'ad Abdul Baqi, Dar Ihya al-Turath al-Arabi, Beirut, No edition number or publication date provided.



دفع غير المستحق في نظام المعاملات المدنية السعودي

(دراسة مقارنة بالفقه الإسلامي)

د. يحيى بن حسين بن يحيى الحربي

أستاذ الأنظمة المشارك، قسم الفقه وأصوله، كلية الشريعة وأصول الدين، جامعة الملك خالد

حاصل على الماجستير من جامعة الملك خالد بتخصص الأنظمة

حاصل على الدكتوراه من جامعة الملك خالد بتخصص الأنظمة

خميس مشيط، المملكة العربية السعودية، Yalhrbi@kku.edu.sa



<https://doi.org/10.65728/1625-000-022-002>

ملخص البحث

موضوع البحث: دفع غير المستحق في نظام المعاملات المدنية السعودي: دراسة مقارنة بالفقه الإسلامي.

أهداف البحث: يهدف هذا البحث إلى دراسة هذا الموضوع ببيان مفهومه وشروطه وصوره، وقد أشار إليه نظام المعاملات المدنية السعودي الصادر حديثاً، وتأصيله في الفقه الإسلامي في عدة مسائل، وأدلته من الكتاب والسنة، وكيفية ضمان ذلك في حال سداد ما تم الوفاء له أو كان ركن السبب متخلفاً، وما يشوبه من عيوب الرضا، مع التفريق بين حسن النية وسيئ النية في هذا، وما يترتب على التعويض على كل واحد منهما.

منهج البحث: منهج تحليلي مقارن.

أهم النتائج: انتهى البحث إلى أن مفهوم دفع غير المستحق في النظام السعودي لا يخرج عن كونه: «كل من تسلم شيئاً على سبيل الوفاء بما ليس له فعلية ردّه»، وأن دفع غير المستحق يعدُّ تطبيقاً من تطبيقات الإثراء بلا سبب، لكنه يختلف عنه في أن الالتزام المبني على دفع غير المستحق يكون برد كامل المبالغ، بخلاف الإثراء يكون بأقل القيمتين من الإثراء والافتقار، وأن شروط دفع غير المستحق وجد لها تأصيل في الفقه الإسلامي، حيث تُخرَّج على مسائل الضمان في الفقه الإسلامي.

أهم التوصيات: توجيه طلاب الدراسات العليا لمزيد من الدراسات حول نظام المعاملات المدنية، ودراسة حالات التعارض بين الأنظمة وفقاً لمبدأ العموم والخصوص، والنظر في الأصلح في ذلك.

الكلمات المفتاحية: نظام المعاملات المدنية، دفع غير المستحق، الفقه الإسلامي، الإثراء بلا سبب.



ABSTRACT

Research topic: Payment not due in the Saudi Civil Transactions Law: a comparative study with Islamic jurisprudence.

Research objectives: This research aims to study this topic by clarifying its concept, conditions, and forms. It examines the provisions of the recently issued Saudi Civil Transactions Law, its roots in Islamic jurisprudence on several issues, its evidence from the Qur'an and Sunnah, and how to guarantee it in cases of payment for what has been fulfilled or for a delayed reason. It also addresses defects of consent, distinguishes between good faith and bad faith, and analyzes the consequences of compensation for each situation.

Research Methodology: Comparative-analytical approach.

The Most Important Results: The research concluded that the concept of paying what is not due in the Saudi system does not deviate from the following: "Everyone who receives something as a way to fulfill what he does not have should return it," and that paying what is not due is an application of unjust enrichment, but it differs from it in The obligation based on paying what is not owed is to return the full amounts, unlike enrichment, which is the lesser of the two values of enrichment and lack, and that the conditions for paying what is not due are found to be rooted in Islamic jurisprudence It is graduated on issues of guarantee in Islamic jurisprudence

Most Important Recommendations: Directing graduate students to further studies on the civil transactions system, studying cases of conflict between the systems according to the principle of generality and specificity, and considering what is best in that.

Keywords: Civil Transactions Law, restitution for the undeserved, Islamic jurisprudence, unjust enrichment.

مقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء مرسلين، نبينا محمد وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، أما بعد:

فإن الإثراء بغير سبب أحد مصادر الالتزام، الذي نصَّ عليه نظام المعاملات المدنية السعودي، وقد نهى الله -جل وعلا- عن أكل أموال الناس بالباطل.

وللإثراء بغير سبب صورتان واضحتان نصَّ عليهما النظام، وهما دفع غير المستحق، والفضالة.

ويراد بدفع غير المستحق أن يقوم شخص بأداء ما ليس عليه واجباً، دون أن تكون له نية الوفاء بدين على غيره.

ومن هنا كان هذا البحث لدراسة هذه الصورة، وبيان ما يتعلق بها في الفقه والنظام.

فجاء هذا البحث الموسوم بـ:

(دفع غير المستحق في نظام المعاملات المدنية السعودي:

دراسة مقارنة بالفقه الإسلامي)

والله وحده المسؤول أن يوفقنا للصواب.

● مشكلة البحث:

يعد دفع غير المستحق أحد صور الإثراء بغير سبب، بأن يقوم شخص بالوفاء عن شخص ما ليس واجباً عليه، وليس له فيه نية في ذلك، مما يؤدي إلى إثراء شخص على حساب آخر دون سبب شرعي أو نظامي، وهذا البحث يعالج الحديث عن دفع غير المستحق في الفقه والنظام مقارنةً بذلك، مبيناً عدل الشريعة الإسلامية وحرصها على أموال الناس، ومن ذلك استمد النظام السعودي هذا المصدر من مصادر الالتزام.



• أسئلة البحث:

- ١- ما مفهوم دفع غير المستحق في النظام السعودي والفقهاء الإسلامي؟
- ٢- هل هناك شروط لدفع غير المستحق في النظام السعودي والفقهاء الإسلامي؟
- ٣- هل هناك صور لدفع غير المستحق في النظام السعودي والفقهاء الإسلامي؟
- ٤- ما شروط دفع غير المستحق في النظام السعودي والفقهاء الإسلامي؟

• أهمية الموضوع:

تظهر أهمية الموضوع في ما يلي:

- 1- أن الإثراء بغير سبب يعد مصدرًا من مصادر الالتزام.
- 2- أن الشريعة الإسلامية حريصة على تحقيق العدل بين الناس وحفظ الحقوق.
- 3- أن النظام السعودي بني أنظمتها على الشريعة الإسلامية في حرصها على أموال الناس.
- 4- أن هناك وجوهًا لانتقال الأموال بين الناس بصورة صحيحة دون ظلم.

• أسباب اختيار الموضوع:

دعاني لاختيار هذا الموضوع جملة من الأسباب، منها:

أولاً: ما سبق من أهميته.

ثانيًا: حداثة صدور نظام المعاملات المدنية، فقد صدر بتاريخ ٢٩/١١/١٤٤٤هـ، ونشر في الجريدة الرسمية أم القرى في العدد (٤٩٨٧)، بتاريخ ٥/١٢/١٤٤٤هـ.

ثالثًا: قلة الأبحاث في هذا الموضوع.

• أهداف البحث:

- 1- بيان مفهوم دفع غير المستحق في النظام السعودي والفقه الإسلامي.
- 2- توضيح صور دفع غير المستحق في النظام السعودي والفقه الإسلامي.
- 3- إثبات أن النظام السعودي يستمد أنظمته من الشريعة الإسلامية.
- 4- إيضاح إحاطة الشريعة الإسلامية بجميع ما ورد في الأنظمة واستمدادها منها.
- 5- بيان إحاطة الفقه الإسلامي بمصادر الالتزام في الأموال، والرد على من زعم أن الفقه الإسلامي لا يعرفها.

• حدود البحث:

نظام المعاملات المدنية الصادر بالمرسوم الملكي رقم (م/١٩١) وتاريخ ٢٩/١١/١٤٤٤هـ.

• الدراسات السابقة:

لم أجد -في ما اطلعت عليه- من تعرض في دراسة علمية مستقلة لهذا الموضوع، ولعل ذلك لحداثة صدور هذا النظام.

• منهج البحث:

سلكت في بحثي هذا المنهج التحليلي المقارن، مع مراعاة قواعد الكتابة العلمية المتعارف عليها، ومن أبرز عناصرها:

- ١ - الاستقراء التام لمصادر الموضوع، ومراجعته المتقدمة والمتأخرة.
- ٢ - الاعتناء بضرب الأمثلة الفقهية والنظامية، والإكثار من ذلك حتى يتبين المقصود.
- ٣ - رسم الآيات بالرسم العثماني، مع بيان أرقامها، وعزوها إلى سورها.
- ٤ - تخريج الأحاديث والآثار الواردة في صلب البحث من مصادرها من كتب السنة، فما وجدته في الصحيحين أو أحدهما اكتفيت به، وما لم أجده خرجته من دواوين السنة، مع



بيان ما قاله أهل الصنعة فيه.

٥- عزو نصوص العلماء وآرائهم إلى كتبهم مباشرة، إلا إذا تعذر ذلك، فيتم التوثيق بالواسطة.

٦- بيان معاني غريب الألفاظ من مصادرها ومراجعتها المناسبة.

٧- منهجية إيراد المراجع، فأكتفي بإيراد المرجع في الهامش، وأما معلوماته فأؤخرها إلى فهرس المصادر والمراجع في آخر البحث.

● خطة البحث:

قسمت هذه الدراسة إلى مقدمة وأربعة مباحث وخاتمة، وذلك على النحو التالي:

المقدمة: وتشتمل على: موضوع البحث، وبيان مشكلة البحث وأسئلته، وبيان أهمية الموضوع، وذكر أسباب اختياره، وأهداف الموضوع، وما يتعلق بالدراسات السابقة، ومنهج البحث، وخطة البحث.

❖ **المبحث الأول: مفهوم دفع غير المستحق في النظام السعودي والفقه الإسلامي،**
وفيه ثلاثة مطالب:

- **المطلب الأول:** مفهوم دفع غير المستحق في النظام السعودي.
- **المطلب الثاني:** مفهوم دفع غير المستحق في الفقه الإسلامي.
- **المطلب الثالث:** المقارنة بين النظام السعودي والفقه الإسلامي في مفهوم دفع غير المستحق.

❖ **المبحث الثاني: شروط دفع غير المستحق في النظام السعودي والفقه الإسلامي،**
وفيه ثلاثة مطالب:

- **المطلب الأول:** شروط دفع غير المستحق في النظام السعودي، وفيه ثلاثة فروع:

الفرع الأول: ألا يكون هناك وفاء.

الفرع الثاني: تخلف ركن السبب.

الفرع الثالث: ألا يكون الوفاء مشوبًا بأحد عيوب الرضا.

■ **المطلب الثاني:** شروط دفع غير المستحق في الفقه الإسلامي، وفيه ثلاثة فروع:

الفرع الأول: ألا يكون هناك وفاء.

الفرع الثاني: تخلف ركن السبب.

الفرع الثالث: ألا يكون الوفاء مشوبًا بأحد عيوب الرضا.

■ **المطلب الثالث:** المقارنة بين النظام السعودي والفقه الإسلامي في شروط دفع غير

المستحق.

❖ **المبحث الثالث:** صور دفع غير المستحق في النظام السعودي والفقه الإسلامي،

وفيه ثلاثة مطالب:

■ **المطلب الأول:** صور دفع غير المستحق في النظام السعودي، وفيه ثلاثة فروع:

الفرع الأول: الوفاء بدين غير مستحق وقت الوفاء، أو يشوبه عيب يبطئه.

الفرع الثاني: الوفاء بدين كان مستحقًا وقت الوفاء ثم أصبح غير مستحق.

الفرع الثالث: الوفاء بالتزام لم يحل أجله بعد وكان الموفاي جاهلاً قيام الأجل.

■ **المطلب الثاني:** صور دفع غير المستحق في الفقه الإسلامي، وفيه أربعة أفرع:

الفرع الأول: حالة الوفاء عن غلط.

الفرع الثاني: حالة الوفاء عن بينة لمن ليس مدينًا له.

الفرع الثالث: الدفع لغرض لم يتحقق أو زال بعد تحققه.

الفرع الرابع: الوفاء قبل حلول الأجل.

■ **المطلب الثالث:** المقارنة بين النظام السعودي والفقه الإسلامي في صور دفع غير

المستحق.



❖ المبحث الرابع: آثار قبض غير المستحق في النظام السعودي والفقهاء الإسلامي،

وفيه ثلاثة مطالب:

- **المطلب الأول:** آثار قبض غير المستحق في النظام السعودي.
- **المطلب الثاني:** آثار قبض غير المستحق في الفقهاء الإسلامي.
- **المطلب الثالث:** المقارنة بين النظام السعودي والفقهاء الإسلامي في آثار قبض غير المستحق.

- **الخلاصة:** وتشتمل على نتائج البحث وتوصياته، ثم أتبع ذلك بفهرس المصادر والمراجع.

المبحث الأول: مفهوم دفع غير المستحق في النظام السعودي والفقه الإسلامي

المطلب الأول: مفهوم دفع غير المستحق في النظام السعودي:

عُرف دفع غير المستحق بعدة تعريفات، منها:

1- «أن يقوم شخص بأداء ما ليس واجباً عليه، دون أن تكون له نية الوفاء بدين على غيره». (١)

2- «وفاء بدين غير واجب على الموفي دون أن تكون له نية الوفاء بدين غيره». (٢)

3- وقيل: «قيام شخص بالوفاء بدين غير مستحق عليه». (٣)

وقد عرّفه نظام المعاملات المدنية السعودي فقال في المادة (١٤٥): «كل من تسلم على سبيل الوفاء ما ليس مستحقاً له وجب عليه ردّه».

ومن خلال هذه التعريفات نجد أن مؤدّأها واحد، ومعانيها متقاربة، وهي أن من دفع شيئاً ليس واجباً عليه ظاناً وجوبه عليه له أن يستردّ ما دفع.

وبناء عليه: الالتزام بدفع غير المستحق يكون على من تلقى وفاء لا يستحقه لأي سبب، فعليه أن يرد ما تلقاه لمن أوفى. (٤)

المطلب الثاني: مفهوم دفع غير المستحق في الفقه الإسلامي:

توسّع الفقهاء في كلامهم عن الضمان في مسألة دفع غير المستحق، ويعد من صور قبض

(١) النظرية العامة للالتزام لمحمد وحيد سوار (٣٢٣/١).

(٢) مصادر الالتزام للصدّه (ص ٧٣٣).

(٣) الموجز في نظرية الالتزامات لعبد الودود يحيى (٢١٦/١).

(٤) ينظر: مصادر الالتزام لعلي سليمان (ص ٥٨٨).

المال بغير إذن صاحبه، وهو متعديّ وعليه الضمان.^(١)

وهذا بناء على ما قضته العدالة؛ فإن المقبوض دون حق يكون سبباً لإلزام القابض.

ومن الأدلة على ذلك:

1- يقول الله تعالى ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا﴾.^(٢)

وجه الدلالة: أن الله أمر بأداء الحقوق إلى أهلها، ومن الحقوق ما أخذه الإنسان بغير وجه حق، فيجب رده على صاحبه.^(٣)

2- قال صلى الله عليه وسلم: «على اليد ما أخذت حتى تؤديه».^(٤)

وجه الدلالة: في الحديث دليل على وجوب رد ما قبضه المرء، وهو ملك لغيره، ولا يبرأ إلا برده إلى مالكه، ولا يستحق التأدية إلا بذلك.^(٥)

في حديث العسيف: «إن رجلاً من الأعراب أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال: يا رسول الله، أنشدك الله إلا قضيت لي بكتاب الله، فقال الخصم الآخر: وهو أفقه منه نعم، فاقض بيننا بكتاب الله وأذن لي، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: قل، قال: إن ابني كان عسيفاً على هذا، فزني بامرأته، وإني أخبرت أن على ابني الرجم، فافتديت منه

(١) ينظر: قواعد ابن رجب (ص ٥٦)؛ الضمان في الفقه الإسلامي لعلي الخفيف (١٦٧).

(٢) القرآن الكريم، النساء: ٥٨.

(٣) ينظر: تفسير الجلالين (٢٨٨/١)؛ تفسير ابن كثير (٣٤٥/١).

(٤) الحديث أخرجه أبو داود في سننه في باب تضمنين العارية (٤١٤/٥) برقم: (٣٥٦١)، والترمذي في جامعه في باب ما جاء في أن العارية مؤداة (٥٥٧/٢) برقم: (١٢٦٦)، وقال: «حديث حسن»، والنسائي في باب المنيحة (٣٣٣/٥)، برقم: (٥٧٥١)، وابن ماجه في باب العارية (٤٧٩/٣)، برقم: (٢٤٠٠)، والدارمي في باب العارية مؤداة (١٦٩١/٣)، برقم: (٢٦٣٨).

(٥) ينظر: سبل السلام (٦٧/٣).

بمئة شاة ووليدة، فسألت أهل العلم، فأخبروني أنما على ابني جلد مئة، وتغريب عام، وأن على امرأة هذا الرجم، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: والذي نفسي بيده، لأقضين بينكما بكتاب الله، الوليدة والغنم رد عليك، وعلى ابنك جلد مئة، وتغريب عام، واغد يا أنيس إلى امرأة هذا، فإن اعترفت فارجمها. قال: فغدا عليها، فاعترفت، فأمر بها رسول الله صلى الله عليه وسلم فرجمت». (١)

وجه الدلالة: في قول رسول الله صلى الله عليه وسلم: «الوليدة والغنم رد عليك»، فقد حكم الرسول صلى الله عليه وسلم بدفع غير المستحق وهي الوليدة والغنم؛ لأن دفعهما كان غير مستحق ابتداء، فلذا كان الرد واجباً.

المطلب الثالث: المقارنة بين النظام السعودي والفقه الإسلامي في مفهوم دفع غير المستحق:

يظهر مما سبق أن الالتزام المبني على دفع غير المستحق يكون برد كامل المبلغ، بخلاف الإثراء فإنه يكون بأقل القيمتين^(٢)، ويتوافق الفقه الإسلامي في أن ما أخذه الإنسان بغير وجه حق وجب عليه ردّه في ذلك^(٣)، على ما سيأتي من اعتبارات حسن النية وعدمها في التفصيل لذلك.

(١) الحديث أخرجه البخاري في كتاب المحاربين من أهل الكفر والردة، باب من أمر غير الإمام بإقامة الحد عنه (١٧/٨) ح ٦٨٣٥، ومسلم في كتاب الحدود، باب من اعترف على نفسه بالزنا (١٢١/٥) ح ١٦٩٧.
(٢) ينظر: الوجيز في نظام المعاملات المدنية للزقرد (١٨٥/٢)، تقدير التعويض الناشئ عن الإثراء بلا سبب للأحمدي (ص ٤٩)، مصادر الالتزام في القانون المدني لأنور سلطان (ص ٣٩٨).
(٣) ينظر: قواعد ابن رجب (ص ١٤٥)، الفتاوى الهندية (١٢١/٥).



المبحث الثاني: شروط دفع غير المستحق في النظام السعودي والفقه الإسلامي

المطلب الأول: شروط دفع غير المستحق في النظام السعودي:

الفرع الأول: ألا يكون هناك وفاء:

ومعنى هذا أنه إن تسلّم الشخص شيئاً ليس له فعليه أن يردّه.

وقد نصّت المادة (١٤٥) على هذا الشرط فقالت: «كل من تسلّم على سبيل الوفاء ما ليس مستحقاً له وجب عليه ردّه».

وهذه المادة تتناول في الواقع حالتين فرعيتين:

1- حالة أن يثبت المدعي عدم تحقق سبب الدين الذي أدّاه إطلاقاً، كما إذا كان الوارث قد أوفى بدين مورثه ملتزماً به، أو إذا قام أحد المتعاقدين في عقد باطل بالوفاء بالتزامه، أو كما قام شخص بالوفاء بتعويض عن حادث اعتقد خطأ أنه يسأل عنه، ويلحق بذلك أن يثبت أن سبب الدين لم يتحقق، كما إذا أدى مدين ديناً بموجب عقد موقوف أو معلق بشرط لم يتحقق.

2- حالة أن يثبت أن سبب الدين قد زال بعد تحقيقه، كما إذا نفذ أحد المتعاقدين التزامه في عقد باطل أو فسخ بعد ذلك.^(١)

الفرع الثاني: تخلف ركن السبب:

يطلق السبب على عدة إطلاقات لدى النظاميين، ويكون المقصود به هنا المصدر المادي، أو المنشئ للالتزام.

(١) ينظر: مصادر الالتزام لعبد القادر الفار (ص ٢٤٧).

فعقد البيع هو السبب في التزام البائع بتسليم المبيع والتزام المشتري بالوفاء.^(١)

فإذا لم يوجد السبب الذي يستحل به المثري مال المفتقر فمن هنا ينعدم ركن السبب.

وقد أشارت المادة (٧٥) من نظام المعاملات المدنية إلى السبب بقولها: «يقع باطلاً أي عقد يكون السبب الباعث على التعاقد فيه غير مشروع، إذا صرح به في العقد أو دلّت عليه ظروف التعاقد».

والأصل في السبب أنه يكون مشروعاً، وحتى ولو كان لم يذكر سببه، ففي المادة (٧٦) من نظام المعاملات المدنية: «كل عقد لم يذكر سببه يفترض أن له سبباً مشروعاً ما لم يقيم الدليل على خلاف ذلك».

فالأصل في السبب أن يكون مشروعاً، ولو لم يصرح به في العقد، وبناء عليه يصح العقد المبهم من سببه، كما نصت المادة (٧٦) من نظام المعاملات المدنية.

ويقع العقد باطلاً إذا كان السبب الباعث على التعاقد فيه غير مشروع سواء كان ذلك تصريحاً أو دلت عليه قرائن التعاقد وظروفه، كما نصّت المادة (٧٥) من النظام نفسه.

وتتحقق واقعة الإثراء بلا سبب هنا بصرف النظر عن الإرادة، فقد تقع بفعل مختار من المثري أو المفتقر، وقد يتحقق بغير فعلهما أو إرادتهما.^(٢)

ومن هنا كانت صورة دفع غير المستحق داخلة في باب الإثراء بلا سبب.

(١) ينظر: الوسيط للسنيهوري (٤٧٧/١)، النظرية العامة للالتزام لمحمد سوار (١٣٨/١).

(٢) ينظر: الوجيز في النظرية العامة للالتزام (ص ٨٤٩)، محاضرات في الإثراء على حساب الغير في تقنينات البلاد العربية لسليمان مرقس (ص ٦١).



الفرع الثالث: ألا يكون الوفاء مشوباً بأحد عيوب الرضا:

فقد أشارت إلى هذا المادة (١٤٥) بقولها: «إلا أن يكون ناقص الأهلية أو مُكرهاً على هذا الوفاء».

والمقصود بنقص الأهلية: الصغير الذي بلغ سن التمييز ولم يبلغ سن الرشد، وكذلك المعتوه، وهو ضعيف الإدراك والتمييز.

وهم يتكلمون عن نقص الأهلية هنا لإمكان قيام التعاقد بخلاف عديم الأهلية فلا محل له هنا.

وقد أشار المنظّم هنا إلى أمرين: نقص الأهلية والإكراه؛ لأنه يريد هنا المعنى الواسع لعب الإرادة، سواء بنقص الأهلية، أو العيوب القانونية للإرادة، كالغلط والتدليس والإكراه. (١)

وأوضح نظام المعاملات المدنية مناهج الحكم بعدم الأهلية، فأشارت المادة (١٣) على أن: «عديم الأهلية هو كل شخص فاقد للتمييز لصغر في السن أو جنون. ٢- لا يعد مميزاً من لم يتم السابعة من عمره».

ونصت المادة (٤٩) من نفس النظام على أن: «تصرفات الصغير غير المميز باطلة».

ونصت المادة (٢/٥٢) على أن: «تصرفات المجنون في حكم تصرفات الصغير غير

المميز».

(١) ينظر: النظرية العامة للعقود في الفقه الإسلامي والقانون لبهاء الدين العلايلي (٢٧٧/١).

المطلب الثاني: شروط دفع غير المستحق في الفقه الإسلامي، وفيه ثلاثة فروع:

الفرع الأول: ألا يكون هناك وفاء:

فما دام حصل الوفاء فلا معنى هنا لأخذ الحق مرة ثانية.

وستأتي الإشارة إليها في صور دفع غير المستحق، ودخولها تحت قاعدة لا عبرة بالظن البين خطؤه.

الفرع الثاني: تخلف ركن السبب:

والسبب في النظر الأصولي والفقهية: «كل وصف ظاهر منضبط، دل الدليل السمعي على كونه معرفاً للحكم».(١)

وليس المراد هنا هذا المعنى، بل المقصود بالسبب هو المقصد والباعث على العقد أو العمل، والأصل في العقود والأعمال وجود السبب ومشروعيته.

والمقصود بتخلف ركن السبب هنا هو: أن الشرع لم يعتبر هذه الواقعة سبباً يبرر احتفاظ الآخذ بما أخذ.(٢)

الفرع الثالث: ألا يكون الوفاء مشوباً بأحد عيوب الرضا:

وهذا الشرط جاء منصوباً عليه في كلام الفقهاء، خصوصاً مثل هذا الفعل الذي هو ضرر محض على الصبي ولو بإذن وليه.

ففي مجلة الأحكام الشرعية على مذهب أحمد قال: «يشترط لصحة الهبة أن يكون

(١) ينظر: الأحكام في أصول الأحكام للآمدي (١/١٧٢).

(٢) ينظر: الإثراء على حساب الغير للكبيسي (ص ٥٢٠).



الواهب جائز التصرف، أي بالغاً عاقلاً رشيداً، فلا تصح هبة الصغير والمجنون والسفيه وإن أذن الولي». (١)

المطلب الثالث: المقارنة بين النظام السعودي والفقه الإسلامي في شروط دفع غير المستحق:

لا يجد الباحث كثيراً من الاختلاف بين شروط دفع غير المستحق في النظام السعودي والفقه الإسلامي، وإن كان السبب له إطلاقات في الفقه والنظام. (٢)

وإن حُصَّ في النظام بمعنى المصدر، أو مصدر الحق والالتزام، ويختلف عن الشريعة أن السبب يترتب على الفعل، دون أن يكون للمكلف علاقة بذلك، بخلاف ما يكون في النظام في الوقائع المادية.

(١) مجلة الأحكام الشرعية (م ٢٣٧-باب البيع)، وينظر: الشرح الكبير (٢٠/١١)، نظرية العقد لمحمود المظفر (ص ١١٥).

(٢) ينظر: الأشباه والنظائر لابن نجيم (ص ٥٢٠)، الأشباه والنظائر للسيوطي (ص ١٧٤)، الوجيز في النظرية العامة للالتزام لعبد الودود. (٣٢٣/١).

المبحث الثالث: صور دفع غير المستحق في النظام السعودي والفقه الإسلامي

المطلب الأول: صور دفع غير المستحق في النظام السعودي:

ذكر النظام السعودي ثلاث صور لحالات دفع غير المستحق، فقد أشارت المادة (١٤٦) من نظام المعاملات المدنية السعودي بقولها: «يصح استرداد غير المستحق إذا كان الوفاء تنفيذاً للالتزام لم يتحقق سببه أو زال بعد تحققه، أو كان الوفاء تنفيذاً للالتزام لم يحل أجله وكان الموفي جاهلاً قيام الأجل».

وأشارت المادة (١٤٥) إلى أن هذه الصورة واجبة الرد، ما لم يكن من قام بالوفاء يعلم أنه يدفع ما ليس مستحقاً، أو كان ناقص الأهلية أو مكرهاً على هذا الوفاء.

وبناء عليه يمكن تلخيص ما سبق بأن الصورة الأولى من صور دفع غير المستحق

هي:

الفرع الأول: الوفاء بدين غير مستحق وقت الوفاء، أو يشوبه عيب يبطله:

ولا بد لحصول الاسترداد من توفر أحد أمرين:

1- أن يكون الوفاء غير مستحق وقت الوفاء.

2- أن يتم الوفاء لكن يشوبه عيب يجعله قابلاً للإبطال.^(١)

وبتحقيق الأمر الأول يكون الدين غير موجود أصلاً، وهو ما عبر النظام عنه بقوله:

«لم يتحقق سببه»، بكونه لم يوجد أصلاً، أو كان معلماً على سبب أو على شرط، أو

لأنه دين احتمالي، أو لأنه اقتضى قبل الوفاء به، وبناء عليه فالدين غير موجود أصلاً.^(٢)

(١) ينظر: النظرية العامة للالتزام لتوفيق فرج (ص ٤٣٩)، المبادئ الأساسية للالتزام لسمير تناغو (١/٢٠٣).

(٢) ينظر: الوسيط (١/١٣٥).



وفيه من مفهوم مخالفة الفقرة الثانية من المادة (١٤٥) أن يكون الوفاء نشأ عن عيب، إما بعدم علم الموفي، أو أن يكون ناقص الأهلية أو مكرهاً على هذا الوفاء.

فيكون الموفي عن غلط قد قام بالوفاء ظاناً أن الدين واجب عليه، أو كان الذي قام بالوفاء ناقص الأهلية غير مميز، أو حصل له عيب يشوب الرضا.

الفرع الثاني: الوفاء بدين كان مستحقاً وقت الوفاء ثم أصبح غير مستحق:

وتتحقق هذه الحالة إذا كان الوفاء صحيحاً وقت القيام به، بأن يكون الدين موجوداً ومستحق الدفع ويتم الوفاء به من المدين دون أن يشوب إرادته عيب، لكن هذا الدين يزول بعد ذلك فيكون الدفع هنا غير مستحق.^(١)

فتختلف هذه الحالة عن الحالة السابقة في أن الدين في الحالة السابقة لم يستحق، أما في هذه الحالة فالدين مستحق، ولكنه أصبح غير مستحق بعد ذلك.

ويلزم لتحقيق هذه الحالة أمران:

- 1- أن يكون الوفاء بدين مستحق صحيح.
- 2- أن يزول سبب هذا الدين بعد أن يتم الوفاء به.

فلاحظ أن الأمر الأول هنا على العكس تماماً من الأمر الأول في الحالة السابقة، فهناك يكون الوفاء بدين غير صحيح، أما هنا فالوفاء لدين مستحق، ويكون هذا الوفاء صحيحاً، كما لو كان الدين واجباً بمقتضى عقد معلق على شرط فاسخ أو قابل للفسخ أو للإبطال، لكن هذا الشرط لم يتحقق فيكون الدين صحيحاً واجب الأداء.

(١) ينظر: النظرية العامة للالتزام لتوفيق فرج (ص ٤٤٢).

أما الأمر الثاني وهو زوال السبب بعد أن تم الوفاء به، فالسبب كان مصدرًا لهذا الدين، فبزوال هذا السبب يصبح الدين غير مستحق بأن يتحقق الشرط الفاسخ الذي كان الالتزام معلقًا عليه، أو يفسخ العقد الذي كان قابلاً للفسخ، أو يبطل العقد الذي كان قابلاً للإبطال.^(١)

ففي جميع هذه الحالات يقوم المدين بالوفاء عن دين مستحق إلا أن زوال السبب جعل هذا الدين غير مستحق.

الفرع الثالث: الوفاء بالالتزام لم يحل أجله بعد وكان الموفاي جاهلاً قيام الأجل:

أشارت إليه المادة (١٤٥) بقولها: «يصح استرداد غير المستحق إذا كان الوفاء تنفيذاً للالتزام لم يتحقق سببه، أو كان الوفاء تنفيذاً للالتزام لم يحل أجله، وكان الموفاي جاهلاً قيام الأجل».

وهذا في حال كون الالتزام مضاعفاً إلى أجل، فيوفيه المدين قبل حلول الأجل، وقد تكون هذه الصورة داخلة في الفرع الأول؛ لأنه لم يستحق الالتزام وقتها، وإن كان مؤجلاً الاستحقاق.^(٢)

المطلب الثاني: صور دفع غير المستحق في الفقه الإسلامي، وفيه أربعة فروع:

الفرع الأول: الوفاء عن غلط:

وهي أن يقوم شخص بالوفاء لشخص آخر على ظن أنه مدين له، ثم يتبين خلاف ذلك.

(١) ينظر: مصادر الالتزام للصدده (ص ٦٠٦)، الوسيط للسنهوري (١/١٣٥١).

(٢) ينظر: الوجيز في نظام المعاملات المدنية السعودي للزقرد (١/١٨١)، وينظر المادة ١٨٢ من القانون المدني المصري.



ففي الأشباه والنظائر: «لو ظنَّ أن عليه ديناً فبان خلافه رجع بما أدى». (١)

ومن صور ذلك:

- 1- إذا أنفق على قريبه على ظن إعساره، ثم بان يساره.
 - 2- لو أنفق على امرأة يظنها حاملاً، ثم بان أنها حائل غير ذات حمل.
- فيرجع بما أنفقه في الصورتين. (٢)

وتأتي هذه الفروع ضمن قاعدة «لا عبرة بالظن البين خطؤه»، وهي القاعدة الخامسة عشرة من ضمن نظام المعاملات المدنية، كما أشارت إليها المادة (٧٢٠) في قواعد كلية ذكرت في هذه المادة.

ومعنى هذه القاعدة: التصرف والفعل من حكم قضائي أو فتوى أو استحقاق أو معاملة، إذا بُني على أمر تردد فيه بين طرفين لا مرجح لأحدهما على الآخر أو مترجح أحد طرفيه في نظر المتصرف، ثم تبين وظهر خطأ ذلك الظن أو الاعتقاد، فيجب عدم الاعتداد بذلك الظن، وعدم اعتباره وبناء الأحكام والتصرفات عليه، وينبغي أن يلغى ذلك الظن وما ترتب عليه من تصرفات وأحكام، ويجعل كأن لم يكن، سواء كان الخطأ ظاهراً ومبيناً للحال، أو كان خفياً ثم ظهر بعد، وسواء كان ذلك الخطأ بقصد أو بغير قصد. (٣)

(١) الأشباه والنظائر لابن نجيم (ص ١٦٠).

(٢) ينظر: الأشباه والنظائر للسيوطي (ص ١٧٤)، النظرية العامة للموجبات والعقود لصبحي الحمصاني (ص ٩٥).

(٣) ينظر: درر الأحكام شرح مجلة الأحكام (م ٧٢ ص ٧٢)، شرح القواعد الفقهية (ص ٢٥٧)، الوجيز في القواعد الفقهية الكلية (ص ٢٦٠)، قاعدة لا عبرة بالظن البين خطؤه وتطبيقاتها القضائية لسعيد متعب كردم (ص ٦٨)، مجلة العدل العدد ٦٢ سنة ٢٠٢٤م.

الفرع الثاني: الوفاء عن بينة لمن ليس مدينًا له:

وهو أن يقوم شخص بالوفاء وهو يعلم أنه ليس مدينًا له، فيجب الرد إذا لم يثبت أن الموفي قد قصد التبرع.

جاء في مرشد الحيران مادة (١٩٨): «أن من قام عن غيره بواجب من الواجبات الدنيوية كما إذا قضى دينه بأمره أو أنفق من مال نفسه على عيال غيره ومن تلزمه نفقتهم بأمره رجوع على الأمر بما أدّاه عنه، وقام مقام الدائن الأصلي في مطالبته به سواء اشترط الرجوع عليه أو لم يشترط».

كما جاء فيها أن من قضى مغارم غيره بأمره أو أدّى عنه عوائد أو رسومًا مطلوبة منه بأمره، أو كفل عنه لغريمه دينه بأمره ودفعه إليه، فله الرجوع بما دفعه على الأمر ولو لم يشترط الرجوع عليه، وأن من أمر غيره بشراء شيء له أو بناء داره من مال نفسه ففعل المأمور ذلك، فله الرجوع على الأمر بثمن ما اشترط له وبما صرفه على العمارة بأمره ولو لم يشترط الرجوع عليه.^(١)

إلى غير ذلك من الأمثلة التي تدخل تحت هذه الصورة.

الفرع الثالث: الدفع لغرض لم يتحقق أو زال بعد تحققه:

وقد وردت عدة صور في الفقه الإسلامي.

فإذا انفسخ العقد بالهلاك أو بالرد بالعيب أو بتعذر المنفعة بعد استيفاء بعضها. وكذلك مسألة العقد على الحج فمات الأجير أو أحصر، على خلاف في بعض

(١) ينظر: شرح المجلة لسليم رستم (٢٧٧/٢).



الصور منها^(١) وفي بعض الصور حصل الخلاف في ما يستحق من العقد أو الأجرة.

الفرع الرابع: الوفاء قبل حلول الأجل:

وهذه مسألة خلافية بين الفقهاء، بين الجمهور والمالكية^(٢).

فذهب المالكية والليث ورجحه ابن تيمية إلى أن الأجل يلزم في القرض كسائر الديون؛ لأن الانتفاع هو المقصود من عقد القرض^(٣).

المطلب الثالث: المقارنة بين النظام السعودي والفقه الإسلامي في صور دفع غير المستحق:

لا يرى الباحث كثير خلاف بين النظام السعودي والفقه الإسلامي، فالصور متشابهة إلى حد كبير.

وقد حصل الخلاف في الفقه الإسلامي في صور منها بين راجح ومرجوح، بينما جزم النظام بجميع صور رافعاً الخلاف في هذا، كمسألة الأجل، وكذلك حصل في مسألة ما يرد، فالالتزام المبني على غير المستحق يكون برد كامل المبلغ.

وإن اختلف الإثراء هنا عن دفع غير المستحق في أن دفع غير المستحق يكون برد كامل المبلغ، بخلاف الإثراء فإنه يكون بأقل القيمتين من الإثراء والافتقار إلا في صور^(٤).

(١) ينظر: المهذب للشيرازي (٢٠٩/١)، منافع الدقائق شرح مجامع الحقائق (ص ٣٢٠)، مجمع الضمانات (ص ٤٥٧).

(٢) ينظر: شرح فتح القدير (١٤٥/٦)، مغني المحتاج (١٢٠/٢)، المغني (٣٥٤/٤).

(٣) ينظر: الخرقى (٢٣٢/٥)، حاشية الدسوقي (٢٢٦/٣)، كشف القناع (٣١٦/٣).

(٤) ينظر: بحث هبة الثواب، للباحث، وهو بحث منشور في مجلة جامعة الملك خالد للعلوم الشرعية والدراسات الإسلامية.

المبحث الرابع: آثار قبض غير المستحق في النظام السعودي والفقه الإسلامي

المطلب الأول: آثار قبض غير المستحق في النظام السعودي:

فرّق النظام السعودي في قبض غير المستحق بين أن يكون حسن النية أو سيئ النية.

فقد نصّت المادة (١٤٨) من نظام المعاملات المدنية السعودي على أنه: «إذا كان من تسلّم غير المستحق حسن النية فلا يلزم بأن يرد إلا ما تسلّم، وإذا كان سيئ النية فإنه يلزم برده ما تسلّم وثماره التي قبضها والتي قصّر في قبضها، وذلك من اليوم الذي أصبح فيه سيئ النية».

وبناء على هذا فإن المقصود بحسن النية هنا أن المدفوع له يعتقد أنه يقبض ما هو مستحق له، أي أنه لا يعلم أنه تسلّم شيئاً ليس له.

والأصل هو حسن النية إلا إذا ثبت ما يدل على خلاف ذلك، وهذا الشيء الذي تسلمه إما أن يكون نقداً، وإما يكون عيناً.

فإذا كان الشيء المقبوض نقوداً أو أشياء مثلية، فإن القابض يلتزم برده مقدارها أو مثلها بغض النظر عن تغير سعر النقد، ولا يلزم برده الثمار التي عادت عليه بالنفع، وهذا ينطبق مع قاعدة الخراج بالضمان.^(١)

أما إن كان المقبوض عيناً فإنه يلتزم برده هذا الشيء إن كان باقياً على حالته حين الاستلام، أو ردّها على أي حالة ما دامت العين باقية، ولا يسأل عما حصل بها من تلف، إلا إذا كان قد تعدّى أو فرط، أي بحصول خطأ منه، وعلى من يدّعي وقوع الخطأ إثبات ذلك.

(١) ينظر: الموجز في النظرية العامة للالتزام لعبد الودود يحيى (٤٤/٢).



والحالة الثانية: إذا كان المدفوع له سيّئ النية فإنه يلزم برد ما تسلم وما ترتب على ذلك من ثمار، فإذا كان المقبوض نقودًا فعليه التزام برد مثل النقد الذي تسلمه، بل ويلزم بالتعويض حال تغيّر سعر النقد، والفوائد التي حصلها يلتزم بردها كاملة. (١)

وهنا تقييد في النظام أنه يُبدأ بحساب ذلك عليه من يوم حصول سوء النية منه، وذهب بعض الأنظمة إلى تقييده بيوم رفع الدعوى، وبعضهم جعله مطلقاً دون تقييد. (٢)

المطلب الثاني: آثار قبض غير المستحق في الفقه الإسلامي:

لم يفرق الفقه الإسلامي بين حسن النية وسيّئ النية في ذلك، وأن الإنسان ملزم برد كل ما حازه؛ لأنه قبض ما ليس له.

وعلى من يستلم مالا لغيره وهو غير مستحق له أن يبادر إلى ردّه عملاً بقول الله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمْنَتَ إِلَىٰ أَهْلِهَا﴾ (٣)، وقول الرسول صلى الله عليه وسلم: «على اليد ما أخذت حتى تؤديه». (٤)

فإذا كان المدفوع عيناً وهي باقية، أو نقوداً، لزم المدفوع له ردها بعينها، أو بالنسبة للنقود بمقدارها، وإن كان شيئاً مثلياً لزمه رد مثله.

وإن لم تبق العين، ولا مثل لما قبضه، رد القيمة كاملة بدون زيادة أو نقص، حيث يعتبر مبلغ الإثراء أو مقداره معادلاً لمبلغ الافتقار أو مقداره، فهو يرد ما تسلم أو مثله أو قيمته.

(١) ينظر: مصادر الالتزام للصدّه (ص ٢٤٥).

(٢) ينظر: مصادر الالتزام لعبد القادر الفار (ص ٢٤٩).

(٣) القرآن الكريم، النساء: ٥٨.

(٤) الحديث سبق تخريجه.

وهذا الحكم يسري على كل موفى إليه لولا أن القانون خص سيئ النية بأحكام شدد فيها عليه، واستثنى ناقص الأهلية من الأداء الكامل، فيرد غير المستحق فقط.

المطلب الثالث: المقارنة بين النظام السعودي والفقه الإسلامي في آثار قبض غير المستحق:

الفقه الإسلامي يوجب دفع غير المستحق على الجميع بجميع ثماره، سواء كان حسن النية أو سيئها، بناء على أن الحق الثابت لا تغيّره ظروف انتقاله، وأنه يعود إلى صاحبه بجميع منافعه^(١)، وقد اختلفت الأنظمة والقوانين في ذلك في موعد حساب الأرباح والفوائد، هل هو من يوم الدعوى، أو من حصول الدفع مع ثبوت الحق في الفقه الإسلامي، وتحديد مدة للتقادم في الدعوى في ما يتعلق بالأنظمة بثلاث سنوات من تاريخ علم الدائن بحقه، وفي جميع الأحوال لا تسمع الدعوى بانقضاء عشر سنوات من تاريخ نشوء الحق، كما نصت المادة (١٥٩) من نظام المعاملات المدنية.

(١) ينظر: الضمان في الفقه الإسلامي لعلي الخفيف (ص ١٦٧)؛ القواعد لابن رجب (ص ٥٦)؛ سبل السلام للصنعاني (٦٧/٣)؛ غمز عيون البصائر لابن نجيم (ص ١٦٠)؛ مجمع الضمانات (ص ٤٤٨).



الخلاصة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، والصلاة والسلام على خير البريات، وبعد: فهذه خاتمة هذا البحث، وقد انتهيت إلى مجموعة من النتائج:

- 1- أن مفهوم دفع غير المستحق في النظام السعودي كغيره من الأنظمة الأخرى لا يخرج عن كونه: «كل من تسلم شيئاً على سبيل الوفاء بما ليس له فعله ردُّه».
- 2- أن دفع غير المستحق يعدُّ تطبيقاً من تطبيقات الإثراء بلا سبب، لكنه يختلف عن الإثراء في أن الالتزام المبني على دفع غير المستحق يكون برد كامل المبالغ، بخلاف الإثراء فإن الالتزام يكون بأقل القيمتين من الإثراء والافتقار.
- 3- أن شروط دفع غير المستحق وجد لها تأصيل في الفقه الإسلامي، حيث يتم تخريجها على مسائل الضمان في الفقه الإسلامي.
- 4- أن قواعد العدالة تقتضي دفع غير المستحق ما دام صاحبه لم يرد به الوفاء عن غيره.
- 5- أن النظام السعودي فرّق بين حسن النية وسيئ النية حال الأخذ ورُتب على ذلك أحكاماً في التعويض مثل الأنظمة الأخرى.

التوصيات

بعد سيري في هذا البحث، يمكن إيجاز بعض التوصيات التي يقترحها الباحث في عدة نقاط:

- ١ - توجيه طلاب الدراسات العليا لمزيد من الدراسات حول نظام المعاملات المدنية.
- ٢ - معالجة بعض الجزئيات المتعلقة بالإثراء بغير سبب، والأحكام المترتبة عليها.
- ٣ - دراسة حالات التعارض بين الأنظمة وفقاً لمبدأ العموم والخصوص، والنظر في الأصلح في ذلك.



فهرس المصادر والمراجع

- 1- ابن الهمام، كمال الدين محمد بن عبد الواحد السيواسي ثم السكندري الحنفي، شرح فتح القدير على الهداية، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، القاهرة، ط ١، ١٣٨٩هـ.
- 2- ابن رجب، زين الدين عبد الرحمن بن أحمد بن رجب الحنبلي، تقرير القواعد وتحرير الفوائد، المشهور بـ «قواعد ابن رجب»، دار ابن عفان للنشر والتوزيع، الرياض، ط ١، ١٤١٩هـ.
- 3- ابن قدامة، أبو محمد عبد الله بن أحمد بن محمد، المغني، مكتبة القاهرة، القاهرة، ط ١، ١٣٨٨هـ.
- 4- ابن قدامة، شمس الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن محمد بن أحمد بن قدامة المقدسي، الشرح الكبير، هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، القاهرة، ط ١، ١٤١٥هـ.
- 5- ابن ماجه، أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني، سنن ابن ماجه، دار إحياء الكتب العربية، دمشق، د.ط، د.ت.
- 6- ابن نجيم، زين الدين بن إبراهيم بن محمد، الأشباه والنظائر على مذهب أبي حنيفة النعمان، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ١٩٩٩م.
- 7- أبو دواد، سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد بن عمرو الأزدي السجستاني، سنن أبي داود، المكتبة العصرية، بيروت، ط ١، ١٣٩٢هـ.
- 8- أفندي، علي حيدر خواجه، درر الحكام في شرح مجلة الأحكام، تعريب: فهمي الحسيني، دار الجيل، ط ١، ١٤١١هـ-١٩٩١م.
- 9- الآمدي، سيف الدين أبو الحسن علي بن محمد، الإحكام في أصول الأحكام، مؤسسة النور، الرياض، ط ١، ١٣٨٧هـ.

- 10- الباز، سليم رستم، شرح مجلة الأحكام العدلية، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط ٣، ١٤٠٦هـ.
- 11- البخاري، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة الجعفي، صحيح البخاري (الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وسننه وأيامه)، دار التأصيل، القاهرة، ط ١، ١٤٣٣هـ.
- 12- البغدادي، أبو محمد غانم بن محمد الحنفي، مجمع الضمانات، دار الكتاب الإسلامي، بيروت، د.ط، د.ت.
- 13- البهوتي، منصور بن يونس بن إدريس، كشف القناع عن متن الإقناع، مكتبة النصر الحديثة، الرياض، د.ط، د.ت.
- 14- الترمذي، أبو عيسى محمد بن عيسى، سنن الترمذي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط ١، ١٩٩٦هـ.
- 15- تناغو، سمير عبد السيد، المبادئ الأساسية للالتزام، مكتبة الوفاء القانونية، ط ١، ٢٠٠٩م.
- 16- الحربي، يحيى بن حسين، هبة الثواب، بحث محكم ومنشور في مجلة جامعة الملك خالد للعلوم الشرعية والدراسات الإسلامية.
- 17- الخرقى، أبو القاسم عمر بن الحسين بن عبد الله، متن الخرقى على مذهب أبي عبد الله أحمد بن حنبل الشيباني، دار الصحابة للتراث، ط ١، ١٤١٣هـ.
- 18- الخفيف، علي، الضمان في الفقه الإسلامي، دار الفكر العربي، القاهرة، ط ١، ٢٠٠٠م.



- 19-الدارمي، أبو محمد عبد الله بن عبد الرحمن بن الفضل بن بھرام بن عبد الصمد التميمي السمرقندي، مسند الدارمي المعروف بـ (سنن الدارمي)، دار المغني للنشر والتوزيع، جدة، ط ١، ١٤١٢هـ.
- 20-الدسوقي، محمد بن أحمد بن عرفة المالكي، حاشية الدسوقي على الشرح الكبير، دار الفكر، بيروت، د.ط، د.ت.
- 21-الزرقا، أحمد بن الشيخ محمد، شرح القواعد الفقهية، دار القلم، دمشق، ط ٢، ١٤٠٩هـ.
- 22-سليمان، علي علي، مصادر الالتزام في القانون المدني الجزائري، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ط ١، ٢٠٠٣م.
- 23-السنهوري، عبد الرزاق أحمد، الوسيط في شرح القانون المدني، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط ١، ١٩٥٢م.
- 24-سوار، محمد وحيد الدين، مصادر الالتزام، منشورات جامعة دمشق، دمشق، ط ٧، ١٩٩٣م.
- 25-السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن، الأشباه والنظائر في قواعد وفروع فقه الشافعية، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ١٩٨٣م.
- 26-الشربيني، شمس الدين محمد بن محمد الخطيب، مغني المحتاج إلى معرفة معاني ألفاظ المنهاج، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ١٩٩٤هـ.
- 27-الشيرازي، أبو إسحاق إبراهيم بن علي بن يوسف، المهذب في فقه الإمام الشافعي، دار الكتب العلمية، بيروت، د.ط، د.ت.

- 28-الصدّة، عبد المنعم فرج، مصادر الالتزام، دار النهضة العربية، بيروت، ط١، ١٩٩٢م.
- 29-الصنعاني، محمد بن إسماعيل الأمير اليماني، سبل السلام شرح بلوغ المرام، دار الحديث، القاهرة، ط٥، ١٤١٨هـ.
- 30-العاليلي، بهاء الدين، النظرية العامة للعقود في الفقه الإسلامي والقانون، دار الشواف، الرياض، د.ط، د.ت.
- 31-الغزي، محمد صدقي بن أحمد بن محمد آل بورنو أبو الحارث، الوجيز في القواعد الفقهية الكلية، مؤسسة الرسالة العالمية، بيروت، ط٤، ١٤١٦هـ.
- 32-الفار، عبد القادر، مصادر الالتزام: مصادر الحق الشخصي في القانون المدني، دار الثقافة للنشر والتوزيع، عمّان، ٢٠٢١م.
- 33-فرج، توفيق حسن، الإثراء بلا سبب: الكسب الغير مشروع كمصدر عام للالتزام: النظرية العامة للإثراء بلا سبب، الدار الجامعية، بيروت، ط١، ٢٠٠١م.
- 34-القاري، أحمد بن عبد الله، مجلة الأحكام الشرعية على مذهب الإمام أحمد، مكتبة ديوان المحامين، الرياض، ط١، ٢٠١٢م.
- 35-الكبيسي، عايش رجب محمد، الإثراء على حساب الغير بلا سبب في الشريعة الإسلامية، دار الثقافة للنشر والتوزيع، ط١، ٢٠٠١م.
- 36-كردم، سعيد متعب، قاعدة لا عبرة بالظن البين خطؤه وتطبيقاتها القضائية، بحث محكم ومنشور في مجلة العدل، العدد ٦٢، في ربيع الأول ١٤٣٥هـ.
- 37-محمد، مصطفى، منافع الدقائق شرح مجامع الحقائق، مطبعة الحاج محرم البسنوي، ١٨٨٦م.



- 38-المحصاني، صبحي رجب، النظرية العامة للموجبات والعقود في الشريعة الإسلامية، دار العلم للملايين، ط ٢، ١٩٧٢م.
- 39-مسلم، أبو الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري، صحيح مسلم، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، القاهرة، د.ط، ١٣٧٤هـ.
- 40-المظفر، محمد، نظرية العقد دراسة قانونية مقارنة بأحكام الشريعة الإسلامية، دار حافظ للنشر والتوزيع، جدة، ط ٣، ١٤٣٢هـ.
- 41-النسائي، أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب، سنن النسائي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط ١، ١٤٢١هـ.
- 42-يحيى، عبد الودود، الموجز في النظر العامة للالتزامات، دار النهضة العربية، بيروت، ط ٢، ١٩٨٤م.

Fihris al-maṣādir wa-al-marāji

- 1-Ibn al-humām, Kamāl al-Dīn Muḥammad ibn ‘bdālwāḥd al-Suyāsī thumma al-Sakandarī al-Ḥanafī, sharḥ Faṭḥ al-qadīr ‘alā al-Hidāyah, Sharikat Maktabat wa-Maṭba‘at Muṣṭafā al-Bābī al-Ḥalabī wa-Awlāduh, Al-Qāhirah, Ṭ1, 1389h.
- 2-Ibn Rajab, Zayn al-Dīn ‘Abd al-Raḥmān ibn Aḥmad ibn Rajab al-Ḥanbalī, taqrīr al-qawā‘id wa-taḥrīr al-Fawā‘id, al-mashhūr bi-« Qawā‘id Ibn Rajab », Dār Ibn ‘Affān lil-Nashr wa-al-Tawzī‘, al-Riyāḍ, Ṭ1, 1419H.
- 3-Ibn Qudāmah, Abū Muḥammad Allāh ibn Aḥmad ibn Muḥammad, al-Mughnī, Maktabat Al-Qāhirah, Al-Qāhirah, Ṭ1, 1388h.
- 4-Ibn Qudāmah, Shams al-Dīn Abū al-Faraj ‘Abd al-Raḥmān ibn Muḥammad ibn Aḥmad ibn Qudāmah al-Maqdisī, al-sharḥ al-kabīr, Hajar lil-Ṭibā‘ah wa-al-Nashr wa-al-Tawzī‘ wa-al-I‘lān, Al-Qāhirah, Ṭ1, 1415h.
- 5-Ibn Mājah, Abū Allāh Muḥammad ibn Yazīd al-Qazwīnī, Sunan Ibn Mājah, Dār Iḥyā’ al-Kutub al-‘Arabīyah, Dimashq, D. Ṭ, D. t.
- 6-Ibn Nujaym, Zayn al-Dīn ibn Ibrāhīm ibn Muḥammad, al-Ashbāh wa-al-naḥā’ir ‘alā madhhab Abī Ḥanīfah al-Nu‘mān, Dār al-Kutub al-‘Ilmīyah, Bayrūt, Ṭ1, 1999M.
- 7-Abū Dāwūd, Sulaymān ibn al-Ash‘ath ibn Ishāq ibn Bashīr ibn Shaddād ibn ‘Amr al-Azdī al-Sijistānī, Sunan Abī Dāwūd, al-Maktabah al-‘Aṣrīyah, Bayrūt, Ṭ1, 1392h.
- 8-Afandī, ‘Alī Ḥaydar Khawājah, Durar al-ḥukkām fī sharḥ Majallat al-aḥkām, ta‘rīb : Fahmī al-Ḥusaynī, Dār al-Jīl, Ṭ1, 1411h-1991m.
- 9-al-Āmidī, Sayf al-Dīn Abū al-Ḥasan ‘Alī ibn Muḥammad, al-Iḥkām fī uṣūl al-aḥkām, Mu’assasat al-Nūr, al-Riyāḍ, Ṭ1, 1387h.
- 10-al-Bāz, Salīm Ruṣṭum, sharḥ Majallat al-aḥkām al-‘adlīyah, Dār Iḥyā’ al-Turāth al-‘Arabī, Bayrūt, ṭ3, 1406h.
- 11-Ālḥkāry, Abū Allāh Muḥammad ibn Ismā‘īl ibn Ibrāhīm ibn al-Mughīrah al-Ju‘fī, Ṣaḥīḥ al-Bukhārī (al-Jāmi‘ al-Musnad al-ṣaḥīḥ al-Mukhtaṣar min umūr Rasūl Allāh-ṣlā Allāh ‘alayhi wslm-wsnnh wa-ayyāmuh), Dār al-ta’ṣīl, Al-Qāhirah, Ṭ1, 1433h.



- 12-al-Baghdādī, Abū Muḥammad Ghānim ibn Muḥammad al-Ḥanafī, Majma' al-ḍamānāt, Dār al-Kitāb al-Islāmī, Bayrūt, D. Ṭ, D. t.
- 13-al-Buhūtī, Maṣṣūr ibn Yūnus ibn Idrīs, Kashshāf al-qinā' 'an matn al-Iqnā', Maktabat al-Naṣr al-ḥadīthah, al-Riyāḍ, D. Ṭ, D. t.
- 14-al-Tirmidhī, Abū 'Īsā Muḥammad ibn 'Īsā, Sunan al-Tirmidhī, Dār al-Gharb al-Islāmī, Bayrūt, Ṭ1, 1996h.
- 15-Tanāghw, Samīr 'bdālsyd, al-mabādi' al-asāsīyah lil-iltizām, Maktabat al-Wafā' al-qānūniyah, Ṭ1, 2009M.
- 16-al-Ḥarbī, Yaḥyá ibn Ḥusayn, Hibat al-thawāb, baḥth muḥakkam wa-manshūr fī Majallat Jāmi'at al-Malik Khālīd lil-'Ulūm al-shar'īyah wa-al-Dirāsāt al-Islāmīyah.
- 17-al-Khiraqī, Abū al-Qāsim 'Umar ibn al-Ḥusayn ibn Allāh, matn al-Khiraqī 'alá madhhab Abī 'Abd Allāh Aḥmad ibn Ḥanbal al-Shaybānī, Dār al-ṣaḥābah lil-Turāth, Ṭ1, 1413h.
- 18-al-Khafīf, 'Alī, al-ḍamān fī al-fiqh al-Islāmī, Dār al-Fikr al-'Arabī, Al-Qāhirah, Ṭ1, 2000M.
- 19-al-Dārimī, Abū Muḥammad Allāh ibn 'Abd-al-Raḥmān ibn al-Faḍl ibn bahrām ibn 'bdālsmd al-Tamīmī al-Samarqandī, Musnad al-Dārimī al-ma'rūf bi- (Sunan al-Dārimī), Dār al-Mughnī lil-Nashr wa-al-Tawzī', Jiddah, Ṭ1, 1412h.
- 20-al-Dasūqī, Muḥammad ibn Aḥmad ibn 'Arafah al-Mālikī, Ḥāshiyat al-Dasūqī 'alá al-sharḥ al-kabīr, Dār al-Fikr, Bayrūt, D. Ṭ, D. t.
- 21-al-Zarqā, Aḥmad ibn al-Shaykh Muḥammad, sharḥ al-qawā'id al-fiqhīyah, Dār al-Qalam, Dimashq, ṭ2, 1409H.
- 22-Sulaymān, 'Alī 'Alī, maṣādir al-iltizām fī al-qānūn al-madanī al-Jazā'irī, Dīwān al-Maṭbū'āt al-Jāmi'īyah, al-Jazā'ir, Ṭ1, 2003m.
- 23-al-Sanhūrī, 'Abd-al-Razzāq Aḥmad, al-Wasīṭ fī sharḥ al-qānūn al-madanī, Dār Iḥyā' al-Turāth al-'Arabī, Bayrūt, Ṭ1, 1952m.
- 24-Sawwār, Muḥammad Waḥīd al-Dīn, maṣādir al-iltizām, Manshūrāt Jāmi'at Dimashq, Dimashq, ṭ7, 1993M.
- 25-al-Suyūṭī, Jalāl al-Dīn 'Abd-al-Raḥmān, al-Ashbāh wa-al-naẓā'ir fī Qawā'id wa-furū' fiqh al-Shāfi'īyah, Dār al-Kutub al-'Ilmīyah, Bayrūt, Ṭ1, 1983m.
- 26-al-Shirbīnī, Shams al-Dīn Muḥammad ibn Muḥammad al-Khaṭīb, Mughnī al-

muḥtāj ilā ma'rifat ma'ānī alfāẓ al-Minhāj, Dār al-Kutub al-'Ilmiyah, Bayrūt, 1994h.

27-al-Shīrāzī, Abū Ishāq Ibrāhīm ibn 'Alī ibn Yūsuf, al-Muhadhdhab fī fiqh al-Imām al-Shāfi'ī, Dār al-Kutub al-'Ilmiyah, Bayrūt, D. T, D. t.

28-al-Ṣaddah, 'Abd al-Mun'im Faraj, maṣādir al-iltizām, Dār al-Nahḍah al-'Arabīyah, Bayrūt, 1992m.

29-al-Ṣan'ānī, Muḥammad ibn Ismā'il al-Amīr al-Yamanī, Subul al-Salām sharḥ Bulūgh al-marām, Dār al-ḥadīth, Al-Qāhirah, 1418h.

30-al-'Alāyilī, Bahā' al-Dīn, al-naẓariyah al-'Āmmah lil-'uqūd fī al-fiqh al-Islāmī wa-al-qānūn, Dār al-Shawwāf, al-Riyāḍ, D. T, D. t.

31-al-Ghazzī, Muḥammad Ṣidqī ibn Aḥmad ibn Muḥammad Āl Būrnū Abū al-Ḥārith, al-Wajīz fī al-qawā'id al-fiqhīyah al-Kullīyah, Mu'assasat al-Risālah al-'Ālamīyah, Bayrūt, 1416h.

32-al-Fār, 'Abd-al-Qādir, maṣādir al-iltizām : maṣādir al-Ḥaqq al-shakhṣī fī al-qānūn al-madanī, Dār al-Thaqāfah lil-Nashr wa-al-Tawzī', 'Ammān, 2021 M.

33-Faraj, Tawfiq Ḥasan, al-ithrā' bi-lā sabab : al-kasb al-ghayr Mashrū' ka-maṣdar 'ām lil-iltizām : al-naẓariyah al-'Āmmah lil-'ithrā' bi-lā sabab, al-Dār al-Jāmi'iyah, Bayrūt, 1992m.

34-al-Qārī, Aḥmad ibn Allāh, Majallat al-aḥkām al-shar'īyah 'alā madhhab al-Imām Aḥmad, Maktabat Dīwān al-Muḥāmmīn, al-Riyāḍ, 1992m.

35-al-Kubaysī, 'Āyish Rajab Muḥammad, al-ithrā' 'alā ḥisāb al-ghayr bi-lā sabab fī al-sharī'ah al-Islāmīyah, Dār al-Thaqāfah lil-Nashr wa-al-Tawzī', 1992m.

36-Kardam, Sa'id Mut'ib, Qā'idat lā 'Ibrah bālẓn al-bayn khṭ'h wa-taṭbīqātuhā al-qadā'īyah, baḥth muḥakkam wa-manshūr fī Majallat al-'Adl, al-'adad 62, fī Rabī' al-Awwal 1435h.

37-Muḥammad, Muṣṭafā, manāfi' al-daqa'iq sharḥ majāmi' al-ḥaqā'iq, Maṭba'at al-Ḥājj Muḥarrām al-Būsawī, 1886m.

38-al-Maḥmaṣānī, Ṣubḥī Rajab, al-naẓariyah al-'Āmmah lil-mujibāt wa-al-'Uqūd fī al-sharī'ah al-Islāmīyah, Dār al-'Ilm lil-Malāyīn, 1972m.

39-Muslim, Abū al-Ḥusayn Muslim ibn al-Ḥajjāj al-Qushayrī al-Nīsābūrī, Ṣaḥīḥ Muslim, Maṭba'at 'Īsā al-Bābī al-Ḥalabī wa-Shurakāh, Al-Qāhirah, D. T, 1374h.



40-al-Muẓaffar, Muḥammad, Naẓarīyat al-‘Iqd dirāsah qānūnīyah muqāranah bi-aḥkām al-sharī‘ah al-Islāmīyah, Dār Ḥāfiẓ lil-Nashr wa-al-Tawzī‘, Jiddah, 1432h.

41-al-nisā’ī, Abū ‘Abd-al-Raḥmān Aḥmad ibn Shu‘ayb, Sunan al-nisā’ī, Mu’assasat al-Risālah, Bayrūt, 1421h.

42-Yaḥyá, ‘bdāldwd, al-Mūjaz fī al-naẓar al-‘Āmmah lil-iltizāmāt, Dār al-Naḥḍah al-‘Arabīyah, Bayrūt, 1422h.

القذف في وسائل التواصل الاجتماعي (دراسة فقهية نظامية)

إعداد/ د. مسفر بن سعد بن مسند الجروي

أستاذ الفقه المشارك، قسم الشريعة، كلية الشريعة والقانون،

جامعة الجوف، المملكة العربية السعودية

الحاصل على الماجستير من جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية تخصص الفقه
المقارن

الحاصل على الدكتوراه من جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية تخصص الفقه
المقارن

msmalqahtani@ju.edu.sa

Slander in Social Media

“A Systematic Jurisprudential Study”

Prepared by: Dr. Misfir bin Saad bin Musnad Al-Jarawi

Associate Professor of Jurisprudence, Department of Sharia, Col-
lege of Sharia and Law, Al-Jouf University, Kingdom of Saudi
Arabia

msmalqahtani@ju.edu.sa



<https://doi.org/10.65728/1625-000-022-003>



ملخص البحث

موضوع البحث: القذف في وسائل التواصل الاجتماعي: دراسة فقهية نظامية.

أهداف البحث: يهدف البحث إلى معرفة أحكام القذف في وسائل التواصل الاجتماعي، وبيان صوره وجمعها في بحث مستقل يسهل تناوله.

منهج البحث: اعتمد الباحث على المنهج الاستقرائي، ثم المنهج التحليلي.

أهم النتائج: خلص الباحث إلى أن القذف عن طريق الفيديو في وسائل التواصل الاجتماعي من حساب الشخص الموثق باسمه يعتبر قذفًا، وأن القذف عن طريق التسجيل الصوتي فإنه لا يعتبر في الإثبات، إلا أن يقر به أو يشهد عليه الشهود به، وأن القذف عن طريق الكتابة برقم القاذف الموثق باسمه ولم يخترق يعتبر قذفًا، كما أن من أعاد إرسال رسالة متضمنة للقذف فإنه يعتبر قاذفًا، وكذا من وضع إعجابًا على رسالة متضمنة للقذف، ومثله من وضع تعليقًا على رسالة متضمنة للقذف وكان التعليق تأييدًا وتصديقًا لهذه العبارات المتضمنة للقذف فإنه يعتبر قاذفًا.

أهم التوصيات: يوصي الباحث بمزيد بحث لهذه المسائل المعاصرة وبيانها للناس، كما يوصي الباحث الجامعات والمؤسسات العلمية بعقد المؤتمرات والندوات التي تبين للناس أحكام مثل هذه الألفاظ أو التصرفات التي يتداولها الأشخاص من خلال وسائل التواصل الاجتماعي.

الكلمات المفتاحية: (القذف، وسائل، التواصل، الاجتماعي).

Research Summary:

Research Topic: Slander in Social Media “A Systematic Jurisprudential Study”

Research Objectives: The research aims to know the provisions of slander in social media, and to clarify its forms and collect them in an independent research that is easy to handle.

Research Methodology: The researcher relied on the inductive approach, then the analytical approach.

The most important results: The researcher concluded that slander via video in social media from the account of the person whose name is verified is considered slander. And that slander via audio recording is not considered in proof, unless it is acknowledged or witnessed by witnesses. And that slander by writing with the number of the slanderer whose name is verified and has not been hacked is considered slander. Also, whoever resends a message containing slander is considered a slanderer. And the same applies to whoever likes a message containing slander. The same applies to someone who comments on a message that contains slander, and the comment is in support of and endorses these slanderous phrases. He is considered a slanderer.

Main recommendations: The researcher recommends further research into these contemporary issues and explaining them to the people. The researcher also recommends that universities and scientific institutions hold conferences and seminars that explain to people the rulings on such words or behaviors that people use through social media.

Keywords:

Slander - Social - Media.



مقدمة

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، اختاره لوحيه، وانتخبه لرسالته، وفضَّله على جميع خلقه، فأصلي وأسلم على المبعوث رحمة للعالمين وعلى آله وصحابه الأطهار ومن تبعهم بإحسان إلى يوم القيامة، وبعد: فإن حفظ اللسان وصيانيته عما يوقع الإنسان في الزلل والخطأ واجب شرعي منصوص عليه ومشدد على حفظه، فكل كلمة يتفوه بها الإنسان مسجلة عليه، ومكتوبة لدى الكرام الكاتبين، وسوف يحاسب عليها في الدنيا والآخرة، قال تعالى: ﴿مَّا يَلْفُظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾ [ق: ١٨]، وقال سبحانه: ﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ كِرَامًا كُتِبَ عَلَيْهِمْ أَنْ يَحْمِلُوا مَا تُفَعَّلُونَ﴾ [الانفطار: ١٠-١٢].

والتهاون في حفظ اللسان يوجب المساءلة والمحاسبة، فقد يترتب على بعض الألفاظ والكلمات التي ينطق بها المرء الإضرار بالغير عن طريق القذف، الذي أدرجه الشرع الحنيف ضمن الحدود الشرعية، وأوجب العقاب المناسب على القاذف، والقذف باعتباره حداً من الحدود قد تتجدد صوره من وقت إلى وقت، ومن مجتمع إلى مجتمع آخر.

وفي هذا البحث الموسوم بـ: (القذف في وسائل التواصل الاجتماعي: دراسة فقهية نظامية) سوف نبين بمشيئة الله تعالى الصور المعاصرة للقذف، فلا توجد نازلة في عصر من العصور إلا بيَّن العلماء الأجلاء حكمها، والأثر المترتب عليها، ملحقين هذه النازلة بأصل من أصول الشريعة السمحة.

مشكلة البحث:

تكمّن المشكلة في جهل كثير من الناس بصور القذف في وسائل التواصل الاجتماعي، وكذلك في جهلهم بأحكام هذه الصور، لذلك جاء هذا البحث لبيان أحكام هذه المسائل المهمة.

أهمية البحث:

تكمّن أهمية هذا البحث في الآتي:

- ١- ضرورة التوعية بالأحكام الشرعية المتعلقة بالقذف عن طريق استخدام وسائل التواصل الاجتماعي.
 - ٢- تطور هذا الوقت بكثرة وتعدد وسائل التواصل الاجتماعي التي نتج عنها بعض الإشكالات والعوائق التي لا بد لها من حل.
 - ٣- تبين وتوضيح القذف في وسائل التواصل الاجتماعي للناس لكي يجتنّبوه، ويتعدّوا عنه؛ تفادياً للكثير من المنازعات، وتجنّباً للوقوع في الخطأ، والتعرض للعقاب.
- ## أسباب اختيار الموضوع:

من أهم الأسباب التي دفعتني للكتابة في هذا الموضوع ما يلي:

- ١- قلة الأبحاث التي تبين أحكام القذف عن طريق التواصل الاجتماعي وصوره المعاصرة ومقارنتها بالنظام السعودي.
- ٢- حاجة الناس إلى تبين هذه الصور من القذف التي قد ينطبق عليها حد القذف.
- ٣- معرفة الأحكام الشرعية والحلول المناسبة لهذه النوازل المتعلقة بالقذف التي غالباً ما ينشأ عنها النزاعات والمشاحنات بين الناس.

أهداف البحث:

- ١- من أهم الأهداف التي آثرت البحث من أجلها ما يلي:
- ٢- معرفة صور القذف المعاصرة في وسائل التواصل الاجتماعي.



- ٣- معرفة الحكم الشرعي لكل صورة من الصور المعاصرة للقذف في وسائل التواصل الاجتماعي
- ٤- بيان خطورة استخدام وسائل التواصل الاجتماعي وأثرها في ثبوت حد القذف.

أسئلة البحث:

لذلك جاء هذا البحث ليجيب عن التساؤلات الآتية:

- ١ - ما صور القذف المعاصرة في وسائل التواصل الاجتماعي؟
- ٢ - ما الحكم الشرعي لكل صورة من الصور المعاصرة للقذف في وسائل التواصل الاجتماعي؟
- ٢ - ما أثر استخدام وسائل التواصل الاجتماعي في حد القذف؟

حدود البحث:

ستكون حدود الدراسة على أحكام القذف الفقهية وما يتعلق بها من الأحكام والصور المعاصرة للقذف في وسائل التواصل الاجتماعي بالمقارنة مع أنظمة المملكة العربية السعودية كنظام الإجراءات الجزائية، ونظام الإثبات، ونظام مكافحة جرائم المعلوماتية.

الدراسات السابقة:

يوجد عدد من الدراسات السابقة تحدثت عن الموضوع من جوانب، ويمكن تقسيم هذه الدراسات إلى قسمين أساسيين:

أولاً: الدراسات التي تحدثت عن الموضوع من الناحية القانونية، أو مقارنة بالقوانين غير النظام السعودي:

- ١- (جرائم السب والقذف عبر وسائل التواصل الاجتماعي والمواقع الإلكترونية: دراسة فقهية قضائية مقارنة)، للباحث سعيد الورد.

- ٢- (جريمة القذف عبر مواقع التواصل الاجتماعي)، للطالبة شيحاني نسرين.
 - ٣- (جريمة السب والقذف عبر وسائل تقنية المعلومات)، لجواهر الأميري.
 - ٤- (جريمة القذف عبر مواقع التواصل الاجتماعي دراسة تحليلية مقارنة بين التشريع الجزائري والتشريعات الأجنبية والعربية)، للباحث عليلي عبد السلام.
 - ٥- (أحكام التجريم والجزاء للجريمة السب والقذف عبر منصات التواصل الاجتماعي في ليبيا) ل المهدي الشافعي، وخالد دقاني.
- وغيرها من الدراسات، وبدراسة هذه الأبحاث يتبين لنا بأنها تتكلم عن الموضوع من الناحية القانونية أو تقارن الأحكام الشرعية بالقوانين غير النظام السعودي؛ لذلك فهي تختلف عن موضوعي إما باختصاصها بالقانون دون الشريعة، أو بالمقارنة مع القوانين غير الأنظمة السعودية، بينما بحثي يدرس الموضوع من الناحية الشرعية مع مقارنتها بالنظام السعودي.

ثانيًا: الدراسات التي تحدثت عن الموضوع من الناحية الشرعية، ومقارنتها بالأنظمة السعودية:

- ١- (الأحكام الفقهية لجرائم القذف والسب والتشهير عبر شبكات التواصل الاجتماعي: دراسة فقهية مقارنة) للدكتور مرتضى عبد الرحيم محمد، نشر في جامعة الأزهر، مجلة حولية كلية اللغة العربية، ويتناول البحث أحكام جرائم القذف والتشهير والسب، أما بحثي فيبحث صور القذف المعاصرة في وسائل التواصل الاجتماعي فقهية ونظامية ومقارنتها بالنظام السعودي.
- ٢- (القذف الإلكتروني في الفقه الإسلامي والنظام السعودي) لحاصل بن معدي الأحمر، نشر في مجلة الدراسات العربية كلية دار العلوم، جامعة المنيا بمصر العربية، تكلم فيه الباحث عن جريمة القذف من خلال وسائل التواصل الاجتماعي بإيجاز وإجمال،



بينما في بحثي هذا فصلت الصور والحالات فتحدثت عن حكم القذف إذا كان بالصوت والصورة من خلال وسيلة من وسائل التواصل، والقذف بالصوت فقط كذلك، والقذف بالكتابة، وكذا تحدثت عن إعادة النشر للمقاطع المشتملة على مادة متضمنة للقذف، وكذا التأكيد على المقطع بوضع علامة وغيرها من المسائل التي لم يتعرض لها الباحث.

٣-(جريمة السب والقذف في الشبكة العالمية وعقوبتها: دراسة مقارنة) لعبد المجيد بن محمد اللحيدان. وهي رسالة علمية نال بها الباحث درجة الماجستير في الفقه المقارن من المعهد العالي للقضاء، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض عام ١٤٢٩هـ. ولم يتيسر لي الحصول على هذه الرسالة لكونها غير منشورة، ولا الاطلاع على محتوياتها حتى كتابة هذا البحث.

منهج البحث:

اعتمدت المنهجين الاستقرائي التحليلي، والمقارن؛ فالمنهج الاستقرائي لتتبع أقوال الفقهاء من مصادرها الأصلية، والمنهج المقارن لمقارنة أقوال الفقهاء ومناقشتها وصولاً إلى الرأي الراجح.

إجراءات البحث:

سلكت في إعداد هذا البحث الطرق المتبعة في الدراسات الفقهية وهي على النحو التالي:

- ١- الاعتماد على المصادر الأصلية في التوثيق والتخريج إن وجد.
- ٢- توضيح المسائل بحيث يسهل على القارئ فهمها.
- ٣- تتبع وعرض آراء المذاهب الفقهية الأربعة في أحكام القذف، مع بيان أدلتهم، ومناقشتها وصولاً للرأي الراجح منها.
- ٤- ذكرت نصوص الأنظمة المعمول بها في المملكة العربية السعودية فيما فيه نص نظامي

في المسألة المراد بحثها، وقمت بتحليلها، وما لا نص فيه نظامي اكتفيت بذكر الحكم الشرعي.

٥- عزوت الآيات القرآنية إلى سورها، مع بيان رقم الآية.

٦- خرجت الأحاديث النبوية من أصول المصادر المعتمدة مبيناً درجتها من أهل الاختصاص إذا لم يكن الحديث في الصحيحين أو أحدهما، وإلا فأكتفي بهما.

خطة البحث:

يتكون البحث من: مقدمة، وتمهيد، ومبحثين، وخاتمة.

أولاً: المقدمة: وتتكون من: الافتتاحية، ومشكلة البحث، وأهميته، وأسباب اختياره، وأهدافه، وأسئلة البحث، وحدوده، والدراسات السابقة، ومنهج البحث، وإجراءاته، وخطة البحث.

ثانياً: التمهيد: ويشتمل على: التعريف بأحكام القذف، ووسائل التواصل الاجتماعي، وفيه مطلبان:

المطلب الأول: المراد بالقذف وأحكامه، وفيه ستة فروع:

الفرع الأول: تعريف القذف.

الفرع الثاني: حكم القذف وأدله.

الفرع الثالث: ألفاظ القذف.

الفرع الرابع: حكم التعريض بالقذف.

الفرع الخامس: عقوبة القذف.

الفرع السادس: ما يثبت به القذف.



المطلب الثاني: التعريف بوسائل التواصل الاجتماعي، وفيه فرعان:

الفرع الأول: المقصود بوسائل التواصل الاجتماعي، وأنواعها.

الفرع الثاني: أهم إيجابيات وسلبيات وسائل التواصل الاجتماعي.

المبحث الأول: من قذف شخصاً في وسائل التواصل الاجتماعي؛ وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: حكم من قذف شخصاً بالفيديو في وسيلة من وسائل التواصل الاجتماعي؛ وفيه ثلاثة فروع:

الفرع الأول: التعريف بالتصوير بالفيديو.

الفرع الثاني: الحكم الشرعي في استخدام التصوير بالفيديو والهاتف في الإثبات.

الفرع الثالث: الحكم الشرعي للقذف عبر الفيديو والهاتف.

المطلب الثاني: من قذف شخصاً بالصوت فقط في وسيلة من وسائل التواصل الاجتماعي؛ وفيه خمسة فروع:

الفرع الأول: المراد بالتسجيل الصوتي.

الفرع الثاني: الحكم الشرعي في استخدام التسجيل الصوتي في الإثبات.

الفرع الثالث: رأي العلماء المعاصرين في التسجيل الصوتي.

الفرع الرابع: أثر التسجيل الصوتي في الإثبات.

الفرع الخامس: الحكم الشرعي للقذف عبر التسجيل الصوتي.

المطلب الثالث: من قذف شخصاً بالكتابة في وسيلة من وسائل التواصل الاجتماعي؛ وفيه فرعان:

الفرع الأول: أقوال الفقهاء في حكم القذف بالكتابة.

الفرع الثاني: الحكم الشرعي في القذف بالكتابة في وسائل التواصل الاجتماعي.

المبحث الثاني: من أعاد إرسال رسالة تضمنت قذف شخص في وسائل التواصل الاجتماعي أو وضع عليها إعجاباً أو تعليقاً. وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: من أعاد إرسال رسالة متضمنة للقذف في وسيلة من وسائل التواصل الاجتماعي.

المطلب الثاني: من وضع إعجاباً على رسالة متضمنة للقذف في وسيلة من وسائل التواصل الاجتماعي.

المطلب الثالث: من وضع تعليقاً على رسالة متضمنة للقذف في وسيلة من وسائل التواصل الاجتماعي.

رابعاً: الخاتمة: وتشتمل على النتائج والتوصيات.



التمهيد: التعريف بأحكام القذف وبوسائل التواصل الاجتماعي

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: المراد بالقذف وأحكامه.

الفرع الأول: في تعريف القذف:

أولاً: تعريف القذف في اللغة:

القذف لغة: قذف: قذف بالشيء يقذف قذفاً فانقذف: رمى... وقذفه به: أصابه، وقذفه بالكذب كذلك... وقذف المحصنة، أي: سبّها. وفي حديث هلال بن أمية: أنه قذف امرأته بشريك^(١)؛ القذف ههنا رمي المرأة بالزنا أو ما كان في معناه، وأصله الرمي ثم استعمل في هذا المعنى حتى غلب عليه.^(٢)

ثانياً: تعريف القذف في الاصطلاح.

تنوعت تعريفات الفقهاء للقذف، وذلك على النحو التالي:

في الفقه الحنفي: القذف هو: رمي مخصوص، وهو الرمي بالزنا.^(٣)

وفي الفقه المالكي: القذف: ما يدل على الزنا أو اللواط والنفي عن الأب والجد.^(٤)

وفي الفقه الشافعي: هو: الرمي بالزنا تعبيراً.^(٥)

وفي الفقه الحنبلي: هو: الرمي بزنا أو لواط أو شهادة به عليه ولم تكمل البينة.^(٦)

(١) محمد بن إسماعيل البخاري، صحيح البخاري، تحقيق: محمد زهير، ط ١، دمشق، دار طوق النجاة، 1422هـ، ج ٨، ص ١١.

(٢) محمد بن مكرم الأنصاري، لسان العرب، ط ٣، بيروت، دار صادر، ١٤١٤هـ، ج ٩، ص ٢٧٧.

(٣) عبد الله بن محمود الموصلي، الاختيار لتعليل المختار، تحقيق: محمود أبو دقيقة، القاهرة، مطبعة الحلبي ١٣٥٦هـ، ج ٤، ص ٩٣، ومحمد أمين بن عمر ابن عابدين، رد المحتار على الدر المختار، ط ٢، بيروت، دار الفكر، 1992م، ج ٤، ص 43.

(٤) أحمد بن إدريس القرافي، الذخيرة، تحقيق: محمد حجي، وسعيد أعراب، ومحمد بو خبزة، ط ١، بيروت، دار الغرب الإسلامي، ١٩٩٤م، ج ١٢، ص ٩٠.

(٥) محمد أحمد الرملي، نهاية المحتاج إلى شرح المنهاج، ط ٢، بيروت، دار الفكر، ١٤٠٤هـ، ج ٧، ص 103.

(٦) موسى بن أحمد الحجاوي، الإقناع في فقه الإمام أحمد بن حنبل، تحقيق: عبد اللطيف محمد موسى السبكي، بيروت، دار المعرفة، ج ٤، ص 259.

مقارنة التعريفات والرأي الراجح: من خلال استعراض التعريفات السابقة في كتب الاصطلاحات الفقهية وعند الفقهاء نلاحظ أنها متفقة في المعنى، وإن اختلفت عباراتها، لكن بعضها قد يكون أوضح من بعض في الدلالة على المقصود، لكن يلاحظ على تعريف الحنفية والشافعية أنه اقتصر على الرمي بالزنا فقط، ولم يدخل في التعريف الرمي باللواط أو نفي النسب، ولعل أشمل التعريفات في الدلالة على المقصود بالقذف هو تعريف المالكية؛ حيث انفرد بإدخال نفي النسب في التعريف، ولهذا كان أعم، وأولى بالاختيار.

الفرع الثاني: حكم القذف وأدلته:

القذف حرام وكبيرة من كبائر الذنوب؛ دلّ على ذلك القرآن الكريم، والسنة، والإجماع.

من القرآن الكريم:

١- قول الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ الْغُفْلَتِ الْمُؤْمِنَاتِ لُعُنُوا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [النور: ٢٣].

وجه الدلالة: أن فاعل القذف توعده الله بالعذاب في الدنيا والآخرة، وهو اللعن وهو الطرد والإبعاد من رحمة الله، فدلّ ذلك على تحريمه وأنه كبيرة من كبائر الذنوب. (١)

٢- قول الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً وَلَا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَدًا وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ [النور: ٤].

ووجه الدلالة: أن رامي المحصنات بغير شهود أو بينة يقام عليه الحد، وهو الجلد ثمانين جلدة ولا تقبل له شهادة إلا إذا تاب توبة نصوح، وهذا يدل على تحريم القذف. (٢)

(١) علي بن أحمد بن حزم الظاهري، المحلى بالآثار، ط1، بيروت، دار الفكر، (ب.ت)، ج12، ص224.

(٢) محمد بن علي الشوكاني، فتح القدير، ط1، دمشق، بيروت، دار ابن كثير، دار الكلم الطيب، ١٤١٤هـ، ج4، ص21.



من السنة المطهرة:

عن أبي هريرة -رضي الله عنه- عن النبي ﷺ قال: «اجتنبوا السبع الموبقات»، قالوا: يا رسول الله وما هن؟ قال: «الشرك بالله، والسحر، وقتل النفس التي حرم الله إلا بالحق، وأكل الربا، وأكل مال اليتيم، والتولي يوم الزحف، وقذف المحصنات المؤمنات الغافلات».

(١)

ووجه الدلالة: أن قذف المحصنات المؤمنات من الذنوب الكبيرة التي توبق العمل وتهلكه، وجعله الرسول ﷺ قرين الشرك والسحر وقتل النفس، وهذا يدل على عظم الجرم.

من الإجماع:

أجمع المسلمون على تحريم القذف، وعُدّوه من كبائر الذنوب^(٢)، قال ابن قدامة: «وهو محرم بإجماع الأمة».^(٣)

الفرع الثالث: ألفاظ القذف:

تنقسم ألفاظ القذف إلى قسمين:

القسم الأول: ألفاظ صريحة لا تحتل غير القذف؛ فلا يُقبل منه تفسيره بغير القذف. فالألفاظ الصريحة؛ مثل قوله: يا زاني، يا لوطي، يا عاهر.

القسم الثاني: ألفاظ كنايات تحتل القذف وغيره، فإذا فسرهما بغير القذف، قبل منه.

والكناية مثل: يا قحبة، يا فاجرة، يا خبيثة، فإذا قال القاذف: أردت بالقحبة أنها تتصنع للفجور، أو قال: أردت بالفاجرة أنها مخالفة لزوجها في ما يجب طاعته فيه، وأردت بالخبيثة

(١) البخاري، صحيح البخاري، ج ٤، ص ١٠.

(٢) محمد علي ابن حزم الظاهري، مراتب الإجماع، بيروت، دار الكتب العلمية، (ب.ت)، ج 1، ص 134.

(٣) عبد الله بن أحمد المقدسي، المغني، القاهرة، طبعة مكتبة القاهرة، (ب.ن)، ج 9، ص ٨٣.

أنها خبيثة الطبع، قُبِلَ منه هذا التفسير، ولم يجب عليه حد؛ لأن لفظه يحتمل، والحدود تدرأ بالشبهات.(١)

الفرع الرابع: حكم التعريض بالقذف:

التعريض بالقذف: أن يقول القاذف للمقذوف ألفاظاً ليست مباشرة في القذف، مثل أن يقول لمن يخاصمه: ما أنت بزان، أو ما يعرفك الناس بالزنا، يا حلال، يا ابن الحلال. أو يقول: ما أنا بزان، ولا أُمي بزانية، وغيرها من الألفاظ غير المباشرة.

وقد اختلف الفقهاء في ثبوت حد القذف بالتعريض على قولين:

القول الأول: أنه لا يثبت به الحد.

وهو قول الحنفية، والشافعية، وإحدى الروایتين عن أحمد.(٢)

ودليلهم على ذلك:

- ما ورد أن رجلاً عَرَّضَ بامرأته، فقال: إنها أنت بـغلام أسود، فلم يَقم الرسول ﷺ عليه الحد.(٣)
- **ويجاب عن ذلك:** بأنه ليس صريحاً في التعريض؛ لأن الرجل جاء مستفتياً ومستغرباً وقوع ما سأل عنه، وليس معرضاً، ولذا بين له الرسول ﷺ أن ذلك ليس غريباً وجوده، كما يوجد في غير بني آدم.(٤)

(١) انظر: عثمان بن علي الزيلعي، تبين الحقائق شرح كنز الدقائق، ط1، القاهرة، الكبرى الأميرية، بولاق، ج3، ص200، القرافي، الذخيرة ج12، ص90، محمد بن أحمد الشربيني، مغني المحتاج إلى معرفة معاني ألفاظ المنهاج، ط1، بيروت، دار الكتب العلمية، 1415هـ، ج5، ص53، وعبد الله بن أحمد ابن قدامة، الكافي في مذهب الإمام أحمد، ط1، بيروت، دار الكتب العلمية 1414هـ، ج4، ص97.

(٢) ابن عابدين، حاشية ابن عابدين، ج3، ص191، يحيى بن شرف النووي، روضة الطالبين وعمدة المفتين، ط3، عمان، المكتب الإسلامي، ج8، ص312، ابن قدامة، المغني، ج9، ص89.

(٣) البيهقي، السنن الكبرى، ج8، ص252.

(٤) عبد الكريم بن محمد اللاحم، المطلع على دقائق زاد المستقنع «فقه الجنايات والحدود»، ط1، الرياض، دار



- أن الله أباح التعريض في الخطبة وحرّم التصريح، وذلك دليل على الفرق بينهما.
- **ويجيب عن ذلك:** بأن هذا التفريق لم يمنع العمل بالكناية إذا لم تفسر بغير القذف^(١)، ولأن الكناية مع القرينة الصارفة إلى أحد احتمالاتها، كالصريح الذي لا يحتمل إلا ذلك المعنى، ولذلك وقع الطلاق بالكناية^(٢).
- أن الكناية إذا فسرت بغير القذف لم يثبت بها الحد، فكذا التعريض.
- **ويجيب عن ذلك:** بأنه لا يعمل بها إذا لم يوجد مانع من قبول التفسير، فكذا التعريض إذا وجد مانع من حمله على غير القذف، مثل كونه في حال الخصومة أو الغضب، إذ يبعد أن يراد به الثناء على المعرّض به ومدحه^(٣).

القول الثاني: أنه يثبت به الحد.

وهو قول المالكية، وإحدى الروايتين عن الإمام أحمد^(٤).

ودليلهم على ذلك:

- ١- ما ورد أن عمر -رضي الله عنه- أقام الحد على من قال لآخر: «ما أبي بزان ولا أمني بزانية»، وقال: «قد عرض بصاحبه»^(٥).
- ٢- ما ورد عن عثمان -رضي الله عنه- أنه جلد رجلاً قال لآخر: «يا ابن شامة الودر»، والودر: قدر اللحم، يُعرض له بكمر الرجال، يعرض بأمه^(٦).

كنوز إشبيلية، 1432 هـ، ج3، ص300.

(١) المرجع السابق.

(٢) ابن قدامة، المغني ج9، ص89.

(٣) اللاحم، المطلع على دقائق زاد المستقنع «فقه الجنائيات والحدود»، ج3، ص300.

(٤) عبد الباقي بن يوسف الزرقاني، شرح الزُّرقاني على مختصر خليل، تحقيق: عبد السلام محمد أمين، ط1،

بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤٢٢ هـ، ج8، ص87، ابن قدامة، المغني، ج9، ص89.

(٥) المرجع السابق.

(٦) أبو بكر بن أبي شيبة، الكتاب المصنف في الأحاديث والآثار، تحقيق: كمال يوسف الحوت، ط1، الرياض، مكتبة

الرشد، 1409 هـ، ج5، ص500. وعلي بن عمر الدارقطني، سنن الدارقطني، تحقيق: شعيب الأرنؤوط،

والرأي الأول بالترجيح هو ما ذهب إليه أصحاب القول الثاني القائلين بوجوب الحد على القاذف في حالة التعريض بالقذف لقوة أدلتهم، وعدم معارضتها من أصحاب القول الأول، كما أنه قد يكون من التعريض ما هو أبلغ من التصريح بالقذف، خاصة إذا كان في حال خصومة، أو وجدت قرينة تدل على أنه يريد القذف؛ لأنه بذلك يكون أردع عن الفرية، وأحفظ للأعراض، فإن لم يكن ذلك في حال الخصومة، ولم توجد قرينة تصرفه إلى القذف، فلا شك في أنه لا يعتبر قذفاً، وبالتالي لا يجب به الحد.

الفرع الخامس: عقوبة القذف:

قد وضع الشرع الحنيف للقذف عقوبتان ثابتتان بنص القرآن الكريم: إحداهما: الجلد وهو العقوبة الأصلية للقذف، فيجلد الإنسان الحر ثمانين جلدة، لقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً وَلَا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَدًا وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ [النور: ٤]. والعقوبة الأخرى: عقوبة تبعية، وتتمثل في أمرين: الأول: عدم قبول الشهادة، والثاني: الحكم عليه بأنه فاسق إلا إذا تاب، والمَعْنَى كما يقول الإمام القرطبي: عدم قبول الشهادة أبداً إلا بعد التوبة والإصلاح بعد الذين قذفهم فتضمن الآية أحكام ثلاثة في حق القاذف الجلد ورد الشهادة وتفسيره^(١)، فإذا تاب قبلت شهادته لقول الله تعالى: ﴿إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [النور: ٥].

الفرع السادس: ما يثبت به القذف:

يثبت القذف كغيره من الحدود، بالإقرار وبالشهادة. والمراد بالإقرار هنا: أن يقر القاذف بأنه رمى المقدوف بالزنا ظلماً.

وآخرون، ط١، بيروت، مؤسسة الرسالة، ١٤٢٤هـ، ج٤، ص٢٩٠.

(١) محمد بن أحمد القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، ط٢، القاهرة، دار الكتب المصرية ١٣٨٤هـ، ج١٢، ص١٧٧.



ووفقاً لنظام الإثبات السعودي في المادة الرابعة عشرة: «يكون الإقرار قضائياً إذا اعترف الخصم أمام المحكمة بواقعة مدعى بها عليه، وذلك أثناء السير في دعوى متعلقة بهذه الواقعة، ويكون الإقرار غير قضائي إذا لم يقع أمام المحكمة، أو كان أثناء السير في دعوى أخرى».(١)

ويكون الإقرار صراحة، أو دلالة باللفظ أو بالكتابة، وذلك وفقاً لنص المادة السادسة عشرة من نظام الإثبات.(٢)

والمراد بالشهادة: أن يشهد رجلان عدلان، أنهما سمعا القاذف وهو يقذف المقذوف بالزنا.(٣)

ووفقاً لنظام الإثبات السعودي فإنه: يجوز الإثبات بشهادة الشهود، ما لم يرد نص يقضي بغير ذلك(٤)، كما أن الشهادة تكون عن مشاهدة أو معاينة أو سماع، ولا تقبل الشهادة بالاستفاضة إلا في ما يتعذر علمه غالباً دونها.(٥)

وهذه الأحكام الواردة في النظام مستمدة من أحكام الفقه الإسلامي والشريعة الإسلامية، وموافقة له.

(١) ينظر: موقع هيئة الخبراء بمجلس الوزراء، نظام الإثبات، المادة الرابعة عشرة، رابط الموقع: <https://laws.boe.gov.sa/BoeLaws/Laws/LawDetails/2716057c-c097-4bad-8e1e-ae1400c678d5/1>

(٢) ينظر: موقع هيئة الخبراء بمجلس الوزراء، نظام الإثبات، المادة السادسة عشرة. رابط الموقع: <https://laws.boe.gov.sa/BoeLaws/Laws/LawDetails/2716057c-c097-4bad-8e1e-ae1400c678d5/1>

(٣) محمد بن أحمد السرخسي، المبسوط، مصر، مطبعة السعادة، ١٤٣١هـ، ج٩، ص١١١، ومحمد بن أحمد ابن رشد، بداية المجتهد ونهاية المقتصد، القاهرة، دار الحديث، ١٤٢٥هـ، ج٢، ص٣٤٨، والشرييني، مغني المحتاج، ج٤، ص٤٤٢، وابن قدامة، المغني، ج٩، ص٢٠٦.

(٤) ينظر: موقع هيئة الخبراء بمجلس الوزراء، نظام الإثبات، المادة السادسة والستون. رابط الموقع: <https://laws.boe.gov.sa/BoeLaws/Laws/LawDetails/2716057c-c097-4bad-8e1e-ae1400c678d5/1>

(٥) ينظر: موقع هيئة الخبراء بمجلس الوزراء، نظام الإثبات، المادة التاسعة والستون. رابط الموقع: <https://laws.boe.gov.sa/BoeLaws/Laws/LawDetails/2716057c-c097-4bad-8e1e-ae1400c678d5/1>

المطلب الثاني: التعريف بوسائل التواصل الاجتماعي

الفرع الأول: المقصود بوسائل التواصل الاجتماعي، وأنواعها:

أولاً: المقصود بوسائل التواصل الاجتماعي:

تُعرّف وسائل التواصل الاجتماعي: بأنّها: «تلك المواقع التي توجد على شبكة الإنترنت العالمية، وتُتيح للمستخدمين إنشاء حسابات شخصية، وتكوين علاقات مع مُستخدمين آخرين للمواقع نفسها، ويتم من خلالها تفاعل المستخدمين مع بعضهم بعضاً. وتواصلهم مع أصدقائهم وعائلاتهم وزملائهم...»^(١)

وعرفت أيضاً بأنّها: «مواقع أو تطبيقات أخرى مخصصة لإتاحة القدرة للمستخدمين للتواصل فيما بينهم من خلال وضع معلومات، وتعليقات، ورسائل، وصور،... إلخ»^(٢)

كما عرفت بأنّها: «منظومة من الشبكات الإلكترونية التي تسمح للمشارك فيها بإنشاء موقع خاص به، ومن ربطه عن طريق نظام اجتماعي إلكتروني مع أعضاء آخرين لديهم الاهتمامات والهوايات نفسها»^(٣)

وواضح أن هذه التعريفات متقاربة؛ حيث تدل جميعها على أن وسائل أو مواقع التواصل الاجتماعي هي وسائل تمكن مستخدميها من إنشاء حساب خاص به يمكنه من التواصل عبر شبكة الإنترنت مع غيره من الأشخاص إلكترونياً؛ لعرض ومشاركة المعلومات والأفكار والآراء والرسائل وغيرها من المحتوى المكتوب والمرئي والصوتي والملفات.

ثانياً: أنواع وسائل التواصل الاجتماعي:

(١) حسان شمسي باشا، وسائل التواصل الاجتماعي، رحلة في الأعماق، ط1، دمشق، دار القلم، 2020م، ص22.

(٢) جمال سند السويدي، وسائل التواصل الاجتماعي ودورها في التحولات المستقبلية، 2014م، ص21.

(٣) سعد سلمان المشهداني، فراس حمود العبيدي، مواقع التواصل الاجتماعي وخصائص البيئة الإعلامية الجديدة، ط1، الأردن، دار أمجد، 2020م، ص85.



أبرز أنواع وسائل التواصل الاجتماعي^(١):

١- فيسبوك Facebook ٢- واتس اب WhatsApp

٣- تويتر Twitter ٤- لينكد ان LinkedIn

٥- يوتيوب YouTube ٦- انستغرام Instagram

٧- تيك توك Tik Tok ٨- فايبر Viber

٩- سناب شات Snapchat ١٠- تلغرام Telegram

الفرع الثاني: أهم إيجابيات وسلبيات وسائل التواصل الاجتماعي:

أولاً: أهم إيجابيات وسائل التواصل الاجتماعي:

تكمن أهم إيجابيات مواقع التواصل الاجتماعي، في الأمور الآتية^(٢):

١-توسيع دائرة العلاقات الاجتماعية.

٢-تقليل الحواجز التي تعيق الاتصال.

٣-وسيلة لتشكيل رأي عام فعّال.

٤-وسيلة فعالة للترويج للشركات التجارية.

٥-متابعة أخبار العالم.

٦-مساعدة رجال الأعمال والشركات.

(١) ميشيل كارفيل، وإيان ماكراي، خرافات التواصل الاجتماعي، ط١، الرياض، مكتبة جرير، ٢٠٢٣م، ص ١٧.

(٢) كاثرين وزنيك، دانيال ر. تومال. وسائل التواصل الاجتماعي في مجال التعلم، ط١، الرياض، العبيكان. ص ٨٣.

ثانياً: أهم سلبيات وسائل التواصل الاجتماعي:

تظهر أهم سلبيات مواقع التواصل الاجتماعي في ما يلي^(١):

- ١- مخاطر الاحتيال في الأموال والأعراض وسرقة الهوية.
- ٢- إضاعة الوقت وهدره بما لا طائل تحته.
- ٣- إضاعة الواجبات التي تلزم الشخص بسبب هذه الوسائل.
- ٤- تأثيرها على العلاقات الأسرية في ترك واجباتهم والانقطاع لهذه الوسائل.
- ٥- تسببت في مخالفة العادات والتقاليد للمجتمعات وعدم المبالاة بها.
- ٦- تسببت في العزلة للمجتمعات فكل شخص مشغول بهذه الوسائل.

(١) انظر: المرجع نفسه، ص 90.



المبحث الأول: حكم من قذف شخصاً

في وسائل التواصل الاجتماعي

تعدد صور القذف وتتنوع، وتأخذ أشكالاً ووسائل متنوعة، فما الحكم الشرعي لهذه الصور والوسائل المتنوعة من وسائل التواصل الاجتماعي؟ هذا ما سوف نتعرف عليه في المطالب التالية:

المطلب الأول: حكم من قذف شخصاً بالفيديو

في وسيلة من وسائل التواصل الاجتماعي

الفرع الأول: التعريف بالتصوير بالفيديو:

«هو عبارة عن آلاف الصور المتعاقبة في شريط واحد تلتقطها الآلة في كل جزء يسير من الثانية، فإذا أدبر الشريط مرة ثانية أمام الضوء ونفذ الضوء من خلال الشريط الذي طبعت عليه تلك الآلاف المؤلفة من الصور، فإن الصورة تظهر على شاشة العرض متحركة بنفس الحركة التي كانت وقت التقاط الصورة، فإذا أُضيف إلى ذلك إظهار الكلام المسجل وقت تصوير الصورة ظهر الكلام والصورة معاً».^(١)

الفرع الثاني: الحكم الشرعي في استخدام التصوير بالفيديو والهاتف في الإثبات.

اختلف العلماء المعاصرون في التصوير بالفيديو هل هو إثبات أم لا إلى قولين:

القول الأول: عدم الاعتداد بهذه الوسائل المستجدة ولا تعتبر وسيلة من وسائل الإثبات.^(٢)

(١) ينظر: محمد أحمد واصل، أحكام التصوير في الشريعة الإسلامية، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، كلية الشريعة، قسم الفقه، رسالة ماجستير، ١٤١٧هـ، ص 32.

(٢) ممن ذهب إلى هذا الرأي: د: عبد الله بن سليمان العجلان، القضاء بالقرائن المعاصرة، المعهد العالي للقضاء، الرياض ١٤١٢هـ، رسالة دكتوراه، ص 772.

حجة هذا القول: عللوا المنع بأمور منها:

1- قال تعالى: ﴿وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا﴾ [الحجرات: ١٢].

وجه الدلالة: أن التصوير والتسجيل الصوتي والفيديو كل ذلك يعد اعتداء على الناس، وكشفا لأسرارهم وعوراتهم، وإطلاعاً على ما يحرسون على إخفائه، ويدخل في عمل التجسس واستراق السمع، وهو مما نهى الله - عز وجل - عنه.

٢- لما فيها من الغش والتضليل، ولا يجوز اتهام الشخص إذا وجد في هذه الوسائل؛ لأنها قد تغير الشخص إلى شخص آخر عن طريق ما يسمى بعمليات المونتاج.

٣- لأنها ليست من القرائن القاطعة؛ حيث يدخلها التزوير والتمويه.

٤- لأن دلالة الصور المتحركة على الفعل المراد إثباته دلالة ضعيفة، لا تقوى على إثبات ما تدل عليه. (١)

ويمكن مناقشة هذه الاستدلالات بأنه لا بد من وجود ضوابط لقبول الإثبات بهذه الوسيلة، وبهذا ينتفي الضرر المحتمل.

القول الثاني: يعد التصوير حجة في الإثبات بشروط وقيود معينة، كما يعد قرينة في الإثبات. (٢)

حجة هذا القول ما يلي:

1- أن الأخذ بالتصوير والتسجيل يكون أثبت وأقرب إلى الحقيقة، وأعدل من شهادة عدل مع اليمين.

(١) آل قرون، القرائن المادية المعاصرة وأثرها في الإثبات، ص 610، العجلان، القضاء بالقرائن المعاصرة، ص 772.

(٢) من أنصار هذا الرأي: د: زيد بن عبد الله آل قرون، القرائن المادية المعاصرة وأثرها في الإثبات، ط ١، الرياض، دار كنوز إشبيلية، ١٤٣٩هـ، ص 610، د. عارف علي القرعة داغي، مسائل فقهية معاصرة، ص 198، ووحد الحسني، الإثبات باستخدام تصوير الفيديو في فقه القضاء الإسلامي، جاكارتا، جامعة شريف هداية الله الإسلامية، 2018م، ص 62.



2- كما أن طرق الإثبات ليست محصورة في عدد معين بل تشمل كل ما يمكن أن يثبت به الحق، ويطمئن إليه القاضي.^(١)

ويمكن مناقشة ذلك بأن طرق الإثبات محددة بوسائل معينة، وهي مثورة في كتب الفقه الإسلامي، وليس من بينها التصوير بالفيديو.

3- أن التصوير يمكن أن يكون قرينة يستخدمها القاضي للتضييق على المتهم.

4- كما أنه لا يمكن إغفال ما للتكنولوجيا الحديثة من دور في الإثبات الجنائي.

لكن أنصار هذا القول اشترطوا لاعتبار التصوير حجة في الإثبات توافر مجموعة من الشروط والضوابط التي تضمن حماية الحريات والخصوصية، وعدم تعريضها للانتهاك، ومن هذه الشروط والضوابط^(٢):

1- التحقق من صحة التصوير في تمثيل الواقع، وسلامته من الشكوك والشبهات.

2- الحصول على الإذن بالتصوير من الجهات المختصة.

3- عدم اللجوء للتصوير إلا من باب الضرورات، وفي حالة وجود قرائن وأمارات قوية تدل على ارتكاب المشتبه به الجريمة.

الترجيح: يظهر رجحان القول الثاني؛ لقوة ما استدل به، كما أن الأخذ به فيه حد من الجرائم خوفاً من إمكانية تصويرها عن طريق التصوير بالفيديو أو الهاتف، فالتصوير بالفيديو قرينة لإثبات الفعل على الجاني، إذا انضمت إليه قرائن وأدلة أخرى؛ وذلك بعد التأكد من صحة تسجيل الفيديو، ونسبته إلى فاعله، بمعرفة أهل الاختصاص في هذا الشأن.

(١) بهاء الدين القاسم، حجية الأدلة الرقمية في النظام القضائي الإسلامي، مجلة أبحاث الشريعة الإسلامية، 2021، العدد 37، ص182.

(٢) د.عارف علي القرة داغي، مسائل فقهية معاصرة، ص198، آل قرون، القرائن المادية المعاصرة وأثرها في الإثبات، ص٦١٢.

الفرع الثالث: الحكم الشرعي للقذف عبر الفيديو والهاتف:

استناداً إلى ما سبق من أدلة الرأي الثاني وترجيحه يمكن القول بأن القذف عن طريق هذه الوسائل التي تسجل الصوت والصورة سواء التلفزيون أو اليوتيوب أو السناب أو الفيسبوك وغيرها التي هي في متناول الجميع الآن، ويشاهدها أعداد غفيرة لا تحصى إذا كانت من حساب القاذف الشخصي الموثق وباسمه وفحصت ودققت من أهل الاختصاص فاتضح نسبتهما له، وعدم اختراقها، فإنه يعتبر قرينة على ارتكابه لجريمة القذف، إذا انضمت إليها أدلة أخرى، أو اعترف المتهم، وفي هذه الحالة توقع عليه عقوبة القذف.

لكن لو قذف شخص آخر وسجله غير القاذف ونشره، فهل ينسب القذف إليه أم لا؟

الظاهر أنه يقع على صاحب الحساب في هذه الحالة إثبات أن حسابه مخترق، وأنه لم يتم بتسجيل أو نشر ما يدل على القذف، وأنه قام بذلك شخص آخر، وبذلك يعفى من العقوبة، لأنه إذا كان حسابه غير مخترق فإن ما ينشر عن طريق هذا الحساب يكون مسؤولاً عنه، ويعتبر قرينة لارتكابه جريمة القذف.

وقد نص نظام مكافحة جرائم المعلوماتية في المادة الرابعة على أنه: «يعاقب بالسجن مدة لا تزيد على سنة وبغرامة لا تزيد على خمسمائة ألف ريال، أو بإحدى هاتين العقوبتين؛ كل شخص يرتكب أيًا من الجرائم المعلوماتية الآتية:

١- المساس بالحياة الخاصة عن طريق إساءة استخدام الهواتف النقالة المزودة بالكاميرا، أو ما في حكمها.

٢- التشهير بالآخرين، وإلحاق الضرر بهم، عبر وسائل تقنيات المعلومات المختلفة».

(١)

(١) ينظر: موقع هيئة الخبراء بمجلس الوزراء، مكافحة جرائم المعلوماتية، المادة الرابعة، رابط الموقع:

<https://laws.boe.gov.sa/Boelaws/Laws/LawDetails/25df73d6-0f49-4dc5-b010-a9a700f2ec1d/1>



ومفاد ذلك أن المنظم السعودي اعتبر أن المساس بالحياة الخاصة، أو التشهير بالآخرين، وإلحاق الضرر بهم عن طريق الهواتف المزودة بالكاميرا أو وسائل تقنيات المعلومات الأخرى جريمة يعاقب فاعلها بالعقوبة سالفه الذكر؛ لأنها لا ترقى لجريمة القذف؛ لأن التشهير بالآخرين والمساس بالحياة الخاصة قد يكون بغير القذف بالزنا، أما إذا توافرت فيها شروط القذف فلا شك في توقيع حد القذف على الفاعل.

المطلب الثاني: حكم من قذف شخصاً بالصوت فقط

في وسيلة من وسائل التواصل الاجتماعي

ويمكن بيان ذلك وتوضيحه من خلال خمسة فروع:

الفرع الأول: المراد بالتسجيل الصوتي:

التسجيل مصدر من الفعل سجَّلَ (بتشديد الجيم)، يعني: تدوين الشيء في السجلات، والدواوين الرسمية.^(١)

وسجَّلَ الصُّورَةَ وسجَّلَ الصَّوْت: أي نقله إلى أسطوانة أو شريط بواسطة آلة خاصّة لحفظه وإعادة سماعه.^(٢)

والصوت هو ترجمة للتغيرات المؤقتة لموجات الصوت الخاصة بالكلام، أو الموسيقى إلى نوع آخر من الموجات، أو التغيرات الدائمة.

ويُعرف التسجيل الصوتي بأنه عملية التقاط الصوت أو الكلام المنقول، باستخدام جهاز تسجيل، ويُستخدم عادةً في المقابلات لتكملة تدوين الملاحظات، وضمان الدقة.^(٣)

(١) محمد رواس قلعجي، وحامد صادق قنبي، معجم لغة الفقهاء، ط ٢، دار النفائس للطباعة والنشر والتوزيع، ١٤٠٨هـ، ص 130.

(٢) أحمد مختار عبد الحميد، معجم اللغة العربية المعاصرة، ط 1، عالم الكتب، 1429 هـ، ج 2، ص 1036.

(٣) من موقع: <https://www.comput-topics/goog.translate.com-sciencedirect-er/recording-audio/science-er>

وعرف بعض الباحثين التسجيل الصوتي الخاص بالجرائم بأنه: الدليل الناتج عن استخدام الوسائل الحديثة، بما فيها أجهزة التسجيل، في التعرف على المتهم، لإثبات وقوع الجريمة المنسوب إليه ارتكابها، ولتقرير البراءة أو الإدانة فيها.^(١)

حيث إنه في التسجيل الصوتي يتم حفظ الأحاديث الخاصة على المادة المخصصة لذلك لإعادة الاستماع إليه في أي وقت.

الفرع الثاني: الحكم الشرعي في استخدام التسجيل الصوتي في الإثبات:

ليبان الحكم الشرعي لاستخدام التسجيل الصوتي في الإثبات نفرق بين حالتين:

الحالة الأولى: إذا كان التسجيل الصوتي بدون إذن:

وفي هذه الحالة يعتبر التسجيل الصوتي لتسجيل محادثات الناس والتنصت عليهم وكشف الأشياء المستورة في البيوت من الأشياء المحرمة شرعاً التي يكون فيها الاعتداء على خصوصيات الناس، وقد دلت الآيات القرآنية، والأحاديث الشريفة على النهي عن مثل هذه الأفعال، والتحذير من الوقوع فيها ومعاقبة فاعلها بالعقاب في الدنيا والآخرة؛ فمن الآيات القرآنية: قوله تعالى: ﴿وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا﴾ [الحجرات: ١٢].

ووجه الدلالة: النهي عن التجسس وإظهار عيوب الآخرين التي أمر الله بسترها، ولا شك أن تسجيل محادثات الآخرين والتنصت عليهم وإظهار الأسرار التي داخل المجتمعات والبيوت داخل في هذه الآية وهو التجسس المنهي عنه.

ومن الأحاديث الشريفة:

١- عن ابن عباس -رضي الله عنه- عن النبي ﷺ قال: «من تحلم بحلم لم يره كُلف أن يعقد بين شعيرتين، ولن يفعل، ومن استمع إلى حديث قوم، وهم له كارهون، أو يفرون

(١) رفاه خضير جواد، التسجيلات الصوتية وأثرها في الإثبات الجنائي، مجلة أورو ك للعلوم الإنسانية، ج 8، ص 327.



منه، صب في أذنه الآنك يوم القيامة». (١)

ووجه الدلالة: تحذير النبي ﷺ من الاستماع إلى حديث غيره بغير إذنه، وبين الوعيد الشديد لمرتكب هذا الفعل، وهو صب الحديد في أذنه، وهذه العقوبة لا تكون إلا على شيء محرم، ولا شك أن التسجيل الصوتي وتسجيل المكالمات داخل في هذا الفعل.

٢- عن أبي هريرة -رضي الله عنه- عن النبي ﷺ، قال: «إياكم والظن، فإن الظن أكذب الحديث، ولا تجسسوا، ولا تحسسوا، ولا تباغضوا، وكونوا إخواناً». (٢)

ووجه الدلالة: نهي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عن التجسس والتجسس لأن فيه تتبعاً لعورات الناس، واستراق السمع، والتنصت على حديث الناس، ومكالماتهم، وأمورهم الخاصة أو تسجيلها يعد من صور تتبع العورات والتجسس والتجسس فيكون منهياً عنه.

٣- عن أبي هريرة -رضي الله عنه- أن رسول الله ﷺ قال: «لو أن رجلاً اطلع عليك بغير إذن، فخذفته بحصاة، ففقت عينه ما كان عليك من جناح». (٣)

ووجه الدلالة: النهي عن الاطلاع على خصوصيات الناس بالنظر إلى ما هو داخل البيوت؛ لأنه يعتبر من التجسس المنهي عنه وتتبعاً للعورات، والتسجيلات الصوتية للغير بدون إذنه في ذات المعنى فتأخذ نفس الحكم.

الحالة الثانية: إذا كان التسجيل الصوتي بإذن:

في هذه الحالة إذا كان التسجيل بإذن وعلم المسجل صوته، كما تفعله الشركات وغيرها عند الموافقة على الشروط والأحكام للاتصال، فلا شك في أن هذا التسجيل سيكون

(١) البخاري، صحيح البخاري، ج ٩، ص 42.

(٢) البخاري، صحيح البخاري، ج ٧، ص ١٩، ومسلم بن الحجاج النيسابوري، صحيح مسلم، طبعة دار إحياء التراث العربي، بيروت، ج 4، ص 1985.

(٣) البخاري، صحيح البخاري، ج 9، ص 7، والنيسابوري، صحيح مسلم، ج 3، ص 1699.

مباحًا ولا إثم فيه؛ لأنه تم بموافقة وإذن الشخص، ومعنى هذا أنه راضٍ وموافق على ما يترتب على هذا التسجيل من آثار حتى ولو كانت ضده أو في غير مصلحته، وإلا لما وافق على استخدام هذه الوسائل، ولذلك تقوم الجهات التي تستخدم هذه الوسائل التقنية بإرسال رسالة تحذير لمستخدميها مفادها أن هذه المكالمات قد تكون مسجلة، فإذا ما قبل الشخص استعمال هذه الوسائل مع علمه أنها قد تكون مسجلة فهذا يعني رضاه وموافقته على ما قد ينتج عنها من آثار وتبعات، لكن هذا بشرط عدم وجود عيب من عيوب الرضا كالغلط أو الإكراه.

الفرع الثالث: رأي العلماء المعاصرين في التسجيل الصوتي:

تقدم الحديث في الفرع الماضي عن حكم الإثبات بالتسجيل الصوتي، وأنه لا يجوز الاعتماد عليه كمصدر للإثبات الشرعي، إلا أن العلماء المعاصرين استثنوا حالتين في جواز الاعتماد على التسجيل الصوتي بالجواز، والأخذ بهذا التسجيل، وهما (١):

الحالة الأولى: أن يكون التسجيل وطلبه من قبل الجهات الحكومية لمعرفة حال من اتهم بالفجور، والمخالفات غير النظامية: ويكون هذا التسجيل له مصالح، منها الوصول للحقيقة، ففي هذه الحالة يجوز استخدام التسجيل الصوتي؛ لصدوره من ولي الأمر، لما فيه من مصالح متعددة، منها حفظ الضروريات الخمس.

الحالة الثانية: تسجيل الخطب والدروس والمحاضرات والندوات:

لأن المعروف في مثل هذه الأمور تسجيل الحديث. في هاتين الحالتين يجوز استخدام التسجيل الصوتي؛ لما فيه من المقاصد الشرعية المعتمدة.

ومما يؤكد ذلك فقد أخذ نظام الإجراءات الجزائية في الفصل الرابع (ضبط الرسائل ومراقبة المحادثات) في المادة التاسعة والثلاثين بهذا الإجراء حيث قال: «عند صدور أمر رئيس

(١) انظر: آل قرون، القرائن المادية المعاصرة، ص 588.



الهيئة بضبط الرسائل والخطابات والمطبوعات والطرود، أو إذنه بمراقبة المحادثات الهاتفية وتسجيلها، فعلى الجهات المختصة توفير جميع الإمكانيات المتاحة لذلك»^(١).

وقد يضاف إلى هاتين الحالتين حالة ثالثة: وهي التجسس لمنع جريمة متوقعة لدفع مفسدة قد تقع: فيجوز في هذه الحالة التجسس والتنصت لمنع هذه الحادثة المتوقعة وقوعها، قال النووي: «قال الماوردي: فإن غلب على ظن المحتسب أو غيره استسرار قوم بالمنكر بأمانة وآثار ظهرت، فذلك ضربان، أحدهما: أن يكون فيه انتهاك حرمة يفوت تداركها، بأن يخبره من يثق بصدقه أن رجلاً خلا برجل ليقتله، أو بامرأة ليزني بها، فيجوز التجسس والإقدام على الكشف والإنكار، والثاني: ما قصر عن هذه الرتبة، فلا يجوز فيه الكشف والتجسس»^(٢).

الفرع الرابع: أثر التسجيل الصوتي في الإثبات:

نص العديد من الباحثين الذين تكلموا على عدم الاعتداد بالتسجيل الصوتي في الإثبات، وأنه لا يعد قرينة قوية يحكم بها، وقد علّلوا ذلك بالآتي:

أولاً: تشابه بعض الأصوات في الظاهر، فقد تظنه لهذا الشخص، فيكون خلافه^(٣).

ثانياً: مقدرة بعض الأشخاص على تقليد أصوات الرجال والنساء والأطفال في وقت واحد، بل حتى الدواب، مما يجعل السامع يظن أنه حوار بين مجموعة كثيرة، والواقع أنه من شخص واحد، لديه مهارة تقليد الأصوات^(٤).

(١) اللائحة التنفيذية لنظام الإجراءات الجزائية، الصادرة بقرار مجلس الوزراء رقم (١٤٢) بتاريخ ٢١ / ٣ / ١٤٣٦هـ.

(٢) النووي، وروضة الطالبين، ج ١٠، ص ٢٢٠.

(٣) ينظر: عدنان عزايزة، حجية القرائن في الشريعة الإسلامية، ط ١، عمان، دار عمار، ١٩٩٠م، ص 208، العجلان، القضاء بالقرائن المعاصرة، ص 588.

(٤) ينظر: عزايزة، مرجع سابق، ومحمد جنيد الديرشوي، القضاء بقرائن الأحوال، رسالة ماجستير في جامعة دمشق سنة ١٤١٨هـ، ص 213.

ثالثًا: قد أصبح من الممكن فنيًا التغيير والتقديم والإضافة، وهذا ما يسمى بعملية المونتاج، فقد أصبح من السهل تبديل مضمون التسجيل، فيتغير التسجيل من إنكار للتهمة إلى الاعتراف بها. (١)

رابعًا: أن التسجيل لا يكون إلا بالمخالفة الشرعية التي نهى الله عنها، فهو اعتداء وتجسس، فلا تكون نتائجه زجرًا وردعًا للمعتدين. (٢)

خامسًا: أن تغيير الصوت في الوقت الحاضر أصبح ممكنًا باستخدام الذكاء الاصطناعي، وهي تقنية متقدمة في هذا المجال.

الفرع الخامس: الحكم الشرعي للقذف عبر التسجيل الصوتي.

يتبين مما ذكر من الأدلة عدم اعتبار التسجيل الصوتي وأنه ليس بحجة في الإثبات، لكن يستفاد منه في الإثبات كقرينة، فإذا عرض التسجيل الصوتي على القاذف، فأقر بالتسجيل واعترف بقذفه وأنه صوته، أو شهد شهود على أنه من قام بالتسجيل، وقذف فيه المحسن، فإنه يقام عليه الحد.

(١) ينظر: عزازية، مرجع سابق، وحسين محمود إبراهيم، الوسائل العلمية الحديثة في الإثبات الجنائي، دار النهضة، ١٩٨١م، ص 468.

(٢) ينظر: عزازية، مرجع سابق، وشحاته عبد المطلب حسن، حجية الدليل المادي في الإثبات في الفقه الإسلامي والقانون الوضعي، دار الجامعة الجديدة، ٢٠٠٥م، ص 163.



المطلب الثالث: حكم من قذف شخصاً بالكتابة

في وسيلة من وسائل التواصل الاجتماعي

الفرع الأول: أقوال الفقهاء في حكم القذف بالكتابة:

اختلف الفقهاء في القذف بالكتابة على قولين:

القول الأول: أن القذف لا يثبت بالكتابة، كما لا يثبت بالإشارة.

وهذا مذهب الحنفية، والحنابلة (١).

القول الثاني: أن القذف إذا كان بالكتابة المفهومة فإنه يثبت به حد القذف.

وهو قول المالكية والشافعية (٢).

والرأي الذي يمكن ترجيحه أن الكتابة الصريحة والمعبرة عن المضمون تكون بمنزلة اللفظ الصريح، وبالتالي تكون حجة في الإثبات، وتثبت بها جريمة القذف وغيرها من الجرائم، خاصة إذا ثبت أن القاذف هو الذي كتبها، ولم ينكرها، وذلك لعدة اعتبارات منها:

- أن الكتابة إذا كانت مفهومة تكون بمنزلة اللفظ الصريح.

- أن التعريض بالقذف يأخذ حكم التصريح به، كما يراه المالكية، والكتابة أقوى في الدلالة من التعريض.

وهذا ما أخذ به النظام السعودي؛ حيث إنه وفقاً لنظام الإثبات السعودي: يعد المحرّر

(١) أبو بكر بن مسعود الكاساني، بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، ط ٢، دار الكتب العلمية، ج 3، ص 242. ابن قدامة، المغني ج 9، ص 88، ومحمد بن أحمد الخَلَوَتي، حاشية الخَلَوَتي على منتهى الإرادات، تحقيق: د. سامي بن محمد الصقير، ود. محمد بن عبد الله اللحيدان، ط 1، سوريا، دار النوادر، ١٤٣٢هـ، ج 6، ص 240.

(٢) الزرقاني، شرح الزرقاني على مختصر خليل، ج 8، ص 150، النووي، روضة الطالبين ج 8، ص 352.

العادي صادرًا ممن وقعته وحجة عليه، ما لم ينكر صراحة ما هو منسوب إليه من خط أو إمضاء أو ختم أو بصمة، أو ينكر ذلك خلقه أو ينفي علمه بأن الخط أو الإمضاء أو الختم أو البصمة هي لمن تلقى عنه الحق، ومن احتج عليه بمحرّر عادي، وناقش موضوعه أمام المحكمة، فلا يقبل منه أن ينكر بعد ذلك صحته، أو أن يتمسك بعدم علمه بأنه صدر ممن تلقى عنه الحق.(١)

كما تكون للمراسلات الموقع عليها، أو الثابت نسبتها إلى مرسلها حجية محرّر العادي في الإثبات، ما لم يثبت المرسل أنه لم يرسل الرسالة، ولم يكلف أحدًا بإرسالها.(٢)

ويستفاد من النص السابق من نظام الإثبات أنه تثبت جريمة القذف بكافة وسائل الإثبات الواردة في نظام الإجراءات الجزائية ونظام الإثبات، مثل الأدلة الكتابية أو الأدلة الرقمية أو شهادة الشهود، كأن يتقدم للمحكمة برسالة نصية أرسلها له القاذف، تضمن قذفه بالزنا، مع إثبات ذلك.

الفرع الثاني: الحكم الشرعي في القذف بالكتابة في وسائل التواصل الاجتماعي:

مع التقدم الذي وصل إليه العالم من تطور لم يشهد له من قبل في مجال وسائل التواصل الاجتماعي وكثرة الشركات والتنافس في الإنتاج لكثرة هذه البرامج بأشكالها المختلفة حتى أصبحت في متناول أيدي الجميع سواء كانت مستقلة أو مدمجة مع أجهزة أخرى، وقد تعددت مقاصد الناس ورغباتهم في استخدام هذه البرامج فمنها ما هو محمود ومنها ما هو مذموم قبيح، غير أن الذي يهمني في هذا البحث أنه لو قذف شخص آخر في عرضه كتابة،

(١) موقع هيئة الخبراء بمجلس الوزراء، نظام الإثبات، المادة التاسعة والعشرون. رابط الموقع:

<https://laws.boe.gov.sa/BoeLaws/Laws/LawDetails/2716057c-c097-4bad-8e1e-ae1400c678d5/1>

(٢) موقع هيئة الخبراء بمجلس الوزراء، نظام الإثبات، المادة الثلاثون. رابط الموقع:

<https://laws.boe.gov.sa/BoeLaws/Laws/LawDetails/2716057c-c097-4bad-8e1e-ae1400c678d5/1>



وهذه الكتابة شاهدها الكثير على مستوى العالم بأسره فهل يمكن الحكم بناء على هذه الكتابة، ومثله لو تقدم الشخص المقذوف إلى الجهات الأمنية فهل يمكن الاعتماد على مثل هذه الكتابة سواء كانت في تويتر أو الفيس بوك أو الواتس آب أو غيرها من البرامج المختلفة في القضاء؟ وحتى يكون القول واضحاً في هذه المسألة نقول:

إذا كان الرقم الذي أرسل منه هو رقمه، وجهازه، ووضحت الجهات ذات الاختصاص أن هذا الرقم لم يخترق، ولم ينفِ الذي قذف بأي ادعاء سواء سرقة أو غيرها مما يستجد من قضايا حديث الساعة، وأقرَّ بما كتبه، فإنه في هذه الحالة يعتبر قاذفاً، يعاقب عليها بإقامة الحد الشرعي، قياساً على ما نصَّ عليه الفقهاء في الاعتداد بالكتابة في مثل هذه الأحكام، وقد تقدّم قول الإمام النووي: «وإن كان له إشارة مفهومة، أو كتابة، صحَّ قذفه ولعانه، كالبيع والنكاح والطلاق وغيرها»^(١)، وهذا نص على اعتبار الكتابة في حد القذف فكذلك تعتبر في وسائل التواصل الاجتماعي بالضوابط المذكورة.

وبالإضافة إلى عقوبة الجلد يمكن معاقبة القاذف وفق أحكام المادة الثالثة من نظام مكافحة جرائم المعلوماتية، بالسجن مدة لا تزيد على سنة والغرامة بما لا تزيد عن (٥٠٠,٠٠٠) ريال أو بإحدى هاتين العقوبتين، حيث تعتبر جرائم القذف الإلكتروني من الجرائم المعلوماتية كونها تتم عبر الشبكة العنكبوتية، وخاصةً عندما تتم عبر مواقع التواصل الاجتماعي؛ لذلك يتم تطبيق نظام مكافحة الجرائم المعلوماتية عليها.^(٢)

كما يتم فرض عقوبة تبعية تتمثل بمصادرة كافة الأجهزة التي استُخدمت في ارتكاب الجريمة وفق المادة (١٣) من نظام مكافحة الجرائم المعلوماتية.^(٣)

(١) النووي، روضة الطالبين، ج ٨، ص 352.

(٢) ينظر: موقع هيئة الخبراء بمجلس الوزراء، نظام مكافحة جرائم المعلوماتية، المادة الثالثة، رابط الموقع:

<https://laws.boe.gov.sa/Boelaws/Laws/LawDetails/25df73d6-0f49-4dc5-b010-a9a700f2ec1d/1>

(٣) ينظر: موقع هيئة الخبراء بمجلس الوزراء، نظام مكافحة جرائم المعلوماتية، المادة الثالثة عشرة، رابط الموقع:

<https://laws.boe.gov.sa/Boelaws/Laws/LawDetails/25df73d6-0f49-4dc5-b010-a9a700f2ec1d/1>

ووفق المادة السابعة والخمسين من نظام الإجراءات الجزائية: للنائب العام أن يأمر بضبط الرسائل والخطابات والمطبوعات والطرود، وله أن يأذن بمراقبة المحادثات الهاتفية وتسجيلها، متى كان لذلك فائدة في ظهور الحقيقة في جريمة وقعت، على أن يكون الأمر أو الإذن مسبباً ومحددًا بمدة لا تزيد على عشرة أيام قابلة للتجديد وفقاً لمقتضيات التحقيق.^(١)

وواضح من النصوص القانونية السابقة أن النظام السعودي حرص على حماية الحريات والحياة الخاصة للأفراد، وظهور الحقيقة في الجرائم الواقعة عن طريق وسائل التواصل الاجتماعي، واتخذ من الوسائل ما يلزم لتحقيق ذلك.

المبحث الثاني: حكم من أعاد إرسال رسالة تضمنت قذف شخص في وسائل التواصل الاجتماعي أو وضع عليها إعجاباً أو تعليقاً.

المطلب الأول: حكم من أعاد إرسال رسالة متضمنة للقذف في وسيلة من وسائل التواصل الاجتماعي:

قد يقوم شخص بكتابة عبارات القذف لشخص، فيقوم آخر (صاحب حساب منفصل ورقم خاص به) بإعادة هذه العبارات التي فيها القذف، بمعنى إرسالها للأشخاص المتابعين لهذا الحساب، ومعلوم أن إعادة الإرسال يكون فيه التأييد لهذا الكلام المكتوب في الغالب، فهل يعتبر هذا قذفاً أو تعريضاً يعاقب عليه؟

وهذه المسألة قريبة من مسألة اختلف فيها الفقهاء، وهي مسألة من رمى شخصاً بالزنا فصّده شخص ثالث، أي قال له: «صدقت» هل يقام على المصدّق الحد أم لا؟ واختلفوا على قولين:

(١) ينظر: موقع هيئة الخبراء بمجلس الوزراء، نظام الإجراءات الجزائية، المادة السابعة والخمسون، رابط الموقع:

<https://laws.boe.gov.sa/Boelaws/Laws/LawDetails/25df73d6-0f49-4dc5-b010-a9a700f2ec1d/1>



القول الأول: يقام عليهما الحد، على من قذف، ومن صدّقه.

وهو قول لأبي حنيفة في رواية الحسن بن زياد، وزفر، والحنابلة في وجهه.^(١)

القول الثاني: لا يكون قاذفاً.

وهو قول لأبي حنيفة، وأبي يوسف، ومحمد بن الحسن^(٢)، ووجه عند الحنابلة.^(٣)

أدلة القول الأول:

١- ورد ذلك عن عمر رضي الله عنه؛ لأن عمر حين شاورهم في الذي قال لصاحبه: «ما أنا بزان، ولا أُمي بزانية». فقالوا: «قد مدح أباه وأمه». فقال عمر: «قد عرّض لصاحبه». فجلده الحد. وقال معمر: «إن عمر كان يجلد الحد في التعريض».^(٤)

٢- أن عثمان جلد رجلاً قال لآخر: «يا ابن شامة الودر» يُعرّض له بزنا أمه.^(٥) والودر: قدر اللحم. يعرض له بكمر الرجال.

٣- ولأن الكناية مع القرينة الصارفة إلى أحد احتمالاتها، كالصریح الذي لا يحتمل إلا ذلك المعنى، ولذلك وقع الطلاق بالكناية، فإن لم يكن ذلك في حال الخصومة، ولا وجدت قرينة تصرف إلى القذف، فلا شك في أنه لا يجوز قذفاً.^(٦)

دليل القول الثاني: علل زفر بأنه: «يحتمل أن يريد بتصديقه في غير القذف». ^(٧)

(١) نصر بن محمد السمرقندي، عيون المسائل، تحقيق: د. صلاح الدين الناهي، بغداد، مطبعة أسعد، ١٣٨٦هـ، ص ٢٩٩، ابن قدامة، المغني، ج ٩، ص ٩٠، وقد رجح ابن قدامة الوجه القائل بأنه لا يعتبر قذفاً.

(٢) نصر بن محمد السمرقندي، عيون المسائل، تحقيق: د. صلاح الدين الناهي، بغداد، مطبعة أسعد، ١٣٨٦هـ، ص ٢٩٩.

(٣) ابن قدامة، المغني، ج ٩، ص ٩٠.

(٤) سبق تخريجه.

(٥) سبق تخريجه.

(٦) ابن قدامة، المغني، ج ٩، ص ٩٠.

(٧) ابن قدامة، المغني، ج ٩، ص ٩٠.

الترجيح:

بعد عرض هذين القولين يتبين رجحان القول الأول لقوة دليله، وبالتالي فإن المصدّق للقاذف يعتبر قاذفًا، ويقام عليه الحد.

وبناء عليه فمن أعاد الرسالة أو التغريدة مؤيدًا ومصدّقًا لكتبتها، عبر هذه الوسائل الحديثة، ومن حسابه ورقمه، ومن غير اختراق لحسابه، فإنه يعتبر قاذفًا، يقام عليه الحد.

المطلب الثاني: حكم من وضع إعجابًا على رسالة متضمنة للقذف

في وسيلة من وسائل التواصل الاجتماعي.

هذه العلامة التي توضع في بعض وسائل التواصل الاجتماعي نوعان: نوع يدل على رفع الإبهام وهو الإعجاب والتصديق والتشجيع، ونوع آخر وهو تنكيس الإبهام ويدل على خلافه وهو الاستياء من هذه الكتابة أو المقطع المنشور، فهل يعتبر من رفع إبهامه تصديقًا وإعجابًا من عبارات القذف فهل يعتبر مصدّقًا كما في المسألة السابقة أم لا؟

وللإجابة عن ذلك واستنادًا إلى الأحكام العامة في الشريعة والمقاصد الشرعية والتي منها حفظ الأعراض والأسرار، والستر وعدم التشهير بالآخرين، يمكن القول بأن علامة الإعجاب هذه تدل على أن فاعلها مؤيد وموافق لكتبتها في كلامه وقذفه، كما أنه بهذه العلامة يساعد على وصول المنشور لأكبر قدر من الناس، وهذا يعني أنه مشارك له في هذا الفعل، وقواعد الشريعة تجعل جزاء الشريك مثل جزاء الفاعل الأصلي إذا رضيها وأقرّها، ومما يدل على ذلك:

١- أن عمر بن الخطاب قال: يا أيها الناس، إني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر، فلا يقعدن على مائدة يدار عليها الخمر».(١)

(١) محمد بن عيسى الترمذي، سنن الترمذي، المحقق: بشار عواد معروف، بيروت، دار الغرب الإسلامي، ١٩٩٨م، ج ٤، ص ٤١٠، وأحمد بن شعيب النسائي، سنن النسائي، تحقيق: عبد الفتاح أبو غدة، ط ٢، حلب، مكتب المطبوعات الإسلامية، ١٤٠٦ هـ، ج ١، ص ١٩٨، وقال الترمذي: «حديث حسن».



ووجه الدلالة: التسوية في الحديث بين الذي يشرب والذي لا يشرب، كما أن المستمع والمغتتاب شريكان في الوزر، والمستمع والقارئ مشتركان في الأجر. (١)

٢- ما رواه أبو داود عن العرس ابن عميرة الكندي، عن النبي ﷺ قال: «إذا عملت الخطيئة في الأرض، كان من شهدها فكرها - وقال مرة: «أنكرها» - كان كمن غاب عنها، ومن غاب عنها فرضيها، كان كمن شهدها». (٢)

ووجه الدلالة: أن من شهد الخطيئة، فكرها بقلبه، كان كمن لم يشهدا إذا عجز عن إنكارها بلسانه ويده، ومن غاب عنها فرضيها كان كمن شهدا، أي حضرها وشاهدها غير منكر لها ولا كاره، أي يكون برضائه بها ومحبه في الإثم والذنب مثلاً لهم؛ لأن الرضا بالقبيح قبيح، وفيه دليل أن أعمال القلوب كأعمال الجوارح في الإثم وعدمه. (٣)

فإن كل من شاهد منكراً ولم ينكره فجزاؤهما واحد، كالتسوية بين المغتتاب وسامع الغيبة في الجزاء، واعتبار سامع الغيبة شريك القائل المغتتاب وهو أحد المغتتابين، وهذا شامل لجميع المعاصي.

فإذا ثبت أن من وضع إعجاباً على رسالة متضمنة للقذف في وسيلة من وسائل التواصل الاجتماعي قد تعمّد هذا الفعل، ولم يصدر منه بطريق الخطأ، فإنه يعد شريكاً للقاذف الفاعل الأصلي، ويعاقب بنفس عقوبته وهي حد القذف، أما إذا ثبت أن علامة الإعجاب صدرت منه بطريق الخطأ، فإنه لا يقام عليه الحد، وإنما توقع عليه عقوبة التعزير، لإهماله ورعونه، وتسببه في تشويه سمعة الغير، والتشهير بهم، وتطبّق عليه أحكام المادة الثالثة من

(١) محمد أشرف بن أمير العظيم آبادي، عون المعبود شرح سنن أبي داود، ط2، بيروت، دار الكتب العلمية، 1415 هـ، ج8، ص277.

(٢) سليمان بن الأشعث السجستاني، سنن أبي داود، المحقق: محمد محيي الدين عبد الحميد، بيروت، المكتبة العصرية، ج4، ص124، وقال الألباني: "حديث حسن". محمد بن عبد الله التبريزي، مشكاة المصابيح، المحقق: محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي بيروت، ج3، ص1422.

(٣) محمد بن إسماعيل الصنعاني، التنوير شرح الجامع الصغير، تحقيق: د. محمد إسحاق محمد إبراهيم، ط1، الرياض، مكتبة دار السلام، ١٤٣٢ هـ، ج2، ص150.

نظام مكافحة جرائم المعلوماتية، والتي تعاقب بالسجن مدة لا تزيد على سنة، وبغرامة لا تزيد على خمسمائة ألف ريال، أو بإحدى هاتين العقوبتين على كلّ شخص يرتكب أيّا من الجرائم المعلوماتية الآتية: التشهير بالآخرين، وإلحاق الضرر بهم، عبر وسائل تقنيات المعلومات المختلفة.^(١)

المطلب الثالث: حكم من وضع تعليقاً على رسالة متضمنة للقذف

في وسيلة من وسائل التواصل الاجتماعي.

من كتب رسالة على وسيلة من وسائل التواصل الاجتماعي بالقذف لشخص، حيث يوجد أسفل هذه البرامج خدمة للتعليق على المحتوى، فيقوم المعلق على هذا القذف بالرد على هذه الرسالة المتضمنة للقذف، فهل يعتبر تعليقه قذفاً يحاسب عليه؟

إن كان التعليق تأييداً وتصديقاً للعبارات المتضمنة للقذف، يعتبر قاذفاً مشاركاً بالقذف، ويقام عليه الحد، وإن كان التعليق بالإنكار أو الاستفسار فلا شيء عليه، والدليل على ذلك الحكم أن بعض الفقهاء اعتبروا تصديقه بقول: «صدقت» قذفاً، فمن باب أولى لو علق بعبارات مضمونها القذف، قال ابن قدامة رحمه الله: «وإذا قذف رجل رجلاً، فقال آخر: صدقت، فالمصدق قاذف أيضاً في أحد الوجهين؛ لأن تصديقه ينصرف إلى ما قاله، بدليل ما لو قال لي عليك ألف، فقال: صدقت. كان إقراراً بها. ولو قال: أعطني ثوبي هذا. فقال: صدقت. كان إقراراً». ^(٢)

ويستفاد من هذا النص أن تصديق القاذف يعدُّ مشاركة له في قوله، قياساً على ما إذا قال لي عليك مبلغ من المال، فقال صدقت، حيث يعدُّ هذا إقراراً بالدين، فكذلك الحكم

(١) ينظر: موقع هيئة الخبراء بمجلس الوزراء، مكافحة جرائم المعلوماتية، المادة الثالثة، رابط الموقع:

<https://laws.boe.gov.sa/Boelaws/Laws/LawDetails/25df73d6-0f49-4dc5-b010-a9a700f2ec1d/1>

(٢) نصر بن محمد السمرقندي، عيون المسائل، تحقيق: د. صلاح الدين الناهي، بغداد، مطبعة أسعد، ١٣٨٦هـ، ص ٢٩٩، ابن قدامة، المغني، ج ٩، ص ٩٠.



في تصديق القاذف في قوله.

أما مع التعليق بالكتابة بما مضمونه التصديق، فإنه يعدُّ قذفاً، لأن الكتابة بمنزلة اللفظ الصريح، بخلاف ما لو علّق بما مضمونه الاستفسار أو الإنكار، فلا يعتبر قذفاً، بل دفاع عن عرض أخيك المسلم.

والله تعالى أعلم.

خاتمة البحث

أولاً: أهم النتائج التي توصل إليها الباحث:

- ١- القذف عن طريق الفيديو في وسائل التواصل الاجتماعي إذا كان من حسابه الشخصي الموثق وباسمه وفحصت ودققت من أهل الاختصاص فإنه يعتبر قذفاً يحدُّ عليه.
- ٢- في حالة القذف عن طريق التسجيل الصوتي في وسائل التواصل الاجتماعي لا يعتبر التسجيل الصوتي في الإثبات، لكن إذا عُرض على القاذف فأقرَّ بالتسجيل واعترف بقذفه وأنه صوته، أو شهد شهود على أنه من قام بالتسجيل، فإنه يقام عليه الحد.
- ٣- القذف عن طريق الكتابة في وسائل التواصل الاجتماعي إذا كان الرقم الذي أرسل منه هو رقمه، وجهازه ووضحت الجهات ذات الاختصاص أن هذا الرقم لم يخترق ولم ينفِ الذي قذف بأي ادعاء سواء سرقة أو غيرها فإنه في هذه الحالة يعتبر قاذفًا يعاقب عليها بإقامة الحد الشرعي.
- ٤- من أعاد إرسال رسالة متضمنة للقذف في وسيلة من وسائل التواصل الاجتماعي يعتبر قاذفًا يقام عليه الحد.
- ٥- من وضع إعجاباً على رسالة متضمنة للقذف في وسيلة من وسائل التواصل الاجتماعي إذا ثبت أنه تعمد هذا الفعل فإنه يعدُّ مؤيداً لهذه العبارات، وبالتالي يعاقب بعقاب الفاعل الأصلي، وإن ثبت خلاف ذلك فإنه يعزَّر لهذا التصرف.
- ٦- من وضع تعليقاً على رسالة متضمنة للقذف في وسيلة من وسائل التواصل الاجتماعي إن كان التعليق تأييداً وتصديقاً لهذه العبارات المتضمنة للقذف فإنه يعتبر قاذفًا مشاركاً بالقذف يقام عليه الحد، وإن كان التعليق بالإنكار أو الاستفسار فلا شيء عليه.

ثانياً: أهم التوصيات:

يوصي الباحث بمزيد بحث لهذه المسائل المعاصرة وبيانها للناس. كما يوصي الباحث الجامعات والمؤسسات العلمية بعقد المؤتمرات والندوات التي تبين للناس أحكام مثل هذه الألفاظ أو التصرفات التي يتداولها الأشخاص من خلال وسائل التواصل الاجتماعي.



المصادر والمراجع

- 1- القرآن الكريم.
- 2- ابن أبي شيبة، عبد الله بن محمد، الكتاب المصنف في الأحاديث والآثار، المحقق: كمال يوسف الحوت، ط ١، الناشر: مكتبة الرشد، الرياض، ١٤٠٩هـ.
- 3- ابن حزم، علي بن أحمد، المحلى بالآثار، دار الفكر، بيروت، (ب.ت).
- 4- ابن حزم، علي بن أحمد، مراتب الإجماع، ط. دار الكتب العلمية، بيروت، (ب.ت).
- 5- ابن رشد، محمد أحمد، المقدمات الممهدات لبيان ما اقتضته رسوم المدونة من الأحكام الشرعية والتحصيلات المحكمات لأمّهات مسائلها المشكلات، ط ١، دار الغرب الإسلامي، لبنان، بيروت.
- 6- ابن رشد، محمد بن أحمد، بداية المجتهد ونهاية المقتصد، طبعة دار الحديث - القاهرة، ٢٠٠٤م.
- 7- ابن عابدين، محمد أمين، رد المختار على الدر المختار، ط ٢، الناشر: دار الفكر - بيروت، ١٩٩٢م.
- 8- ابن قدامة، عبد الله بن أحمد، الكافي في فقه الإمام أحمد، دار الكتب العلمية، ط ١، ١٩٩٤م.
- 9- ابن قدامة، عبد الله بن أحمد، المغني، طبعة مكتبة القاهرة، بدون طبعة، (ب.ت).
- 10- ابن منظور، محمد بن مكرم، لسان العرب، ط ٣، دار صادر، بيروت، ١٤١٤هـ.
- 11- الأصبحي، مالك بن أنس، الموطأ، تحقيق: محمد فؤاد، إحياء التراث العربي، بيروت، ١٩٨٥م.
- 12- آل قرون، زيد بن عبد الله، القرائن المادية المعاصرة وأثرها في الإثبات، ط ١، دار كنوز إشبيلية، الرياض، ٢٠١٨م.
- 13- باشا حسان شمسي، وسائل التواصل الاجتماعي، رحلة في الأعماق، ط ١، دمشق، دار القلم، ٢٠٢٠م.
- 14- البخاري، محمد بن إسماعيل، الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه، المحقق: محمد زهير الناصر، ط ١، دار طوق النجاة، سنة ١٤٢٢هـ.

- 15- البيهقي، أحمد بن الحسين، السنن الكبرى، المحقق: محمد عبد القادر عطا، ط٣، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٣م.
- 16- الترمذي، محمد بن عيسى، الجامع الكبير، المحقق: بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٩٩٨م.
- 17- جياذ، رفاة خضير، التسجيلات الصوتية وأثرها في الإثبات الجنائي، مجلة أورك للعلوم الإنسانية، العدد الثامن.
- 18- الحجاوي، موسى بن أحمد، الإقناع في فقه الإمام أحمد بن حنبل، تحقيق: عبد اللطيف محمد السبكي، طبعة دار المعرفة، بيروت، لبنان.
- 19- حسن، شحاته عبد المطلب، حجية الدليل المادي في الإثبات في الفقه الإسلامي والقانون الوضعي، دار الجامعة الجديدة، ٢٠٠٥م.
- 20- حسين، محمود إبراهيم، الوسائل العلمية الحديثة في الإثبات الجنائي، طبعة دار النهضة، ١٩٨١م.
- 21- الخلوتي، محمد بن أحمد، حاشية الخلوتي على منتهى الإرادات، تحقيق: د. سامي الصقير، ود. محمد اللحيان، ط١، دار النوادر، سوريا، ٢٠١١م.
- 22- الدارقطني، علي بن عمر، سنن الدارقطني، حققه: شعيب الأرناؤوط، وآخرون، ط١، مؤسسة الرسالة، بيروت، ٢٠٠٤م.
- 23- الديرشوي، محمد جنيد، القضاء بقرائن الأحوال، رسالة ماجستير، جامعة دمشق، سنة ١٩٩٧م.
- 24- الرملي، محمد بن أحمد، نهاية المحتاج إلى شرح المنهاج، ط٢، طبعة دار الفكر، بيروت، ١٩٨٤م.
- 25- الزُّرقاني، عبد الباقي بن يوسف، شرح الزُّرقاني على مختصر خليل، ضبطه: عبد السلام محمد أمين، ط١، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٢م.
- 26- الزيلعي، عثمان بن علي، تبين الحقائق شرح كنز الدقائق، ط١، المطبعة الكبرى الأميرية، بولاق، القاهرة.



- 27- السجستاني، سليمان بن الأشعث، سنن أبي داود، المحقق: محمد محيي الدين عبد الحميد، الناشر: المكتبة العصرية، صيدا - بيروت.
- 28- السرخسي، محمد بن أحمد، المبسوط، الناشر: مطبعة السعادة، مصر، سنة ١٤٣١هـ.
- 29- السمرقندي، نصر بن محمد، عيون المسائل، تحقيق: د. صلاح الدين الناهي، مطبعة أسعد، بغداد، سنة ١٣٨٦هـ.
- 30- السويدي، جمال سند، وسائل التواصل الاجتماعي ودورها في التحولات المستقبلية، ٢٠١٤م.
- 31- الشربيني، محمد بن أحمد، مغني المحتاج إلى معرفة معاني ألفاظ المنهاج، ط١، دار الكتب العلمية، ١٩٩٤م.
- 32- الشوكاني، محمد بن علي، فتح القدير في الجمع بين الرواية والدراية من علم التفسير، ط١، دار ابن كثير، دار الكلم الطيب، دمشق، بيروت، ١٤١٤هـ.
- 33- الصنعاني، محمد بن إسماعيل، التنوير شرح الجامع الصغير، المحقق: د. محمد إسحاق، ط١، طبعة مكتبة دار السلام، الرياض، ٢٠١١م.
- 34- عبد الحميد، أحمد مختار، معجم اللغة العربية المعاصرة، مساعدة: فريق عمل، ط١، الناشر: عالم الكتب، ٢٠٠٨م.
- 35- العجلان عبد الله بن سليمان، القضاء بالقرائن المعاصرة، رسالة دكتوراه، المعهد العالي للقضاء، الرياض، ١٤١٢هـ.
- 36- عزازية، عدنان، حجية القرائن في الشريعة الإسلامية، ط١، طبعة دار عمار، ١٩٩٠م.
- 37- العظيم آبادي، محمد أشرف، عون المعبود شرح سنن أبي داود، ط٢، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، سنة ١٤١٥هـ.
- 38- القاسم، بهاء الدين، حجية الأدلة الرقمية في النظام القضائي الإسلامي، مجلة أبحاث الشريعة الإسلامية، العدد ٣٧، سنة الإصدار ٢٠٢١م.
- 39- القراني، أحمد بن إدريس، الذخيرة، المحقق: محمد حجي، وسعيد أعراب، ومحمد بو خبزة، ط١، الناشر: دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٩٩٤م.

- 40- القرطبي، محمد بن أحمد، الجامع لأحكام القرآن (تفسير القرطبي)، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، ط٢، الناشر: دار الكتب المصرية، القاهرة، ١٩٦٤م.
- 41- قلعجي، محمد رواس، وقيني، حامد صادق، معجم لغة الفقهاء، ط٢، الناشر: دار النفائس للطباعة والنشر والتوزيع، ١٩٨٨م.
- 42- كاثرين وزنياك، دانيال ر. تومال، وسائل التواصل الاجتماعي في مجال التعلم، طبعة مكتبة العبيكان، الرياض.
- 43- كارفيل، ميشيل، وماكراي، إيان، خرافات التواصل الاجتماعي، ط١، طبعة مكتبة جرير، السعودية، الرياض، سنة ٢٠٢٣م.
- 44- الكاساني، أبو بكر بن مسعود، بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، ط٢، دار الكتب العلمية.
- 45- الكرمي، مرعي بن يوسف، دليل الطالب لنيل المطالب، تحقيق: نظر الفاريابي، ط١، دار طبعة، ٢٠٠٤م.
- 46- اللاحم، عبد الكريم بن محمد، المطلع على دقائق زاد المستقنع (فقه الجنايات والحدود)، ط١، الناشر: دار كنوز إشبيلية للنشر والتوزيع، الرياض، ٢٠١١م.
- 47- المشهداني، سعد سلمان، العبيدي، فراس حمود، مواقع التواصل الاجتماعي وخصائص البيئة الإعلامية الجديدة، ط١، الأردن، دار أمجد، ٢٠٢٠م.
- 48- الموصلي، عبد الله بن محمود، الاختيار لتعليل المختار، تحقيق: محمود أبو دقينة، مطبعة الحلبي، القاهرة، ١٩٣٧م.
- 49- النسائي، أحمد بن شعيب، سنن النسائي (المجتبى)، تحقيق: عبد الفتاح أبو غدة، ط٢، الناشر: مكتب المطبوعات الإسلامية - حلب، ١٩٨٦م.
- 50- النووي، يحيى بن شرف، روضة الطالبين وعمدة المفتين، ط٣، طبعة المكتب الإسلامي، بيروت، دمشق، عمان.
- 51- النيسابوري، مسلم بن الحجاج، المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، طبعة دار إحياء التراث العربي، بيروت.



52- واصل، محمد أحمد، أحكام التصوير في الشريعة الإسلامية، رسالة ماجستير، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، كلية الشريعة، قسم الفقه، ١٤١٧هـ.

المواقع الإلكترونية:

- موقع هيئة الخبراء بمجلس الوزراء، نظام الإثبات. المملكة العربية السعودية، رابط الموقع:
<https://laws.boe.gov.sa/BoeLaws/Laws/LawDetails/2716057c-c097-4bad-8e1e-ae1400c678d5/1>
- موقع هيئة الخبراء بمجلس الوزراء، نظام الإجراءات الجزائية. المملكة العربية السعودية. رابط الموقع: <https://laws.boe.gov.sa/Boelaws/Laws/LawDetails/25df73d6-0f49-4dc5-b010-a9a700f2ec1d/1>
- موقع هيئة الخبراء بمجلس الوزراء، نظام مكافحة جرائم المعلوماتية. المملكة العربية السعودية. رابط الموقع: <https://laws.boe.gov.sa/Boelaws/Laws/LawDetails/25df73d6-0f49-4dc5-b010-a9a700f2ec1d/1>
- موقع هيئة الخبراء بمجلس الوزراء، اللائحة التنفيذية لنظام الإجراءات الجزائية. المملكة العربية السعودية. رابط الموقع: <https://laws.boe.gov.sa/Boelaws/Laws/LawDetails/25df73d6-0f49-4dc5-b010-a9a700f2ec1d/1>

Sources and References:

- 1 - The Holy Quran.
- 2 - Ibn Abi Shaybah, Abdullah bin Muhammad, The Compiled Book of Hadiths and Athar, (Inv) : Kamal Yousef Al-Hout, 1st ed., Publisher: Maktabat Al-Rushd, Riyadh, 1409 AH.
- 3 - Ibn Hazm, Ali bin Ahmad, Al-Muhalla bi Al-Athar, Dar Al-Fikr, Beirut, (n.d).
- 4 - Ibn Hazm, Ali bin Ahmad, Levels of Consensus, ed. Dar Al-Kotob Al-Ilmiyyah, Beirut, (n.d).
- 5 - Ibn Rushd, Muhammad Ahmad, The Preliminaries, 1st ed., Dar Al-Gharb Al-Islami, Lebanon, Beirut.
- 6 - Ibn Rushd, Muhammad bin Ahmad, The Beginning of the Mujtahid and the End of the Muqtasid, Dar Al-Hadith edition - Cairo, 2004 AD.
- 7 - Ibn Abidin, Muhammad Amin, Rad Al-Muhtar ala Al-Durr Al-Mukhtar, 2nd ed., Publisher: Dar Al-Fikr - Beirut, 1992 AD.
- 8 - Ibn Qudamah, Abdullah bin Ahmad, Al-Kafi in the Jurisprudence of Imam Ahmad, Dar Al-Kotob Al-Ilmiyyah, 1st ed., 1994 AD.
- 9 - Ibn Qudamah, Abdullah bin Ahmed, Al-Mughni, Cairo Library Edition, no edition, (n.d).
- 10 - Ibn Manzur, Muhammad bin Makram, Lisan al-Arab, 3rd ed., Dar Sadir, Beirut, 1414 AH.
- 11 - Al-Asbahi, Malik bin Anas, Al-Muwatta, (Inv) : Muhammad Fuad Abdul-Baqi, Dar Ihya' al-Turath al-Arabi, Beirut 1985 AD.
- 12 - Al-Qurun,: Zaid bin Abdullah, Contemporary Material Evidence and Its Impact on Proof, 1st ed., Dar Kunuz Ishbiliya, Riyadh, 2018 AD.
- 13 - Pasha Hassan Shamsi, Social Media, A Journey into the Depths, 1st ed., Damascus, Dar Al-Qalam, 2020 AD.
- 14 - Al-Bukhari, Muhammad bin Ismail, Sahih al-Bukhari, (Inv): Muhammad Zuhair al-Nasir, 1st ed., Dar Tawq al-Najah, 1422 AH.
- 15 - Al-Bayhaqi, Ahmad bin al-Husayn, Al-Sunan al-Kubra, (Inv): Muhammad Abdul-Qadir Atta, 3rd ed., Dar al-Kutub al-Ilmiyyah, Beirut, 2003 AD.



- 16 - Al-Tirmidhi, Muhammad bin Isa, Sunan al-Tirmidhi, (Inv): Bashar Awad Marouf, Dar al-Gharb al-Islami, Beirut, 1998 AD.
- 17 - Jiyad, Rafah Khadir, Audio recordings and their impact on criminal evidence, Uruk Journal of Humanities, Issue.
- 18 - Al-Hajjawi, Musa bin Ahmed, Persuasion in the Jurisprudence of Imam Ahmad bin Hanbal, edited by: Abdul Latif Muhammad Al-Subki, Dar Al-Ma'rifa Edition, Beirut, Lebanon.
- 19 - Hassan, Shahata Abdul Mttalib, The Validity of Material Evidence in Proof in Islamic Jurisprudence and Positive Law, Dar Al-Jami'a Al-Jadida, 2005. AD.
- 20 - Hussein, Mahmoud Ibrahim, Modern Scientific Methods in Criminal Evidence, Dar Al-Nahda Edition, 1981.
- 21 - Al-Khalwati, Muhammad bin Ahmed, Al-Khalwati's Commentary on Muntaha Al-Iradah, (Inv): Dr. Sami Al-Saqir, and Dr. Muhammad Al-Luhaidan, 1st ed., Dar Al-Nawader, Syria, 2011 AD.
- 22 - Al-Daraqutni, Ali bin Omar, Sunan Al-Daraqutni, edited by: Shu'ayb Al-Arna'ut, and others, 1st ed., Al-Risala Foundation, Beirut, 2004 AD.
- 23 - Al-Dirshwi, Muhammad Junaid, Judiciary by Circumstantial Evidence, Master's Thesis, Damascus University, 1997 AD.
- 24 - Al-Ramli, Muhammad ibn Ahmad, Nihayat al-Muhtaj ila Sharh al-Minhaj, 2nd ed., Dar al-Fikr Edition, Beirut, 1984 AD.
- 25 - Al-Zurqani, Abd al-Baqi ibn Yusuf, Al-Zurqani's Explanation of Mukhtasar Khalil, (Inv): Abd al-Salam Muhammad Amin, 1st ed., Publisher: Dar al-Kutub al-Ilmiyyah, Beirut, 2002 AD.
- 26 - Al-Zayla'i, Uthman ibn Ali, Tabyeen al-Haqa'iq Sharh Kanz al-Daqa'iq, 1st ed., Al-Matba'at al-Kubra al-Amiriya, Bulaq, Cairo.
- 27 - Al-Sijistani, Sulayman ibn al-Ash'ath, Sunan Abi Dawud, (Inv): Muhammad Muhyi al-Din Abd al-Hamid, Publisher: Al-Maktaba al-Asriya, Sidon – Beirut.
- 28 - Al-Sarakhsi, Muhammad ibn Ahmad, Al-Mabsut, Publisher: Al-Sa'ada Press, Egypt, 1431 AH.
- 29 - Al-Samarqandi, Nasr ibn Muhammad, Uyun al-Masa'il, (Inv): Dr. Salah Al-Din Al-Nahi, Asaad Press, Baghdad, 1386 AH.

- 30 - Al-Suwaidi, Jamal Sand, Social Media and its Role in Future Transformations, 2014 AD.
- 31 - Al-Sharbini, Muhammad bin Ahmad, The Singer of the Needy to Know the Meanings of the Words of the Curriculum, 1st ed., Dar Al-Kotob Al-Ilmiyyah, 1994 AD.
- 32 - Al-Shawkani, Muhammad bin Ali, Fath Al-Qadeer in Combining Narration and Knowledge from the Science of Interpretation, 1st ed., Dar Ibn Kathir, Dar Al-Kalim Al-Tayeb, Damascus, Beirut, 1414 AH.
- 33 - Al-San'ani, Muhammad bin Ismail, Enlightenment Explanation of Al-Jami' Al-Sagheer, (Inv): Dr. Muhammad Ishaq, 1st ed., Dar Al-Salam Library Edition, Riyadh, 2011 AD.
- 34 - Abdul Hamid, Ahmad Mukhtar, Dictionary of Contemporary Arabic Language, Assistance: Work Team, 1st ed., Publisher: Alam Al-Kotob, 2008 AD.
- 35 - Al-Ajlan Abdullah bin Suleiman, Judiciary by Contemporary Evidence, PhD Thesis, Higher Institute of Judiciary, Riyadh, 1412 AH.
- 36 - Azaiza, Adnan, The Authority of Evidence in Islamic Law, 1st ed., Dar Ammar Edition, 1990 AD.
- 37 - Azimabadi, Muhammad Ashraf, Awn al-Ma'bud Sharh Sunan Abi Dawood, 2nd ed., Publisher: Dar al-Kutub al-Ilmiyyah, Beirut, 1415 AH.
- 38 - Al-Qasim, Baha' al-Din, The Validity of Digital Evidence in the Islamic Judicial System, Journal of Islamic Sharia Research.
- 39 - Al-Qarafi, Ahmad ibn Idris, Al-Dhakhira, (Inv): Muhammad Hajji, Saeed A'rab, and Muhammad Bu Khabza, 1st ed., Publisher: Dar al-Gharb al-Islami, Beirut, 1994 AD.
- 40 - Al-Qurtubi, Muhammad ibn Ahmad, Al-Jami' li Ahkam al-Qur'an (Tafsir al-Qurtubi), (Inv): Ahmad, 2nd ed., Publisher: Dar al-Kutub al-Masryah, Cairo, 1964 AD.
- 41 - Qalaji, Muhammad Rawas, and Qunaibi, Hamid Sadiq, Dictionary of the Language of Jurists, 2nd ed., Publisher: Dar al-Nafayes for Printing, Publishing and Distribution, 1988 AD.
- 42 - Katherine Wozniak, Daniel R. Tomal, Social Media in the Field of Learning, Al-Obeikan Library Edition, Riyadh.
- 43 - Carville, Michelle, and MacRae, Ian, Social Media Myths, 1st ed., Jarir Bookstore Edition, Saudi Arabia, Riyadh, 2023 AD.



- 44 - Al-Kasani, Abu Bakr bin Masoud, Bada'i' Al-Sana'i' in Arranging the Laws, 2nd ed., Dar Al-Kotob Al-Ilmiyyah.
- 45 - Al-Karmi, Mar'i bin Yousef, The Student's Guide to Attaining Demands, (Inv): Nazar Al-Faryabi, 1st ed., Dar Taiba, 2004 AD.
- 46 - Al-Lahem, Abdul Karim bin Muhammad, Al-Mutala'a Daqa'iq Zad Al-Mustaqni' "Fiqh Al-Janayat and Hudud", 1st ed., publisher: Dar Kunuz Ishbilila for Publishing and Distribution, Riyadh, 2011 AD.
- 47 - Al-Mawsili, Abdullah bin Mahmoud, Al-Ikhtiyar li Ta'lil Al-Mukhtar, (Inv): Mahmoud Abu Daqqa, Al-Halabi Press, Cairo, 1937 AD.
- 48 - Al-Mashhadani, Saad Salman, Al-Abidi, Firas Hamoud, Social Media Sites and Characteristics of the New Media Environment, 1st ed., Jordan, Dar Amjad, 2020 AD..
- 49 - Al-Nisa'i, Ahmad ibn Shu'ayb, Al-Sunan Al-Sughra, (Inv): Abdul Fattah Abu Ghud-dah, 2nd ed., publisher: Office of Islamic Publications - Aleppo, 1986 AD.
- 50 - Al-Nawawi, Yahya ibn Sharaf, Rawdat Al-Talibin wa Umdat Al-Muftiin, 3rd ed., Islamic Office Edition, Beirut, Damascus, Amman.
- 51 - Al-Naysaburi, Muslim ibn Al-Hajjaj, Sahih Muslim, Dar Ihya Al-Turath Al-Arabi Edition, Beirut.
- 52 - Wasil, Muhammad Ahmad, Rulings on Photography in Islamic Law, Master's Thesis, Imam Muhammad ibn Saud Islamic University, College of Sharia, Department of Jurisprudence, 1417 AH.

- Websites:

- Website of the Council of Ministers' Experts Authority, Evidence Law. Kingdom of Saudi Arabia.
- Website of the Council of Ministers' Experts Authority, Criminal Procedure Law. Kingdom of Saudi Arabia.
- Website of the Council of Ministers' Experts Authority, Information Crimes Law. Kingdom of Saudi Arabia.

Website of the Council of Ministers' Experts Authority, Executive Regulations of the Criminal Procedure Law. Kingdom of Saudi Arabia.

النسخ غير القانوني للكتب العلمية بين طلاب الجامعات السعودية دراسة تحليلية

أ.د/ عبد الواحد بن حمد المزروع

أستاذ الأنظمة، بكلية الشريعة والقانون، جامعة الإمام عبد الرحمن بن فيصل



<https://doi.org/10.65728/1625-000-022-004>



المستخلص

موضوع البحث: النسخ غير القانوني للكتب العلمية بين طلاب الجامعات السعودية: دراسة تحليلية.

أهداف البحث:

١. تحليل أسباب النسخ غير القانوني من خلال استكشاف الأسباب الجذرية وراء انتشار النسخ غير القانوني للكتب العلمية بين طلاب الجامعات السعودية، وذلك عن طريق دراسة العوامل المؤثرة مثل الأسعار، والوعي القانوني، وضغوط الدراسة.
٢. تقديم توصيات استراتيجية، عبر تقديم مجموعة من التوصيات المستندة إلى النتائج المستخلصة، والتي من شأنها تعزيز حماية حقوق النشر، وتوفير بدائل قانونية مناسبة للطلاب، وبالتالي دعم الأمانة الأكاديمية وجودة التعليم في الجامعات.

منهج البحث:

يعتمد هذا البحث على كل من المنهج الاستقرائي والمنهج الاستكشافي، حيث يعتمد على الدراسة النظرية الموسعة لموضوع الدراسة بالإضافة إلى الدراسة المسحية الاستطلاعية للتطبيق على مجتمع الدراسة، ويتضمن البحث مرحلتين رئيسيتين: الأولى تركز على بناء الإطار النظري من خلال تحليل القوانين المحلية والدولية ومراجعة الأدبيات السابقة لتحديد الفجوات البحثية.

وتتضمن المرحلة الثانية دراسة استطلاعية عبر استبانة إلكترونية شارك فيه ٤٣٦ من طلاب وطالبات الجامعات السعودية لتحديد الأسباب وراء النسخ غير القانوني.

أهم النتائج:

توصلت الدراسة إلى تسعة نتائج رئيسية اشتملت على انتشار ظاهرة النسخ غير القانوني للكتب الجامعية بين طلاب الجامعات السعودية، وانخفاض الوعي بالجوانب القانونية مع وجود فروق ذات دلالة إحصائية بين الذكور والإناث، بالإضافة إلى استنتاج أهم الدوافع للنسخ غير القانوني.

أهم التوصيات:

اقترحت الدراسة مجموعة توصيات مقابل النتائج التي توصلت إليها، حيث ركزت التوصيات على تقديم حلول عملية لعلاج الظاهرة من خلال آليات لنشر الوعي بين طلاب الجامعات السعودية من خلال كافة أطراف العملية التعليمية.

الكلمات المفتاحية: حقوق الملكية الفكرية، النسخ غير القانوني، رؤية المملكة ٢٠٣٠، المملكة العربية السعودية.



Abstract:

Research topic: Illegal Copying of Academic Books Among Saudi University Students: An Analytical Study.

Research objectives: First Objective: "Analyzing the Causes of Illegal Copying", this research aims to explore the root causes behind the prevalence of illegal copying of academic books among Saudi university students by examining influential factors such as pricing, legal awareness, and academic pressures. Second Objective: "Providing Strategic Recommendations", the research aims to offer a set of recommendations based on the findings to enhance copyright protection, provide suitable legal alternatives for students, and thereby support academic integrity and the quality of education in universities.

Methodology: This research adopts both inductive and exploratory approaches, relying on an extensive theoretical study of the research topic, as well as a survey-based exploration study applied to the target population. The research includes two main phases: the first focuses on building the theoretical framework by analyzing local and international laws and reviewing previous literature to identify research gaps. The second phase involves an exploratory study conducted through an electronic questionnaire, in which 436 Saudi university students participated, to determine the reasons behind illegal copying.

Results: The study reached nine main findings, including the widespread phenomenon of illegal copying of university books among Saudi university students, a low level of awareness regarding legal aspects, and statistically significant differences between males and females. Additionally, the study identified the key motivations for illegal copying.

Recommendations: The study proposed a set of recommendations based on the findings, focusing on providing practical solutions to address the phenomenon through mechanisms to raise awareness among Saudi university students, and involving all stakeholders in the educational process.

Keywords: Intellectual Property Rights, Illegal Copying, Saudi Vision 2030, Kingdom of Saudi Arabia.

مقدمة

في ظل التقدم السريع في مجال التعليم والتكنولوجيا، أصبحت قضايا حقوق النشر وحمايتها من التحديات المحورية التي تواجه الأنظمة القانونية حول العالم (Adomako 2024)، وفي المملكة العربية السعودية، يشكل النسخ غير القانوني للكتب العلمية بين طلاب الجامعات إحدى القضايا التي تستدعي اهتمامًا خاصًا؛ إذ إن هذه الظاهرة تعكس تعقيدات تتعلق بحقوق النشر والملكية الفكرية، ولها تأثيرات عميقة على جودة التعليم والأمانة الأكاديمية (Alsaleh 2024).

ويُقصد بالنسخ غير القانوني للكتب العلمية: استخدام الطلاب للمواد الأكاديمية دون الحصول على إذن من المؤلفين أو الناشرين، مما يشكل انتهاكًا لحقوق النشر (Vi- glioni 2024). هذه الممارسة لا تؤثر فقط على المؤلفين من الناحية الاقتصادية، بل تمتد تأثيراتها إلى النظام الأكاديمي ككل، مما يؤدي إلى تقليل الحوافز للإبداع وتطوير محتوى أكاديمي جديد (Chen 2024)، كما تساهم هذه الظاهرة في تقويض الأمانة الأكاديمية وتعزيز ثقافة غير قانونية أو أخلاقية بين الطلاب، ومعالجة مشكلة النسخ غير القانوني للكتب العلمية تتماشى بشكل مباشر مع أهداف رؤية المملكة ٢٠٣٠، حيث تسعى إلى بناء بيئة تعليمية توفر موارد تعليمية قانونية وموثوقة وتعزز من القيم الأكاديمية الصحيحة، من خلال تحسين جودة التعليم وتعزيز الابتكار، بما في ذلك حماية حقوق النشر وتحقيق التوازن بين الحقوق القانونية والحاجة إلى الوصول إلى المعرفة (الزهراني ٢٠٢٤).

تمثل حقوق النشر جزءًا أساسيًا من الملكية الفكرية التي تعنى بحماية الأعمال الإبداعية وضمان حقوق المؤلفين والناشرين (Gyedu 2024). وفي المملكة العربية السعودية، تشكلت الأطر القانونية لحماية حقوق النشر من خلال نظام تشريعي يتضمن قوانين متعددة (السواط ٢٠٢١). ومن أبرز هذه القوانين، نظام حماية حقوق المؤلف الصادر بموجب المرسوم الملكي رقم (م/٤١) بتاريخ ٢ رجب ١٤٢٤هـ، والذي يهدف



إلى تنظيم حقوق المؤلفين وحمايتهم من أي استخدام غير قانوني، ويحدد هذا النظام حقوق المؤلفين ويشمل بنودًا تتعلق بمدة الحماية، حقوق الاستنساخ، والتوزيع، والعرض العلني للأعمال المحمية (وزارة التعليم ٢٠٢١). كما يشمل النظام العقوبات المقررة للانتهاكات، والتي قد تتراوح بين الغرامات المالية والسجن، إلا أن فعالية هذه القوانين في مواجهة النسخ غير القانوني للكتب العلمية بين الطلاب تتطلب تحليلًا دقيقًا لمدى تطبيق هذه النصوص القانونية ومدى تأثيرها في تحقيق الأهداف المرجوة (الزهراني ٢٠٢٤). وقد توجهت المملكة العربية السعودية لتوسيع نطاق حماية حقوق الملكية الفكرية من خلال طرح مشروع نظام حماية الملكية الفكرية والذي طرح للاستطلاع على المنصة الوطنية منصة تفاعل من تاريخ ٢٠٢٣/٤/٥ وحتى ٢٠٢٣/٥/٤ م. (١)

ومن المسلم به أن النسخ غير القانوني للكتب العلمية بين الطلاب يؤدي إلى تأثيرات سلبية متعددة على النظام الأكاديمي (Alghamdi 2023)، منها:

- 1- أنه يساهم في تقليل جودة المواد التعليمية المتاحة للطلاب، حيث يؤدي استخدام النسخ غير القانونية إلى انتشار مواد غير محدثة أو غير دقيقة، مما يؤثر على مستوى المعرفة والمهارات المكتسبة (Feldman 2024).
- 2- أنه يضعف حوافز المؤلفين والناشرين لتطوير محتوى جديد، حيث يعتبرون النسخ غير القانوني تهديدًا مباشرًا لاستثماراتهم في البحث والإنتاج الأكاديمي (Izyumenko 2024).

- 3- أنه يعزز ثقافة غير قانونية بين الطلاب؛ حيث قد يعتادون على استخدام المواد الأكاديمية دون احترام حقوق النشر، مما يساهم في نشر عادات غير قانونية تؤثر على الأمانة الأكاديمية وسلوكيات الطلاب بشكل عام (وزارة الثقافة والإعلام ٢٠٢١).

(١) يهدف مشروع نظام الملكية الفكرية إلى تحسين البيئة التشريعية للملكية الفكرية وتحديد المبادئ العامة وتنظيم أنشطتها وتعزيز الأسس النظامية لها كما يهدف النظام إلى تحقيق التناغم والانسجام بين الأنظمة التخصصية، وتعزيز الوضوح والشفافية في الإجراءات المتصلة بالملكية الفكرية.

وتواجه الأنظمة القانونية العديد من التحديات في تطبيق قوانين حقوق النشر بشكل فعال (وزارة العدل ٢٠١٩). من بين هذه التحديات، الوعي الثقافي والقانوني والمستوى الأخلاقي بين الطلاب، بالإضافة إلى أن تطبيق القوانين يتطلب جهودًا تنسيقية بين الجهات القانونية والجامعات والمؤسسات التعليمية لضمان تنفيذ فعال (Nguyen 2024). وقد تكون هناك أيضًا صعوبة في رصد ومراقبة الانتهاكات، خاصة في ظل الانتشار الواسع للتكنولوجيا الرقمية وتوفر الموارد الأكاديمية على الإنترنت (الغايش ٢٠٢٤)، (فلانة ٢٠٢٠)؛ لذا، يتطلب الأمر تطوير استراتيجيات متكاملة تشمل تحسين الأنظمة القانونية، وتعزيز الوعي القانوني بين الطلاب، وتطوير آليات رقابة ومتابعة فعالة (Luo 2024).

تتمثل أهمية هذا البحث في المحاور التالية:

- 1- تعزيز أخلاقيات الأمانة الأكاديمية: يساعد البحث في فهم الأسباب التي تدفع الطلاب إلى النسخ غير القانوني للكتب العلمية، مما يساعد الجامعات والمؤسسات التعليمية على وضع سياسات أكثر فاعلية لتعزيز أخلاقيات الأمانة الأكاديمية.
- 2- الارتقاء بجودة التعليم: يسلط البحث الضوء على أحد أهم روافد جودة التعليم من خلال تدقيق مصادر المعلومات والتشجيع على الأصالة والابتكار.
- 3- نشر الوعي القانوني: يدعم البحث أنشطة رفع مستوى الوعي القانوني بين الطلاب وأعضاء هيئة التدريس حول حقوق النشر والملكية الفكرية، مما يساعد على تقليل انتشار النسخ غير القانوني ويعزز ثقافة احترام الملكية الفكرية في الأوساط الأكاديمية.
- 4- تحقيق أهداف رؤية المملكة ٢٠٣٠ في التعليم والابتكار: يساهم البحث في دعم جهود المملكة لتحقيق أهداف رؤية ٢٠٣٠، من خلال تطوير سياسات وتشريعات تُعزز بيئة تعليمية مستدامة تُشجع على الابتكار وتوفير الموارد التعليمية القانونية للطلاب، مما يعزز دور التعليم في بناء اقتصاد قائم على المعرفة.



ويستهدف البحث هدفين رئيسيين، هما :

- ١ - تحليل أسباب النسخ غير القانوني: يهدف البحث إلى استكشاف الأسباب الجذرية وراء انتشار النسخ غير القانوني للكتب العلمية بين طلاب الجامعات السعودية من خلال دراسة العوامل المؤثرة مثل الأسعار، والوعي القانوني، وضغوط الدراسة.
- ٢ - تقديم توصيات استراتيجية: يهدف البحث إلى تقديم مجموعة من التوصيات المستندة إلى النتائج المستخلصة، والتي من شأنها تعزيز حماية حقوق النشر، وتوفير بدائل قانونية مناسبة للطلاب، وبالتالي دعم الأمانة الأكاديمية وجودة التعليم في الجامعات.

كما يناقش البحث الإجابة عن التساؤلات التالية:

- 1- ما العوامل الرئيسية التي تؤدي إلى انتشار النسخ غير القانوني للكتب العلمية بين طلاب الجامعات السعودية؟
- 2- كيف تؤثر الفروق النوعية بين الذكور والإناث على ممارسات النسخ غير القانوني للكتب الجامعية؟

أولاً: الإطار النظري:

يتضمن الإطار النظري خمسة محاور رئيسية تتضمن: الملكية الفكرية في اللغة العربية، والملكية الفكرية اصطلاحاً، والمفهوم القانوني للملكية الفكرية، والحقوق القانونية للمؤلف، وصور التعدي القانوني على حقوق المؤلف، وذلك من خلال ما يلي:

١. الملكية الفكرية في اللغة العربية:

يتكون هذا المصطلح من كلمات عدة، هي (حقوق وملكية وأدبية وفنية)، ونعرض لتعريف كل منها مفردة في اللغة: فأما كلمة حقوق فهي جمع حق، والحق كما عرفه علماء اللغة العربية يطلق على: نقيض الباطل، وجمعه: حقوق، وحقاق، وحق الأمر: ثبت،

وقيل معناه: وجب، ومنه: ﴿وَلَكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ الْعَذَابِ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ [الزمر: ٧١]، أي: وجبت وثبتت، وحق الأمر وأحقه: كان منه على يقين. والحق: واحد الحقوق، وفي الحديث: «إن الله أعطى كل ذي حق حقه، فلا وصية لوارث»^(١)، أي: نصيبه الذي فرض له، والحق: اليقين بعد الشك، وأحق الرجل: قال شيئاً أو ادّعى شيئاً فوجب له.^(٢) ومن إطلاقات الحق: العدل والإسلام والمال والملك والموجود الثابت والصدق والموت والحزم.^(٣) والملكية: اسم من الملك، والملك: ما ملكت اليد من مال وخول، والمَلِك والمَلِكَة والمُلْك: احتواء الشيء والقدرة على الاستبداد به، ملكه يملكه مَلِكًا ومَلِكًا ومُلْكًا. ^(٤) وعُرف الملك (بالكسر) بأنه: اتصال شرعي بين الإنسان وبين شيء يكون مطلقاً لتصرفه وحاجزاً عن تصرف غيره فيه، والملْك (بالضم): التصرف بالأمر والنهي في الأمور. ^(٥) وأما الأدب: فهو الذي يتأدب به الأديب من الناس، سمي أدباً؛ لأنه يأدب الناس إلى المحامد وينهاهم عن المقابح، وأصل الأدب: الدعاء، ومنه: مأدبة وأدب الرجل يأدب

(١) رواه الإمام أحمد برقم ١٧٦٦٣ عن عمرو بن خارجة، قال محققوه: صحيح لغيره، المسند بإشراف التركي ٢٩/٢١٠، وبرقم ١٧٦٦٥ المسند ٢٩/٢١٤ وبرقم ١٨٠٨٢ وبرقم ١٨٠٨٣ المسند ٢٩/٦٢٣، وبرقم ٢٢٢٩٤ عن أبي أمامة الباهلي، وقال محققوه: إسناده حسن، المسند بتحقيق التركي ٣٦/٦٢٨، وأخرجه الترمذي برقم ٢٢٠٣ في باب ما جاء لا وصية لوارث الباب رقم ٤ وقال: حديث حسن، تحفة الأحوذى ٦/٣٠٩، والدارمي في الوصايا باب الوصية للوارث ٢/٤١٩، وأبو داود في كتاب الوصايا باب ما جاء في الوصية للوارث سنن أبي داود ٢/١٠٣، وفي كتاب البيوع في تضمين العارية سنن أبي داود ٢/٢٦٦، وابن ماجه برقم ٢٧٦٣ وبرقم ٢٧٦٤ في كتاب الوصايا باب لا وصية لوارث، وقال الألباني: صحيح، ينظر: صحيح سنن ابن ماجه ٢/٣٦٧، والبيهقي في كتاب الفرائض باب من جعل ما فضل عن أهل الفرائض، السنن الكبرى ٦/٢٤٤، وفي كتاب الوصايا باب نسخ الوصية للوالدين والأقربين الوارثين، السنن الكبرى ٦/٢٦٤، والدارقطني في كتاب الفرائض برقم ٨/٧٠/٤

(٢) ابن منظور، لسان العرب، مادة «حق»، ج ١، ص ٦٨٠.
(٣) الفيروز آبادي، القاموس المحيط، مادة «حق»، ج ٣، ص ٢٨٨؛ أحمد بن فارس، معجم مقاييس اللغة، مادة «حق»، ج ٢، ص ١٥.

(٤) لسان العرب مادة ملك ٣/٥٢٨، وينظر: القاموس المحيط مادة ملكه ٣/٣٣٠، ومعجم مقاييس اللغة مادة ملك ٥/٣٥١.

(٥) التعاريف "الملك"، ص: ٦٧٥.



أدبًا فهو أديب، والأدب: أدب النفس والدرس، والأدب الظرف وحسن التناول.^(١) وفي الحديث الشريف أن رسول الله ﷺ قال: «ما نحل والد ولدًا من نحل أفضل من أدب حسن». ^(٢) وعُرف الأدب بأنه: عبارة عن معرفة ما يحترز به عن جميع أنواع الخطأ^(٣)، واستعملت لفظة الأدبية، مقابل الشيء المادي المحسوس، حيث يقال: ملكية مادية^(٤) وملكوية أدبية، أي: غير مادية، كما قالوا: ضرر مادي، أي: محسوس وملسوس، وضرر أدبي، أي: معنوي.^(٥) والفن: واحد الفنون، وهي الأنواع، والفن: الحال، والفن: الضرب من الشيء^(٦)، والرجل يُفَنِّنُ الكلام، أي: يشتق في فنٍّ بعد فنٍّ.^(٧)

٢. الملكية الفكرية اصطلاحًا:

لم يرد مصطلح حق الملكية الأدبية والفنية عند الفقهاء، غير أن بعض الباحثين المعاصرين^(٨) أشار إلى حق الإنسان الأدبي في ما ألفه أو كتبه وتحريم نقله وانتحاله، وتحدث البعض من المتأخرين^(٩) عن هذه الحقوق مرجحًا تسميتها بحق الابتكار، وأطلق

(١) لسان العرب مادة أدب ٣٣/١، وينظر: القاموس المحيط مادة أدب ٣٧/١، والمغرب مادة الأدب ص: ٢٢
(٢) رواه الترمذي برقم ٢٠١٨ في كتاب البر والصلة باب ما جاء في أدب الولد الباب رقم ٣٣ وقال: حديث غريب ... مرسل، تحفة الأحوذى ٨٤/٦، والحاكم في مستدركه برقم ٧٧٥٣ كتاب الأدب وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه، المستدرک ٣٧٣/٥، والإمام أحمد في مسند المكين حديث جد إسماعيل بن أمية برقم ١٥٤٠٣ / ١/ وبرقم ٢/١٥٤٠٣، وقال محققوه: إسناده ضعيف، مسند الإمام أحمد بإشراف التركي ١٢٨/٢٤، كما أورده في المسند برقم ١٦٧١٠ وبرقم ١٦٧١٧، ينظر: المسند ٢٧/٢٦٥، وهو برقم ٧٢٥٥ في كشف الخفاء ٤٢٢/٢.

(٣) الجرجاني، التعريفات، مادة «الأدب»، ص ٣٢.

(٤) المادة: الزيادة المتصلة، ومادة الشيء: ما يمدده، لسان العرب مادة مدد ٥٢/٣.

(٥) ينظر: تعريف الضرر المادي والضرر المعنوي، ص ٢٠٨ من هذا البحث.

(٦) ابن منظور، لسان العرب، مادة «فنن»، ج ٢، ص ١١٣٧؛ الفيروز آبادي، القاموس المحيط، مادة «فن»، ج ٤، ص ٢٥٨.

(٧) الخليل بن أحمد الفراهيدي، كتاب العين، تحقيق مهدي المخزومي وإبراهيم السامرائي، مادة «فنن»، ج ٨، ص ٣٧٢.

(٨) أبو زيد، بكر، فقه النوازل، ج ٢، ص ١٦٥؛ البوطي، محمد سعيد، قضايا فقهية معاصرة، ج ١، ص ٨٩، ج ٢، ص ٤٧.

(٩) الزرقا، المدخل إلى نظرية الالتزام، فقرة ٩/٢، ص ٣١؛ أبو زيد، بكر، فقه النوازل، ج ٢، ص ١٥١؛ البوطي،

عليها بعضهم^(١) حق الملكية الأدبية والفنية، كما أطلق عليها الحقوق الأدبية^(٢)، ومن التعريفات التي ذكروها، أنها الصور الفكرية التي تفتقت عنها الملكة الراسخة في نفس العالم أو الأديب أو نحوه، مما يكون قد أبدعه هو ولم يسبقه إليه أحد^(٣)، كما ورد لها تعريف آخر وهو الحقوق المعنوية، ومفاده أنها: سلطة لشخص على شيء غير مادي سواء كان نتاجاً ذهنياً أو براءة اختراع أو ثمرة لنشاط تجاري يقوم به التاجر^(٤)، وفي تعريف آخر أنها التي ترد وتنصب على أشياء معنوية لا تدرك بحاسة من الحواس، وإنما تدرك بالعقل والفكر، كالأفكار والاختراعات، ولذا كان الحق المعنوي سلطة على شيء غير مادي هو ثمرة فكر صاحب الحق أو خياله أو نشاطه، كحق المؤلف في ما ابتدعه من أفكار علمية، وحق المخترع في مخترعاته الصناعية وهكذا^(٥)، وقد اعتبر بعض الفقهاء المعاصرين^(٦) حق الملكية الأدبية والفنية مصطلحاً يشمل: الاسم التجاري، والترخيص، وحق التأليف، وغيرها.

ويظهر بجلاء في النصوص الشرعية الصريحة تحريم الكذب والتدليس، كما تحرم السرقة والانتحال وهو ما تواترت فيه الأدلة وقررت قواعد الإسلام الكلية وأصوله التشريعية، وهو ما قام العلماء بكشفه وتبيينه، وألف فيه بعضهم^(٧)، وجاء في بعضها تقرير الجزاءات

محمد سعيد، قضايا فقهية معاصرة، ج ١، ص ٨٨، ج ٢، ص ٤٦.

(١) أبو زيد، بكر، فقه النوازل، ج ٢، ص ١٥٠؛ الفقي، محمد علي عثمان، فقه المعاملات: دراسة مقارنة،

ص ١٠٥؛ شبير، محمد عثمان، المعاملات المالية المعاصرة في الفقه الإسلامي، ص ٥١؛ المرزوقي، صالح بن

زابن، شركة المساهمة في النظام السعودي: دراسة مقارنة بالفقه الإسلامي، فقرة ٧٩، ص ١١٤.

(٢) البوطي، محمد توفيق رمضان، البيوع الشائعة وأثر ضوابط المبيع على شرعيتها، ص 208.

(10) الدريني، فتحي، حق الابتكار في الفقه الإسلامي المقارن، ص 9.

(٣) شبير، محمد عثمان، المعاملات المالية المعاصرة، ص ٥٠.

(٤) الدريني، فتحي، حق الابتكار في الفقه الإسلامي المقارن، ص ٩؛ شبير، محمد عثمان، المعاملات المالية

المعاصرة، ص ٥٠؛ البوطي، محمد سعيد، قضايا فقهية معاصرة، ج ١، ص ٨٦، ج ٢، ص ٤٥؛ الخفيف، علي،

الملكية في الشريعة الإسلامية مع مقارنتها بالقوانين العربية، ص ٢٠؛ قلعه جي، محمد رواس، المعاملات المالية

المعاصرة، ص ١٣١.

(٥) الزحيلي، وهبة، «عقود جديدة»، مجلة الشريعة والقانون، ص ٢٢.

(٦) معجم الأدباء لياقوت الحموي حيث ذكر أن بشر بن يحيى بن علي النصيبي له من الكتب - كما ذكر محمد

بن إسحاق - سرقات البحري من أي تمام ... وكتاب السرقات الكبير وقال: لم يتم، معجم الأدباء ٧/٧٥.



على الانتحال والسرقة من ذلك تعزيز الفاعل بالتشهير والنقض عليه بالمثل، إذ يعد عمله من الجرائم التعزيرية التي ليس فيها حد. (١)

ويشكل احترام حقوق الآخرين، وخاصة في الشريعة الإسلامية، أساساً قوياً لمعالجة قضية النسخ غير القانوني للكتب العلمية في الجامعات السعودية. فعلى الرغم من أن الظاهرة تتبع غالباً من احتياجات عملية وضغوط دراسية، فإن تناولها من زاوية أخلاقية يُبرز أهمية مراعاة حقوق الملكية الفكرية كجزء من احترام حقوق الآخرين الذي يدعو إليه الإسلام، ويبدأ التأصيل الأخلاقي لهذه القضية من مفهوم العدالة الذي يحث الإسلام على تحقيقه، كما جاء في قوله تعالى ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ﴾ [النحل: ٩٠]. ذلك أن احترام حقوق الملكية الفكرية للناشرين والمؤلفين جزء لا يتجزأ من تحقيق العدالة، حيث إن التعدي عليها يُعتبر إخلالاً بحقوق مكتسبة ومشروعة، مما يُضر بالجهود العلمية والاقتصادية التي بذلها أصحاب تلك الحقوق. كذلك، يمكن ربط هذه الظاهرة بخلق الأمانة وهو الخلق الذي يعد عماداً في الإسلام إذ لا ينفك عنه شيء من الدين في العبادات والمعاملات. قال تعالى ﴿إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا﴾ [الأحزاب: ٧٢]، وفي الحديث يقول ﷺ: «أَدِّ الْأَمَانَةَ إِلَى مَنْ اتَّيَمَنَكَ، وَلَا تَخُنْ مِنْ خَانَكَ» (رواه أبو داود والترمذي). فالنسخ غير القانوني يُعد خيانة للأمانة وعملاً غير مشروع، حيث يتضمن استغلالاً للجهود الفكرية دون إذن أو مقابل. كما يدعو الإسلام إلى خلق التعاون على البر والتقوى وليس على الإثم والعدوان، كما في قوله تعالى ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ﴾

(١) فقه النوازل د بكر أبو زيد - مع شيء من التصرف - ١٢٧/٢ وما بعدها، وانظر: حق المؤلف في القوانين العربية عبد الستار الحلوجي بحث بمجلة عالم الكتب ص: ٦٤٦، وسرقات الكتب وانتحالها في العصور الإسلامية د. محمد ماهر حمادة ص: ٧١٢ بحث بالمرجع السابق، وحق المؤلف د نواف كنعان ص: ٢٧، ونظام حماية حقوق المؤلف في المملكة العربية السعودية وفق ضوابط الشريعة الإسلامية د. محمد فريد محمود عزت ص: ٤٩.

وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ ﴿٢﴾ [المائدة: ٢]، إن تعزيز ثقافة احترام حقوق الملكية الفكرية يُسهم في بناء مجتمع أكاديمي يقوم على التعاون النزيه واحترام الحقوق. وبالنظر إلى أهمية هذا الموضوع، فإن الدراسة الحالية تسعى إلى معالجة النسخ غير القانوني للكتب الجامعية ليس باعتبارها ظاهرة مادية فقط، بل أيضاً على أنها قضية أخلاقية تستدعي تعزيز القيم الإسلامية من أجل تحقيق العدالة وحماية حقوق الآخرين، بما يتماشى مع مبادئ الأمانة العلمية ورؤية المملكة ٢٠٣٠ لتعزيز التعليم والابتكار.

وقد سُئلت اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء بالمملكة العربية السعودية بما نصه: «أعمل في مجال الحاسب الآلي، ومنذ أن بدأت العمل في هذا المجال أقوم بنسخ البرامج للعمل عليها، ويتم ذلك دون أن أشتري النسخ الأصلية لهذه البرامج، علماً بأنه توجد على هذه البرامج عبارات تحذيرية من النسخ، مؤداها: أن حقوق النسخ محفوظة، تشبه عبارة (حقوق الطبع محفوظة) الموجودة على بعض الكتب، وقد يكون صاحب البرنامج مسلماً أو كافراً. وسؤالي هو: هل يجوز النسخ بهذه الطريقة أم لا؟»، فأجابت: «لا يجوز نسخ البرامج التي يمنع أصحابها نسخها إلا بإذنها؛ لقوله صلى الله عليه وسلم: «المسلمون على شروطهم»، ولقوله صلى الله عليه وسلم: «لا يحل مال امرئ مسلم إلا بطيبة من نفسه»، وقوله صلى الله عليه وسلم: «من سبق إلى مباح فهو أحق به»؛ سواء كان صاحب هذه البرامج مسلماً أو كافراً غير حربي؛ لأن حق الكافر غير الحربي مُحترَم كحق المسلم».^(١)

٣. الملكية الفكرية وحق المؤلف:

عُرفت الملكية الفكرية بأنها: هي تلك الملكية المتعلقة بمجموعة من المعلومات، التي يمكن تمثيلها في أشياء ملموسة وفي نفس الوقت بعدد غير محدود من النسخ في مواقع مختلفة في أي مكان في العالم، وأنها ليست ملكية تلك النسخ وإنما ملكية المعلومات التي

(١) فتاوى اللجنة الدائمة، المجموعة الأولى، (١٣/١٨٨).



تعكسها تلك النسخ^(١)، ويرد مصطلح حق الملكية الأدبية والفنية على إطلاقات منها: حق الملكية الفكرية^(٢).

وينص بعض الشراح^(٣) في معرض حديثهم عن الحقوق التي ترد على أشياء غير مادية على أن أكثر الحقوق المعنوية حقوق ذهنية، والحقوق الذهنية هي: حق المؤلف: وهو ما اصطلح على تسميته بالملكية الأدبية والفنية، وتتضمن هذه الحقوق كما يقول بعض الشراح^(٤) سلطات ترمي إلى تحقيق مصلحة معنوية أو أدبية أو مالية، فالمصلحة الأدبية تتمثل في الصلة بين الإنسان وإنتاجه مما يجعل له الحق في نشره باسمه أو باسم مستعار أو عدم نشره أصلاً، وحمايته من الاعتداء أو التحريف، كما له أن يمنع نشره وله سحبه من التداول، وهذه حقيقة الحق الأدبي للمؤلف. والمصلحة المالية هي الاستفادة مادياً من الإنتاج الذهني بتحويله سلطة استغلال نشره والإلزام بالتعويض عند استغلاله أو الانتفاع به من قبل غيره، وهذا هو الحق المالي. ويذكر بعض الشراح^(٥) السبب في التسمية بحق المؤلف في الأنظمة العربية دون التسمية بحق الملكية الأدبية والفنية وهو تلافي الخلط بين الملكية الأدبية، وملكية الأشياء.

(١) الرشيد، عبد الله بن أحمد، «لمحة عن الملكية الفكرية»، ضمن كتاب: سجل الملتقى العلمي حول الملكية الفكرية، ص ٢٤.

(٢) ويشمل حق الملكية الفكرية - كما في الاتفاقيات الدولية -: المصنفات الأدبية والفنية والعلمية، منجزات القائمين بالأداء، ومنتجي التسجيلات، الصوتية وهيئات الإذاعة، الاختراعات في جميع المجالات، العلامات التجارية وعلامات الخدمة والأسماء التجارية، الحماية ضد المنافسة غير القانونية، جميع الحقوق الأخرى الناتجة عن النشاط الفكري في المجالات الصناعية، والعلمية، والأدبية، والفنية. ينظر: بحث لمحة عن الملكية الفكرية وواقعها في المملكة العربية السعودية د عبد الله بن أحمد الرشيد، ورقة عمل مقدمة للملتقى الملكية الفكرية المنعقد بالكلية التقنية بالرياض في 16/11/1421هـ، نقلاً عن اتفاقية ويو في 1986م برن، ضمن كتاب: سجل الملتقى العلمي حول الملكية الفكرية ص: 24. كما تشمل الملكية الفكرية أيضاً: حق المؤلف والحقوق المتعلقة به، العلامات التجارية، المؤشرات الجغرافية والرسوم والنماذج الصناعية، براءات الاختراع، والأصناف النباتية الجديدة، التصميمات التخطيطية للدوائر المتكاملة، المعلومات السرية. وينظر: بحث لمحة عن الملكية الفكرية د عبد الله بن أحمد الرشيد، نقلاً عن اتفاقية تريبس 1994م، ضمن كتاب: سجل الملتقى العلمي حول الملكية الفكرية ص: 25، والملكية الصناعية د سميحة القليوبي فقرة 20 ص: 22.

(٣)(2) الشوقاي، جميل، دروس في أصول القانون، ج2، ص59، فقرة 25
(٤)(3) المتيت، أبو اليزيد علي، الحقوق على المصنفات، ص16.

وقد ورد في نظام حماية حقوق المؤلف^(١) تعريف لبعض المصطلحات، ومنها: المصنّف حيث عرفه بقوله: «المصنّف: يقصد به أي عمل أدبي أو علمي أو فني، والابتكار: هو الإنشاء الذي توفرت فيه عناصر الجودة، أو تميز بطابع خاص غير معروف من قبل»^(٢) كما عرفته اللائحة التنفيذية للنظام^(٣) بأنه: الطابع الشخصي الذي يعرضه المؤلف في مصنفه ويعطي المصنف تميزاً وجدة، ويبرز المصنف من خلال مقومات الفكرة التي عرضها أو الطريقة التي اتخذها لعرض هذه الفكرة (الهيئة السعودية للملكية الفكرية ٢٠٢٠). كما عرّف المصنف باللائحة التنفيذية بأنه: الإنتاج الأدبي أو العلمي أو الفني المبتكر مهما كان نوعه أو أهميته أو طريقة التعبير عنه أو الغرض من تأليفه. وعرّف نظام المطبوعات والنشر المؤلف بأنه: «من يقوم بإعداد مادة علمية أو ثقافية أو فنية بهدف تداولها، وهو الشخص الذي ابتكر المصنف». كما عرفته اللائحة التنفيذية للنظام بأنه: «كل مبدع ابتكر بجهده أيّاً من المصنفات الأدبية، أو الفنية، أو العلمية مثل الأديب، أو الشاعر، أو الرسام، أو الموسيقي، أو غير هؤلاء من الفنانين، وفقاً للقلب الذي يفرغ فيه التعبير». وقد ورد في بعض الأنظمة مسمى حقوق الملكية الفكرية، كما في نظام الاستثمار الأجنبي في مادته الأولى؛ أنه: «يراد برأس المال الأجنبي في هذا النظام على سبيل المثال لا الحصر الحقوق المعنوية، كالتراخيص وحقوق الملكية الفكرية والمعرفة الفنية والمهارات الإدارية وأساليب الإنتاج» (العقيف ٢٠١١).

وعرف بعض الشراح^(٤) حق الملكية الأدبية والفنية بقولهم: هو عبارة عن مجموعة المزايا الأدبية والمالية التي تثبت للعالم أو الكاتب أو الفنان على مصنفه. ولم يرد في النظام تعريف لحق الملكية الأدبية والفنية، إلا أن نظام حماية حقوق المؤلف قرر ذلك الحق وبين

(١) نظام حماية حقوق المؤلف، المرسوم رقم م/١١، بتاريخ 19/5/1410هـ.

(٢) المادة الأولى من نظام حماية حقوق المؤلف.

(٣) نظام المطبوعات والنشر، المادة الأولى، الفقرة 10.

(٤) نظام الاستثمار الأجنبي، المرسوم رقم م/1، بتاريخ 5/1/1421هـ، المادة الأولى، الفقرة.

(٥) الصدة، عبد المنعم، أصول القانون، فقرة 252، ص 365.



مظاهره الأدبية والمالية، والتي أشار لها الشراح^(١)، وذلك في ما نص عليه في المادة الثامنة، والتي جاء فيها: للمؤلف الحق في ممارسة أي من التصرفات الآتية:

- 1- نسبة المصنف إليه، أو نشره باسم مستعار، أو بدون اسم.
- 2- الاعتراض على أي تعدي على مصنفه، ومنع أي حذف، أو تغيير، أو إضافة، أو تحريف، أو تشويه، أو كل مساس آخر بذات المصنف.
- 3- إدخال ما يراه من تعديل أو إجراء أي حذف على مصنفه.
- 4- سحب مصنفه من التداول.

كما أكد النظام على أن هذه الحقوق الأدبية هي حقوق أبدية للمؤلف، ولا تقبل التنازل، ولا تسقط بالتقادم، وتبقى الحقوق الأدبية لصاحبها، ولا تسقط بمنح حق استغلال المصنف بأي وجه من وجوه الاستغلال، وتؤول تلك الحقوق إلى الوزارة في حال وفاة صاحب الحق دون وارث له.

وفي شأن الحقوق الأدبية، ما ورد في المادة الثانية عشرة، حيث نصت على أنه: «يعد تنازل المؤلف عن مجموع إنتاجه الفكري المستقبلي باطلاً»، حيث يمتنع أن يتنازل المؤلف عن مجموع إنتاجه الفكري في المستقبل؛ حماية لحقه الأدبي ومنعاً من الاعتداء على شخصيته^(٢)، وكذا ما نصت عليه المادة ٣٢ من مشروع اللائحة^(٣) فقرة (١) بقولها: «حقوق المؤلف الأدبية غير قابلة للتصرف أو التقادم». وكذا ما ورد في المادة ٣٣ من مشروع اللائحة، إعمالاً للمادة ١٩ حيث نصّت على وجوب أن تشمل عقود النشر عدة ضوابط منها، ما ورد في الفقرة (٩/د) التي نصت على التزام الناشر «بعدم إجراء أي تعديلات أو

(١) المتيت، أبو اليزيد علي، الحقوق على المصنفات الأدبية والفنية والعلمية، ص 19.

(٢) كنعان، نواف، حق المؤلف: النماذج المعاصرة لحق المؤلف ووسائل حمايته، ص 74؛ عزت، محمد فريد محمود، نظام حماية حقوق المؤلف في المملكة العربية السعودية وفق ضوابط الشريعة الإسلامية، ص 48.

(٣) لائحة نظام حماية حقوق المؤلف، (لم تتم المصادقة عليها بعد، وفق إفادة وزارة الإعلام بوجود تعديلات قيد الإعداد).

إضافات على الكتاب إلا بعد حصوله على موافقة المؤلف كتابياً على ذلك». وكذا الفقرة (٩/ك) التي ألزمت الناشر أن يثبت على الكتاب محل الاتفاق في موضع بارز اسم المؤلف، وبيان مالك حق المؤلف.^(١) وفي المادة ٣٤ فقرة (١) من مشروع اللائحة النص على وجوب أن تشتمل عقود الإنتاج الفنية، وفقاً للمادة (٢٠) عدة ضوابط، منها ما نصّت عليه الفقرة (د) والتي خولت المنتج إدخال التعديلات الضرورية قصد هذا الاستغلال، على ألا تمس بالحق الأدبي للمؤلف.

وأكد النظام الجديد على هذا المعنى من خلال المادة التالية «يجب على أصحاب الحقوق تنظيم علاقاتهم وحقوقهم مع مؤسسات الإنتاج والطباعة والنشر والتوزيع، وهيئات الإذاعة، وغيرها من الجهات المرخص لها بمزاولة أنشطتها، بموجب عقود موثقة تحدد جميع الحقوق والالتزامات لجميع الأطراف أصحاب العلاقة». وتضمنت الفقرتان الثانية والثالثة من المادة الحادية والعشرين من النظام الجديد ما يشابه هذا المعنى، إذ نصت المادة على: «تعد التصرفات الآتية تعديلاً على الحقوق التي يحميها النظام:

(٢) تعديل محتويات المصنف أو طبيعته أو موضوعه أو عنوانه دون علم المؤلف وموافقته الخطية المسبقة على ذلك، سواء كان هذا التعديل من قبل الناشر أو المنتج أو الموزع أو غيرهم.

(٣) قيام المنتج أو الناشر أو الطابع بإعادة طبع المصنف دون الحصول على موافقة خطية مسبقة من صاحب الحق، أو لم يكن لديه من الوثائق ما يخوله إعادة الطبع» (وزارة التجارة ٢٠١٨).

٤. صور التعدي القانوني على حقوق المؤلف:

أورد نظام حماية حقوق المؤلف صور التعدي على حق المؤلف وسمّاها المخالفات وذلك (١) ينظر: المادة ١٥ من اللائحة التنفيذية لنظام المطبوعات والنشر، المرسوم رقم م/١٧، بتاريخ ١٣/٤/١٤٠٢هـ، والمعتمدة بقرار وزير الإعلام رقم ٤٧٣/د س، بتاريخ ١١/٣/١٤٠٩هـ.



في المادة ٢١، والتي نصّت على أن التصرفات الآتية تعد تعدياً على الحقوق التي يحميها النظام:

- أ. القيام بنشر مصنف غير مملوك لمن قام بالنشر، أو نشره مدعيًا ملكيته، أو دون حصوله على إذن كتابي أو عقد من مؤلف المصنف أو ورثته أو من يمثلهم.
- ب. تعديل محتويات المصنف، أو طبيعته، أو موضوعه، أو عنوانه دون علم المؤلف وموافقة الخطية المسبقة على ذلك، سواء كان هذا التعديل من قبل الناشر، أو المنتج، أو الموزع، أو غيرهم.
- ت. قيام المنتج أو الناشر أو الطابع بإعادة طبع المصنف دون الحصول على موافقة خطية مسبقة من صاحب الحق، أو لم يكن لديه من الوثائق ما يخوله إعادة الطبع.
- ث. إزالة أي معلومة كتابية وإلكترونية قد تتسبب في إسقاط حقوق أصحاب المصنف
- ج. إزالة وفك أي معلومة احترازية إلكترونية تضمن استخدام النسخ الأصلية للمصنف، مثل التشفير، أو المعلومات المدونة بالليزر، أو غيره.
- ح. الاستخدام التجاري للمصنفات الفكرية بطرق التحايل التي لا تسمح بها الجهة صاحبة الحق، مثل استخدام البرمجيات المنسوخة، أو التقاط البرامج الإذاعية المشفرة بطرق غير نظامية.
- خ. تصنيع أو استيراد أدوات لغرض البيع أو التأجير لأي وسيلة من شأنها تسهيل استقبال أو استغلال مصنفات بطرق غير الطرق التي تحددها الجهة صاحبة الحقوق.
- د. نسخ أو تصوير أجزاء من كتاب أو مجموعة كتب أو أجزاء من أي مصنف بعوض أو بدون عوض دون الحصول على الموافقات الخطية من أصحاب الحق والجهات المعنية في الوزارة، باستثناء حالات النسخ القانونية المبينة في المادة الخامسة عشرة من هذا النظام.
- ذ. استيراد المصنفات المزورة، أو المقلدة، أو المنسوخة.

- ر. الاحتفاظ بمصنفات غير أصلية في المنشأة التجارية أو المستودع أو غير ذلك من المواقع التابعة لها بطريقة مباشرة أو غير مباشرة بأي حجة كانت.
- ز. الاعتداء على أي حق من الحقوق المحمية المنصوص عليها في هذا النظام، أو ارتكاب مخالفة لأي حكم من أحكامه.

كما نصت المادة الثانية والعشرون من ذات النظام على العقوبات، إذ يعاقب كل من خالف حكمًا من أحكام هذا النظام بعقوبة أو أكثر من العقوبات الواردة بالنظام، وهذه العقوبات المقررة للانتهاكات وصل بعضها للغرامات المالية والسجن، إلا أن فاعلية هذه القوانين في مواجهة النسخ غير القانوني للكتب العلمية بين الطلاب تتطلب جهودًا كبيرة وتحليلًا دقيقًا من الجامعات لمعرفة القدرة على الضبط ومدى تطبيق هذه النصوص القانونية وكذلك تأثيرها في تحقيق الأهداف المرجوة، وردع المخالفين. ويرتبط موضوع النسخ غير القانوني بجميع تلك الصور من التعدي على حقوق الملكية الفكرية وحقوق المؤلف بحسب تصرف المعتدي وتوافر أركان الجريمة القانونية بالفعل والقصد.

ثانيًا: الدراسات السابقة:

تشير الأدبيات المتعلقة بمكافحة النسخ غير القانوني للكتب العلمية بين طلاب الجامعات إلى وجود العديد من الدراسات التي تناولت هذا الموضوع من زوايا متعددة (O. Abdelkader 2017). في مجال التشريعات الدولية، والمملكة العربية السعودية تلتزم باتفاقيات دولية مثل اتفاقية (برن) لحماية المصنفات الأدبية والفنية، إضافة إلى انضمامها إلى اتفاقية حقوق الملكية الفكرية المتعلقة بالتجارة (TRIPS)، ويعكس ذلك تأكيد المملكة على التزامها بالقوانين الدولية ذات الصلة، وتوفير حماية شاملة لحقوق المؤلفين، وتشير دراسة أجريت على التشريعات الدولية إلى أن قوانين مثل قانون الألفية الرقمية الأمريكي (DMCA) لها تأثير مباشر على تطوير التشريعات السعودية، حيث أوصى باحثون بتبني المملكة نماذج جديدة لحماية حقوق الملكية الفكرية في البيئة الرقمية



(السواط ٢٠٢١).

وتناولت عدة دراسات التشريعات القانونية السعودية التي تحكم حقوق النشر، ويُعد (نظام حقوق المؤلف) (٢٠٠٣) في المملكة العربية السعودية إحدى الركائز الأساسية في هذا المجال (الهيئة السعودية للملكية الفكرية ٢٠٠٣)؛ حيث يحمي هذا النظام جميع المصنفات الفكرية سواء كانت كتبًا، أو مقالات، أو أبحاثًا، وينص على عقوبات رادعة تجاه من ينتهك هذه الحقوق. إن تحليل قوانين حقوق المؤلف في المملكة العربية السعودية، يشير إلى أن الأطر القانونية تحظى بمرونة لمواكبة المستجدات التكنولوجية، خاصة في ظل زيادة النسخ غير القانوني للمراجع العلمية (Xu 2024). إضافةً إلى ذلك، فإن الملكية الفكرية وتطبيقاتها في الجامعات يحتاج إلى تشديد العقوبات وتفعيل أدوات الرقابة، كما أن التنفيذ الفعلي للقوانين يحتاج إلى مزيد من تكامل أدوار كافة الجهات المعنية (الغايش ٢٠٢٤).

ومن خلال الاطلاع على المواقع الإلكترونية للجامعات السعودية، يتبيّن بوضوح نشر سياسات محددة لحماية الملكية الفكرية والتأكيد على حقوق النشر وضوابطها القانونية (وزارة التعليم ٢٠٢١)، وتشير الدراسات المتعلقة بسلوك الطلاب تجاه النسخ غير القانوني إلى أن هذه الظاهرة مرتبطة بعوامل اقتصادية وتوعوية، وقد أظهرت نتائج بعض الدراسات أن معظم الطلاب يلجؤون إلى النسخ غير القانوني بسبب ارتفاع تكاليف الكتب الجامعية، بالإضافة إلى عدم معرفتهم الكاملة بالعقوبات القانونية المترتبة على هذا الفعل، كما أشارت دراسات أخرى إلى أن بعض الطلاب يعتبرون أن النسخ غير القانوني هو حق مشروع نظرًا لتوفر الكتب بشكل مجاني على الإنترنت، ما يعكس نقصًا في الوعي القانوني (Alghamdi 2023)، وتؤكد الدراسات التي تناولت دور الجامعات، على أن المؤسسات الأكاديمية لها دور محوري في مكافحة هذه الظاهرة (O. Abdelkader 2021)، وأن العديد من الجامعات السعودية قد بدأت بتطبيق سياسات صارمة مثل

الرقابة على النسخ الإلكتروني للكتب وتوفير مكاتب رقمية مرخصة (الغيش ٢٠٢٤). بالإضافة إلى ذلك، أظهرت دراسات أخرى أن الجامعات التي توفر بدائل قانونية للكتب العلمية الرقمية وتدعم ثقافة احترام حقوق النشر تمكنت من تقليل معدلات النسخ غير القانوني (الزهراني ٢٠٢٤).

وقد أكدت الدراسات على الدور المهم للتوعية القانونية في الجامعات، حيث أظهرت النتائج أن الطلاب الذين تلقوا برامج توعوية حول حقوق النشر كانوا أقل عرضة لممارسة النسخ غير القانوني مقارنة بالطلاب الذين لم يتلقوا تلك البرامج (الرشيدي ٢٠٢٤)، كما أظهرت أن الأثر الإيجابي للتوعية القانونية في الجامعات من خلال الجهود المبذولة لتعزيز الوعي بين الطلاب حول القوانين واللوائح التي تحمي حقوق المؤلف، وذلك بإدماج المحتوى التوعوي في المناهج الدراسية والحملات التوعوية، يمكن أن تكون فعالة في الحد من هذه الظاهرة (Nie 2024). وتشير الدراسات السابقة إلى أن النسخ غير القانوني للكتب العلمية بين طلاب الجامعات السعودية يُعد من التحديات الكبرى التي تواجه النظام الأكاديمي، فعلى الرغم من وجود تشريعات واضحة وصارمة، فإن التحديات الثقافية والاقتصادية والتكنولوجية تعيق التنفيذ الفعلي (2024 Zaman). وتحتاج الجامعات السعودية إلى اتخاذ خطوات فعالة تشمل تعزيز التوعية القانونية، وتقديم بدائل مرخصة للكتب العلمية، وتطبيق رقابة صارمة على النسخ غير القانوني، والتعاون بين الجهات الحكومية والجامعات هو المفتاح للحد من هذه الظاهرة وتعزيز ثقافة احترام حقوق النشر (السبيعي ٢٠٢٠).

وفي دراسة نظرية موسعة Meta-analysis اعتمدت على قواعد البيانات البحثية، أظهرت وجود فروق ذات دلالة إحصائية بين الذكور والإناث في الميل تجاه الغش والنسخ الإلكتروني، حيث يكون ميل الذكور أكثر عن الإناث، وذلك ضمن مجموعة من الفروق النوعية التي تتبعها أكثر من ١٨٦٣ دراسة سابقة خلال الفترة بين [١٩٠٠-



[٢٠١٩] (Abdelkader and Abdelkader 2019).

ومن الممارسات الإيجابية للعمل على علاج هذه الظاهرة في عدد من الجامعات السعودية - والتي من بينها على سبيل المثال لا الحصر: جامعة الملك سعود، وجامعة الإمام عبد الرحمن بن فيصل - هو ما يتعلق بإضافة متطلب اجتياز نسبة كشف التشابه المقبول للواجبات الإلكترونية المقدمة عبر نظام Blackboard من خلال خاصية - Safe As signment، مما ساعد على تحقيق عدة أهداف من بينها ترسيخ السلوك الإيجابي لدى الطلاب بالإضافة إلى إقرار طريقة عملية للحد من الظاهرة.

ثالثاً: منهج البحث:

يعتمد هذا البحث على كل من المنهج الاستقرائي والمنهج الاستكشافي، حيث يعتمد على الدراسة النظرية الموسعة لموضوع الدراسة بالإضافة إلى الدراسة المسحية الاستطلاعية للتطبيق على مجتمع الدراسة، ويتضمن هذا الجزء من الدراسة ما يلي: مراحل البحث، وفروض البحث، ومجتمع وعينة البحث، وأداة البحث.

1-مراحل البحث

يهدف هذا البحث إلى تحليل الأطر القانونية لمكافحة النسخ غير القانوني للكتب العلمية بين طلاب وطالبات الجامعات السعودية، من خلال المراحل التالية:

المرحلة الأولى: بناء المنهج النظري للبحث.

في هذه المرحلة، نركز على تطوير الأساس النظري للبحث من خلال دراسة شاملة للأطر القانونية الحالية المتعلقة بحماية حقوق النشر في المملكة العربية السعودية، وتبدأ هذه المرحلة بجمع وتحليل الأدبيات القانونية المتاحة، مع استعراض الاتفاقيات الدولية ذات الصلة، مثل اتفاقية (بيرن) لحماية المصنفات الأدبية والفنية، كما تشمل هذه المرحلة

تقييم التحديات التطبيقية المحتملة والتي قد تؤدي إلى انتشار النسخ غير القانوني بين الطلاب، ويكون التركيز على الأدبيات العلمية السابقة والنصوص القانونية والتشريعية المتعلقة بالموضوع لتحديد العوامل المؤثرة التي تمثل الدوافع أو الحواجز أمام الالتزام بحماية حقوق الملكية الفكرية في السياق الأكاديمي.

المرحلة الثانية: الدراسة المسحية.

تشمل هذه المرحلة جمع البيانات من عينة مستهدفة من طلاب وطالبات الجامعات السعودية، وذلك باستخدام أداة البحث المتمثلة في الاستبانة الإلكترونية، وقد صُمِّمَت الاستبانة لتغطي خمسة محاور رئيسية تشمل الأسباب، والدوافع، ومستوى الوعي القانوني، والتأثيرات، والحلول المقترحة، مع تخصيص محاور فرعية لقياس العوامل المؤثرة على استخدام النسخ غير القانوني، وتم توزيع الاستبانة على ٤٣٦ من طلاب وطالبات الجامعات من مختلف التخصصات والمناطق في المملكة بهدف تمثيل متنوع وواسع للجمهور المستهدف، واشتملت البيانات المجمعة على أسئلة تتعلق بالخصائص الديموغرافية للمشاركين مثل العمر، والجنس، والتخصص العلمي، ومستوى التحصيل الدراسي، إضافة إلى أسئلة محددة تقيس درجة استخدام النسخ غير القانوني، وأسباب اللجوء إليه، ومستوى المعرفة بالقوانين المتعلقة بحقوق النشر. ثم قمنا بتحليل البيانات باستخدام الأساليب الإحصائية المناسبة لتحديد العلاقات والأنماط بين المتغيرات المختلفة، مما يوفر رؤية كمية تساعد في تفسير الظاهرة قيد الدراسة.

المرحلة الثالثة: استخلاص النتائج والتوصيات:

بعد جمع البيانات وتحليلها، انتقلنا إلى مرحلة استخلاص النتائج التي تهدف إلى تقديم صورة واضحة حول طبيعة ومدى انتشار النسخ غير القانوني للكتب العلمية بين الطلاب، ثم ربطنا النتائج بالأساس النظري الذي تطور في المرحلة الأولى، مما أسهم في



توضيح العلاقة بين المتغيرات المدروسة، مثل تأثير النوع (الذكور والإناث) على ممارسة النسخ غير القانوني، كما تم تحليل الأسباب الأكثر تأثيراً التي تدفع الطلاب إلى النسخ غير القانوني، وتحديد الفجوات في التشريعات الحالية التي يمكن استغلالها لتقليل هذه الممارسات، وبناءً على هذه النتائج، صيغت توصيات عملية تعنى بتحسين الأطر القانونية من خلال اقتراح تعديلات تشريعية، وتعزيز التوعية بأهمية احترام حقوق النشر بين الطلاب، وكذلك تقديم برامج تدريبية تهدف إلى زيادة الوعي القانوني بأهمية حقوق الملكية الفكرية. وتهدف هذه التوصيات إلى تفعيل نظام حماية أكثر صرامة يحفز على الالتزام ويمنع انتشار النسخ غير القانوني، كما تتماشى مع أهداف رؤية المملكة ٢٠٣٠، وخاصة في محاورها المتعلقة بتطوير التعليم وتشجيع الابتكار.

2-فروض البحث

صيغت مجموعة من الفروض البحثية لتحقيق أهداف الدراسة والإجابة عن تساؤلات البحث والإسهام في ملء الفجوة البحثية بأدبيات موضوع البحث من خلال أربعة فروض رئيسية كما يلي:

الفرض الأول: يوجد فرق جوهري بين طلاب وطالبات الجامعات السعودية في حجم النسخ غير القانوني للكتب الجامعية.

الفرض الثاني: يوجد فرق جوهري بين طلاب وطالبات الجامعات السعودية في صور النسخ غير القانوني للكتب الجامعية.

الفرض الثالث: يوجد فرق جوهري بين طلاب وطالبات الجامعات السعودية في أسباب النسخ غير القانوني للكتب الجامعية.

الفرض الرابع: يوجد فرق جوهري بين طلاب وطالبات الجامعات السعودية بمستوى الوعي القانوني بحقوق الملكية الفكرية.

3-مجتمع وعينة البحث

يستهدف هذا البحث مجتمع طلاب وطالبات الجامعات بالمملكة العربية السعودية، وقد صُمِّمَت أداة البحث للحصول على البيانات اللازمة لاختبار فروض الدراسة، وذلك لتحقيق أهداف البحث والإجابة عن تساؤلاته. وتجنبًا لأكبر قدر من التحيز الإحصائي، فقد اعتمدنا على رابط إلكتروني مفتوح لتجميع آراء المشاركين بشكل مُجهَل تمامًا لهوية المشاركين أو المطالبة بكشف أية بيانات شخصية عنهم.

4-أداة البحث

تتمثل أداة البحث في الاستبانة الإلكترونية في العوامل والمتغيرات البحثية التالية:

درجات القياس	عوامل البحث ومتغيراته
حجم النسخ غير القانوني للكتب الجامعية:	
عدد	كم مرة في الفصل الدراسي تستخدم النسخ غير القانونية للكتب العلمية؟
صور الممارسة غير القانونية في نسخ الكتب الجامعية:	
أوافق بشدة/أوافق/محايد/أرفض/أرفض بشدة	أنسخ بعض الكتب الجامعية بشكل غير قانوني.
	أنا فقط أستخدم النسخ غير القانونية المتداولة بين الزملاء أو عبر الإنترنت.
	أنا أعيد نشر النسخ غير القانونية من الكتب الجامعية.
الوعي القانوني بحقوق الملكية الفكرية:	
أوافق بشدة/أوافق/محايد/أرفض/أرفض بشدة	أنا على دراية بالقوانين التي تحمي حقوق الملكية الفكرية في المملكة.
	أعتقد بأن النسخ غير القانوني يشكل ضررًا كبيرًا على حقوق الغير.
	أعتقد أن النسخ غير القانوني للكتاب الجامعي خطأ.
الأسباب وراء النسخ غير القانوني للكتب الجامعية:	



أوافق بشدة/أوافق/محايد/أرفض/أرفض بشدة	التكلفة المرتفعة.
	الوصول المحدود للكتب.
	سهولة الوصول إلى النسخ الإلكترونية غير القانونية عبر الإنترنت.
	ضعف توافر الكتب العلمية الأصلية في المكتبات الجامعية.
	انتشار استخدام النسخ غير القانونية بين زملاء الدراسة.
	النسخ غير القانوني للكتاب الجامعي يساعدني على تحقيق أهدافي الجامعية.
	لا يمانع أساتذة المقررات من ممارستنا للنسخ غير القانوني للكتب الجامعية.

ثالثاً: التحليل الإحصائي

يتناول هذا الجزء من البحث نتائج التحليل الإحصائي للبيانات التي جُمعت إلكترونياً من عينة البحث، حيث بلغت عدد المشاركات (٤٣٦) من مجتمع البحث المتمثل في طلاب وطالبات الجامعات السعودية، منها عدد (٢٢٤) من الذكور، وعدد (٢١٢) من الإناث.

1. التحليل الإحصائي لبيانات العينة

أظهرت نتائج تحليل بيانات العينة للعامل الأول (حجم النسخ غير القانوني للكتب الجامعية)، أن ٤٣٪ من المشاركين أفادوا باستخدام النسخ غير القانونية للكتب مرة واحدة على الأقل في الفصل الدراسي (انحراف معياري ٢,٣٧٪)، بينما ٤٦٪ أفادوا بأنهم يعتمدون على النسخ غير القانونية بشكل منتظم (أكثر من ٣ مرات خلال الفصل الدراسي) (انحراف معياري ٢,٣٩٪)، في المقابل أشار ١١٪ من المشاركين إلى أنهم لا يستخدمون النسخ غير القانونية على الإطلاق (انحراف معياري ١,٥٪).

أما نتائج تحليل (صور الممارسات غير القانونية للنسخ غير القانوني للكتب الجامعية)، فقد أوضح ٤٧٪ من المشاركين أنهم يقومون بنسخ أجزاء من الكتب الجامعية بشكل غير قانوني (٥/٣,٥)، و ٢٨٪ أفادوا بأنهم يعتمدون فقط على النسخ غير القانونية

المتداولة بين الزملاء أو عبر الإنترنت بدون شراء أو استعارة قانونية للنسخ الأصلية، بينما ٢٥٪ أشاروا إلى إعادة مشاركة أو نشر النسخ غير القانونية بين زملائه، ويعكس الميل العام للمشاركين نحو استخدام النسخ غير القانونية، حيث يظهر أن الفقرة الأولى (نسخ بعض الكتب بشكل غير قانوني) تسجل أعلى متوسط، كما لوحظ أن الإناث يميلون إلى الحصول على متوسط أعلى عبر جميع الفقرات مقارنة بالذكور، مما قد يشير إلى ميل أعلى لممارسة النسخ غير القانونية بين الإناث، ويميل متوسط بيانات الذكور إلى أن يكون أقل بشكل طفيف من الإناث، والانحراف المعياري أعلى بين الإناث، مما يدل على تفاوت أكبر في الدرجات، بينما يكون أقل بين الذكور، مما يشير إلى درجات متقاربة.

وقد أظهرت نتائج تحليل عامل (الوعي القانوني بحقوق الملكية الفكرية) أن الإناث يملن بدرجة أكثر للاعتقاد بأن النسخ غير القانوني للكتب خطأ، بينما يميل الذكور أكثر إلى عدم رؤية الضرر الكبير المترتب على النسخ غير القانوني، في حين كانت نتائج تحليل عامل (الأسباب وراء النسخ غير القانوني) إلى أن التكلفة المرتفعة وسهولة الوصول إلى النسخ غير القانونية كانتا من الأسباب الرئيسية المشتركة بين المشاركين. ومع ذلك، يظهر الذكور معدلات أعلى لاعتبار هذه الأسباب أكثر تأثيراً مقارنة بالإناث، وتعكس كل هذه التحليلات انتشاراً واضحاً للممارسات غير القانونية، بدرجة أكبر بين الذكور عن الإناث. ويلخص الجدول رقم (١) نتائج تحليل بيانات العينة:



الجدول رقم (١): نتائج التحليل الإحصائي لبيانات عينة البحث

عوامل البحث ومتغيراته	عام	ذكور	الانحراف المعياري	إناث	الانحراف المعياري
حجم النسخ غير القانوني للكتب الجامعية:					
كم مرة في الفصل الدراسي تستخدم النسخ غير القانونية للكتب العلمية؟	٢,٨	٣,٦	٠,٩	٢,٧	٠,٧
صور الممارسة غير القانونية في نسخ الكتب الجامعية:					
أنسخ بعض الكتب الجامعية بشكل غير قانوني.	٣,٥	٣,٨	١,٢	٣,٢	١,٠
أنا فقط أستخدم النسخ غير القانونية المتداولة بين زملاء أو عبر الإنترنت.	٣,٠	٣,١	١,١	٢,٩	١,٠
أنا أعيد نشر النسخ غير القانونية من الكتب الجامعية.	٢,٥	٢,٣	٠,٨	٢,٧	١,٠
الوعي القانوني بحقوق الملكية الفكرية:					
أنا على دراية بالقوانين التي تحمي حقوق الملكية الفكرية في المملكة.	٢,٩	٢,٨	٠,٩	٢,٤	٠,٨
أعتقد بأن النسخ غير القانوني يشكل ضرراً كبيراً على حقوق الغير.	٢,٥	٢,٧	١,١	٢,٣	١,٠
أعتقد أن النسخ غير القانوني للكتاب الجامعي خطأ.	٤,٠	٣,٨	٠,٧	٤,٢	٠,٦
الأسباب وراء النسخ غير القانوني للكتب الجامعية:					
التكلفة المرتفعة.	٤,٢	٤,٣	٠,٨	٤,١	٠,٧
الوصول المحدود للكتب.	٣,٧	٣,٨	٠,٩	٣,٦	٠,٨
سهولة الوصول إلى النسخ الإلكترونية غير القانونية عبر الإنترنت.	٤,١	٤,٢	٠,٧	٤	٠,٦
ضعف توافر الكتب العلمية الأصلية في المكتبات الجامعية.	٣,٩	٤,٠	٠,٨	٣,٨	٠,٧
انتشار استخدام النسخ غير القانونية بين زملاء الدراسة.	٣,٦	٣,٧	٠,٩	٣,٥	٠,٨
النسخ غير القانوني للكتاب الجامعي يساعدني على تحقيق أهدافي الجامعية.	٣,٣	٣,٤	١,٠	٣,٢	٠,٩
لا يمانع أساتذة المقررات من ممارستنا للنسخ غير القانوني للكتب الجامعية.	٢,٨	٢,٦	١,٠	٣,٢	٠,٩

2. نتائج اختبارات فروض البحث

اعتماداً على نتائج تحليل التحليل الإحصائي لبيانات عينة الدراسة يمكن تلخيص نتائج اختبارات فروض البحث عند مستوى معنوية (٠,٠٥) كما يلي:

١. (قبول الفرض الأول) حيث ثبت وجود فرق جوهري بين طلاب وطالبات الجامعات السعودية (عند كافة المستويات المعنوية) في حجم النسخ غير القانوني للكتب الجامعية، لصالح الذكور بدرجة أكبر عن الإناث في عدد مرات النسخ غير القانوني للكتب الجامعية خلال الفصل الدراسي. وكلا المجموعتين من النتائج تشيران إلى انتشار ظاهرة حجم النسخ غير القانوني للكتب الجامعية.
٢. (قبول الفرض الثاني جزئياً) حيث ثبت وجود فرق جوهري بين طلاب وطالبات الجامعات السعودية بالعينة من حيث صور النسخ غير القانوني للكتب الجامعية في متغير النسخ (لصالح الذكور)، وفي متغير النشر (لصالح الإناث)، بينما لم يثبت وجود فرق جوهري من حيث (الاستخدام). وتشير المتغيرات الثلاثة إلى انتشار ظاهرة النسخ غير القانوني للكتب الجامعية، وذلك عند مستوى معنوية (٠,٠٥).
٣. (رفض الفرض الثالث) حيث لم يثبت وجود فروق جوهريّة بين طلاب وطالبات الجامعات السعودية بمستوى الوعي القانوني بحقوق الملكية الفكرية (عند أي من المستويات المعنوية)، على الرغم من وجود فارق بالمتوسط العام لصالح الذكور عن الإناث، ولكن كلاهما بمعدلات منخفضة نسبياً لكل منهما.
٤. (رفض الفرض الرابع) حيث لم يثبت وجود فروق جوهريّة بين طلاب وطالبات الجامعات السعودية في أسباب النسخ غير القانوني للكتب الجامعية (عند أي من المستويات المعنوية)، ويلخص الجدول رقم (٢) نتائج اختبارات الفروض:

الجدول رقم (٢) نتائج اختبارات فروض البحث

نتيجة اختبار الفروض	مستوى المعنوية	فروض البحث
قبول	***	الفرض الأول (حجم النسخ غير القانوني)
قبول جزئي	**	الفرض الثاني (صور النسخ غير القانوني)
رفض		الفرض الثالث (مستوى الوعي القانوني بحقوق الملكية الفكرية)
رفض		الفرض الرابع (أسباب النسخ غير القانوني)

(Significance Levels: *** (0.01), ** (0.05), and * (0.10)



رابعاً: نتائج وتوصيات البحث:

أظهر البحث مجموعة من النتائج حول ظاهرة النسخ غير القانوني للكتب بالجامعات السعودية، وقد اقترحنا التوصية المناسبة لكل نتيجة كما يلي:

1. النتيجة الأولى: ارتفاع نسبة النسخ غير القانوني بين طلاب الجامعات السعودية، مع وجود فروق ذات دلالة إحصائية بين الذكور والإناث من حيث حجم وصور النسخ غير القانوني للكتب الجامعية، بمستويات أعلى لدى الذكور.

التوصية: إطلاق حملات توعوية تستهدف توعية الطلاب بالجامعات السعودية لمكافحة النسخ غير القانوني للكتب الجامعية، مع التركيز على الذكور بدرجة أكبر. كما توصي الدراسة أن تعلن كل جامعة على موقعها على الإنترنت وثيقة خاصة بالنسخ غير القانوني للكتب، بحيث يتضمن توعية الطلاب بالجزاءات التي يمكن أن تترتب على ذلك بالإضافة للجوانب الشرعية والأخلاقية.

2. النتيجة الثانية: الوعي المنخفض لدى طلاب الجامعات السعودية حول القوانين الخاصة بحقوق النشر، واحترام الملكية الفكرية.

التوصية: يجب على الجامعات السعودية تقديم دورات توعوية إلزامية لطلابها حول حقوق النشر والقوانين المتعلقة بالملكية الفكرية، ويمكن أن تتضمن هذه الدورات برامج تعليمية تفاعلية لتعريف الطلاب بعواقب النسخ غير القانوني وكيفية احترام حقوق المؤلفين، بالإضافة إلى المحتوى المناسب التوعوي عبر موقع الجامعة على الإنترنت وحساباتها الإلكترونية على وسائل التواصل الاجتماعي.

3. النتيجة الثالثة: سهولة الوصول إلى النسخ الإلكترونية غير القانونية للكتب، ساعدت على انتشار ظاهرة النسخ غير القانوني للكتب بالجامعات السعودية.

التوصية: تطوير حلول تقنية مثل منصات رقمية معتمدة بالجامعة وميسرة لتوفير الكتب الأكاديمية بأسعار مخفضة أو مجانية للطلاب، بالتعاون مع دور النشر المحلية والدولية، مع تعزيز الرقابة على المواقع غير القانونية، والتأكيد على أهمية تعاون أعضاء هيئة التدريس في تحقيق هذا الهدف.

4. النتيجة الرابعة: عدم وجود تدابير صارمة داخل الجامعات لفرض حقوق النشر. التوصية: يجب إنشاء لجان خاصة داخل الجامعات السعودية تتولى مراقبة ومكافحة انتهاكات حقوق النشر، وتطبيق عقوبات رادعة على الطلاب الذين يثبت تورطهم في النسخ غير القانوني، وتؤيد الدراسة اعتبار النسخ غير القانوني للكتب الجامعية إحدى حالات الغش بالاختبارات إن لم يتم تصنيفها على أنها أخطر وأعلى جرماً.
5. النتيجة الخامسة: الاعتقاد السائد بين الطلاب بأن النسخ غير القانوني هو حل لمشاكل ارتفاع أسعار الكتب.

التوصية: من الضروري أن تعمل الجامعات مع دور النشر والمؤسسات التعليمية على توفير بدائل قانونية منخفضة التكلفة للطلاب، مثل النسخ الرقمية المرخصة أو الوصول المفتوح إلى المحتويات العلمية. كما يجب على الجامعات الاهتمام بنشر الوعي الثقافي والقانوني والأخلاقي لتصحيح هذا الاعتقاد السائد، ويجب على الجامعات بحث بدائل تقديم الدعم للطلاب والطالبات، وتعزيز عمليات تمويل طباعة الكتب الجامعية بسعر التكلفة للمؤلفين لتخفيض أسعار الكتب الجامعية.

6. النتيجة السادسة: بعض أساتذة الجامعات يغضون الطرف عن استخدام الطلاب للكتب غير القانونية.

التوصية: يجب تعزيز دور أعضاء هيئة التدريس في التوعية بأهمية احترام حقوق النشر، مع وضع إرشادات داخلية لكل كلية تفرض على الأساتذة استخدام مواد



مرخصة وتوجيه الطلاب نحو المصادر القانونية.

7. النتيجة السابعة: نقص التنسيق بين الجامعات والهيئات الحكومية لمكافحة النسخ غير القانوني.

التوصية: يجب تعزيز التعاون بين الجامعات السعودية والهيئة السعودية للملكية الفكرية ووزارة التعليم لتطوير استراتيجيات مشتركة لمكافحة النسخ غير القانوني وتعزيز تطبيق القوانين.

8. النتيجة الثامنة: عدم وجود حملات إعلامية فعالة للتوعية بأضرار النسخ غير القانوني.

التوصية: يجب إطلاق حملات إعلامية مشتركة بين الجامعات ووسائل الإعلام المحلية تهدف إلى توعية الطلاب وأعضاء المجتمع الأكاديمي بأضرار النسخ غير القانوني على مستوى البحث العلمي والتطور الفكري.

9. النتيجة التاسعة: ضعف تشجيع الطلاب على الابتكار والإبداع في المواد التعليمية،

مما يجعل من عمليات النسخ غير القانوني أمرًا مقبولاً لديهم، كما يقلل من إدراك أهمية الملكية الفكرية وقيمتها.

التوصية: يجب على الجامعات توفير بيئات تشجع الطلاب على الابتكار وتقدير حقوق المؤلفين، من خلال برامج تعليمية تعتمد على البحث العلمي والتطوير الذاتي مع استخدام المصادر الأكاديمية القانونية.

خامسًا: خلاصة البحث:

من خلال دراسة ظاهرة النسخ غير القانوني للكتب العلمية بين طلاب الجامعات السعودية، يتضح أن هذه الظاهرة تتطلب معالجة متعددة الأبعاد تشمل الجوانب التشريعية، والتوعوية، والاقتصادية، مع التركيز على الأطر القانونية. ينبغي على الجامعات السعودية والحكومة التعاون لتوفير بدائل قانونية وميسورة للطلاب، بالإضافة إلى تطوير برامج تعليمية متكاملة تهدف إلى رفع الوعي حول حقوق النشر وتعزيز احترام الملكية الفكرية. علاوة

على ذلك، فإن تطبيق القوانين بحزم وتحديثها باستمرار لتناسب مع التحديات الجديدة، يمثل جزءاً أساسياً من الحل. ويتضح من نتائج البحث أن النظام القانوني الحالي يوفر حماية أساسية لحقوق النشر، لكنه يواجه تحديات تتعلق بتطبيق هذه الحماية في ظل التغيرات التكنولوجية وتزايد حالات النسخ الرقمي.

ويبرز البحث ضرورة تحسين التشريعات القانونية وتطوير آليات الرصد والمتابعة لمواكبة التطورات التكنولوجية وضمان تطبيق فعال للقوانين، كما يؤكد البحث على أهمية تعزيز التوعية القانونية بين الطلاب وأعضاء هيئة التدريس، وتطوير سياسات جامعية واضحة لمراقبة استخدام المواد الأكاديمية، وتظهر النتائج أيضاً أن تعزيز التعاون مع الهيئات الدولية وتحسين برامج التدريب يمكن أن يساهم في تحسين حماية حقوق النشر في المملكة، ويجب أن يكون هناك تركيز على تطوير استراتيجيات تقنية لمكافحة النسخ غير القانوني وزيادة الوعي بأهمية حقوق النشر، كما تتوافق التوصيات مع رؤية المملكة ٢٠٣٠ من خلال تعزيز جودة التعليم والأمانة الأكاديمية، فمن خلال تنفيذ التوصيات المقترحة، يمكن أن تساهم المملكة في تحقيق أهدافها التعليمية وتوفير بيئة تعليمية أكثر نزاهة وابتكاراً.

سادساً: اتجاهات البحث المستقبلية:

تشمل الاتجاهات المستقبلية دراسة فعالية التعديلات التشريعية المقترحة، وتحليل تأثير التكنولوجيا على حقوق النشر، وتقييم برامج التوعية القانونية؛ إذ يمكن أن تساهم هذه الدراسات في تحسين الأطر القانونية وتوفير حلول مبتكرة للتحديات المتزايدة في مجال حماية حقوق النشر. ويقدم هذا البحث أساساً قوياً لمواصلة العمل على تعزيز حماية حقوق النشر ومكافحة النسخ غير القانوني، مما يعزز من جودة التعليم ويساهم في تحقيق الأهداف الاستراتيجية للمملكة.



سابعاً: مراجع البحث:

1. المراجع العربية:

1. الهيئة السعودية للملكية الفكرية. ٢٠٢٠. القواعد التنفيذية لحقوق المؤلف. تاريخ الوصول ٢٠٢٤. <https://www.saip.gov.sa/en>.
2. —. ٢٠٠٣. نظام حقوق المؤلف. تاريخ الوصول ٢٠٢٤. <https://www.saip.gov.sa/ar>.
3. خالد عبدالله العقيف. ٢٠١١. «حماية حقوق الملكية الفكرية»، رسالة ماجستير، جامعة نايف العربية للعلوم الأمنية، كلية الدراسات العليا، قسم العدالة الجنائية ١-٩٨. <https://repository.nauss.edu.sa/handle/123456789/51830>.
4. طارق عويض السواط. ٢٠٢١. «أسباب السرقة العلمية في الأوساط الأكاديمية برسائل الماجستير والدكتوراه لدى طلاب الدراسات العليا بالجامعات السعودية». المجلة الدولية للتعليم الإلكتروني ٤(٣): ٤٥٥-٤٧٤. [doi:https://doi.org/10.21608/ijel.2021.211786](https://doi.org/10.21608/ijel.2021.211786).
5. عبدالله بدوي الزهراني. ٢٠٢٤. «النسخة الخاصة كاستثناء على حقوق المؤلف في المملكة العربية السعودية: دراسة مقارنة». مجلة البحوث الفقهية والقانونية ٤٧(٤٧): ١٠٧١-١١١٨. [doi:https://doi.org/10.21608/jlr.2024.316344.1508](https://doi.org/10.21608/jlr.2024.316344.1508).
6. علياء محمد الغايش. ٢٠٢٤. «حماية حقوق المؤلف لمصنفاته عبر الإنترنت في ظل قانون حماية حقوق الملكية الفكرية المصري ونظام حماية حقوق المؤلف السعودي». مجلة كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنات بدمههور ٩(١): ٩٢٧-٩٩٦. [doi:https://doi.org/10.21608/jcia.2024.371783](https://doi.org/10.21608/jcia.2024.371783).
7. فوزية أحمد فلاتة. ٢٠٢٠. «نحو استراتيجية مقترحة لتفعيل دور الجامعات السعودية في تعزيز المواطنة الرقمية لطلابها». مجلة كلية التربية بالمنصورة ١١٠(١): ١٩٧-٢٤٥.
8. مذكر سحمي السبيعي. ٢٠٢٠. «نحو رؤية استراتيجية لمكافحة الإرهاب السيبراني: دراسة ميدانية على مراكز المعلومات والتقنية في الجامعات السعودية بمدينة الرياض». المجلة السعودية للقانون ١-١٤٧. <https://repository.nauss.edu.sa/han->

.dle/123456789/66719

9. مسلم عبيد الرشيدى. ٢٠٢٤. «قواعد التمييز بين السرقات الأدبية قديما وحديثا». مجلة الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة ١٠ : ٣٢-١. <https://journals.iu.edu.sa/ALS/Main/Article/5573>.
10. وزارة التجارة. ٢٠١٨. «تقرير حقوق الملكية الفكرية في المملكة العربية السعودية». وزارة التجارة والاستثمار (الرياض). تاريخ الوصول ٢٠٢٤. <https://mc.gov.sa/ar/pages/default.aspx>.
11. وزارة التعليم. ٢٠٢١. سياسة حقوق النشر للجامعات السعودية. تاريخ الوصول ٢٠٢٤. <https://moe.gov.sa/ar/pages/default.aspx>.
12. وزارة الثقافة والإعلام. ٢٠٢١. الدليل الإرشادي لحقوق المؤلف في السعودية. تاريخ الوصول ٢٠٢٤. <https://www.moc.gov.sa>.
13. وزارة العدل. ٢٠١٩. التشريعات المتعلقة بحقوق النشر في المملكة. تاريخ الوصول ٢٠٢٤. <https://www.moj.gov.sa/ar/pages/default.aspx>.

2. المراجع الأجنبية:

1. Abdelkader, O. A., and A. A. Abdelkader. 2019. "The Concept of Pink Marketing: A meta-analysis from The Gender Differences Prespective." Journal of Theoretical and Applied Information Technology, Vol. 97, No. 10, 2761-2774. <https://www.jatit.org/volumes/Vol97No10/10Vol97No10.pdf>.
2. Abdelkader, Osama Ahmed. 2017. "Significant concerns influence online pro bono volunteering of faculty members." Computers in Human Behavior 73 (C): 547-553. doi:<https://doi.org/10.1016/j.chb.2017.03.072>.
3. Abdelkader, Osama. 2021. "Impacts of perceived-value and key features of distance education on marketing-students' overall-satisfaction." Elementary Education Online



- 20 (4): 3232-3244. doi:<https://doi.org/10.17051/ilkon-line.2021.04.368>.
4. Adomako, S., & Tran, MD. 2024. "Intellectual property rights protection and sustainable innovation performance: The mediating role of technology spillover." *Sustainable Development* 1-13. doi:<https://doi.org/10.1002/sd.3220>.
 5. Alghamdi, H.D. 2023. "Saudi Efforts to Protect Intellectual Property Rights." *Journal of Law and Political Sciences* 36 (1): 186-154.
 6. Alsaleh, M., Abdul-Rahim, A.S., & Yuan, Y. 2024. "Evolution through intellectual property rights in the aquaculture sector: reshaping aquaculture production networks." *Environment Development and Sustainability* 1-28. doi:<https://doi.org/10.1007/s10668-024-05242-9>.
 7. Chen, D., & Chen, S. 2024. "Promoting corporate independent innovation through judicial protection of intellectual property rights." *China Economic Quarterly International* (4(3)): 167-181. doi:<https://doi.org/10.1016/j.ceqi.2024.09.002>.
 8. Feldman, R. 2024. "Paucity of intellectual property rights information in the US biologics system a decade after passage of the Biosimilars Act." *PLOS Medicine* (21(4)). doi:[10.1371/journal.pmed.1004381](https://doi.org/10.1371/journal.pmed.1004381).
 9. Gyedu, S., Tang, H., & Kissi, G.D. 2024. "The Relationship Between Intellectual Property Rights, Innovation, and Economic Development in the G20 and Selected Developing Countries." *Journal of the Knowledge Economy* 1-34. doi:<https://doi.org/10.1007/s13132-024-01859-3>
 - 10 - Izyumenko, E. 2024. "Intellectual Property in the Age of the Environmental Crisis: How Trademarks and Copyright Challenge the Human Right to a Healthy Environment." *IIC-Inter-*

- national Review of Intellectual Property and Competition Law (55): 864-900. doi:<https://doi.org/10.1007/s40319-024-01478-0>.
- 11 - Luo, Q.F., & Zhao, X. 2024. "Exploring the optimal boundaries of intellectual property rights and environmental regulation for enhancing technological innovation: A perspective of boundary effects in China." *Technology Analysis & Strategic Management*. doi:10.1080/09537325.2024.2405575.
 - 12 - Nguyen, TT, Duong, TH, & Truong, TMA. 2024. "The impact of trust on intellectual property right protection: A cross-national study." *Journal of Economics and Development* (26(1)): 67-80. doi:<https://doi.org/10.1108/JED-05-2021-0063>.
 - 13 - Nie, S. 2024. "Does intellectual property rights protection matter for low-carbon transition? The role of institutional incentives." *Economic Modeling* (140). doi:10.1016/j.econmod.2024.106842.
 - 14 - Viglioni, MTD, Calegario, CLL, & Bruhn, NCP. 2024. "Foreign direct investment and environmental degradation: Can intellectual property rights help G20 countries achieve carbon neutrality?" *Technology in Society* (77): 102501. doi:<https://doi.org/10.1016/j.techsoc.2024.102501>.
 - 15 - Xu, RX, Yang, YB, & Zheng, ZJ. 2024. "Intellectual property rights, taxation, and firms' innovation: theory and evidence from China." *Journal of Economics* (142(1)): 81-109. doi:10.1007/s00712-023-00853-8.
 - 16 - Zaman, K. 2024. "Decolonizing Human Rights Law in Global Health - the Impacts of Intellectual Property Law on Access to Essential Medicines: A Perspective from the COVID-19 Pandemic." *Asian Journal of International Law*. doi:10.1017/S2044251323000747.



تقارير أم المؤمنين خديجة -رضي الله عنها- للقيم الاجتماعية اللازمة لشخصية الداعية
من خلال وصفها للرسول ﷺ في حديث بدء الوحي

**The reports of Khadija, the Mother of Believers
(may Allah be pleased with her) on the social values
necessary for the personality of the preacher through her
description of the Prophet (peace and blessings of Allah be
upon him) in the Hadith of the beginning of Revelation**

د. عبد الله بن ناصر العطني

الأستاذ المشارك في كلية الشريعة والقانون - جامعة الجمعة

Abdullah Nasser Muhammad Al-Atni Dr.

Associate Professor, College of Shrraria and Law,

Majmaah University

حاصل على درجة الماجستير من جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

تخصص: الدعوة والاحتساب

حاصل على درجة الدكتوراه من الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة

تخصص: الدعوة والثقافة الإسلامية

abdullahalatni@mu.edu.sa

ORCID: 2230 – 3566 – 0007 – 0009



<https://doi.org/10.65728/1625-000-022-005>

المستخلص

يهدف هذا البحث إلى بيان القيم الاجتماعية اللازمة لشخصية الداعية، من خلال ما قرره أم المؤمنين خديجة -رضي الله عنها- في حديث بدء الوحي من قيم اجتماعية كان يتحلى بها الرسول ﷺ، وقد تناولها البحث في ست قيم بالشرح والبيان، وهي: صلة الرحم، والصدق، وحمل الكل، وإكساب المعدوم، وإقراء الضيف، والإعانة على نوائب الحق. واعتمد الباحث على المنهج الوصفي الاستقرائي والمنهج التحليلي، ومنهما خلص إلى نتائج البحث والتي من أبرزها: قد يظن من يقرأ حديث بدء الوحي لأول وهلة أن النبي ﷺ كان منعزلاً عن المجتمع بالكلية، يتحنّث في الغار أياماً، ويعود فيتزود لمثلها، وهكذا دون أن يكون له حظ في معايشة الناس ومخالطة المجتمع، وهذا الظن ينفيه كلام خديجة -رضي الله عنها- في بيان القيم الاجتماعية التي كان يتحلى بها. هذه القيم الاجتماعية الست مجتمعة قيم لازمة لشخصية الداعية؛ لينجح في دعوته وتحظى بالقبول، وإن حُرِم منها؛ فلن تجد دعوته قوة التأثير في الناس لافتقادهم فيه ما يأملونه. وأوصى الباحث الباحثين والأكاديميين وطلاب الدراسات العليا بتتبع الأحاديث النبوية المروية عن بعض أمهات المؤمنين، مثال ذلك حديث أم سلمة -رضي الله عنها- في صلح الحديبية وغيره.

كلمات مفتاحية: التقرير، القيم، الاجتماعية، الشخصية، الداعية.



Abstract

This research aims to explain the social values necessary for the personality of the preacher, based on the statements of Khadija, Mother of the Believers (may Allah be pleased with her) in the Hadith regarding the beginning of the revelation and the social values of the Prophet (peace and blessings of Allah be upon him). These values are addressed in six categories in the research, explained and analyzed as follows: the connection of the womb, honesty, bearing responsibilities, giving to the needy, hosting guests, and helping the oppressed. The researcher used the descriptive-inductive method and the analytical method, from which he concluded the results of the research, the most prominent of which are: those who read the Hadith of the beginning of the revelation may think at first glance that the Prophet (peace and blessings of Allaah be upon him) was isolated from society in college, secluded for days in the cave, and returned to the same, and so on without having luck in living with people and socializing with society, and this belief is denied by the words of Khadija (may Allaah be pleased with her) in the statement of the social values that he had. These six social values taken together are necessary values for the personality of the preacher; to succeed in his call and gain acceptance, and if he is deprived of them, his call will not find the power to influence people because they lack what they hope for. The researcher recommended researchers,

academics and graduate students to follow the narrated Prophetic Hadiths about some Mothers of Believers, for example, the Hadith of Umm Salama (may Allah be pleased with her) in Sulh Hudaybiyyah and others.

Keywords : Affirmation, Values, Social ,Personality, Preacher, Da'iyah.



بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٦٦﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ، فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧٠-٧١]، وبعد:

فإن دراسة السيرة النبوية الشريفة -على صاحبها أفضل الصلاة وأتم السلام- مما ينبغي لكل مسلم أن يهتم بها، ويجتهد فيها، ويشتغل عليها؛ وذلك من باب الامتثال للأمر الإلهي بالافتداء والتأسي به، والسير على نهجه، واقتفاء أثره، فقد ورد في القرآن الكريم ما يفيد ذلك؛ إذ قال الله سبحانه وتعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِيهِمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَمَن يَتَوَلَّ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ﴾ [الممتحنة: ٦]، هذا للمسلم العادي؛ فضلاً عن أولوية الدعاة في ذلك، فهم الأسوة والقُدوة العملية لكل المجتمع.

والدعوة إلى الله -تبارك وتعالى- هي أعظم مهمات رسولنا ﷺ والأنبياء والرسل من قبله، وهي الوسيلة لتحقيق توحيد الله وعبوديته والاستقامة على منهجه وشريعته، قال تعالى: ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعِيَ وَسُبْحٰنَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [يوسف: ١٠٨]، وقال تعالى: ﴿وَادْعُ إِلَىٰ رَبِّكَ إِنَّكَ لَعَلَىٰ هُدًى مُّسْتَقِيمٌ﴾ [الحج: ٦٧]، وهي الميزة التي فضّل الله تعالى بها هذه الأمة على سائر الأمم؛ فقال تعالى: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾ [آل عمران: ١١٠]، وأمر الله تعالى عباده بها وحثهم عليها فقال: ﴿وَادْعُ إِلَىٰ رَبِّكَ إِنَّكَ

لَعَلِّي هُدَى مُسْتَقِيمٌ ﴿[الحج: ٦٧]﴾، فالدعوة إلى الله تعالى من أجل الأعمال وأفضلها على الإطلاق، وهي وظيفة الأنبياء والمرسلين وعباد الله الصالحين، وهي ضرورة لتبليغ شرع الله تعالى وإقامة الحجة على الناس، ولن يتأتى ذلك إلا بدعاة مؤهلين للدعوة مع تحليهم بالقيم الاجتماعية؛ لذا كان الداعية إلى الله تعالى العامل بما يدعو إليه، من أحسن الناس قولاً، قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ [فصلت: ٣٣]، بل إن الداعية له أجره من الله الكريم، وله كذلك أجر من دعاهم إلى الله تعالى، قال ﷺ: «من دعا إلى هدى كان له من الأجر مثل أجور من تبعه لا ينقص من أجورهم شيئاً» (١).

وشخصية الداعية لا بد أن تقوم على أسس رصينة، وأصول راسخة، ومنهجية صحيحة، وقيم ثابتة، وأخلاق فاضلة، فإن الداعي إن دعا على جهالة قد يخطئ من حيث أراد الإصابة ويضر من حيث أراد النفع، وإن دعا دون أن يتحلى بالقيم اللازمة لشخصية الداعي إلى الله لا سيما الاجتماعية منها والمطلوبة لدعوته، فلن يكون مؤثراً في مجتمعه ولن يستجيب له الناس، حيث لا بد أن يكون على خلق عظيم، وقيم إنسانية، ومشاركة اجتماعية فاعلة. وإن خير ما يعين الداعية على الفقه في أمور الدعوة بعد التمعن والتدبر في كتاب الله تعالى - النظر في سنة النبي ﷺ وسيرته منذ بداية البعثة، ليتعلم من شخصيته، ويتبع منهجه ﷺ وأحواله وطريقته في الدعوة إلى الله تعالى، فضلاً عن التحلي بصفاته والتخلق بأخلاقه؛ فإن فيهما من الكنوز والدرر ما يغني الداعية في مسيرته الدعوية ويجعله قادراً على التعامل الأمثل مع جميع أفراد المجتمع.

ونجاح الداعية في دعوته، وقدرته على التأثير في الناس، وحمل هم الدعوة ومعها تبنيه لهموم الناس أيضاً، لن يتحقق بشكل فاعل إلا إذا تحلى بدايةً بالقيم الاجتماعية التي ينبغي أن تكون معلماً بارزاً في شخصيته؛ لذا رأى الباحث اختيار هذا الموضوع والذي جعله (١) مسلم، صحيح مسلم، كتاب العلم، باب من سن سنة حسنة أو سيئة ومن دعا إلى هدى أو ضلالة، ٦٢/٨، حديث رقم ٢٦٧٤.



بعنوان: (تقرير أم المؤمنين خديجة - رضي الله عنها- للقيم الاجتماعية اللازمة لشخصية الداعية من خلال وصفها للرسول ﷺ في حديث بدء الوحي)، على أن المقصود بالقيم اللازمة هنا لزوم التأثير في شخصية الداعية لا لزوم الوجوب الشرعي.

❖ مشكلة البحث وتساؤلاته:

في ظل استشعار اهم الدعوي ومسؤولية إبلاغ دين الله -تعالى- وخدمته وتعبيد الناس به، يأتي موضوع القيم التي ينبغي أن يتحلى بها الداعية وهو بصدد تحمُّل مسؤولية الدعوة إلى الله، وتعد القيم الاجتماعية من أبرز ما ينبغي أن يحرص عليها الداعية، خاصة وأنه لا يخفى عليه أن هذه القيم الاجتماعية كانت بارزةً في شخصية الرسول ﷺ قبل البعثة فضلاً عن بعدها، لذا كان حديث بدء الوحي معلماً بارزاً من معالم القيم الاجتماعية في شخصية الداعية وفق ما قرره أم المؤمنين خديجة - رضي الله عنها- من وصفها للقيم الاجتماعية التي كانت ظاهرةً بجلاء في النبي ﷺ.

وبناءً على ما سبق فإن مشكلة هذا البحث تتمحور حول إثارة التساؤل الرئيس الآتي: ما القيم الاجتماعية اللازمة لشخصية الداعية وفق ما قرره أم المؤمنين خديجة - رضي الله عنها- من خلال وصفها للرسول ﷺ في حديث بدء الوحي؟

وتتفرع عن هذا التساؤل الرئيس التساؤلات الفرعية الآتية:

- 1 - ماذا تعني قيمة صلة الرحم اللازمة لشخصية الداعية؟
- 2 - ماذا تعني قيمة صدق الحديث اللازمة لشخصية الداعية؟
- 3 - ماذا تعني قيمة حمل الكل اللازمة لشخصية الداعية؟
- 4 - ماذا تعني قيمة إكساب المعدم اللازمة لشخصية الداعية؟
- 5 - ماذا تعني قيمة إقراء الضيف اللازمة لشخصية الداعية؟
- 6 - ماذا تعني قيمة الإعانة على نوائب الحق اللازمة لشخصية الداعية؟

❖ أهداف البحث:

يروم هذا البحث تحقيق الأهداف الآتية:

- 1 - بيان قيمة صلة الرحم اللازمة لشخصية الداعية.
- 2 - بيان قيمة صدق الحديث اللازمة لشخصية الداعية.
- 3 - بيان قيمة حمل الكل اللازمة لشخصية الداعية.
- 4 - بيان قيمة إكساب المعلوم اللازمة لشخصية الداعية.
- 5 - بيان قيمة إقراء الضيف اللازمة لشخصية الداعية.
- 6 - بيان قيمة الإعانة على نوائب الحق اللازمة لشخصية الداعية.

❖ أهمية الموضوع وأسباب اختياره:

أولاً: تتمثل أهمية موضوع هذا البحث في ارتباطه بشخص الرسول ﷺ الداعية والقيم الاجتماعية التي كان يتحلى بها من قبل البعثة، وكانت من صفاته التي هيأته لمقام النبوة وحمل الرسالة.

ثانياً: تكمن أهمية موضوع هذا البحث في تعلقه بالقيم الاجتماعية التي ينبغي أن يتحلى بها الداعية ليكون مؤهلاً للقيام بواجب الدعوة والتأثير الفاعل في المجتمع.

ثالثاً: لعل القيم الاجتماعية التي تضمنها حديث بدء الوحي هي أبرز احتياجات عموم الناس في حياتهم العامة، والتي إن وجدوا الداعية قائماً بها مبادراً إليها، كانت استجابتهم له أسرع.

رابعاً: يأمل الباحث من بحثه هذا أن يلفت أنظار الدعاة إلى أهمية القيم الاجتماعية في العمل الدعوي، حيث يغفل بعض الدعاة اليوم عن أهمية مراعاة هموم الناس والمبادرة إلى تبني حاجاتهم والمشاركة في قضاء ما يقدر عليه منها.



❖ حدود البحث:

تتخصر الحدود الموضوعية في ست قيم اجتماعية فقط دون غيرها والتي ينبغي أن يتحلى بها الداعية، وفق ما وصفت به أم المؤمنين خديجة -رضي الله عنها- الرسول ﷺ.

❖ الدراسات السابقة:

الدراسة الأولى: مكارم الأخلاق النبوية من وصف أم المؤمنين خديجة رضي الله عنها: دراسة موضوعية في ضوء السنة النبوية، الباحث: عبد الله حسن حامد الأسطل، رسالة ماجستير، كلية أصول الدين بالجامعة الإسلامية - غزة، فلسطين، العام ٢٠٢١م.

تناولت هذه الدراسة بالبيان والشرح والتفصيل مكارم الأخلاق التي أشارت إليها أم المؤمنين خديجة -رضي الله عنها- في وصفها لشخص الرسول ﷺ، في حديث بدء الوحي، حيث أفردت هذه الدراسة لكل خلق من هذه الأخلاق فصلاً كاملاً تناولت كل ما يتعلق به من تعريف وفضل وصلة النبي ﷺ بهذا الخلق والآثار المترتبة عليه.

الدراسة الثانية: القيم الإنسانية في خطاب خديجة أم المؤمنين رضي الله عنها: قراءة في مبشرات النبوة والوعي السني، الباحثة: د. مسعودة علوش، مجلة الصراط، السنة ١٩، العدد ٣٥، العام ١٤٣٨هـ - ٢٠١٧م.

يروم هذا البحث تقديم قراءة في مبشرات النبوة والوعي السني في خطاب خديجة أم المؤمنين -رضي الله عنها- بإبراز القيم الإنسانية التي تضمنها حين جاءها النبي ﷺ مروعاً يرجف فؤاده فطمّنته بكلمات غيرت بها إدراكه من حال الخوف إلى حال الأمن والبشرى مبينة بوعيتها السني أن الجزء من جنس العمل فكان الاصطفاء والاختيار بمقدار التحلي بالقيم الإنسانية التي تجسدت في سلوكه قبل البعثة.

الدراسة الثالثة: الداعية والمجتمع: مناقشة شرعية اجتماعية تسلط الضوء على أهم الصفات التي ينبغي أن يتحلى بها الداعية ليقوم بدوره الأمثل في المجتمع مع ذكر الشواهد من سنة النبي الكريم ﷺ، الباحث: أحمد محمد عبد الحفيظ، جامعة بنغازي- كلية الآداب والعلوم بالمرج، ليبيا، العدد ٥٩، ٢٠١٨م.

تسلط هذه الدراسة الضوء على شخصية الداعية لما لها من تأثير مهم في المجتمع، والدراسة على أهميتها، فإن قلة المراجع الجامعة للجوانب الاجتماعية والشرعية والتاريخية معاً -وهي الجوانب التي تنبثق منها- تعرقل الباحث في هذا المجال، وهدفها لفت نظر الدعاة إلى الطريقة المثلى في إيصال دعوتهم، من خلال عرض الأمثلة والمواقف من سيرة النبي ﷺ، اشتملت الدراسة على مقدمة وخمسة محاور وخاتمة تشمل قائمة بالمراجع والمحتويات، وتركز على شخصية الداعية وعلى المجتمع معاً، من مراعاته لطبيعة المجتمع وعلمه بما يدعو إليه.

الدراسة الرابعة: أساليب التزكية المستفادة من شرح الإمام ابن أبي جمرة لحديث بدء الوحي: دراسة تحليلية، الباحث: مصطفى محمد يسلم الأمين الجكني، مجلة الحديث، الكلية الجامعية الإسلامية العالمية بسلانجور، معهد دراسات الحديث النبوي، الهند، العدد ١٧، عام ٢٠١٩م.

يهدف البحث إلى تسليط الضوء على أساليب تزكية النفس الواردة في حديث بدء الوحي عند الإمام ابن أبي جمرة، لكونه علماً بارزاً في جانب شرح الحديث وجانب تزكية النفس من خلال شرحه له، والتوصل إلى كيفية استنباطها من الحديث والأدلة الشرعية الدالة عليه، كما يهدف إلى المشاركة بإضافة أساليب مستفادة من الحديث لم يشر إليها الإمام ابن أبي جمرة في شرحه له، وأثبت البحث ١١ أسلوباً من أساليب تزكية النفس أوردها ابن أبي جمرة وفعاليتها وأهميتها.

الدراسة الخامسة: بناء شخصية الداعية الاجتماعية على ضوء الأحاديث النبوية السائرة مسار المثل، الباحث: محمد بن عبد العزيز بن صالح الثويني، مجلة الدراسات



الدعوية، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية - الجمعية السعودية للدراسات الدعوية، العدد ٨، ١٤٣٧هـ - ٢٠١٦م.

سعى هذا البحث إلى بناء شخصية الداعية الاجتماعية على ضوء الأحاديث النبوية السائرة مسار المثل، واعتمد البحث على المنهج الاستقرائي. وأوضح بناء الشخصية ومقومات بناء شخصية الداعية الاجتماعية على ضوء الأحاديث النبوية السائرة مسار المثل متضمناً معنى بناء الشخصية وأهميته للداعية، وعوامل بناء شخصية الداعية الاجتماعية، وأشارت نتائج البحث إلى وضوح أثر تلك الأحاديث في بناء شخصية الداعية الاجتماعية سواء ذلك في خاصة نفسه أو مع مجتمعه الذي يعيش فيه أو مع المدعويين الذين يستهدفهم في دعوته.

- الفرق بين بحثي والدراسات السابقة:

تلامس الدراسات السابقة بعض الجوانب في بحثي من زوايا مختلفة، كلها مفيدة لإثراء بحثي وفق سياقه المختلف، بيد أن الفروق بينها وبين بحثي ظاهرة، من حيث عناوينها ومجالها وعمومها، إذ لا توجد دراسة منها ربطت حديث بدء الوحي بالقيم الاجتماعية اللازمة تحديداً لشخصية الداعية.

❖ منهج البحث:

إن طبيعة موضوع هذا البحث استلزمت استخدام منهجين علميين، هما:

المنهج الوصفي الاستقرائي: وهو المنهج الذي يُعرَّف بأنه: «الجمع المتأني والدقيق للسجلات والوثائق المتوفرة ذات العلاقة بموضوع البحث من أدلة وبراهين تبرهن على إجابة أسئلة البحث»^(١)، فهو منهجٌ يسعى إلى جمع الحقائق والبيانات عن الظاهرة محط الدراسة وتفسيرها وتحليلها واستنباط النتائج والدلالات المفيدة التي تؤدي إلى إصدار

(١) المدخل إلى البحث في العلوم السلوكية، صالح العساف، مكتبة العبيكان، الرياض، السعودية، ١٤١٦هـ، ص: ٢٠٦.

تعميمات بشأن موضوع الدراسة، وهذا ما سأبني عليه بحثي هذا.

المنهج التحليلي: وهو «المنهج الذي يمكّن الباحث من القيام بتحليل الظاهرة التي يتم دراستها، ويقوم بالمقارنة بينها وبين كافة الظواهر الأخرى التي تتعلق بها، لكي يتم تفسيرها وتحليلها واستنتاج الحلول بشكل مدروس»^(١)، ومن هذا المنهج سأقوم أيضاً بتحليل تقارير أم المؤمنين خديجة -رضي الله عنها- المتعلقة بالقيم الاجتماعية لشخصية الداعية. ومن عموم منهج التحليل؛ فإن المنهج المتفرع عنه في هذا البحث هو التحليل الكيفي.

❖ تقسيمات خطة البحث:

- مقدمة
- تمهيد
- أولاً: مصطلحات البحث.
- ثانياً: حديث بدء الوحي وشرحه.
- المبحث الأول: قيمة صلة الرحم اللازمة لشخصية الداعية.
- المبحث الثاني: قيمة صدق الحديث اللازمة لشخصية الداعية.
- المبحث الثالث: قيمة حمل الكل اللازمة لشخصية الداعية.
- المبحث الرابع: قيمة إكساب المعدوم اللازمة لشخصية الداعية.
- المبحث الخامس: قيمة إقراء الضيف اللازمة لشخصية الداعية.
- المبحث السادس: قيمة الإعانة على نوائب الحق اللازمة لشخصية الداعية.
- خاتمة: تشتمل على نتائج البحث والتوصيات.
- قائمة المصادر والمراجع.

(١) البحث العلمي؛ الخطوات المنهجية لإعداد البحوث الاجتماعية، شفيق، محمد، مصر، المكتبة الجامعية، ٢٠٠١م، ص ١١١.



تمهيد

أولاً: مصطلحات البحث:

١. **تقرير:** تقرير [مفرد]: جمعها تقارير (لغير المصدر) وتقارير (لغير المصدر)، ومصدرها: قَرَّرَ. (١) وقرر: «روى، قص، أخبر، أقرَّ، صدَّق، وافق على، أكَّد، أيَّد». (٢) وتقرير: «بيان تُشرح فيه مسألة، أو قضية، أو تفاصيل حادث، أو نتائج دراسة ما». (٣)

٢. **القيم:** القِيَمَةُ في اللغة: وَاحِدَةُ الْقِيَمِ، وأصله الْوَأْوُ (٤) لَأَنَّهُ يُقْوَمُ مَقَامَ الشَّيْءِ. والقيمة: ثَمَنُ الشَّيْءِ بِالتَّقْوِيمِ. (٥) والقيم جمع قيمة، وأصلها قَوِّم، قال ابن فارس: «القاف والواو والميم أصلان صحيحان، يدل أحدهما على جماعة ناس، وربما استعير في غيرهم. والآخر على انتصاب أو عزم» (٦)، وذكرت معاجم اللغة الكثير من المعاني المتعلقة بمادة (ق و م)، أبرزها: العزم، ومنه قوله تعالى: ﴿وَأَنَّهُ لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ يَدْعُوهُ كَادُوا يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا﴾ [الجن: ١٩]. (٧)

أما القيم في الاصطلاح، فقد تعددت الاتجاهات واختلفت المدارس العلمية في تحديد

(١) أحمد مختار عبد الحميد عمر، معجم اللغة العربية المعاصرة، بمساعدة فريق عمل، ط ١، عالم الكتب، ١٤٢٩ هـ - ٢٠٠٨ م، ٣/١٧٩٥.

(٢) رينهارت بيتر آن دوزي (ت ١٣٠٠هـ)، تكملة المعاجم العربية، نقله إلى العربية وعلق عليه: محمد سليم النعيمي، ط ١، الجمهورية العراقية، وزارة الثقافة والإعلام، ١٩٧٩ م - ٢٠٠٠ م، ٨/٢٠٦.

(٣) أحمد مختار، معجم اللغة العربية المعاصرة، ٣/١٧٩٥.

(٤) المراد أن أصلها (قوم) فقلبت الواو ياء لسكونها وكسر ما قبلها. ينظر: نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم ﷺ، عدد من المختصين بإشراف الشيخ/صالح بن عبد الله بن حميد إمام وخطيب الحرم المكي، ط ٤، جدة، دار الوسيلة للنشر والتوزيع، ب ت، ١/٧٥.

(٥) ينظر: محمد بن مكرم بن علي جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعي الإفريقي، لسان العرب، ط ٣، بيروت، دار صادر، ١٤١٤هـ، ١٢/٥٠٠. تاج العروس من جواهر القاموس، الزبيدي، محمد مرتضى الحسيني، تحقيق: جماعة من المختصين، الكويت، وزارة الإرشاد والأنباء، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١ م، ٢٣/٣١٢.

(٦) أحمد بن زكريا ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، المحقق: عبد السلام محمد هارون، اتحاد الكتاب العرب، طبعة ١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٢ م، ٥/٤٣.

(٧) ابن منظور، لسان العرب، ١٢/٤٩٧.

مفهومها، ومن ثم فإن المعنى الاصطلاحي لها يختلف باختلاف الاتجاهات والآراء، وبوجه عام يمكن تعريف القيم بأنها: «مجموعة من المبادئ والمقاييس والمعايير الحاكمة على أفكار الإنسان ومعتقداته واتجاهاته، وتؤثر في حياته، لتمثلها في سلوكياته العملية وتصرفاته». (١) كما عرّفت بأنها: «نظام يقوم على مجموعة من المعتقدات الربانية، يؤمن بها الفرد ويتمثلها المجتمع، وينبثق عنها سلوك محكوم بمجموعة من الأحكام المستوحاة من الشريعة الإسلامية، يتمثلها الأفراد مختارين بغية الرقي في حياتهم المادية والروحية». (٢) وأغلب تعريفات القيم عامة، «أما القيم من المنظور الإسلامي فهي مجموعة المبادئ والقواعد والمثل العليا التي نزل بها الوحي، والتي يؤمن بها الإنسان ويتحدد سلوكه في ضوئها، وتكون مرجع حكم في كل ما يصدر عنه من أفعال وأقوال وتصرفات تربطه بالله والكون». (٣)

ومن جهةٍ أخرى؛ عُرِّفَت القيم باعتبارها معايير ومقاييس للحكم على الأشياء بالحسن أو القبح، ذلك بأن «القيم مجموعة من المعايير والأحكام التي تتكون لدى الفرد من خلال تفاعله مع المواقف والخبرات الفردية والاجتماعية بحيث تمكنه من اختيار أهداف وتوجهات لحياته، يراها جديرة بتوظيف إمكانياته وتجسد خلال الاهتمامات، أو الاتجاهات، أو السلوك العملي، أو اللفظي بطريقة مباشرة وغير مباشرة». (٤)

ولعل التعريف الأرجح للقيم وفق موضوع البحث بأنها: «مجموعة من القوانين والمقاييس تنشأ في جماعة ما، ويتخذون منها معايير للحكم على الأعمال والأفعال المادية والمعنوية، وتكون لها من القوة والتأثير على الجماعة، بحيث يصبح لها صفة الإلزام والضرورة

(١) ينظر: نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم ﷺ، عدد من المختصين، ٧٧/١: ٨٧.

(٢) ماجد زكي الجلال، دراسات في التربية الإسلامية، ط ١، عمان، دار الرازي للطباعة والنشر، ٢٠٠٣م، ص ٨٥.

(٣) عبد الجواد السيد بكر، فلسفة التربية الإسلامية في الحديث الشريف، ط ١، مصر، دار الفكر العربي، ١٩٨٣م، بركات أحمد لطفي، في فلسفة التربية، الرياض، دار المريخ، ب ط، ١٤٠٣هـ، ص ١٥.

(٤) ماجد الزيود، الشباب والقيم في عالم متغير، عمان، دار الشروق، ٢٠٠٦م، ص ٢٥.



والعمومية، وأي خروج عليها أو انحراف على اتجاهاتها يصبح خروجاً عن مبادئ الجماعة وأهدافها ومثلها العليا»^(١).

٣. القيم الاجتماعية: يعرفها المختصون في علم النفس الاجتماعي بأنها: «معيار اجتماعي ذو صيغة انفعالية قوية وعامة، تتصل من قريب بالمستويات الخلقية التي تقدمها الجماعة ويمتصها الفرد من بيئته الاجتماعية الخارجية وقيم منها موازين يبرر بها أفعاله، ويتخذها هادياً ومرشداً»^(٢).

وبوجه عام يمكن ترجيح القول إن القيم الاجتماعية داخل أي جماعة أو أي مجتمع هي: «مجموعة من المعتقدات التي تتسم بقدر من الاستمرار النسبي، والتي تمثل موجّهات للأشخاص نحو غايات أو وسائل لتحقيقها، أو أنماط سلوكية يختارها ويفضلها هؤلاء الأشخاص بدلاً لغيرها، وتنشأ هذه الموجّهات عن تفاعل بين الشخصية والواقع الاجتماعي والاقتصادي والثقافي، وتفصح القيم عن نفسها في المواقف والاتجاهات والسلوك والعواطف التي يكونها الأفراد نحو موضوعات معينة»^(٣).

والقيم الاجتماعية المعني بها هذا البحث هي القيم التي تضمنها حديث بدء الوحي.

٤. اللزوم: [ل ز م] لَزِمَ الشَّيْءُ لَزْمًا وَلُزُومًا، وَلَا زَمَهُ مُلَازِمَةً وَلِزَامًا، وَالزَّرَمَهُ وَالزَّمَهُ إِيَّاهُ. وَرَجُلٌ لَزْمَةٌ: يَلْزَمُ الشَّيْءَ فَلَا يُفَارِقُهُ^(٤). ولزوم الشيء: الثبات والمداومة عليه^(٥).

(١) بركات أحمد لطفي، في فلسفة التربية، دار المريخ، الرياض، ١٤٠٣ هـ، ص ٢٥٠.

(٢) ينظر: فؤاد السيد البهي، وسعد وعبد الرحمن، علم النفس الاجتماعي رؤية معاصرة، القاهرة، دار الفكر العربي، ١٤١٩ هـ - ١٩٩٩ م، ص ٩٤.

(٣) علي عبد الرزاق جلي، دراسات في المجتمع والثقافة الشخصية، بيروت، دار النهضة العربية، ١٨٨٤ م. دليل الداعية، السلطان، ناجي بن دابل، ط ١، دار طيبة الخضراء، ب ت، ص ١٣٤.

(٤) علي بن إسماعيل بن سيده المرسي أبو الحسين (ت: ٤٥٨ هـ)، المحكم والمحيط الأعظم، المحقق: عبد الحميد هندراوي، ط ١، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠٠ م، ٥٨/٩.

(٥) ينظر: أحمد بن محمد بن علي الفيومي ثم الحموي، أبو العباس (ت نحو ٧٧٠ هـ)، المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، المكتبة العلمية، بيروت، ب ط، ب ت، ٥٥٢/٢.

وامتناع الانفكاك عنه.^(١) ولا يكون اللزوم إلا في الحق؛ يقال: لزم الحق ولا يقال لزم الباطل.^(٢) واللزوم هنا المعني به ما يلزم شخصية الداعية من قيم اجتماعية لا ينبغي أن تنفك عنه ليكون مؤهلاً للدعوة وناجحاً في دعوته، وهذا ما يتوافق مع البحث.

٥. **الداعية: داعية [مفرد]:** مَنْ يَدْعُو وَيُعَلِّم وَيُرْشِدُ إِلَى دِينٍ أَوْ فِكْرَةٍ (التاء للمبالغة).^(٣) «جمعها دُعاة: قوم يَدْعُونَ إِلَى بَيْعَةٍ هَدَى أَوْ ضَلَالَةٍ، واحدٌ داع، وَرَجُلٌ دَاعِيَةٌ إِذَا كَانَ يَدْعُو النَّاسَ إِلَى بَدْعَةٍ أَوْ دِينٍ، أَدْخَلَتِ الْهَاءُ فِيهِ لِلْمُبَالَغَةِ». (٤)

ثانياً: حديث بدء الوحي وإيضاح مفرداته.

أ. حديث بدء الوحي:

«حدثنا يحيى بن بكير قال: حدثنا الليث عن عُقَيْلٍ، عَنِ ابْنِ شَهَابٍ، عَنْ عُرْوَةَ بْنِ الزُّبَيْرِ، عَنْ عَائِشَةَ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ أَنَّهَا قَالَتْ: أَوَّلُ مَا بُدِيَ بِهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مِنَ الْوَحْيِ الرُّؤْيَا الصَّالِحَةُ فِي النَّوْمِ، فَكَانَ لَا يَرَى رُؤْيَا إِلَّا جَاءَتْ مِثْلَ فَلَقِ الصُّبْحِ، ثُمَّ حَبَبَ إِلَيْهِ الْخَلَاءُ، وَكَانَ يَخْلُو بَعَارِ حِرَاءٍ، فَيَتَحَنَّنُ فِيهِ -وَهُوَ التَّعَبُّدُ- اللَّيَالِي ذَوَاتِ الْعَدَدِ قَبْلَ أَنْ يَنْزِعَ إِلَى أَهْلِهِ، وَيَتَزَوَّدُ لِذَلِكَ، ثُمَّ يَرْجِعُ إِلَى حَدِيحَةٍ فَيَتَزَوَّدُ لِمِثْلِهَا، حَتَّى جَاءَهُ الْحَقُّ وَهُوَ فِي غَارٍ حِرَاءٍ، فَجَاءَهُ الْمَلَكُ فَقَالَ: اقْرَأْ، قَالَ: (مَا أَنَا بِقَارٍ). قَالَ: (فَأَخَذَنِي فَغَطَّنِي حَتَّى بَلَغَ مِنِّي الْجُهْدَ، ثُمَّ أَرْسَلَنِي فَقَالَ: اقْرَأْ، فُكِّلْتُ مَا أَنَا بِقَارٍ، فَأَخَذَنِي فَغَطَّنِي الثَّانِيَةَ حَتَّى بَلَغَ مِنِّي الْجُهْدَ، ثُمَّ أَرْسَلَنِي فَقَالَ: اقْرَأْ، فُكِّلْتُ: مَا أَنَا بِقَارٍ، فَأَخَذَنِي فَغَطَّنِي الثَّالِثَةَ، ثُمَّ أَرْسَلَنِي فَقَالَ: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ﴿١﴾ خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ ﴿٢﴾ اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ﴾»

(١) ينظر: أحمد رضا، معجم متن اللغة، بيروت، دار مكتبة الحياة، ١٣٨٠هـ - ١٩٦٠م، ١٧٤/٥.

(٢) نور الدين الجزائري (ت ١١٥٨هـ)، معجم الفروق اللغوية، الحاوي لكتاب أبي هلال العسكري، وجزء من كتاب «فروق اللغات» بن نعمة الله، رَبَّهِ وَبَوَّبَهُ عَلَى حُرُوفِ الْمَجَاءِ: الشَّيْخُ بَيْتُ اللَّهِ بَيَات، مؤسسة النشر الإسلامي، ط ١، ١٤١٢هـ، ص ٤٦٤.

(٣) أحمد مختار، معجم اللغة العربية المعاصرة، ٧٤٩/١.

(٤) أبو منصور، محمد بن أحمد بن الأزهر الهروي، (ت ٣٧٠هـ)، تهذيب اللغة، تحقيق: محمد عوض مرعب، دار ط ١، بيروت، إحياء التراث العربي، ٢٠٠١م، ٧٨/٣.



[العلق: ١-٣]، فَرَجَعَ بِهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَرْجُفُ قُوَّادُهُ، فَدَخَلَ عَلَى خَدِيجَةَ بِنْتِ حُوَيْلِدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا فَقَالَ: (زَمَلُونِي زَمَلُونِي)، فَرَمَلُوهُ حَتَّى ذَهَبَ عَنْهُ الرَّوْعُ، فَقَالَ لَخَدِيجَةَ وَأَخْبَرَهَا الْخَبَرَ: (لَقَدْ خَشِيتُ عَلَى نَفْسِي). فَقَالَتْ خَدِيجَةُ: كَلَّا وَاللَّهِ مَا يُخْزِيكَ اللَّهُ أَبَدًا، إِنَّكَ لَتَصِلُ الرَّحِمَ، وَتَحْمِلُ الْكَلَّ، وَتَكْسِبُ الْمَعْدُومَ، وَتَقْرِي الضَّيْفَ، وَتُعِينُ عَلَى نَوَائِبِ الْحَقِّ. فَانْطَلَقَتْ بِهِ خَدِيجَةُ حَتَّى أَتَتْ بِهِ وَرَقَةَ بْنَ تَوْفَلٍ بْنِ أَسَدِ بْنِ عَبْدِ الْعُزَّى، ابْنَ عَمِّ خَدِيجَةَ، وَكَانَ امْرَأً تَنْصَرُّ فِي الْجَاهِلِيَّةِ، وَكَانَ يَكْتُبُ الْكِتَابَ الْعِبْرَانِيَّ، فَيَكْتُبُ مِنَ الْإِنْجِيلِ بِالْعِبْرَانِيَّةِ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَكْتُبَ، وَكَانَ شَيْخًا كَبِيرًا قَدْ عَمِيَ، فَقَالَتْ لَهُ خَدِيجَةُ: يَا ابْنَ عَمِّ، اسْمَعْ مِنْ ابْنِ أَخِيكَ. فَقَالَ لَهُ وَرَقَةُ: يَا ابْنَ أَخِي مَاذَا تَرَى؟ فَأَخْبَرَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ خَبَرَ مَا رَأَى، فَقَالَ لَهُ وَرَقَةُ: هَذَا النَّمُوسُ الَّذِي نَزَلَهُ اللَّهُ بِهِ عَلَى مُوسَى، يَا لَيْتَنِي فِيهَا جَدْعًا، لَيْتَنِي أَكُونُ حَيًّا إِذْ يُخْرِجُكَ قَوْمُكَ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: (أَوْخُرَجِي هُمْ). قَالَ: نَعَمْ، لَمْ يَأْتِ رَجُلٌ قَطُّ يَمَثُلُ مَا جِئْتَ بِهِ إِلَّا عُودِي، وَإِنْ يُدْرِكُنِي يَوْمُكَ أَنْصُرَكَ نَصْرًا مُؤَزَّرًا». متفق عليه، واللفظ للبخاري، وزاد مسلم: «وتصدق الحديث».(١)

ب. إيضاح المفردات:

(فلق الصبح) ضياؤه ونوره، ويقال هذا في الشيء الواضح البين. (الخلاء) الانفراد والخلوة والعزلة. (بغار حراء) الغار هو النقب في الجبل، وحراء اسم لجبل معروف في مكة. (يتحنن) يتعبد. (حتى جاءه الحق) جاءه الوحي بغتة. (ينزع) يرجع. (ما أنا بقارئ) لا أعرف القراءة ولا أحسنها. (فغطني) ضمني وعصريني حتى حبس نفسي، ومثله غمني. (الجهد) الغاية والمشقة. (أرسلني) أطلقني. (علق) جمع علقه، وهي المني بعد أن يتحول إلى دم غليظ متجمد، والآيات المذكورة أول ما نزل من القرآن الكريم، وهي أوائل سورة العلق.

(١) أخرجه البخاري ومسلم؛ محمد بن إسماعيل البخاري الجعفي البخاري، صحيح البخاري، تحقيق: مصطفى ديب البغا، دار ابن كثير، ط ٥، دمشق، دار اليمامة، ١٤١٤هـ - ١٩٩٣م، كتاب: بدء الوحي، باب: كيف بدء الوحي إلى رسول الله ﷺ، ٤/١، حديث رقم: ٣. ومسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري النيسابوري، صحيح مسلم، المحقق: محمد ذهني أفندي وآخرون، دار الطباعة العامرة، تركيا، ط ١، ١٣٣٤هـ، حديث رقم ٩٧/١، ١٦٠.

(يرجف فؤاده) يخفق قلبه بشدة. (زملوني) لفوني وغطوني. (الروع) الفزع. (ما يخزيك) لا يذلِكَ ولا يضيعكَ. (لتصل الرحم) تكرم القرابة وتواسيهم وتحسن إليهم. (تحمل الكل) تقوم بشأن من لا يستقل بأمره ليتم وغيره، وتتوسع بمن فيه ثقل وغلاظة، ويدخل في حمل الكل الإنفاق على الضعيف واليتيم والعيال، وغير ذلك. (تكسب المعدوم) تتبرع بالمال لمن عدمه، وتعطي الناس ما لا يجدونه عند غيرك. (تقري الضيف) تهئ له القرى، وهو ما يقدم للضيف من طعام وشراب. (نائب الحق) النائب جمع نائبة، وهي ما ينزل بالإنسان من المهمات، وأضيفت إلى الحق لأنها تكون في الحق والباطل. (تنصر) ترك عبادة الأوثان واعتنق النصرانية. (الناموس) هو صاحب السر، والمراد جبريل عليه السلام، سمي بذلك لاختصاصه بالوحي. (فيها) في حين ظهور نبوتك. (جذعًا) شائبًا. (يومك) يوم إخراجك، أو يوم ظهور نبوتك وانتشار دينك. (مؤزرا) قويًا، من الأزر وهو القوة. (١)

المبحث الأول

قيمة صلة الرحم اللازمة لشخصية الداعية

صلة الرحم: أصلها مأخوذة من مادة (رحم)، فالراء والحاء والميم أصل واحد يدل على الرقة والعطف والرأفة، والرحم: علاقة القرابة. (٢) و«يطلق الرحم على الذين يرتبطون بقرابة سواء كانوا يتوارثون أو لا يتوارثون، ومن المحارم أو من غيرهم. وقيل إنهم من المحارم فقط». (٣) وقد «اختُلف في حد الرحم التي تجب صلتها، فقيل: كل ذي رحم محرم، بحيث لو كان أحدهما ذكرًا والآخر أنثى حرمت مناكحتها. وقيل: هو عام في كل ذي رحم من ذوي الأرحام في الميراث وهو الصواب». (٤) ويعرفها الإمام النووي -رحمه الله- بقوله: «هي

(١) ينظر: محمد فؤاد عبد الباقي، في شرحه لحديث بدء الوحي في صحيح مسلم، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، القاهرة، ١٣٧٤هـ - ١٩٥٥م، ١/١٣٩.

(٢) ينظر: ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، ٢/٤٩٨.

(٣) محمد طاهر الجوابي، المجتمع والأسرة في الإسلام، ٣، دار عالم الكتب للطباعة والنشر والتوزيع، ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م، ١٤٣.

(٤) محمد الطاهر الميساوي، جهرة مقالات ورسائل الشيخ الإمام محمد الطاهر ابن عاشور، جمعها وقرأها



الإحسان إلى الأقارب، على حسب حال الوصل والموصول؛ فتارة تكون بالمال، وتارة بالخدمة، وتارة بالزيارة والسلام، وغير ذلك»^(١).

وصلة الرحم عبارة عن العلاقات الأسرية القائمة على التوادد والتناصح والبر^(٢)، فتكون بالتوادد والتناصح والعدل والإنصاف والقيام بالحقوق الواجبة والمستحبة، والإنفاق على القريب، وتفقد أحوال الأقارب، والتغافل عن زلاتهم، والدعاء لهم، والمعنى الجامع: إيصال ما أمكن من الخير، ودفع ما أمكن من الشر بحسب الطاقة، وهذا إنما يستمر إذا كان أهل الرحم أهل استقامة، فإن كانوا كفاراً أو فجاراً، فيوصلون إذا كانت صلتهم تقرهم إلى الإسلام، وهذا لا يمنع من الدعاء لهم بالصلاح والهداية.

ومن سبر سيرة النبي ﷺ أدرك تطبيقه للقيم الإنسانية العالية التي اعتبرت من أهم قيم الإسلام، وهذا ما جعل أم المؤمنين خديجة -رضي الله عنها- تقر به خلقاً لافتاً للنظر مفعماً بالإنسانية، وقد كان عليه الصلاة والسلام نموذجاً عملياً فريداً في صلته لرحمه؛ حيث حرص ﷺ على زيارة قبر والدته بعد وفاتها براً وإحساناً إليها، وعلى الرغم من وفاتها في طفولته ﷺ، فإنها لم تغب عن ذاكرته، ولم يهجرها بعد وفاتها، فعن أبي هريرة -رضي الله عنه- قال: «زار النبي ﷺ قبر أمه، فبكى وأبكى من حوله، فقال: استأذنت ربي في أن أستغفر لها فلم يؤذن لي، واستأذنته في أن أزور قبرها فأذن لي، فزوروا القبور فإنها تذكروا الموت»^(٣). كما حرص على صلة بناته وزيارتهم، وصلته لعمه أبي طالب وحرصه على دعوته للإسلام حتى على فراش موته^(٤).

ووثقها، ط ١، الأردن، دار النفائس للنشر والتوزيع، ١٤٣٦هـ - ٢٠١٥م، ٩٠٣/٢.

(١) أبو زكريا محيي الدين بن شرف النووي (ت ٦٧٦هـ)، المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج ط ٢، بيروت، دار إحياء التراث العربي، ١٣٩٢م، ٢٠١/٢.

(٢) عبد الله حسن حامد الأسطل، مكارم الأخلاق النبوية من وصف أم المؤمنين خديجة رضي الله عنها، رسالة ماجستير، غزة، الجامعة الإسلامية، ٢٠٢١م، ص ٣١.

(٣) مسلم، صحيح مسلم، كتاب: الجنائز، باب: استئذان النبي ﷺ ربه -عز وجل- في زيارة أمه، ٦٧١/٢، حديث رقم: ٩٧٦.

(٤) ينظر: عبد الله حسن حامد الأسطل، مكارم الأخلاق النبوية من وصف أم المؤمنين خديجة رضي الله عنها،

وصلة الرحم فيها مضاعفة الأجر مرتين لقوله ﷺ: «إن الصدقة على المسكين صدقة، وعلى ذي الرحم اثنتان: صدقة وصلة». (١) وعن أم كلثوم -رضي الله عنها- قالت: قال رسول الله ﷺ: «أفضل الصدقة على ذي الرحم الكاشح (٢)». (٣)

قال المناوي رحمه الله: «أفضل الصدقة على ذي الرحم المضرر العداوة في باطنه، فالصدقة عليه أفضل منها على ذي الرحم الغير كاشح لما فيه من قهر النفس للإذعان لمعاديها». (٤)

لقد ضرب رسول الله ﷺ أروع الأمثلة في أهمية صلة الرحم، حيث إنها «توطد العلاقات، وتبني المحبة والألفة بين أفراد الأسرة الواحدة، فإذا قويت أواصر الأسرة تحصن المجتمع المسلم وأصبح قوياً متماسكاً، تسوده أنبل الأخلاق وأجمل المكارم». (٥)

وبعيداً عن خصوصية الأسرة؛ فقد كانت للنبي ﷺ صلته الخاصة بغلمانة، وهذا من شدة اهتمامه بهم، حيث روي عن أنس بن مالك -رضي الله عنه- قال: «كان غلام يهودي يخدم النبي ﷺ فمرض، فأتاه النبي ﷺ يعوده، فقعد عند رأسه، فقال له: أسلم،

ص ٣٤: ٣٧.

(١) جلال الدين السيوطي، سنن النسائي بشرح الحافظ جلال الدين السيوطي وحاشية الإمام السندي، صححها: جماعة، وقرئت على الشيخ: حسن محمد المسعودي، ط ١، القاهرة، المكتبة التجارية الكبرى، ١٣٤٨هـ - ١٩٣٠م، كتاب: الزكاة، باب: الصدقة على الأقارب، حديث رقم ٢٥٨٢، ٩٢/٥. إسناده صحيح ورجاله ثقات. ينظر: محمد بن علي بن آدم بن موسى الإثيوبي، ذخيرة العقبى في شرح المجتبى، ط ١، دار المعراج الدولية للنشر، ١٤١٦ - ١٤٢٤هـ، حديث رقم: ٢٥٤٦، ١٢/٢٣.

(٢) الكاشح: العدو المبغض المقاطع. ينظر: أبو منصور محمد بن أحمد بن الأزهر الهروي، تهذيب اللغة، ٥٥/٤.

(٣) أحمد بن الحسين بن علي البيهقي أبو بكر، (٣٨٤ - ٤٥٨هـ)، السنن الكبرى، تحقيق: الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي، ط ١، القاهرة، مركز هجر للبحوث والدراسات العربية والإسلامية، ١٤٣٢هـ - ٢٠١١م، كتاب قسم الصدقات، باب: الرجل يقسم صدقته على قرابته وجيرانه إذا كانوا من أهل الشَّهْمَانِ، حديث ١٣٣٤٣، ٤٢٩/١٣، إسناده صحيح، زين الدين محمد المدعو بعبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي بن المناوي الحدادي (ت ١٠٣١هـ)، فيض القدير شرح الجامع الصغير، ط ١، مصر، المكتبة التجارية الكبرى، ١٣٥٦هـ، رقم: ١٢٦٣، ٣٨/٢.

(٤) فيض القدير شرح الجامع الصغير، ٣٨/٢.

(٥) عبد الله حسن حامد الأسطل، مكارم الأخلاق النبوية من وصف أم المؤمنين خديجة رضي الله عنها، الأسطل، ص ٣٢.



فنظر إلى أبيه وهو عنده فقال له: أطع أبا القاسم عليه السلام، فأسلم، فخرج النبي ﷺ وهو يقول: الحمد لله الذي أنقذه من النار». (١) قال العيني: «في هذا الحديث جواز عيادة أهل الذمة، ولا سيما إذا كان الذمي جازاً له؛ لأن فيه إظهار محاسن الإسلام وزيادة التآلف بهم ليرغبوا في الإسلام». (٢)

وصلة الرحم أنواع على حسب الحاجة، فتكون تارة بالزيارة، وتارة بالنفقة لمن يحتاج ذلك، وبالمهدية، وبالتودد إليهم، وبالعون والإعانة على الحاجات، وبالنصيحة، وبدفع الضرر، وبالإنصاف معهم، وطلاقة الوجه، وبالعدل والقيام بالحقوق الواجبة، وبالبدعاء، ويتفقد أحوالهم، والتغافل عن زلاتهم، والزيارة، وبالشفاعة الحسنة، والمعنى الجامع: إيصال ما أمكن من الخير، ودفع ما أمكن من الضرر. ويجمع أنواع الصلة قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَايَ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [النحل: ٩٠]، فينبغي للداعية أن يعتني بالرحم ويصلها؛ فيكون قدوة حسنة، ويحض على ذلك ويدعو إليه بالقول والفعل (٣)، حيث إن تحقيق صلة الرحم يقيم العلائق بين أفراد الأسرة على أساس من الترابط والتكافل، فينصلح حال الأسرة، وينصلح بصلاحها حال المجتمع بأسره. (٤)

وعليه؛ فإن على الدعاة وجوب الاهتمام بحقوق الأسرة وواجباتها، وأن يكونوا على فقه بأحكامها، وعلى بصيرة وثقافة بكل ما يتعلّق بأحوال الأسرة في الإسلام في كل جوانبها من علاقة الأبناء بالآباء، ووجوب مراعاة صلة الرّحم، لقد أدركت أم المؤمنين

(١) البخاري، صحيح البخاري، كتاب: الجنائز: باب: إذا أسلم الصبي فمات هل يصلّى عليه وهل يعرض على الصبي الإسلام، ٤٥٥/١، حديث رقم: ١٢٩٠.

(٢) بدر الدين محمود بن أحمد بن موسى بن أحمد بن الحسين العيني الحنفي، (ت ٨٥٥ هـ)، عمدة القاري شرح صحيح البخاري، ط ١، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م، ٨/١٧٥.

(٣) سعيد بن علي بن وهف القحطاني، فقه الدعوة في صحيح الإمام البخاري، رسالة دكتوراه، ط ١، الرياض، من جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، ١٤٢١، ٩٨٦/٢.

(٤) ينظر: عويسان التميمي، موسوعة المفاهيم الإسلامية العامة، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، مصر، أعده للشاملة، ص ٦٥٦.

خديجة -رضي الله عنها- هذا الحرص وأكبرته في شخص رسول الله ﷺ مما يحتم على الدعاة إلى الله ضرورة الاطلاع على سيرة سيد الخلق ﷺ، وإنَّ ما تم ذكره من ذلك ما هو إلَّا تعريف مُجمل وبيان عامٌ يضيق المقام عن بسطه، وتوجيه للدعاة أن يُولوا اهتمامهم بقضايا الأسرة، لا سيما هذه الأيام التي تُوجَّه فيها سهام الأعداء للأسرة المسلمة لهُدم خصائصها التي تنفرد بها وتتميّز عن الأمم الأخرى. (١) فالداعية الحكيمة يبدأ بالاهتمام بأسرته ثم أقاربه، وصلاً ورعايةً واهتماماً، وضبطاً لكل المسائل الشرعية والحقوقية.

ويهدف الإسلام إلى إقامة المجتمع المثالي المتكامل الذي يقوم على أساس من المحبة والود والقرب، وصلة الرحم من الوسائل الناجحة التي تحقق ذلك. (٢) يقول القرطبي رحمه الله: «الرحم التي توصل عامة وخاصة: فالعامة رحم الدين، وتجب صلتها بالتوادد والتناصح والعدل والإنصاف والقيام بالحقوق الواجبة والمستحبة، والرحم الخاصة تزيد بالنفقة على القريب، وتفقّد حاله، والتغافل عن زلته». (٣)

وهذا منهج دعوي أقرت به أم المؤمنين خديجة -رضي الله عنها- لما وجدته في شخص رسول الله ﷺ مما يحتم على الداعية إلى الله تعالى أن يعتني بأقاربه عناية خاصة؛ لأن الله أمر نبيه محمداً ﷺ أن ينذر عشيرته الأقربين، وأنهم أحق الناس بالنصيحة والتوجيه والإحسان، ولا شك أن دعوة العشيرة الأقربين وتوجيههم إلى سعادتهم الأبدية أعظم وأولى من الصدقة بالمال، والناس في الغالب ينظرون إلى قرابة الداعية، ومدى تطبيقهم لما يدعو إليه، قال الحافظ ابن حجر رحمه الله: والسر في الأمر بإنذار الأقربين أولاً، أن الحاجة إذا قامت عليهم تعدّت إلى غيرهم، وإلا فكانوا علة للأبعدين في الامتناع، وألا يأخذه ما يأخذ القريب من العطف والرأفة، فيحاييهم في الدعوة والتخويف، فلذلك نصّ له على إنذارهم. ولهذا كان عمر -رضي الله عنه- إذا صعد المنبر فنهى الناس عن شيء جمع أهله فقال:

(١) ينظر: أصول الدعوة وطرقها، مجموعة من المؤلفين، جامعة المدينة العالمية، ماليزيا، ص ١٣٧.

(٢) ينظر: المرجع نفسه، ص ٦٦١.

(٣) ينظر: أحمد بن عمر بن إبراهيم القرطبي أبو العباس، المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، حققه وعلق عليه: محيي الدين ديب ميسو وآخرون، دار ابن كثير، دمشق، ط ١، ١٤١٧هـ - ١٩٩٦م، ٥٢٦/٦.



«إني نهييت الناس عن كذا وكذا، وإن الناس ينظرون إليكم نظر الطير إلى اللحم، وأقسم بالله لا أجد أحداً منكم فعله إلا أضعفت عليه العقوبة»^(١) ولا يمكن أن يكون للداعية قيمة في المجتمع، وله قبول ومحبة لدى العامة، من غير عمل إيجابي للعامة، يُحمد عليه، والأعمال متنوعة ومنها اليسير السهل، ومن قام به نال الأجر والثواب، ومن الأمثلة التي يغفل عنها مع أهميتها: صلة الرحم^(٢).

والداعية الحق لا بد أن يكون مثالاً في خلقه وتعامله، ملتزماً بأحكام الشريعة الإسلامية السمحة، داعياً إلى الله بقوله وفعله وتعامله، ليس بالفظ ولا الغليظ ولا المنفر عن دين الإسلام، فرسول الله ﷺ أتى ليتمم مكارم الأخلاق، ولن يتسنى هذا إلا بمزيد من العلم والإطلاع والثقافة.

(١) ينظر: سعيد القحطاني، فقه الدعوة في صحيح الإمام البخاري، مرجع سابق ٨١/١.

(٢) صالح بن عبد الله الدرويش، توجيهات تربوية، مجلة البيان، السنة الرابعة، العدد ١٧، ذو القعدة ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م، ص ٢٩.

المبحث الثاني

قيمة صدق الحديث اللازمة لشخصية الداعية

معنى الصدق: ص د ق: (الصِّدْقُ) ضِدُّ الْكَذِبِ وَقَدْ (صَدَقَ) فِي الْحَدِيثِ يَصْدُقُ بِالِضَّمِّ (صِدْقًا) وَيُقَالُ أَيُّضًا: (صَدَقَهُ) الْحَدِيثُ وَ(تَصَادَقَا) فِي الْحَدِيثِ وَفِي الْمَوَدَّةِ. وَ(الْمُصَدِّقُ) الَّذِي يُصَدِّقُكَ فِي حَدِيثِكَ.^(١) وَالصِّدْقُ، مَنْ صَدَقَ يَصْدُقُ صِدْقًا: إِذَا لَمْ يَكْذِبْ فِي حَدِيثِهِ.^(٢) وَصدق الحديث: اليقين بعد الشك.^(٣) وَصدقه الحديث: أنبأه بِالصِّدْقِ.^(٤)

والصدق من أولى الصفات التي يجب على الدعاة إلى الله الاتصاف والتخلق بها، ويكون ذلك في القول، والنية، والعزم، والعمل. ونقيضه الكذب وهو من علامات النفاق وقد قال ﷺ: «آية المنافق ثلاث: إذا حدث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا أؤتمن خان». وهذا يستلزم ألا ينطق الداعية بالباطل أيًا كانت صورته: كذبًا، أو شتمًا، أو سبابًا، أو غشًا، أو غيبةً، أو نيممةً، أو غير ذلك من الألفاظ القبيحة. والصدق في النية: الإخلاص في العمل لوجه الله تعالى.

وصدق الحديث من الصفات الحميدة اللازمة للداعية؛ لقوله ﷺ: «ثم لا تجحدوني بخيلاً ولا كذوباً»^(٥)، وهذا يبيّن للدعاة أن الصدق من الصفات التي ينبغي لهم أن يتصفوا بها، كما ينبغي للدعاة أن لا ينقلوا عن رسول الله ﷺ إلا ما صح عنه؛ لقوله ﷺ: «من

(١) زين الدين محمد بن أبي بكر الرازي أبو عبد الله، (ت ٦٦٦هـ)، مختار الصحاح المحقق: يوسف الشيخ محمد، ط ٥، بيروت، صيدا، المكتبة العصرية - الدار النموذجية، ١٤٢٠هـ - ٢٩٩٩م، ص ١٤٧.

(٢) ابن المبرد، جمال الدين أبو المحاسن يوسف بن حسن بن عبد الهادي الحنبلي الدمشقي الصالح المعروف (ت ٩٠٩هـ)، الدر النقي في شرح ألفاظ الخرقى، المحقق: رضوان مختار بن غريبة، ط ١، جدة، دار المجتمع للنشر والتوزيع، ١٤١١هـ - ١٩٩١م، ٦٨٦/٣.

(٣) معجم متن اللغة، رضا، أحمد، ١٣٣/٢.

(٤) ابن سيده المرسى أبو الحسن علي بن إسماعيل، المحكم والمحيط الأعظم ١٨٩/٦.

(٥) البخاري، صحيح البخاري، كتاب الشهادات، باب من امر بإنجاز الوعد، ٩٥٢/٢، حديث رقم ٢٥٣٦.

(٦) البخاري، صحيح البخاري، كتاب الجهاد والسير، باب الشجاعة في الحرب، ١٠٣٨/٣، حديث رقم ٢٦٦٦.



حدّث عني بحديث يرى أنه كذب فهو أحد الكاذبين»^(١)، فإذا صدق الداعية في القول والفعل، والنية كان من الراجحين^(٢). ومن أهم الصفات الحميدة التي يلزم الداعية أن يتخلق بها؛ ولهذا قال الله عز وجل: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصّٰدِقِينَ﴾ [التوبة: ١١٩].

لقد أدركت أم المؤمنين خديجة -رضي الله عنها- هذه القيمة العالية في شخص رسول الله ﷺ مما جعلها تقر بهذا الخلق أمام الملأ وتشهد له بذلك، ذلك أن مما لفت نظرها من أخلاق رسول الله ﷺ صدقه في الحديث، وهو من الأخلاق العظيمة التي تكون سبباً مباشراً في نجاح الداعية إلى الله تعالى، فالداعية الصادق مع الله، الصادق مع الناس، الذي عهد عنه صدق الحديث، يرى أثر صدقه في وجهه، والنبي ﷺ لما كان بعض الناس يسمع كلامه وهو يدعوهم وهم لم يروه قبل ذلك، وإنما أتوا مكة فرأوه لأول مرة، كانوا يشهدون أن وجهه ليس بوجه كذاب، ذلك لظهور أثر الصدق على وجهه ﷺ وفي كلامه، فكلام الإنسان الصادق يؤثر أثراً بالغاً، ولذلك فلا بد من الحذر الشديد من الوقوع في الكذب، فإن الكذب من الأشياء التي تفقد المدعو الثقة في الداعية، ولو كذب مرة واحدة مع أحد فسيكون ذلك سبباً كافياً في انفضاض هذا المدعو عنه.

ومن أخلاق الداعية أن يقول لمن سأله عن شيء لا يعلمه: الله أعلم، أو لا أدري. وقوله لما لا يعلمه: لا أدري، أو لا أعلم، أو سأراجع المسألة دليل على علمه وورعه وتقواه؛ لأن الله تعالى يقول: ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَنْ تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطٰنًا وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [الأعراف: ٣٣]، فعلى الداعية ألا يستحي إذا لم يعلم أن يقول: الله أعلم، أو لا أدري^(٣).

وليحذر الذين يبادرون إلى الفتوى بغير علم، وليحذر الذين يشيعون الأحاديث

(١) مسلم، صحيح مسلم، في مقدمة الصحيح، ٨/١.

(٢) سعيد القحطاني، فقه الدعوة في صحيح الإمام البخاري، ٢٤٨/١.

(٣) المرجع نفسه، ١١٨/١، ١١٩.

المنكرة، والموضوعة من المشاركة في الكذب على الله وعلى رسوله.^(١) ونحن اليوم بحاجة ماسة إلى نمط من الدعاة آثروا الصدق في أقوالهم وأفعالهم حتى أصبح الصدق سجية يجري في عروقهم، فإذا رآهم الناس قالوا: هذه ليست بوجوه كذابين، إن صدقنا في دعوتنا هو الذي يجعل الناس يتقبلون ديننا.^(٢)

المبحث الثالث

قيمة حمل الكل اللازمة لشخصية الداعية

حمل الكلّ: بِفَتْحِ الْكَافِ وَتَشْدِيدِ اللَّامِ، وَأَصْلُهُ الثَّقَلُ، وَمِنْهُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَهُوَ كُلٌّ عَلَى مَوَلِّئِهِ﴾ [النحل: ٧٦]، وَأَصْلُهُ مِنَ الْكِلَالِ وَهُوَ الْإِعْيَاءُ، أَيْ تَرْفَعُ الثَّقَلُ، أَرَادَ: تُعِينُ الضَّعِيفَ الْمُنْقَطِعَ^(٣)، ويدخل في حمل الكل الإنفاق على الضعيف واليتيم والعيال وغير ذلك.^(٤) كما يدخل فيه من لا يستقل بأمره، والذي لا يُعِينُ نفسه لضعفه، ومن لا مال له ولا ولد.^(٥)

ويدخل في حمل الكل كل معاني الإعانة والرعاية في السعي لتحقيق مصالح الضعفاء، وتحمل مسؤوليتهم بسد الخلة، ودفع الفاقة، وتدبير ما استصعب عليهم بالإنفاق على المساكين، واليتامى، والأرامل ذوات العيال اللاتي كلن من شظف العيش وعسر الحاجة، والقيام على الكبير الهرم، والمريض العاجز، والغريم المحروم، وصلتهم ببذل المال لهم بجميل الفعل، وطيب القول، وهذا كله من أوجه البر وحب الخير والرحمة بالضعفاء التي صارت

(١) ناجي بن دايل السلطان، دليل الداعية، ص ٣٣.

(٢) المرجع نفسه، ص ٢٤٤.

(٣) بدر الدين العيني الحنفي، محمود بن أحمد بن موسى بن أحمد بن الحسين، (ت ٨٥٥ هـ)، عمدة القاري شرح صحيح البخاري، ١/٥٠.

(٤) شرف الدين الحسين بن عبد الله الطيبي (٧٤٣ هـ)، شرح الطيبي على مشكاة المصابيح المسمى بـ (الكاشف عن حقائق السنن)، المحقق: عبد الحميد هندواوي، مكتبة نزار مصطفى الباز ط ١، الرياض، مكة المكرمة، ١٤١٧ هـ - ١٩٩٧ م، ١٢/٣٧١٩.

(٥) ينظر: عبد الله الأسطل، مكارم الأخلاق النبوية من وصف أم المؤمنين خديجة رضي الله عنها، ص ٧٧، ٧٨.



سجية للنبي ﷺ وصفة لسلوكه الذي عُرف به عند قريش قبل البعثة. (١)
ولقد أكبرت أم المؤمنين -رضي الله عنها- هذا الخلق العظيم في شخصية الرسول
ﷺ؛ فهي تشير إلى أنه ﷺ كان يعين من لا يستطيع حمل أعباء نفسه، تخفيفاً لمعاناتهم
ودفعاً لمشقتهم. وهنا تقع مسؤولية الداعية تجاه مجتمعه ومن حوله في أن يحرص على رعاية
المهمشين في المجتمع، والذين لا يؤبه بهم من الضعفاء والمرضى والأيتام والأرامل ومن على
شاكرتهم؛ لبناء مجتمع متكافل متعاقد يؤازر بعضه بعضاً، ويحنو بعضهم على بعض،
تأسيًا بقوله ﷺ «المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يسلمه، ومن كان في حاجة أخيه كان
الله في حاجته» (٢)، والدعاة هم أولى الناس بالأخذ بهذا الخلق العظيم.

ومن الصور الواردة في حمل الكل:

١. إغاثة الملهوف:

حيث روي عن النبي ﷺ أنه قال: «عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ صَدَقَةٌ. فَقَالُوا: يَا نَبِيَّ اللَّهِ،
فَمَنْ لَمْ يَجِدْ؟ قَالَ: يَعْمَلْ يَدِهِ، فَيَنْفَعْ نَفْسَهُ وَيَتَصَدَّقُ. قَالُوا: فَإِنْ لَمْ يَجِدْ؟ قَالَ: يُعِينُ ذَا
الْحَاجَةِ الْمَلْهُوفَ. قَالُوا: فَإِنْ لَمْ يَجِدْ؟ قَالَ: فَلْيَعْمَلْ بِالْمَعْرُوفِ، وَلْيُمْسِكْ عَنِ الشَّرِّ،
فَإِنَّهَا لَهُ صَدَقَةٌ». (٣)

والملهوف تعني: «المظلوم والعاجز المضطر الذي يستغيث بك». (٤)

وغوث الملهوف كالصدقة، وقد صحَّ في الحديث كونها واجبة على كل مفصل من
مفاصله مع إشراقة كل شمس، وبهذا يصبح الداعية ينبوعاً يفيض بالخير والنفع والسلام لمن
حوله وما حوله، وعندها يقصده الناس لقضاء حوائجهم وتفريج كربهم. (٥)

(١) مسعودة علوش، القيم الإنسانية في خطاب خديجة أم المؤمنين؛ قراءة في مبشرات النبوة والوعي السنني، مجلة
الصراف، السنة ١٩، العدد ٣٥، رمضان ١٤٣٨هـ - يوليو ٢٠١٧م، ص ٣١٢.

(٢) البخاري، صحيح البخاري، كتاب المظالم، باب لا يظلم المسلم المسلم ولا يسلمه، ٨٦٢/٢، حديث رقم:
٢٣١٠.

(٣) البخاري، صحيح البخاري، كتاب الزكاة، باب على كل مسلم صدقة فمن لم يجد فليعمل بالمعروف ٥٢٤/٢،
حديث رقم ١٣٧٦.

(٤) مصطفى ديب البغا، في تحقيقه لكتاب صحيح البخاري، ص ٥٢٤.

(٥) ينظر: خالد الجريسي، إدارة الوقت من المنظور الإسلامي والإداري، المكتبة الشاملة بدون بيانات، ج ١/١٣٣.

٢. السعي على الأرملة والمسكين وكفالة اليتيم:

قرن رسول الله ﷺ بين الساعي على الأرملة والمسكين والمجاهد في سبيل الله والعابد الصوم القوام، وهذا يدل على الفضل العظيم لمن يرعى هذه الفئة في المجتمع، فعن أبي هريرة -رضي الله عنه- أن رسول الله ﷺ قال: «الساعي على الأرملة والمسكين كالمجاهد في سبيل الله، وأحسبه قال: وكالقائم لا يفتر وكالصائم لا يفطر». (١)

وأما كفالة اليتيم فقد حذر النبي ﷺ من الاستهانة بهم وهضمهم حقوقهم، فقد روي عن أبي هريرة -رضي الله عنه- أن رسول الله ﷺ قال: «اللهم إني أحرص حق الضعيفين: اليتيم والمرأة» (٢)، فاليتيم مظنة الضعف وانكسار النفس وحزن القلب، فيستقوي بعض الظلمة من بني البشر على هؤلاء الأيتام يأكلون أموالهم وينهبون ثرواتهم، فيشب هذا اليتيم على مصيبة فقد الوالد ومصيبة فقد المال الذي يعف به نفسه عن المسألة والحاجة.

وحرى بالداعية حث الناس على العناية باليتيم والعطف عليه، لما لذلك الخلق من تأثير بليغ على نفس اليتيم ومشاعره، أسوة برسول الله ﷺ حين رجع من سفر والتقى صبيان أهل بيته فحمل عبد الله بن جعفر لأنه كان يتيماً، ولهذا اعتز عبد الله بن جعفر -رضي الله عنه- بتفضيل النبي ﷺ له على غيره من الصبيان، وعندها قال له ابن الزبير رضي الله عنه: «أتذكر إذ تلقينا رسول الله ﷺ أنا وأنت وابن عباس، قال: نعم، فحملنا وترك» (٣)، وخص الداعية بذلك لما له من شأن بين الناس وبذلك يكون فخر اليتيم ومشاعره أبلغ.

(١) مسلم، صحيح مسلم، كتاب الزهد والرقائق، باب الإحسان إلى الأرملة واليتيم والمسكين، ٢٢٨٦/٤، حديث رقم ٢٩٨٢.

(٢) أحمد بن حنبل، مسند الإمام أحمد بن حنبل، حديث رقم ٩٦٦٦، ٤١٦/١٥، إسناده قوي ورجاله ثقات، وحسنه الألباني، صحيح الجامع، رقم ٢٤٤٧.

(٣) ينظر: سعيد القحطاني، فقه الدعوة في صحيح الإمام البخاري، ٨٤٣/٢.



المبحث الرابع

قيمة إكساب المعدوم اللازمة لشخصية الداعية

المعدوم: أصلها مأخوذ من مادة عَدَمَ، والعدم: فقدان الشيء وذهابه. (١) وأعدم الرجل إعداداً وعُدْمًا أي افتقر، والعديم الذي لا مال له. (٢) وكسب المعدوم أي إكساب الإنسان الضعيف الفقير الذي بَقَّرَه كأنه هالكٌ عن الوجود، وهو الرجل المحتاج العاجز عن الكسب، وسمي معدومًا لعجزه عن التصرف أو الكسب بيده، وإكسابه أي بذل المال له (٣)، أو أن «تجعل المحتاج العاجز عن الكسب كاسبًا للشيء المعدوم الذي يفقده ببذله له أو بمساعدته على كسبه». (٤)

ومن الطرق المناسبة التي يتم فيها إكساب الفقير المعدوم ما يلي:

- معالجة حالة الفقير من ناحية نفسه.
- معالجة حالة الفقير من ناحية ذوي الإحسان.

فأما معالجة الفقير من ناحية نفسه، فتكون بأن يقنع بما يصله من المحسنين متى سد حاجته، ولا يدفعه الطمع أن يجعل من احتياجه موردًا لرزق واسع، وأن يتورع بالصبر ما استطاع، ولا يبادر إلى السؤال يلوكة بين يدي كل من يلاقيه. وقد قال تعالى في وصف

(١) ينظر: الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي أبو عبد الرحمن البصري (ت ١٧٠هـ)، العين، تحقيق: د مهدي المخزومي، د إبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال، ٥٦/٢.

(٢) ينظر: محمد مرتضى الحسيني الزبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس، ٧٢/٣٣.

(٣) ينظر: ابن الملقن، سراج الدين أبو حفص عمر بن علي بن أحمد الأنصاري الشافعي (٧٢٣ - ٨٠٤ هـ)، التوضيح لشرح الجامع الصحيح، المحقق: دار الفلاح للبحث العلمي وتحقيق التراث بإشراف خالد الرباط، جمعة فتحي، تقديم: أحمد معبد عبد الكريم، ط١، دمشق، دار النوادر، ١٤٢٩ هـ - ٢٠٠٨، ٢٧٧/٢. شمس الدين أبو عبد الله محمد بن عبد الدائم بن موسى النعيمي الزمواوي، العسقلاني المصري الشافعي (ت ٨٣١ هـ)، اللامع الصبيح بشرح الجامع الصحيح، تحقيق ودراسة: لجنة مختصة من المحققين بإشراف نور الدين طالب، ط١، سوريا، دار النوادر، ١٤٣٣ هـ - ٢٠١٢ م، ٥٤/١، ٢٦١/٧.

(٤) محمد رشيد رضا الحسيني (ت ١٣٥٤ هـ)، الوحي المحمدي، ط١، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥ م، ص ٧٨.

الفقراء المتعفين: ﴿يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُمْ بِسِيمَاهُمْ لَا يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِلْحَافًا﴾ [البقرة: ٢٧٣]، وقال رسول الله ﷺ: «لَيْسَ الْمِسْكِينُ الَّذِي يَطُوفُ عَلَى النَّاسِ، تَرُدُّهُ اللَّقْمَةُ وَاللُّقْمَتَانِ، وَالتَّمْرَةُ وَالتَّمْرَتَانِ، وَلَكِنَّ الْمِسْكِينُ: الَّذِي لَا يَجِدُ غِنًى يُغْنِيهِ، وَلَا يُقْطَنُ بِهِ فَيُتَصَدَّقَ عَلَيْهِ، وَلَا يَقُومُ فَيَسْأَلُ النَّاسَ». (١)

ومن المحتاجين من يسلكون في إظهار احتياجهم طريقة التعريض؛ لأنه أبقى لماء الحياء في وجوههم، وربما كان التعريض أدعى لعاطفة السخاء من التصريح والإلحاح. فقد وقفت امرأة على باب قيس بن سعيد، وقالت له: أشكو إليك قلة الفأر في بيتي، فقال: ما أحسن ما وَرَّتَ عن حاجتها، املؤوا بيتها خبزًا وسمناً ولحماً. (٢)

وأما معالجة حالة الفقير العاجز عن الكسب من ناحية ذوي الإحسان الموسرين، فباحفاظ هؤلاء الموسرين بآداب تجعل أيديهم العليا خيراً من الأيدي التي تناولت منهم العطاء. ومن هذه الآداب: أن يبادروا إلى إغاثة الفقير ساعة يشعرون بحاجته، ولا يدعونه إلى أن يتجرع غصة السؤال بتصريح أو تعريض.

لقد استشعرت أم المؤمنين -رضي الله عنها- سمو أخلاق النبي ﷺ لما وجدته في شخصيته العظيمة في زمن كان الجهل والفاقة فيه على أشدهما، حيث يترتب على إكساب المعدوم حصول التآخي والترابط بين أفراد المجتمع المسلم؛ فعندما يبذل الغني ماله لمساعدة الفقير ودفع الكرب عنه، يلهج قلب الفقير بالدعاء للغني بأن يبارك الله في رزقه، ويسير له أموره، فتتآخى لبنات المجتمع، وتتراص صفوفه، ويصبح المسلمون على قلب رجل واحد، تسود الألفة والمودة والأخوة بينهم، فلا تتحقق سعادة الفرد في الإسلام إلا بسعادة الجماعة، فكل فرد يكمل الآخر لإقامة بنيان واحد، وتنمي الشريعة في نفس كل مسلم

(١) البخاري، صحيح البخاري، كتاب الزكاة، باب قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿لَا يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِلْحَافًا﴾، ٥٣٨/٢، حديث رقم ١٤٠٩.

(٢) ينظر: محمد الخضر حسين (ت ١٣٧٧هـ)، موسوعة الأعمال الكاملة للإمام محمد الخضر حسين، جمعها وضبطها: المحامي علي الرضا الحسيني، ط ١، سوريا، دار النوادر، ١٤٣١هـ - ٢٠١٠م، ١٢٥/١٠.



الشعور بالمسؤولية الجماعية، وتدفعه إلى المشاركة العملية بباعث المشاركة الوجدانية أو الإيمان الذي يربطه بإخوته في العقيدة برابط متين لا تنفصم عراه في تضامن جميع الأفراد في سبيل تحقيق سعادة المجموع، ذلك أنه عندما يأخذ المسلم بيد أخيه المعدم ويرتفع به من ويلات مصيبة حلت به فأفقرته؛ فهو ينهض بأعبائه، وبالتالي يتحول المجتمع إلى أسرة واحدة يسودها التعاون والتكافل والتواد تحقيقًا وتجسيدًا.^(١)

ويما أن الفقير المسكين هو من لا يتحدث عن فقره وحاجته، إنما هي إشارات وإلمامات، فمثل هذا الأمر يحتاج إلى الدعاة الذين يبحثون عن هذه الظاهرة، ولذلك فإن «الداعية عنصر فعال من عناصر الإصلاح، ولا يتم الإصلاح إلا بالاهتمام بأحوال الناس، والتعرف على أوضاعهم الاجتماعية والثقافية، ومعرفة فقرائهم وأغنيائهم وعالمهم وجاهلهم، حتى يستطيع الداعية معرفة المحتاجين، والمعدمين فيعمل على مساعدتهم، وتوفير ما يحتاجونه من طعام وشراب وغيره، فيقبلوه ويقبلوا على دعوته، ويتعرف على الأغنياء والوجهاء حتى يتمكن من إرشاد الأغنياء، والوجهاء إلى مساعدة فقرائهم، وبذل المال والجاه في سبيل الدعوة إلى الله حتى يكون التوازن في المجتمع بعطف الغني على الفقير».^(٢)

(١) ينظر: عبد الله الأسطل، مكارم الأخلاق النبوية من وصف أم المؤمنين خديجة، ص ١٢٦.

(٢) ناهي بن دايل السلطان، دليل الداعية، ص ١٨٠.

المبحث الخامس

قيمة إقراء الضيف اللازمة لشخصية الداعية

قرى الضيف قرى: أي أضافه واستضافه^(١)، وأكرمه، وأحسن إليه؛ منحه القرى والحماية^(٢)، وإقراء الضيف: ما يُعد ويُقدم ويجمع للضيف من طعام وشراب وفراش ومأوى^(٣). ويشمل إحسان الضيافة والوفادة: الأكل والشرب بما جرت به العادة لمثله بحسب حال المضيف، والمأوى، وما يحتاجه الضيف حال النوم من غطاء، وفراش، ولحاف ومخدة، بالإضافة إلى ما تحتاجه دابته من حفظ وعلف وماء، من وقت نزول الضيف حتى مغادرته^(٤).

والضيافة من المعاني الكاملة، والأخلاق الفاضلة، وأثر كمال الإيمان، ففي الصحيحين عن أبي هريرة -رضي الله عنه- قال: قال رسول الله ﷺ: «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه»^(٥)، وإكرام الضيف يكون بالبشر في وجهه، وإظهار السرور له، وطيب الحديث معه، وإجلال له في صدر المجلس، وخدمته بنفسه، وإطعامه ثلاثة أيام بقدر وسعه، ثم موادعته بلطف، وأول من ضيف الضيفان إبراهيم الخليل عليه السلام، وكان يكنى أبا الضيفان، كان إذا أراد الأكل خرج ميلاً أو ميلين يلتمس من يأكل معه^(٦).

(١) ينظر: نشوان بن سعيد الحميري اليميني (ت ٥٧٣هـ)، شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم تحقيق: حسين بن عبد الله العمري، ومطهر علي الإرياني، ويوسف محمد عبد الله، ط ١، بيروت، دار الفكر المعاصر، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م، ٥٤٣٠/٨.

(٢) ينظر: أحمد مختار، معجم اللغة العربية المعاصرة، ١٨٠٧/٣.

(٣) ينظر: جابر بن موسى بن عبد القادر بن جابر أبو بكر الجزائري، أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير (ومعه حاشية نهر الخير)، ط ٥، المدينة المنورة، مكتبة العلوم والحكم، ١٤٢٤هـ، ٢٠٠٣م، ٥٩/١.

(٤) ينظر: عبد الكريم بن محمد الاحم، المطلع على دقائق زاد المستقنع «فقه القضاء والشهادات»، ط ١، الرياض، دار كنوز إشبيلية للنشر والتوزيع، ١٤٣٣هـ - ٢٠١٢م، ٨٨/٣، ٩٥.

(٥) البخاري، صحيح البخاري، كتاب الأدب، باب إكرام الضيف وخدمته إياه بنفسه، ١٣٥/٧، حديث رقم ٦١٣٦.

(٦) ينظر: علي محفوظ، الإبداع في مضار الابتداع، ط ٥، دار الاعتصام، ١٣٧٥هـ - ١٩٥٦م، ٣٥٢.



ولا شك أن من القيم السامية اللازمة لشخصية الداعية إكرام الضيف، واستقباله بالسرور، والبشاشة، والاستقبال الحسن، والتبسم، وقد ظهر في هذا حديث حسن الأدب مع الضيف، حين دعا أبو موسى الأشعري -رضي الله عنه- لياكل معه ومع أصحابه الغداء فامتنع الضيف، لأنه قد حلف ألا يأكل الدجاج؛ ولحرص أبي موسى -رضي الله عنه- على إكرامه أخبره أن النبي ﷺ بين أن من حلف على شيء فرأى غيره خيراً منه، أتى الذي هو خير وكفر عن يمينه (١)، وهذا يدل على حسن أدب أبي موسى رضي الله عنه، فإنه يطلب من الضيف أن يتغذى معه ويكفر عن يمينه، وقد جعل رسول الله ﷺ هذا الإكرام دليلاً على الإيمان بالله واليوم الآخر؛ فعن أبي هريرة -رضي الله عنه- عن النبي ﷺ قال: «وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيُكْرِمْ ضَيْفَهُ» (٢)، وهذا يؤكد أهمية العناية بالضيف والآداب التي ينبغي للداعية أن يلتزم بها (٣).

أما الضيافة اليوم فقد أصبحت ثقيلة على النفوس من العادات المستحدثة السيئة التي أدخلت فيها، وإهمال آدابها؛ التي لو رعيناها حق رعايتها لأنتجت الضيافة محبة واثلاًفاً بين الأمة. وبدع الضيافة كثيرة نذكر طرفاً منها ليتم القياس عليها ما لم يُذكر: فمن هذه العادات المستحدثة السيئة في الضيافة:

- 1- الإبطاء بالطعام على الضيف، فإن التعجيل بالميسور من إكرام الضيف.
- 2- انتظار من تأخر عن الوقت الموعود، فحق الحاضرين في التعجيل أولى من حق أولئك في التأخير، إلا أن يكون المتأخر فقيراً أو ينكسر قلبه بذلك.
- 3- استئذان الضيف في إحضار الطعام، وعدم الخفية، تأسيًا بعمل إبراهيم عليه السلام في قوله تعالى: ﴿فَرَأَى إِلَىٰ أَهْلِهِ فَجَاءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ﴾ [الذاريات: ٢٦]، والروغان: الذهاب

(١) أحمد بن حنبل، مسند الإمام أحمد، وهو حديث صحيح بطرقه وشواهده، حديث رقم ١٨٢٥٢، ١٨٧/٣٠.

(٢) البخاري، صحيح البخاري، كتاب الأدب، باب إكرام الضيف وخدمته إياه بنفسه، ١٣٥/٧، حديث رقم ٦١٣٦.

(٣) ينظر: سعيد القحطاني، فقه الدعوة في صحيح الإمام البخاري، ٩١٧/٢.

في خفية^(١)، بحيث لم يشعر الضيف إلا وقد جيء إليهم بالطعام، والناس اليوم لغلبة الشح عليهم واستثقالهم أمر الضيافة قلما يحضرون الطعام إلا بعد الاستئذان، ويودون في أنفسهم حين الاستئذان ألا يأذن ويعتذر، وربما غلبه الحياء من طلب الطعام فيشق على نفسه.

4-التكلف الذي أوقع الناس في حب الرياء والسمعة، حتى خرجوا في مآذهم عن الحد الذي يطيقونه، وربما استدانوا لذلك. وقد قيل في تفسير التكلف: أن تطعم أخاك ما لا تأكله أنت، وفي الحديث: «يا عائشة لا تتكلفي للضيف فتمليه، ولكن أطعميه مما تأكلين»^(٢).

5-أن يأنف صاحب الضيافة من خدمة ضيفه بنفسه، ويزعم أن هذا امتهان لا يليق إلا أن يباشره خادمه، وينسى أن من تمام المروءة خدمة الرجل ضيفه كما خدمهم إبراهيم عليه السلام بنفسه حيث قال تعالى: ﴿فَقَرَّبَهُ إِلَيْهِمْ قَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ﴾ [الذاريات: ٢٧]، وقد دل على خدمته بنفسه، فإنه لم يقل فأمر لهم، وهذا أبلغ في إكرام الضيف. 6-توديع الضيف داخل المنزل أنفة وكبراً، والسنة أن يرافقه إلى باب المنزل ثم يودعه، وينبغي للضيف ألا يمنع المضيف من ذلك ويقسم عليه، فعن أبي هريرة -رضي الله عنه- قال: قال رسول الله ﷺ: «إن من السنة أن يخرج الرجل مع ضيفه إلى باب الدار»^(٣).

7-انفراد بعض الحاضرين بآنية يأكلون فيها، ولا يجتمعون في الأكل من إناء واحد، وهذه العادة القبيحة انتشرت بين الأغنياء اليوم وسرت إليهم من تقليد الأجانب، وقد جاءت الشريعة بخلافها، فعن عمر -رضي الله عنه- مرفوعاً: «كلوا جميعاً ولا تفرقوا

(١) ينظر: محمد مرتضى الحسيني الزبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس، ٤٨٨/٢٢.

(٢) جلال الدين السيوطي، جمع الجوامع المعروف بـ «الجامع الكبير»، المحقق: مختار إبراهيم الهائج وعبد الحميد محمد ندا وحسن عيسى، ط ٢، القاهرة، الأزهر الشريف، ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م، حديث رقم: ٢٧٣٣٣، ٦٥٠/١٢.

(٣) محمد ناصر الدين الألباني، ضعيف الجامع الصغير وزيادته (الفتح الكبير)، أشرف على طبعه: زهير الشاويش، ب ط، المكتب الإسلامي، ب ت، ص ٢٩٠. حكم الألباني: ضعيف.



فإن البركة مع الجماعة». (١) (٢)

8- تصوير الضيف وهو على مائدة الطعام، وإظهاره في وسائل التواصل الاجتماعي.
9- وحين تحدث الفقهاء عن حقوق الضيف رأوا وجوبها لكل ضيف، سواء كان مسلماً أم غير مسلم، قال أبو يعلى: «وتجب الضيافة على المسلمين للمسلمين والكفار لعموم الخبر، وقد نص عليه أحمد في رواية حنبل، وقد سألته إن أضاف الرجل ضيفان من أهل الكفر؟ فقال: قال ﷺ: «ليلة الضيف حق واجب على كل مسلم» (٣)، دل على أن المسلم والمشرک مضاف يعم المسلم والكافر، ولعل ذلك مرجاة لدخول غير المسلمين في الإسلام، حيث يكون تأثير السلوك في الدعوة إلى الله أكبر ومفعوله أقوى من الدعوة القولية» (٤).

ويلزم الداعية القيام بواجب الضيافة وحث المدعويين على هذه القيمة العالية لما لها من أثر دعوي يتمثل بقبول النصيحة والتوجيه، ولما يترتب عليها من اقتفاء لأثر الأنبياء والنهج على درهم، ومن كان كذلك أحبه الناس واقتدوا به وبفعله، كما يترتب عليه حُسن الحديث والمنزلة بين الناس؛ فقد جُبلت النفوس على حب من أحسن إليها وأكرمها، فالذي يُكرم من ينزل به ضيفاً ويحسن إليه تشهد له الناس بالخير، والصلاح والكرم والجود. وبذلك يتمهد طريق الداعية وتسهل الدعوة وتيسر قبولها بما عرفه الداعية من العادات والتقاليد والأعراف التي تجعل كسب القلوب للدعوة أمراً محتوماً (٥).

(١) محمد ناصر الدين الألباني، السراج المنير في ترتيب أحاديث صحيح الجامع الصغير لجلال الدين السيوطي، رتبته وعلق عليه: عصام موسى هادي، ط ٣، دار الصديق، توزيع مؤسسة الريان، ١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م، ٨٣٠/٢. وحسنه الألباني في صحيح الجامع الصغير وزيادته حديث رقم ٤٥٠٠، ٨٢٩/٢.

(٢) ينظر: علي محفوظ، الإبداع في مضار الابتداع، ٣٥١: ٣٦٠.

(٣) محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة البخاري، صحيح الأدب المفرد للإمام البخاري، حقق أحاديثه وعلق عليه: محمد ناصر الدين الألباني، باب إذا أصبح الضيف محروماً، ط ٤، دار الصديق للنشر والتوزيع، ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م، ص ٢٧٧.

(٤) ينظر: منقذ بن محمود السقار، التعايش مع غير المسلمين في المجتمع المسلم، ط ١، مكة المكرمة، رابطة العالم الإسلامي، ١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م، ص ٢٦.

(٥) ينظر: عبد الله الأسطل، مكارم الأخلاق النبوية من وصف أم المؤمنين خديجة ~، ص ١٤٦: ١٤٩. بتصرف.

المبحث السادس

قيمة الإعانة على نواب الحق اللازمة لشخصية الداعية

نواب: أصلها مأخوذ من مادة نوب، وجمعها نواب، وهي ما ينوب الإنسان، والنائبة النازلة، أي ينزل به من المهمات والحوادث. (١) فهي الحوادث والنوازل التي تنزل بالمرء وتقع على كاهله فتعجزه أو يعجز عن أداء حقها. (٢) ونواب الحق ما ينوب الناس من الأمور إذا كانت حقاً فإنه يعين عليها وإن كانت باطلاً فإنه ضدها، هذه الصفات الكريمة الجليلة العظيمة لا يمكن أن يخزي الله - عز وجل - من اتصف بها؛ لأن ذلك خلاف مقتضى حكمته جل وعلا، فهو حكيم يضع الأشياء في مواضعها، فمن كان وعاء للخير ملأ الله وعاءه، ومن كان وعاء للشر حرم الخير، وقد حث الشرع الحنيف على نفع الناس، وقضاء حوائجهم، والسعي إلى تفريج كرباتهم، وبذل الشفاعة الحسنة لهم، تحقيقاً لدوام المودة، وبقاء الألفة، وزيادة في روابط الأخوة، قَالَ تَعَالَى: ﴿لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّنْ نَّجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ١١٤]، وقال ﷺ: «من كان في حاجة أخيه، كان الله في حاجته. ومن فرّج عن مسلم كربة، فرج الله عنه بها كربة من كرب يوم القيامة، ومن ستر مسلماً، ستره الله يوم القيامة». (٣) وقال ﷺ: «مَنْ اسْتَطَاعَ مِنْكُمْ أَنْ يَنْفَعَ أَخَاهُ فَلْيَفْعَلْ». (٤) لقد أقرت وأدركت أم المؤمنين خديجة - رضي الله عنها - هذا الخلق العظيم وهذه القيمة العالية في شخصية رسول الله ﷺ، وهذا ما يلزم أن تكون عليه شخصية الداعية فأبواب نفع الناس كثيرة: كقضاء ديونهم، أو الصدقة على الفقراء منهم، أو تفريج كربهم، أو الصلح

- (١) ينظر: أبو العباس، أحمد بن محمد بن علي الفيومي ثم الحموي، المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، ٦٢٩/٢. محمد مرتضى الزبيدي الحسيني، ٢ تاج العروس من جواهر القاموس، ٤٥٥/٢.
- (٢) ينظر: الأسطل، مكارم الأخلاق النبوية من وصف أم المؤمنين خديجة رضي الله عنها، ص ١٥١، ١٥٢.
- (٣) مسلم، صحيح مسلم، كتاب البر والصلة، باب تحريم الظلم، ١٩٦/٤، حديث رقم ٢٥٨٠.
- (٤) البخاري، صحيح البخاري، كتاب السلام، بابُ اسْتِجَابِ الرُّقِيَةِ مِنَ الْعَيْنِ وَالنَّمْلَةِ وَالْحُمَةِ وَالنَّظَرَةِ، ١٩/٧، حديث رقم ٢١٩٩.



بينهم، أو إدخال السرور عليهم، وغيرها.

ونفع الناس، والسعي في كشف كرباتهم، من صفات الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام، فالكریم يوسف بن يعقوب -عليه السلام- مع ما فعله إخوته به، جهزهم بجهازهم ولم ييخسهم شيئاً منه، وموسى -عليه السلام- لما ورد ماء مدين، وجد عليه أمة من الناس يسقون ووجد من دونهم امرأتين مستضعفتين، فرفع الحجر عن البئر وسقى لهما حتى رويت أغنامهما، وروي أنه: «مَا سُئِلَ النَّبِيُّ ﷺ عَنْ شَيْءٍ قَطُّ فَقَالَ: لَا». (١) والصحابة -رضوان الله عليهم- كانوا يسيرون على منهجه ﷺ، فيخدمون الناس وينفعونهم، وهكذا لزمّت هذه القيمة لعلو أجرها ومنزلتها كل من سار على هدي محمد ﷺ ونهجه. (٢) قال ابن القيم رحمه الله: «وقد دل العقل والنقل والفتوة وتجارب الأمم على اختلاف أجناسها ومللها ونحلها على أن التقرب إلى رب العالمين، والبر والإحسان إلى خلقه، من أعظم الأسباب الجالبة لكل خير، وأضدادها من أكبر الأسباب الجالبة لكل شر، فما استجلبت نعم الله واستدفعت نقمه، بمثل طاعته والإحسان إلى خلقه». (٣) واستثمار هذا الخلق في سبيل الدعوة إلى الله نافع في جذب المدعوين لأن النفوس جبلت على حب من أحسن إليها، والميل إلى من يسعى في قضاء حاجاتها؛ ولذلك قيل: أحسن إلى الناس تستعبد قلوبهم... فطالما استعبد الإنسان إحسان. (٤)

وقد يظن من يقرأ حديث بدء الوحي لأول وهلة أن النبي ﷺ كان منعزلاً عن المجتمع بالكلية، يتحنث في الغار أياماً، ويعود فيتزود لمثلها، وهذا الظن ينفيه حديث خديجة رضي (١) البخاري، صحيح البخاري، كتاب الأدب، باب حُسْنِ الخُلُقِ وَالسَّخَاءِ، وَمَا يُكْرَهُ مِنَ الْبُخْلِ، ٢٢٤٤/٥، حديث رقم ٥٦٨٧.

(٢) ينظر: أمين بن عبد الله الشقاوي، موسوعة الدرر المنتقاة من الكلمات الملقاة، ط ١، ١٤٣٤هـ - ٢٠١٣م، قدّم للكتاب مجموعة من المشايخ، وهم: الشيخ عبد العزيز الراجحي، والشيخ ناصر بن سليمان العمر، والشيخ سعد بن عبد الله الحميد، والشيخ عبد الله بن عبد الرحمن السعد، ٥٥٢/٧: ٥٥٥.

(٣) محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية، (ت ٧٥١هـ)، الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي أو الدواء والدواء، ط ١، المغرب، دار المعرفة، ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م، ص ٩.

(٤) مازن عبد الكريم، كيف تكسب الناس، الفريح، الكتاب منشور على موقع وزارة الأوقاف السعودية بدون بيانات، ص ٩.

الله عنها: «إنك لتصل الرحم، وتحمل الكل، وتكسب المعدوم، وتقري الضيف، وتعين على نوائب الحق». (١)

لقد كان من الأمور التي قَرَّرَت في مرحلة بدء الوحي إلى النبي ﷺ ضرورة أداء الواجبات الاجتماعية، فعلى الرغم من الذهاب إلى غار حراء ليتعبد فيه، فإن ذلك لم يمنعه من أداء واجباته الاجتماعية (٢)، حيث «إن الاجتماع البشري يقوم على مراعاة القيم الإنسانية ومكارم الأخلاق ومحامد الفضائل التي توطد الوشائج والصلوات». (٣)

إن خديجة -رضي الله عنها- في هذه الصفات النورانية تقرر واقعاً، وتتحدث عن أفعاله ﷺ وبذله للمعروف، وأنه وصَّالٌ للرحم، وأنه لا يرى محتاجاً إلا ويقف بجانبه ليخفف همه ويزيل كربيه، وهو كذلك صاحب المروءة الذي يكرم ضيوفه ويذل لهم ما بوسعه، ثم هو الرجل الذي يقف إلى جوار الناس عند حصول المصائب والكوارث.

-
- (١) مصطفى محمد يسلم الأمين، أساليب التزكية المستفادة من شرح الإمام ابن أبي حمزة لحديث بدء الوحي، الجكني، الكلية الجامعية الإسلامية العالمية، سلاَنجور، الهند، ٢٠١٩م، ص ٩٢.
- (٢) محمود بطل محمد أحمد، التأسيس المنهجي لمرحلة بدء الوحي النبوي ومرتكزاتها الدعوية، العراق، مجلة جامعة الأنبار للعلوم الإسلامية، جامعة الأنبار، كلية العلوم الإسلامية، ٢٠٢٣م، المجلد ١٤، العدد ٤، ص ٢٠٤٦.
- (٣) مسعودة علواش، القيم الإنسانية في خطاب خديجة أم المؤمنين؛ قراءة في مبشرات النبوة والوعي السنني، ص ٣٢٤.



خاتمة

أختم هذا البحث بالنتائج والتوصيات:
أولاً: أبرز النتائج:

- 1 - قد يظن من يقرأ حديث بدء الوحي لأول وهلة أن النبي ﷺ كان منعزلاً عن المجتمع بالكلية، يتحنّث في الغار أياماً، ويعود فيتزود لمثلها، وهكذا دواليك دون أن يكون له حظ في معايشة الناس ومخالطة المجتمع، وهذا الظن ينفيه كلام خديجة -رضي الله عنها- في بيان القيم الاجتماعية التي كان يتحلّى بها.
- 2 - لا يمكن للداعية أن يكون ناجحاً في دعوته إن لم يبدأ بأهله وأرحامه وأقاربه، اهتماماً بهم وصلةً ورعايةً ودعوةً لهم، حيث يلزمه أن يعتني بأقاربه عنايةً خاصة، فهم أحق الناس بالنصيحة والتوجيه والإحسان، وهذه الصلة أول دلائل تميز شخصيته الدعوية.
- 3 - يلزم أن يكون كل حديث الداعية مبنياً على الصدق الذي لا تحوم حوله شبهة، ولا يقاربه ما يخالف الحقيقة، ومعتصماً بجبل الصدق، متحرّياً ما يعتقد أنه حق؛ فصدق الحديث من الأخلاق العظيمة التي تكون سبباً مباشراً في نجاح الداعية إلى الله عز وجل، وهو لون من القوة التي هي على رأس الصفات التي يحبها الله تعالى.
- 4 - حمل الكل قيمة اجتماعية عملية وهي أشد لزوماً للداعية، ويدخل فيها كل معاني الإعانة والرعاية في السعي لتحقيق مصالح الضعفاء: بسد الخلة، ودفع الفاقة، وتدبير ما استصعب عليهم، والإنفاق على المساكين، واليتامى، والأرامل، والقيام على الكبير الهرم، والمريض العاجز، والغريم المحروم، وصلتهم ببذل المال لهم بجميل الفعل، وطيب القول.
- 5 - قيمة إكساب المعدوم من القيم الاجتماعية اللازمة للمجتمع المسلم عموماً وللداعية خصوصاً، وذلك بإكساب الإنسان الضعيف الفقير المحتاج العاجز عن الكسب، العاجز عن التصرف أو الكسب بيده، ويكون إكسابه ببذل المال والعون اللازم له.

6 - ويلزم الداعية القيام بواجب الضيافة لما يترتب عليها من اقتفاء لأثر الأنبياء والنهج على دريهم، ومن كان كذلك أحبه الناس واقتدي به وبفعله، كما يترتب عليه حسن الحديث والمنزلة بين الناس؛ فقد جُبلت النفوس على حب من أحسن إليها وأكرمها، فالذي يُكرم من ينزل به ضيفًا ويحسن إليه تشهد له الناس بالخير والصلاح والكرم والجود.

7 - قيمة الإعانة على نوائب الحق اللازمة تُلزم من جند نفسه داعيًا إلى الله عز وجل، أن يجعل من قلبه وعاءً يفيض بالرحمة لعباد الله كلهم، ولا يتحقق ذلك إلا بأن يضحى الداعية بحظوظه النفسية ومصالحه الدنيوية في سبيل تحقيق الخير لهم جميعًا، ذلك أن نفع الناس، والسعي في كشف كرباتهم، من صفات الأنبياء، وقد جُبلت النفوس على حب من أحسن إليها.

8 - هذه القيم الاجتماعية الست مجتمعة قيم لازمة لشخصية الداعية؛ لينجح في دعوته وتحظى بالقبول، وإن حُرِم منها، فلن تجد دعوته قوة التأثير في الناس وسرعة الاستجابة لدعوته لافتقادهم فيه ما يأملونه.

ثانيًا: التوصيات:

1. أوصي الباحثين والأكاديميين وطلاب الدراسات العليا بتتبع الأحاديث النبوية المروية عن بعض أمهات المؤمنين، مثال ذلك حديث أم سلمة -رضي الله عنها- في صلح الحديبية وغيره.

2. أوصي الدعاة والباحثين في تخصص الدعوة بتتبع ودراسة المواقف والأحداث ذات البعد الدعوي في صدر الإسلام، مثل حديث قصة إسلام عكرمة بن أبي جهل رضي الله عنه.



قائمة المراجع والمصادر

1. ابن المبرد، جمال الدين أبو المحاسن يوسف بن حسن بن عبد الهادي الحنبلي الدمشقي الصالحي (ت ٩٠٩ هـ)، الدر النقي في شرح ألفاظ الخرقى، المحقق: رضوان مختار بن غريبة، ط ١، جدة، دار المجتمع للنشر والتوزيع، ١٤١١هـ - ١٩٩١م.
2. ابن الملقن، سراج الدين أبو حفص عمر بن علي بن أحمد الأنصاري الشافعي (٧٢٣ - ٨٠٤ هـ)، التوضيح لشرح الجامع الصحيح، المحقق: دار الفلاح للبحث العلمي وتحقيق التراث بإشراف خالد الرباط، جمعة فتحي، تقديم: أحمد معبد عبد الكريم، ط ١، دمشق، دار النوادر، ١٤٢٩ هـ - ٢٠٠٨ م.
3. ابن عاشور، محمد الطاهر، جمهرة مقالات ورسائل الشيخ الإمام محمد الطاهر ابن عاشور، جمعها وقرأها ووثقها: الميساوي، محمد الطاهر، ط ١، الأردن، دار النفائس للنشر والتوزيع، ١٤٣٦هـ - ٢٠١٥م.
4. ابن فارس، أبي الحسين أحمد بن زكريّا، معجم مقاييس اللغة، المحقق: عبد السلام محمد هارون، اتحاد الكتاب العرب، طبعة ١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٢م.
5. ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين (ت ٧٥١هـ)، الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي أو الدواء والدواء، ط ١، المغرب، دار المعرفة، ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م.
6. ابن منظور، محمد بن مكرم بن علي جمال الدين الأنصاري الرويفعي الإفريقي (ت ٧١١هـ)، لسان العرب، ط ٣، بيروت، دار صادر، ١٤١٤هـ.
7. الإثيوبي، محمد بن علي بن آدم بن موسى الوَلَوِي، ذخيرة العقبي في شرح المجتبى، ط ١، دار المعراج الدولية للنشر، ١٤١٦ - ١٤٢٤هـ.

8. الأزهرى، أبو منصور محمد بن أحمد بن الهروي، (ت ٣٧٠هـ)، تهذيب اللغة، تحقيق: محمد عوض مرعب، دار ط ١، بيروت، إحياء التراث العربي، ٢٠٠١م.
9. الألباني، محمد ناصر الدين، السراج المنير في ترتيب أحاديث صحيح الجامع الصغير لجلال الدين السيوطي، رتبته وعلق عليه: عصام موسى هادي، ط ٣، دار الصديق، توزيع مؤسسة الريان، ١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م.
10. الألباني، محمد ناصر الدين، ضعيف الجامع الصغير وزيادته (الفتح الكبير)، أشرف على طبعه: زهير الشاويش (ت ١٤٣٤هـ)، ب ط، المكتب الإسلامي، ب ت.
11. آن دوزي، رينهارت بيتر (ت ١٣٠٠هـ)، تكملة المعاجم العربية، نقله إلى العربية وعلق عليه: محمد سليم النعيمي، ط ١، الجمهورية العراقية، وزارة الثقافة والإعلام، ١٩٧٩م - ٢٠٠٠م.
12. البخاري، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل الجعفي، صحيح البخاري، تحقيق: مصطفى ديب البغا، دار ابن كثير، ط ٥، دمشق، دار اليمامة، ١٤١٤هـ - ١٩٩٣م.
13. البخاري، محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة أبو عبد الله (ت ٢٥٦هـ)، صحيح الأدب المفرد للإمام البخاري، حقق أحاديثه وعلق عليه: محمد ناصر الدين الألباني، باب إذا أصبح الضيف محروماً، ط ٤، دار الصديق للنشر والتوزيع، ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م.
14. بن سيده، أبو الحسن علي بن إسماعيل المرسى، (ت: ٤٥٨هـ)، المحكم والمحيط الأعظم، المحقق: عبد الحميد هنداوي، ط ١، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م.
15. بن نعمة الله، نور الدين الجزائري (ت ١١٥٨هـ)، معجم الفروق اللغوية، الحاوي لكتاب أبي هلال العسكري، وجزء من كتاب «فروق اللغات»، رتبته وبوّبه على حروف الهجاء: الشيخ بيت الله بيات، مؤسسة النشر الإسلامي، ط ١، ١٤١٢هـ.



16. البهي، فؤاد السيد، وعبد الرحمن، سعد، علم النفس الاجتماعي رؤية معاصرة، القاهرة، دار الفكر العربي، ١٤١٩هـ - ١٩٩٩م.
17. البيهقي، أبو بكر أحمد بن الحسين بن علي (٣٨٤ - ٤٥٨ هـ)، السنن الكبرى، تحقيق: الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي، ط ١، القاهرة، مركز هجر للبحوث والدراسات العربية والإسلامية، ١٤٣٢هـ - ٢٠١١م.
18. التميمي، عويسان، أعده للشاملة، موسوعة المفاهيم الإسلامية العامة، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، مصر.
19. الجريسي، خالد، إدارة الوقت من المنظور الإسلامي والإداري، المكتبة الشاملة بدون بيانات.
20. الجزائري، جابر بن موسى بن عبد القادر بن جابر أبو بكر، أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير (ومعه حاشية نهر الخير)، ط ٥، المدينة المنورة، مكتبة العلوم والحكم، ١٤٢٤هـ، ٢٠٠٣م.
21. الجلاد، ماجد زكي، دراسات في التربية الإسلامية، ط ١، عمّان، دار الرازي للطباعة والنشر، ٢٠٠٣م.
22. جليبي، علي عبد الرزاق، دراسات في المجتمع والثقافة الشخصية، بيروت، دار النهضة العربية، ١٨٨٤م.
23. الجوابي، محمد طاهر، المجتمع والأسرة في الإسلام، ط ٣، دار عالم الكتب للطباعة والنشر والتوزيع، ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م.
24. حسين، محمد الخضر، (ت ١٣٧٧هـ)، موسوعة الأعمال الكاملة للإمام محمد الخضر حسين، جمعها وضبطها: المحامي علي الرضا الحسيني، ط ١، سوريا، دار النوادر، ١٤٣١هـ - ٢٠١٠م.

25. الحميري نشوان بن سعيد اليميني، (ت ٥٧٣هـ)، شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم، تحقيق: حسين بن عبد الله العمري، ومظهر علي الإرياني، ويوسف محمد عبد الله، ط ١، بيروت، دار الفكر المعاصر، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م.
26. الرازي، زين الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر (ت ٦٦٦هـ)، مختار الصحاح، المحقق: يوسف الشيخ محمد، ط ٥، بيروت، صيدا، المكتبة العصرية - الدار النموذجية، ١٤٢٠هـ - ٢٩٩٩م.
27. رضا، أحمد، معجم متن اللغة، بيروت، دار مكتبة الحياة، ١٣٨٠هـ - ١٩٦٠م.
28. رضا، محمد رشيد بن علي بن محمد شمس الدين بن محمد بهاء الدين الحسيني (ت ١٣٥٤هـ)، الوحي المحمدي، ط ١، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م.
29. الزبيدي، محمد مرتضى الحسيني، تاج العروس من جواهر القاموس، تحقيق: جماعة من المختصين، الكويت، وزارة الإرشاد والأنباء، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م.
30. الزيود، ماجد، عمان، الشباب والقيم في عالم متغير، دار الشروق، ٢٠٠٦م.
31. السقار، منقذ بن محمود، التعايش مع غير المسلمين في المجتمع المسلم، ط ١، مكة المكرمة، رابطة العالم الإسلامي، ١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م.
32. السلطان، ناجي بن داي، دليل الداعية، ط ١، دار طيبة الخضراء، ب ت.
33. السيوطي، جلال الدين (٨٤٩ - ٩١١هـ)، سنن النسائي بشرح الحافظ جلال الدين السيوطي وحاشية الإمام السندي، صحتها: جماعة، وقرئت على الشيخ حسن محمد المسعودي، ط ١، القاهرة، المكتبة التجارية الكبرى، ١٣٤٨هـ - ١٩٣٠م.
34. السيوطي، جلال الدين، جمع الجوامع المعروف بـ «الجامع الكبير»، المحقق: مختار إبراهيم الهائج - عبد الحميد محمد ندا - حسن عيسى عبد الظاهر، ط ٢، القاهرة، الأزهر الشريف، ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م.



35. شفيق، محمد، البحث العلمي؛ الخطوات المنهجية لإعداد البحوث الاجتماعية، مصر، المكتبة الجامعية، ٢٠٠١م.
36. الشقاوي، أمين بن عبد الله، موسوعة الدرر المنتقاة من الكلمات الملقاة، ط١، ١٤٣٤هـ - ٢٠١٣م، قدّم للكتاب مجموعة من المشايخ، وهم: الشيخ عبد العزيز الراجحي، والشيخ ناصر بن سليمان العمر، والشيخ سعد بن عبد الله الحميد، والشيخ عبد الله بن عبد الرحمن السعد،
37. الدرويش، صالح بن عبد الله، توجيهات تربوية، مجلة البيان، السنة الرابعة، العدد ١٧، ذو القعدة ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م.
38. الطيبي، شرف الدين الحسين بن عبد الله (٧٤٣هـ)، شرح الطيبي على مشكاة المصابيح المسمى بـ (الكاشف عن حقائق السنن)، المحقق: عبد الحميد هنداي، مكتبة نزار مصطفى الباز ط١، الرياض، مكة المكرمة، ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م.
39. بكر، عبد الجواد سيد، فلسفة التربية الإسلامية في الحديث الشريف، ط١، مصر، دار الفكر العربي، ١٩٨٣م.
40. عمر، أحمد مختار عبد الحميد (ت ١٤٢٤هـ) بمساعدة فريق عمل، معجم اللغة العربية المعاصرة، ط١، عالم الكتب، ١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م.
41. اللاحم، عبد الكريم بن محمد، المطلع على دقائق زاد المستقنع «فقه القضاء والشهادات»، ط١، الرياض، دار كنوز إشبيلية للنشر والتوزيع، ١٤٣٣هـ - ٢٠١٢م.
42. عبد الله حسن حامد الأسطل، مكارم الأخلاق النبوية من وصف أم المؤمنين خديجة رضي الله عنها، رسالة ماجستير، غزة، الجامعة الإسلامية، ٢٠٢١م.
43. بن حميد، صالح بن عبد الله، إشراف الشيخ مع عدد من المختصين، نضرة النعيم في

- مكارم أخلاق الرسول الكريم ﷺ، ط ٤، جدة، دار الوسيلة للنشر والتوزيع، ب ت.
44. العساف، صالح، المدخل إلى البحث في العلوم السلوكية، الرياض، السعودية، مكتبة العبيكان، ١٤١٦هـ.
45. العسقلاني، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن عبد الدائم بن موسى النعيمي البرّماوي، المصري الشافعي (ت ٨٣١ هـ)، اللامع الصبيح بشرح الجامع الصحيح، تحقيق ودراسة: لجنة مختصة من المحققين بإشراف نور الدين طالب، ط ١، سوريا، دار النوادر، ١٤٣٣ هـ - ٢٠١٢ م.
46. العيني، بدر الدين الحنفي محمود بن أحمد بن موسى بن أحمد بن الحسين الحنفي، (ت ٨٥٥ هـ)، عمدة القاري شرح صحيح البخاري، ط ١، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م.
47. الفراهيدي، أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم البصري (ت ١٧٠ هـ)، العين، المحقق: د مهدي المخزومي، د إبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال.
48. الفريخ، مازن عبد الكريم، كيف تكسب الناس، الكتاب منشور على موقع وزارة الأوقاف السعودية بدون بيانات.
49. الفيومي، أبو العباس أحمد بن محمد بن علي الحموي (ت نحو ٧٧٠ هـ)، المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، المكتبة العلمية، بيروت، ب ط، ب ت.
50. سعيد بن علي بن وهف القحطاني، فقه الدعوة في صحيح الإمام البخاري، رسالة دكتوراه، ط ١، الرياض، من جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، ١٤٢١هـ.
51. لطفي، بركات أحمد، في فلسفة التربية، الرياض، دار المريخ، ب ط، ١٤٠٣هـ.
52. مجموعة من المؤلفين، أصول الدعوة وطرقها، جامعة المدينة العالمية، ماليزيا.



53. محفوظ، علي، الإبداع في مضار الابتداع، ط ٥، دار الاعتصام، ١٣٧٥هـ - ١٩٥٦م.
54. محمود بطل محمد أحمد، التأسيس المنهجي لمرحلة بدء الوحي النبوي ومرتكزاتها الدعوية، العراق، مجلة جامعة الأنبار للعلوم الإسلامية، جامعة الأنبار، كلية العلوم الإسلامية، ٢٠٢٣م، المجلد ١٤، العدد ٤.
55. مسعودة علواش، القيم الإنسانية في خطاب خديجة أم المؤمنين؛ قراءة في مبشرات النبوة والوعي السني، مجلة الصراط، السنة ١٩، العدد ٣٥، رمضان ١٤٣٨هـ - يوليو ٢٠١٧م.
56. مسلم، أبو الحسين بن الحجاج القشيري النيسابوري (٢٠٦ - ٢٦١هـ)، صحيح مسلم، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي (ت ١٣٨٨هـ)، القاهرة، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، ١٣٧٤هـ - ١٩٥٥م.
57. مصطفى محمد يسلم الأمين الجكني، أساليب التزكية المستفادة من شرح الإمام ابن أبي حمزة لحديث بدء الوحي، الكلية الجامعية الإسلامية العالمية، سلانجور، الهند، ٢٠١٩م.
58. المناوي، زين الدين محمد المدعو بعبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي بن زين العابدين الحدادي ثم القاهري (ت ١٠٣١هـ)، فيض القدير شرح الجامع الصغير، ط ١، مصر، المكتبة التجارية الكبرى، ١٣٥٦هـ.
59. النووي، أبو زكريا محيي الدين بن شرف (ت ٦٧٦هـ)، المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، ط ٢، بيروت، دار إحياء التراث العربي، ١٣٩٢م.

List of references and sources

- 1 - Ibn al-mubared ,Jamal al-Din Abu al-Mahasen Yusuf bin Hassan bin Abdul Hadi al-Hanbali Al-damashqi al-Salhi (d.909 AH), the pure lesson in explaining the words of Al-kharqi, investigator: Radwan Mukhtar bin Gharbiya, t. 1, Jeddah, Society House for publishing and distribution, 1411 AH-1991 AD.
- 1 - Ibn al-Mulkeen ,Sirajuddin Abu Hafs Omar bin Ali bin Ahmed Al-Ansari Al-Shafi'i (723-804 AH) ,the explanation of the explanation of the correct mosque, investigator: Dar Al - Falah for scientific research and heritage realization under the supervision of Khalid Rabat, Juma Fathi, submission: Ahmed temple Abdul Karim, 1st edition, Damascus, Dar Al-Nawader, 1429 AH-2008 AD.
- 2 - Ibn Ashur ,Muhammad Al-Taher, collection of articles and letters of Sheikh Imam Muhammad Al-Taher Ibn Ashur, collected, read and documented: Al - maysawi, Muhammad Al-Taher, Vol.1, Jordan, Dar Al-nafais publishing and distribution 1436 ,AH-2015AD.
- 3 - Ibn fares, Abu al-Hussein Ahmed bin Zakariya, Dictionary of Language Standards, investigator :Abdus Salam Muhammad Harun, the Union of Arab Writers, Edition 1423 AH-2002 AD.
- 4 - Ibn Qayyim Al-jawziyya, Muhammad ibn Abi Bakr ibn Ayyub Ibn Saad Shams al-Din (d.751 AH) ,the sufficient answer for those who asked about panacea or medicine and Medicine, Vol. 1, Morocco, Dar Al - marefa, 1418 AH-1997 AD.
- 5 - Ibn Manzoor ,Muhammad ibn Makram ibn Ali Jamal al-Din al-Ansari Al-ruwayfi Al-ifriqiya (d 711 .AH), tongue of the Ar-



- abs, 3rd edition, Beirut, Sadr House, 1414 AH.
- 6 - The Ethiopian ,Muhammad Bin Ali bin Adam bin Musa al-ulwi, al-Aqabi's repertoire in explaining Al-Mujtaba, Vol. 1, Al-Miraj international publishing house, 1416-1424 AH.
 - 7 - Al-Azhari, Abu Mansour Mohammed bin Ahmed bin Al-Harawi, (d.370 AH), language refinement ,investigation: Mohammed Awad Merheb, Dar T1, Beirut, revival of Arab heritage.2001 ,
 - 8 - Al-Albani ,Muhammad Nasir al-Din, al-Seraj al-Munir in the order of the hadiths of Sahih the small mosque of Jalal al-Din al-Suyuti, arranged and commented on by: Essam Musa Hadi, 3rd edition, Dar Al-Siddiq, distribution of the Al-Rayyan Foundation, 1430AH_2009AD.
 - 9 - Al-Albani ,Muhammad Nasir al-Din, the weak of the small mosque and its increase (the great conquest), supervised its printing: Zuhair al-Shawish (d.1434 AH), Islamic Bureau ,n.d.
 - 10 - Anne Duzy ,Reinhart Peter (D. 1300 AH), the completion of Arabic dictionaries, its transfer to Arabic and commented on: Mohammed Salim Al-Nuaimi, il, the Iraqi Republic, Ministry of culture and information, 1979-2000.
 - 11 - Al-Bukhari, Abu Abdullah Muhammad ibn Ismail al-Ja'fi, Sahih al-Bukhari, an investigation :Mustafa Deb Al-Bagha, Dar Ibn Kathir, 5th edition, Damascus, Dar Al-Yamamah, 1414 AH - 1993 AD.
 - 12 - Al-Bukhari ,Muhammad ibn Ismail Ibn Ibrahim ibn al-Mughira Abu Abdullah (d.256 AH), the true lexicographical literature of Imam al - Bukhari, verified his Hadiths and commented on them: Muhammad Nasir al-Din al-Albani, the door if the guest becomes deprived, Vol. 4, Dar Al-Siddiq publishing and distribution, 1418

AH-1997 AD.

- 13 - Bakr, Abdel Gawad Sayed, the philosophy of Islamic education in Hadith, Vol. 1, Egypt, Dar Al-Fikr Al-Arabi, 1983.
- 14 - Bin Humaid, Saleh bin Abdullah, the supervision of the Sheikh with a number of specialists ,nadrat Al-Naeem in the Makarim of the ethics of the Holy Prophet e, I4, Jeddah ,Al Wasila publishing and distribution house, n.d.
- 15 - Ibn Sidh, Abu al-Hassan Ali ibn Ismail al-Mursi, (d.: 458 AH), the arbitrator and the greatest oceanographer, investigator: Abdul Hamid Hindawi, 1st edition, Beirut, House of scientific books, 1421 AH - 2000 AD.
- 16 - Ibn Nemat Allah ,Nour al-Din al-Jazairi (d.1158 AH), Dictionary of linguistic differences ,containing the book of Abu Hilal Al-Askari, and part of the book» differences of languages ,«arranged and published on the letters of the alphabet: Sheikh Baitullah Bayat, Islamic publishing Foundation, Vol. 1 1412 ,AH.
- 17 - El-bahy, Fouad El-Sayed, Abdel Rahman, Saad, Social Psychology a contemporary vision, Cairo ,Dar Al - Fikr Al-Arabi, 1419AH-1999AD.
- 18 - Al-Bayhaqi, Abu Bakr Ahmed bin al-Hussein bin Ali (384 - 458 AH), the great Sunnah ,investigation: Dr. Abdullah bin Abdul Mohsen al-Turki, 1st edition ,Cairo, Hijr Center for research and Arab and Islamic studies, 1432 AH-2011 AD.
- 19 - Tamimi, aweysan ,prepared for the comprehensive encyclopedia of General Islamic concepts, the most expensive Council for Islamic Affairs, Egypt.
- 20 - Al-jeraisi ,Khalid, time management from the Islamic and administrative perspective, the comprehensive library without data.



- 21 - Chalabi, Ali Abdel Razzak, studies in society and personal culture, Beirut, Dar Al-Nahda Al-Arabiya, 1884.
- 22 - Al-jawabi ,Muhammad Taher, society and family in Islam, Vol.3, Dar Alam Al - Kitab for printing, publishing and distribution, 1421 AH-2000 AD.
- 23 - Hussein, Muhammad al-Khader, (d.1377 AH), Encyclopedia of the complete works of Imam Muhammad al - Khader Hussein, collected and seized by: lawyer Ali Al-Reda al-Husseini, 1st edition, Syria, Dar Al-Nawader, 1431 AH-2010 AD.
- 24 - Al-Humairi Nashwan bin Said Al-Yamani, (d. 573 AH), the sun of Science and the medicine of the speech of the Arabs from the word, an investigation: Hussein bin Abdullah al - Omari, Mota-her Ali al-Iryani, and Youssef Mohammed Abdullah, 1st edition, Beirut, the House of contemporary thought, 1420 AH-1999 AD.
- 25 - Al-Darwish, Saleh bin Abdullah, educational guidance, Al-Bayan magazine, the fourth year, No. 17 ,Zul - QA'dah 1410 AH-1990 AD.
- 26 - Al-Razi, Zain al-Din Abu Abdullah Muhammad ibn Abi Bakr (d.666 AH), Mukhtar al - Sahah ,investigator: Yusuf Sheikh Muhammad, 5th edition, Beirut, Sidon ,modern library - model house, 1420 AH-2004 AD.
- 27 - Reza, Ahmed ,lexicon of the language, Beirut, Hayya library House, 1380 AH - 1960 AD.
- 28 - Reza, Muhammad Rashid bin Ali bin Muhammad Shams al-Din bin Muhammad Baha Al-Din al-Husseini (d.1354 AH), the Mohammedan revelation, 1st edition, Beirut, House of scientific books, 1426 AH - 2005 AD.
- 29 - Zubaidi, Mohammed Mortada al-Husseini, the crown of the

- bride from the jewels of the dictionary ,investigation: a group of specialists, Kuwait, Ministry of guidance and news 1422 ,AH - 2001 AD.
- 30 - Al-Zayoud, Majid ,Oman, youth and values in a changing world, DarAl-Shorouk, 2006AD.
- 31 - Saeed bin Ali bin wahf Al-Qahtani, Fiqh of Da'wah in Sahih Imam al-Bukhari, Ph. D. thesis, i1, Riyadh ,from Imam Muhammad Bin Saud Islamic University, General Presidency of the Departments of scientific research, fatwa, da'wah and guidance, 1421 AH.
- 32 - Al-Saqqar ,Munqidh bin Mahmoud, coexistence with non-Muslims in the Muslim community, Vol ,^١ .Makkah, Muslim World League, 1427AH – 2006AD.
- 33 - Sultan, Naji bin Dayel, guide of the preacher, i1, the Green House Of Thebes, n.d.
- 34 - Al-Suyuti, Jalal al-Din (849-911 AH), the women's age explained by Hafiz Jalal al-Din al-Suyuti and the entourage of Imam Al-Sindi, corrected by: a group, and read to Sheikh Hassan Mohammed Al-Masoudi, 1st edition, Cairo, the great commercial library, 1348 AH - 1930 AD
- 35 - Al-Suyuti, Jalal al-Din, the collection of mosques known as the« Great Mosque ,«investigator: Mukhtar Ibrahim al - haej - Abdul Hamid Mohammed Nada-Hassan Isa Abdel Zaher, 2nd edition, Cairo, Al-Azhar Al-Sharif, 1426AH_2005AD.
- 36 - Shafik, Mohamed ,scientific research; methodological steps for the preparation of Social Research, Egypt, university library, 2001.
- 37 - Al-shaqawi, Amin bin Abdullah, Al-Durr encyclopedia selected



- from the words delivered, Vol. 11434 ,AH – 2013AD, presented the book to a group of Sheikhs, namely: Sheikh Abdul Aziz Al-Rajhi, Sheikh Nasser bin Sulaiman Al-Omar, Sheikh Saad bin Abdullah Al-Hamid, Sheikh Abdullah bin Abdul Rahman Al-Saad.
- 38 - Al-Tibi, Sharaf al-Din al-Hussein bin Abdullah (743 AH), al - Tibi's commentary on the Mishkat Al-Misbah called (the detector of the facts of the Sunnah), investigator: Abdul Hamid Hindawi, Nizar Mustafa al-Baz library, T1, Riyadh, Mecca, 1417 AH-1997 AD.
- 39 - Al-Asqalani, Shams al-Din Abu Abdullah Muhammad Bin Abdul-dhamim bin Musa Al-Nuaimi Al-barmawi ,al-Masri al-Shafi'i (d. 831 AH), al - lamaa Al-Sabeeh by explaining the correct mosque, investigation and study: a specialized committee of investigators under the supervision of Nour al-Din Talib, Room 1, Syria, Dar Al-Nawader, 1433 AH-2012 AD.
- 40 - Omar, Ahmed Mukhtar Abdul Hamid (d.1424 AH) with the help of a team, Dictionary of the contemporary Arabic Language, Vol. 1, the world of books, 1429 AH - 2008 ad.
- 41 - Al-Aini, Badr al-Din Al-Hanafi Mahmoud bin Ahmed bin Musa bin Ahmed bin Hussein Al-Hanafi ,(d. 855 AH), mayor of al - Qari Sharh Sahih al-Bukhari, 1st edition ,Beirut, House of scientific books, 1420 AH-2000 AD.
- 42 - Al-Farahidi, Abu Abdul Rahman al-Khalil bin Ahmed bin Amr bin Tamim al-Basri (d.170 AH), Al-Ain ,investigator: Dr. Mahdi Al-Makhzoumi, Dr. Ibrahim al-Samarai, Crescent house and library.
- 43 - Al-farih, Mazen Abdulkarim, how to win people, the book is

- published on the website of the Saudi Ministry of Awqaf without data.
- 44 - Al-Fayoumi, Abu al-Abbas Ahmad ibn Muhammad ibn Ali Al-Hamwi (D. about 770 AH), the illuminating lamp in Gharib Al-Sharh Al-Kabeer, Scientific Library, Beirut, ed .not stated., n.d.
 - 45 - Al-Lahham ,Abdulkarim bin Mohammed, who is familiar with the minutes of Zad Al - moqnaq» ,jurisprudence of the judiciary and certificates1 ,«st edition, Riyadh, the House of treasures of Seville for publishing and distribution, 1433 AH-2012 AD.
 - 46 - Lotfi, Barakat Ahmed, in the philosophy of Education, Riyadh, Dar Al-Mars, BT, 1403 AH.
 - 47 - A group of authors, origins and methods of Da'wah, Universal City University, Malaysia.
 - 48 - Mahfouz, Ali ,creativity in the harm of creativity, I. 5, the House of the sit - in, 1375 AH-1956 AD.
 - 49 - Mahmoud hero Mohammed Ahmed, the systematic establishment of the stage of initiation of the prophetic revelation and its pillars of Da'wah, Iraq, Journal of Anbar University of Islamic sciences, Anbar University, Faculty of Islamic sciences,2023 , Vol.14, No. 4.
 - 50 - Masouda alawash ,human values in the speech of Khadija, Mother of Believers; reading in the Heralds of prophecy and Sunni awareness, Al - Sarat magazine, year 19, issue ,35 Ramadan 1438 AH-July 2017.
 - 51 - Muslim, Abu al-Hussein ibn al-Hajjaj al-qushairi Al-nisaburi (206 - 261h), Sahih Muslim ,Investigation: Muhammad Fuad Abd al - Baqi (d.1388h), Cairo, Isa Al-Babi al-Halabi & co.,



1374-1955g.

- 52 - Mustafa Muhammad delivers Al-Amin al-jikni, the methods of Zakat learned from Imam ibn Abi Hamza's explanation of the Hadith of the initiation of Revelation ,International Islamic University College, Selangor, India, 2019.
- 53 - Al-manawi, Zain al-Din Muhammad called Abdul Rauf bin Taj al-Arifin bin Zain al-Abidin Al-Hadadi and then Cairo (d.1031AH), Fayd al-Qadir explained the small mosque¹,st edition, Egypt, the great commercial library, 1356 AH.
- 54 - Al-Nawawi, Abu Zakariya Muhyi al-Din ibn Sharaf (d.676 AH), the curriculum is explained by Sahih Muslim Ibn Al-Hajjaj, 2nd edition, Beirut, the House of revival of Arab heritage, 1392 AD.

الكلام على تفصيل إعراب قول سيويه رحمه الله
في أول الكتاب: «هذا باب علم ما الكلم من العربية»

لأبي جعفر النحاس

أحمد بن محمد بن إسماعيل المرادي المصري

(ت ٣٣٨هـ)

دراسة وصفية تحليلية إحصائية

إعداد

د/ سامي بن محمد بن يحيى الفقيه الزهراني

أستاذ اللغة والنحو والصرف المشارك في قسم اللغة العربية

بكلية الآداب والعلوم الإنسانية - جامعة الباحة.

حاصل على الماجستير من جامعة أم القرى تخصص لغويات.

حاصل على الدكتوراه من جامعة أم القرى تخصص نحو وصرف.

salfaqeh@bu.edu.sa



<https://doi.org/10.65728/1625-000-022-006>



بسم الله الرحمن الرحيم المستخلص

موضوع البحث:

الكلام على تفصيل إعراب قول سيويه - رحمه الله - في أول الكتاب: «هذا باب علم ما الكلم من العربية»: دراسة وصفية تحليلية إحصائية.

أهداف البحث:

بيان قيمة الرسالة العلمية، وعرض ما ورد فيها من الوجوه المروية، وضبط ما احتملته من الوجوه الإعرابية، وتوضيح ما اعتراها من التداخل والاختلاط الذي استدعاه اختصار العلماء، وتصحيح ما لحقها من التكرار والأسقاط الذي اقتضاه مقام الإملاء؛ لترتيبها وإعادة بنائها، والتحقق من عددها وإحصائها.

منهج البحث:

المنهج الوصفي التحليلي الإحصائي.

أهم النتائج:

تعليل إيهام أبي جعفر النحاس عدد الوجوه الإعرابية في رسالته في بضعة وأربعين وجهًا، والفصل بين الوجوه المروية في الرسالة، وبين الوجوه الإعرابية المندرجة تحتها، وحصر الوجوه المروية في الرسالة في أربعة عشر وجهًا، والإعرابية في خمسة وأربعين وجهًا.

أهم التوصيات:

دراسة الوجوه الإعرابية عند شراح كتاب سيويه، والموازنة بينها.

الكلمات المفتاحية: إعراب النحاس، هذا، باب، علم، ما الكلم.

Abstract

Research Topic:

A Study on the Detailed Syntax of Sībawayh's Statement, May God Have Mercy on Him, in the Beginning of the Book: 'This is the Chapter on the Knowledge of What Words Are in Arabic 'By Abū Ja'far al-Nahḥās (Aḥmad ibn Muḥammad ibn Ismā'īl al-Murādī al-Miṣrī, d^{٣٣٨} .H.) A Descriptive, Analytical, and Statistical Study

Research Objectives:

- Explaining the value of the scientific message.
- Presenting what was mentioned in it of the varied expressions.
- Controlling what it contained of expressive forms.
- Clarifying the overlap and mixing caused by scholars' abbreviations.
- Correcting repetition and projection required by the place of dictation.
- Arranging ,reconstructing, and verifying the numbering and counting.

Research Method:

Descriptive-analytical method.

Most Important Results:

- Explanation of Abu Ja'far Al-Nahhas' notes.
- The number of expressive forms in his message is approximately forty.



- Separation between the narrated expressions and the expressive forms included under them.
- Limitation of the narrated expressions to fourteen forms, and expression counted in forty-five forms.

Most Important Recommendations:

- Study of expressive forms in the explanation of Sibawayh's book.
- Maintaining balance between them.

Keywords:

Expressive forms, Al-Nahhas, door of science, Arabic language, Sibawayh.

مقدمة

الحمد لله ربّ العالمين، والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء وأشرف المرسلين نبينا محمّد، وعلى آله وصحبه أجمعين، ومن تبعهم بإحسانٍ إلى يوم الدين، أما بعد:

فقد تعدّدت عنايتُ النّحويين بكتاب سيبويه، وتنوعت مُصنّفاتهم القائمة عليه، ما بين شارحٍ له ولأبياته، أو مُوضّحٍ لمشكل ألفاظه وعباراته، أو مُعرّبٍ لأقواله وأمثله، أو مُستدركٍ عليه في آرائه وأبنيته، ولا غرابة في ذلك كلّّه، فكتابُه مؤثّلهم بلا مُنازع، وهو إمامهم بلا مُدافع.

ولما كان لأبي جعفر النّحاس رسالةٌ في إعراب قول سيبويه: «هذا بابٌ علّم ما الكلّم من العربيّة» أُملى فيها بضعةٌ وأربعين وجّهاً من صدره، تلقّاها من شيوخه وعلماء عصره، وزاد فيها وجوهاً من بدائع فكره، وكانت على صغر حجمها، ووفرة علمها قد بلغت من الإيجاز حدّ الإلغاز؛ بما تقاطع فيها من الوجوه المرويّة، وبما تداخل فيها من الوجوه الإعرابيّة؛ فقد تحفّز الباحث لدراستها دراسةً وصفيّةً تحليليّةً إحصائيّةً؛ لوصل ما انقطع منها، وفصل ما تداخل فيها؛ من أجل ترتيبها وإعادة بنائها، والتحقّق من عدّها وإحصائها، ولا استدراك ما فات مُحققي الرّسالة في نشرتهم، وإتمام ما نقصهم في عملهم؛ إذ لم يُنبّهوا على شيءٍ من ذلك، ولا انتبهوا لِمَا أصابها من التّكرار والسّقط كذلك.

سائلاً الله تعالى الإعانة والتأييد، والتّوفيق والتّيسيد.



موضوع البحث:

دراسة رسالة أبي جعفر النحاس الموسومة بـ: (الكلام على تفصيل إعراب قول سيويه رحمه الله في أول الكتاب: هذا باب علم ما الكلم من العربية) دراسة وصفية تحليلية إحصائية.

مشكلة البحث:

التداخل والتقاطع بين الوجوه المروية والوجوه الإعرابية في رسالة أبي جعفر النحاس.

أسئلة البحث:

- ما الوجوه المروية، والوجوه الإعرابية في رسالة أبي جعفر النحاس إجمالاً؟
- ما العملية الحسابية الحاصرة للوجوه الإعرابية التي قدمها أبو جعفر النحاس في رسالته؟
- ما الوجوه المروية والوجوه الإعرابية في رسالة أبي جعفر النحاس تفصيلاً؟
- ما علّة إهمام أبي جعفر النحاس لعدد الوجوه الإعرابية في رسالته؟
- ما موقف محقق رسالة أبي جعفر النحاس من الوجوه المروية، والإعرابية الواردة فيها؟

أهمية البحث، وأسباب اختياره:

- تعدد رسالة أبي جعفر النحاس أول مصنف مستقل يصل إلينا في إعراب قول سيويه.
- ارتباط البحث برسالة أبي جعفر النحاس، وبكتاب سيويه أيضاً.

- انعدامُ تناول هذا البحث في ما وقف عليه الباحثُ من بحوثٍ ودراسات.
- علاقةُ هذا البحث بموضوع التّطبيق الإعرابي.

- إثراءُ المكتبة العربيّة بدراسةٍ مختصّةٍ في رسالة أبي جعفر النّحاس، وفي كتاب سيبويه.

أهداف البحث:

- عرضُ الوجوه المرويّة، والوجوه الإعرابيّة الواردة في رسالة أبي جعفر النّحاس إجمالاً.
- تحليلُ العمليّة الحسابيّة الحاصرة للوجوه الإعرابيّة التي قدّمها أبو جعفر النّحاس في رسالته.
- ذكُرُ الوجوه المرويّة، والوجوه الإعرابيّة الواردة في رسالة أبي جعفر النّحاس تفصيلاً.
- تعليلُ إيهام أبي جعفر النّحاس لعدد الوجوه الإعرابيّة في رسالته.
- بيانُ موقف مُحقّقي رسالة أبي جعفر النّحاس من الوجوه المرويّة، والإعرابيّة الواردة فيها.

منهج البحث:

الوصفيّ التحليليّ الإحصائيّ.

حدود البحث:

يقتصرُ هذا البحثُ في دراسته على رسالة أبي جعفر النّحاس الموسومة بـ: (الكلامُ على تفصيلِ إعرابِ قولِ سيبويه - رحمه الله- في أوّل الكتاب: هذا بابُ عِلْم ما الكَلِم من العربيّة) وَحَدّها؛ لكونها مادّة بحثه، ومحوّر دراسته، فلا يُؤاخَذُ الباحثُ على قِلّة مصادره ومراجعته فيها؛ لأنّ الغاية من بحثه هي دراسةُ هذه الرسالة بعينها؛ لفصل ما تداخل فيها من تراكيب، ووصل ما تقاطع فيها من أعاريب، من دون الحكم عليها قوّة أو ضَعْفًا، أو



قُبْحًا أو فُسَادًا، ودُونَ التَّعْرِيجِ عَلَى غَيْرِهَا مِنَ الْمَصْنَفَاتِ الْمُتَعَلِّقَةِ بِكِتَابِ سَيَبَوِيهِ وَغَيْرِهِ، إِلَّا مَا احتِجَّ إِلَيْهِ عَرَضًا مِنْ تَخْرِيجٍ، أَوْ تَعْلِيْقٍ.

هذا، وقد نُشِرَتْ هَذِهِ الرِّسَالَةُ بِتَحْقِيقَيْنِ، أَحَدُهُمَا: بِتَحْقِيقِ د. حَاتِمِ صَالِحِ الضَّامِنِ، وَقَدْ نَشَرَهَا مَرَّتَيْنِ، الْأُولَى: فِي مَجَلَّةِ (آفَاقِ الثَّقَافَةِ وَالتُّرَاثِ، الْعَدَدُ السَّادِسُ عَشَرَ، سَنَةِ: ١٩٩٧م)، وَالْأُخْرَى فِي: (دَارِ الْبَشَائِرِ، دِمَشْقَ، الطَّبْعَةُ الْأُولَى: سَنَةِ ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م، تَحْتَ عُنْوَانٍ: (كِتَابَانِ فِي النَّحْوِ لِأَبِي جَعْفَرٍ النَّحَّاسِ الْمُتَوَفَّى: ٣٣٨هـ، وَابْنِ الْحَبْلِيِّ الْمُتَوَفَّى: ٩٧١هـ). وَالتَّحْقِيقُ الْآخَرُ لِلرِّسَالَةِ بِتَحْقِيقِ: د. مُحَمَّدِ عَبْدِ مَشْكُورٍ، وَد. عَلِيِّ حَكَمَتِ فَاضِلٍ مُحَمَّدٍ، وَهُوَ مَنْشُورٌ فِي: (مَجَلَّةِ الْمُرُودِ، الْعَدَدُ الثَّانِي - الْمَجْلَدُ الْخَمْسُونَ، سَنَةِ ٢٠٢٣م)، وَقَدْ اعْتَمَدْتُ عَلَى كِلْتَا النُّسخَتَيْنِ الْمُحَقَّقَتَيْنِ الْمَنْشُورَتَيْنِ فِي مَجَلَّةِ (آفَاقِ الثَّقَافَةِ وَالتُّرَاثِ، وَدَارِ الْبَشَائِرِ)، وَالْمَنْشُورَةِ بِمَجَلَّةِ (الْمُرُودِ) كَذَلِكَ.

الدراسات السابقة:

لَمْ يَقِفِ الْبَاحِثُ عَلَى دَرَاةٍ وَصْفِيَّةٍ تَحْلِيلِيَّةٍ إِحْصَائِيَّةٍ لِرِسَالَةِ أَبِي جَعْفَرٍ النَّحَّاسِ الْمَوْسُومَةِ بـ: (الْكَلَامُ عَلَى تَفْصِيلِ إِعْرَابِ قَوْلِ سَيَبَوِيهِ - رَحِمَهُ اللَّهُ - فِي أَوَّلِ الْكِتَابِ: هَذَا بَابُ عِلْمِ مَا الْكَلِمُ مِنَ الْعَرَبِيَّةِ) فِي مَا أَطَّلَعَ عَلَيْهِ مِنْ بَحُوثٍ وَدَرَاةٍ.

إجراءات البحث:

لِمَا كَانَ الْمَنْهَجُ الْمُتَّبَعُ فِي دَرَاةٍ رِسَالَةِ أَبِي جَعْفَرٍ النَّحَّاسِ مَنْهَجًا وَصْفِيًّا تَحْلِيلِيًّا إِحْصَائِيًّا، فَقَدْ كَانَ مِنَ الطَّبِيعِيِّ أَنْ يَمُرَّ بَعْدُ مِنَ الْمَرَاةِلِ؛ لِرَسْمِ صُورَةٍ نَهَائِيَّةٍ لَهُ عَلَى النَّحْوِ الْآتِي:

- فَصَّلُ الْوُجُوهِ الْمَرْوِيَّةِ عَنِ الْوُجُوهِ الْإِعْرَابِيَّةِ الْوَارِدَةِ فِي الرِّسَالَةِ.
- تَرْتِيبُ الْوُجُوهِ وَتَشْكِيلُهَا، وَإِعَادَةُ بَنَائِهَا مِنْ أَجْلِ حَصْرِهَا وَإِحْصَائِهَا.
- تَعْلِيلُ إِهْمَامِ أَبِي جَعْفَرٍ النَّحَّاسِ لَعَدَدِ الْوُجُوهِ الْمَرْوِيَّةِ، وَالْوُجُوهِ الْإِعْرَابِيَّةِ.

- بيان موقف مُحَقِّقِي الرِّسَالَةِ في نشرتهم، وإتمام ما نَقَصَهُم في عملهم.
- تركُّ التعرِيفِ بالمصطلحاتِ النَحْوِيَّةِ.
- تركُّ التعرِيفِ بالأعلام.

خطة البحث:

- تتكون خَطَّةُ البَحْثِ من: مُقَدِّمَةٍ، وتَمْهِيدٍ، وثَلَاثَةِ مَبَاحِثٍ، ثُمَّ خَاتِمَةٍ، فنتائج وتوصيات.
- المُقَدِّمَةُ: تحتوي على موضوع البحث، وبيان مشكلته، وأسئلته، وأهميته، وأسباب اختياره، وأهدافه، ومنهجه، وحدوده، والدراسات السابقة، وإجراءاته.
- التَّمْهِيدُ: وفيه توطئة موجزة عن رسالة أبي جعفر النحاس، وبيان لأهميتها.
- المبحث الأول: الوجوه المروية، والوجوه الإعرابية في الرسالة إجمالاً.
- المبحث الثاني: الوجوه المروية، والوجوه الإعرابية في الرسالة تفصيلاً.
- المبحث الثالث: بيان موقف مُحَقِّقِي الرِّسَالَةِ من وجوهها المروية، ووجوهها الإعرابية.
- الخاتمة: وفيها أهمُّ النتائج، وأبرزُ التوصيات.



التمهيد

تُعَدُّ رسالةُ أبي جعفر النّحّاس الموسومةُ بـ(الكلام على تفصيل إعراب قول سيويه - رحمه الله- في أوّل الكتاب)^(١): هذا بابٌ عِلْم ما الكَلِم من العَرَبِيَّةِ رسالةً فريدةً في بابها، وحيدةً بين أترابها، وتزداد أهميّتها مع تفرّدِها واستقلالها بموضوعها باشتغالها على بضعةٍ وأربعينَ وَجْهًا إعرابيًا، رواها أبو جعفر النّحّاس عن أساتذته وشيوخه، وزاد فيها وجوهًا تدل على ثبات قدمه في العلم ورسوخه علاوةً على أنّها لم يَسْلَم من عوادي الزّمان غيرها؛ فقد ذكر أبو إسحاق الزجاجي أنّه أفرد رسالةً في إعراب ترجمة قول سيويه أيضًا، فقال: «فأمّا القول فيما قاله سيويه في كتابه: (هذا بابٌ عِلْم ما الكَلِم من العَرَبِيَّةِ)، وما في ذلك من الألفاظ والوجوه؛ فقد ذكرته أجمع في كتابٍ أفردته لتفسير رسالة كتاب سيويه، فكرهتُ تطويلَ هذا الكتاب»^(٢)، وكذلك ذكر الذهبي أنّ لأبي إسحاق الأزدي القرطبي (المعروف بابن المناصف) رسالةً في إعراب قول سيويه؛ نقلًا عن ابن مسدي، حيث قال: «أملى علينا بدانيةً على قول سيويه: (هذا بابٌ عِلْم ما الكَلِم من العَرَبِيَّةِ) نحوَ عشرينَ كُرَّاسًا، بسَطَ القولَ فيها في مائةٍ وثلاثينَ وَجْهًا»^(٣)، وهاتان الرّسالتان مفقودتان إلى الآن.

وهذا يدلُّ على عناية التّحويين بشأنها، واهتمام المعرّين بأمرها، وأنّ تنافسهم في إعرابها ليس مجرّد ترفٍّ علميٍّ، بل دليلٌ على فصاحة سيويه في انتقائه للألفاظ، وعنايته بالمعاني.

(١) أبو جعفر النّحّاس، الكلام على تفصيل إعراب قول سيويه رحمه الله في أوّل الكتاب: هذا باب علم ما الكلم من العربيّة، تحقيق: د. حاتم صالح الضامن، منشور في مجلة آفاق الثقافة والتراث، العدد السادس عشر، سنة: ١٩٩٧، وأعاد نشرها في دار البشائر دمشق، سنة ٢٠٠٤م. ١٤٢٥هـ، والنشرة الأخرى بتحقيق: د. محمد عبد مشكور، د. علي حكمت فاضل محمد، منشورة في مجلة المورد، العدد ٢، المجلد ٥٠، سنة ٢٠٢٣م.

(٢) أبو القاسم الزجاجي، الإيضاح في علل التّحو، تحقيق: د. مازن المبارك ط ٥، بيروت، دار النفائس، ١٤٠٦هـ-١٩٨٦م، ص: ٤٥.

(٣) شمس الدين الذهبي، تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، تحقيق: د. بشار عواد معروف، ط ١، بيروت لبنان، دار الغرب الإسلامي، ٢٠٠٣م ١٤٢٤هـ. /أبو بكر جلال الدين السيوطي، بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، ط ١، لبنان، المكتبة العصرية.

إنّ رسالة أبي جعفر النّحاس على لطافة حَجْمِها، وكثافة علمِها، وعلى ما اتَّسَمَتْ به من تعدُّد الوجوه والنُّقول، وما امتازَتْ به من الإحاطة والشُّمول؛ قد تقاطعت فيها الوجوه المرويّة، وتداخلت بينها الوجوه الإعرابيّة، علاوةً على ما اعترأها من بعض السَّقَطِ والتَّكرار؛ لقيامها على الإملاء والاختصار؛ وهذا ما أدّى ضرورةً إلى تعريف كُلِّ منهما؛ لإزالة التَّدَاخُل بينهما؛ إذ لا بدَّ لكلِّ وجهٍ مرويٍّ من أن يندرج تحته وجهٌ إعرابيٌّ أو أكثر، وبالنَّظر في رسالة أبي جعفر النّحاس، والتأمّل فيها يتبيّن أنّه عني بالوجوه المرويّة: التراكيب التي رواها من إملاءات شيوخه، وعلماء عصره، أو افترضها من تأملات نظره، وإجالات فكره، وأنّه عني بالوجوه الإعرابيّة: إيراد التّوجيهات الإعرابيّة المحتملّة للتراكيب المرويّة المختلفة.

هذا، وإنّ إطلاق أبي جعفر النّحاس الوجوه في رسالته التي لم يُرد بها إلّا الوجوه الإعرابيّة لا المرويّة؛ قد أوقع مَنْ أتى بعده في الخلط بينهما؛ إذ ظنَّ المحقّقان الآخران للرسالة أنّه مُتفرّد بكثرة وجوهه البالغة بضْعاً وأربعين وَجْهاً مُقارنَةً بوجوه أبي سعيد السِّيرافي التي لم تتجاوز خمسة عشر وَجْهاً، على حين أنّ وجوه السِّيرافي وجوهٌ مرويّة، ووجوه النّحاس وجوهٌ إعرابيّة، بل إنّ وجوه النّحاس المرويّة لم تتجاوز عنده أربعة عشر وَجْهاً فقط! وسيأتي تفصيل ذلك في موضعه من هذا البحث إن شاء الله.

وبهذا التّفريق بين وجوه التراكيب والأعاريب يُمكن أن يُوصَلَ بين ما انقطعَ منها، وأن يُفصَلَ بين ما تداخلَ فيها؛ لترتيبها وإعادة بنائها، والتَّحقُّق من عددها وإحصائها، وإزالة الإشكال عنها؛ وهذا ما يرومُّ الباحث القيام به في هذه الدِّراسة إن شاء الله.

المبحث الأول: الوجوه المرويّة، والوجوه الإعرابيّة في الرسالة إجمالاً.

ذكر أبو جعفر النّحاس في مقدّمة رسالته^(١) أمرين اثنين، أحدهما: موارد وجوهها الإعرابيّة، والآخر: بيان عددها إجمالاً، فأبان في الأوّل: أنّه اكتفى بإملاء ما حفظه عن شيخه الزّجاج وابن كيسان من أعاريب في شرح قول سيّويه؛ كَرَّها للإطالة، ثمّ بدا له بعد

(١) أبو جعفر النّحاس، الكلام على تفصيل إعراب قول سيّويه رحمه الله في أول الكتاب: هذا باب علم ما الكلم من العربيّة، مجلّة آفاق الثّقافة والتّراث، ص: ١٢٢، ودار البشائر، ص: ١٩، ومجلّة المورد، ص: ١٦٣.



أَنْ يَذْكُرَ قَوْلَ غَيْرِهَا مِنْ أَشْيَاخِهِ مِمَّا أَمْلَاهُ عَلَيْهِ مُحَمَّدُ بْنُ الْوَلِيدِ وَغَيْرُهُ، علاوةً على ما وجدته هو فيها من وجوهٍ أخرى.

وأَبَانَ فِي الثَّانِي: أَنَّهُ نَظَرَ فِي تِلْكَ الْوُجُوهِ، فَوَجَدَهَا بِضْعَةً وَأَرْبَعِينَ وَجْهًا، فَأَقَامَ عَلَيْهَا رِسَالَتَهُ، وَاسْتَفْتَحَهَا بِإِمْلَاءِ ثَمَانِيَةِ أَوْجُهٍ، ثُمَّ أَرْدَفَهَا بِوَجْهَيْنِ، فَاسْتَوَتْ عِنْدَهُ عَلَى عَشْرَةِ أَوْجُهٍ، ثُمَّ الْحَقَّ بِهَا سَبْعَةً وَعِشْرِينَ وَجْهًا أُخْرَى اسْتَخْرَجَهَا بِعَمَلِيَّةٍ حَسَابِيَّةٍ حَاصِرَةٍ -اِخْتَلَّتْ عَلَيْهِ عِنْدَ التَّطْبِيقِ كَمَا سَيَأْتِي- فَبَلَغَتْ بِذَلِكَ سَبْعَةً وَثَلَاثِينَ وَجْهًا، ثُمَّ زَادَ عَلَيْهَا فِي خَاتِمَةِ رِسَالَتِهِ بِضْعَةً أَوْجُهٍ، فَاسْتَوَتْ عِنْدَهُ الْوُجُوهُ إِجْمَالًا عَلَى بِضْعَةٍ وَأَرْبَعِينَ وَجْهًا.

وَمِنَ اللَّافِتِ لِلنَّظَرِ أَنَّ أَبَا جَعْفَرَ النَّحَّاسَ لَمْ يَذْكُرْ فِي رِسَالَتِهِ هَذِهِ عَدَدَ الْوُجُوهِ تَصْرِيحًا، وَإِنَّمَا اكْتَفَى فِيهَا بِذِكْرِ الْبُضْعَةِ تَلْمِيحًا، مَعَ أَنَّ أَوْرَاقَهَا مَعْدُودَةٌ، وَوُجُوهُهَا مَحْدُودَةٌ، وَيَحْتَمِلُ ذَلِكَ أَمْرَانِ، أَوَّلُهُمَا: أَنَّهُ تَعَمَّدَ إِهْمَامَ عَدَدِهَا؛ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِ مَزِيَّةٌ بَعْدَهُ فِي حَصَرِهَا وَإِحْصَائِهَا.

وَيُؤَيِّدُ هَذَا الْإِحْتِمَالُ أَنَّ الْإِهْمَامَ وَالِاشْتِبَاهَ مِنْهُجٌ مَعْمُولٌ بِهِ عِنْدَ مُتَقَدِّمِي النُّحَاةِ؛ لِلتَّمْيِيزِ بَيْنَ الْعَالَمِ وَغَيْرِهِ، قَالَ الْخَلِيلُ: «مِنْ الْأَبْوَابِ مَا لَوْ شِئْنَا أَنْ نَشْرَحَهُ حَتَّى يَسْتَوِيَ فِيهِ الْقَوِيُّ وَالضَّعِيفُ لَفَعَلْنَا، وَلَكِنْ يَجِبُ أَنْ يَكُونَ لِلْعَالَمِ مَزِيَّةٌ بَعْدَنَا».(١)

وَيُؤَكِّدُ ذَلِكَ قَوْلُ أَبِي جَعْفَرَ النَّحَّاسِ تَفْسِيرَهُ فِي مَوْطِنٍ آخَرَ: «قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ: وَرَأَيْتُ عَلِيَّ بْنَ سُلَيْمَانَ يَذْهَبُ إِلَى غَيْرِ مَا قَالَ ابْنُ كَيْسَانَ، قَالَ: عَمِلَ سَيُوبَةُ كِتَابَهُ عَلَى لُغَةِ الْعَرَبِ وَخُطْبِهَا وَبَلَاغَتِهَا، فَجَعَلَ فِيهِ بَيِّنًا مَشْرُوحًا، وَجَعَلَ فِيهِ مُشْتَبِهًا؛ لِيَكُونَ لِمَنْ اسْتَنْبَطَ وَنَظَرَ فَضْلًا، وَعَلَى هَذَا خَاطَبَهُمُ اللَّهُ -عَزَّ وَجَلَّ- بِالْقُرْآنِ. قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ: وَهَذَا الَّذِي قَالَهُ عَلِيُّ بْنُ سُلَيْمَانَ حَسَنٌ؛ لِأَنَّ بِهَذَا يَشْرَفُ قَدْرُ الْعَالَمِ، وَتَفْضُلُ مَنْزِلَتُهُ؛ إِذْ كَانَ يَنَالُ الْعِلْمَ بِالْفِكْرَةِ، وَاسْتِنْبَاطِ الْمَعْرِفَةِ، وَلَوْ كَانَ كُلُّهُ بَيِّنًا؛ لَاسْتَوَى فِي عِلْمِهِ جَمِيعُ مَنْ سَمِعَهُ؛ فَيَنْبُطُ التَّفَاضُلُ، وَلَكِنْ يُسْتَخْرَجُ مِنْهُ الشَّيْءُ بِالتَّدْبِيرِ؛ وَلِذَلِكَ لَا يَمَلُّ؛ لِأَنَّهُ يَزْدَادُ فِي تَدْبِيرِهِ عِلْمًا وَفَهْمًا».(٢)

(١) ابن يعيش، شرح المفصل، ص: ٦٦، تحقيق: د. إبراهيم محمد عبد الله، ط ١، دمشق سوريا، دار سعد الدين، ٢٠١٣م - ١٤٣٤هـ.

(٢) (١) البغدادي، خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب ٣٧١/١، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، ط ٤،

وثانيهما: ما يستدعيه اختصار العلماء من نشوء الإيهام والاختلاط، وما يقتضيه مقام الإملاء من طرؤ بعض التكرار والأسقاط؛ فذكر ما يحتاط به لنفسه من مقارنة العدد بحدسه.

ويؤيد هذا الاحتمال أطراح أبي جعفر النحاس لثلاثة أوجه مذكورة في رسالته لم يعتد بها، وسقوط وجه لم ينتبه إليه سهواً أيضاً، وسيعرج الباحث عليه مفصلاً في موضعه إن شاء الله.

ثم لما استوفى أبو جعفر النحاس ذكر الأوجه العشرة التي استفتح بها الكلام على تفصيل إعراب قول سيويه نقل نصاً نفيساً للميرد عن طريق شيخه ابن كيسان، فيه إشارة إلى عدم وقوف الميرد على نص صريح قطعي يضبط به ترجمة قول سيويه؛ فلماذا قال: «الذي أختار: هذا باب علم ما الكلم من العربية»^(١) ومعلوم أنه لا اجتهد مع النص، ولا اختيار مع القطعي.

من أجل ذلك اجتهد النحويون في استقصاء كل وجوها المروية، واستيفاء جميع وجوها الإعرابية؛ تهدياً للألباب، وتدريباً للطلاب؛ فكثر بذلك الوجوه وتعددت، وتنوعت فيما بينها واختلفت، فما كان من أبي جعفر النحاس إلا أن قدم عملية حسابية؛ ليحضر بها كل تراكيبيها، ويحصي بها جميع أعاربيها؛ فابتدأ بالسبعة والعشرين وجهاً، على النحو الآتي:

أولاً: حصر (ما) في ثلاثة أوجه، فهي: إما أن تكون زائدة، وإما أن تكون استفهامية، وإما أن تكون موصولة.^(٢)

١٤١٨هـ/١٩٩٧م.

(١) أبو جعفر النحاس، الكلام على تفصيل إعراب قول سيويه - رحمه الله - في أول الكتاب: هذا باب علم ما الكلم من العربية، مجلة آفاق الثقافة والتراث، ص: ١٢٣-١٢٤، ودار البشائر، ص: ٢١-٢٤، ومجلة المورد ص: ١٦٥-١٦٩.

(٢) المرجع نفسه.



ثانيًا: حَصَرَ (العِلْم) في وَجْهين، فهو: إمّا أن يكون مُنَوَّنًا، وإمّا أن يكونَ غيرَ مُنَوَّنٍ. والمنَوَّن عنده: إمّا أن يقْدَره بمعنى: (أَنْ تُعْلَمَ)، وإمّا أن يقْدَره بمعنى: (أَنْ يُعْلَمَ)، ولا ثالث لهما لديه. (١)

ثالثًا: حَصَرَ (الباب) في ثلاثة أَوْجُه، فهو: إمّا أن يكونَ مضمومًا منَوَّنًا، وإمّا أن يكونَ مضمومًا غيرَ منَوَّنٍ، وإمّا أن يكونَ مفتوحًا منَوَّنًا. (٢)

وبعد أن انتهى من تلك المقدّمات شرَعَ يُفَصِّلُها حَسَابِيًّا على النَّحو الآتي:

ضَرَبَ ابتداءً أَوْجُهَ (ما) الثلاثة (الزائدة، والاستفهاميّة، والموصولة) في وَجْهي (العِلْم) المنَوَّن بمعنى (أَنْ تُعْلَمَ)، و(العِلْم) غيرِ المنَوَّن، فصارت: سِتَّة أَوْجُه، ثُمَّ ألْحَقَ بها وَجْهَ (العِلْم) المنَوَّن بمعنى (أَنْ يُعْلَمَ)، فصارتَ بذلك: تسعة أَوْجُه (٣)، كما يلي:

١- (ما) مع (عِلْم) المنَوَّن بمعنى (أَنْ تُعْلَمَ) لها ثلاثة أَوْجُه: (زائدة، استفهاميّة، موصولة).

٢- (ما) مع (عِلْم) المنَوَّن بمعنى (أَنْ يُعْلَمَ) لها ثلاثة أَوْجُه: (زائدة، استفهاميّة، موصولة).

٣- (ما) مع (عِلْم) غيرِ المنَوَّن -المضاف- لها ثلاثة أَوْجُه: (زائدة، استفهاميّة، موصولة).

فصارَ المجموعُ: تسعة أَوْجُه، ثُمَّ عادَ فَضَرَبَ وجوهَ (ما) التَّسعة في وَجْهي (العِلْم) المنَوَّن، وغيرِ المنَوَّن، فتولَّدَ منهما ثمانية عشرَ وَجْهًا، ثُمَّ رَجَعَ يُبَيِّنُ كَيْفِيَّةَ تولَّدِ تلك الأَوْجُه التَّسعة، فقال: «وذلك أنَّكَ تَضْرِبُ الثلاثةَ الأَوْجُه الأولى» (٤)، يعني بها: أَوْجُه (ما) الثلاثة، وهي: (الزائدة، والاستفهاميّة، والموصولة)، «في الثلاثة الثَّانية، فتصير تسعة» (٥)، ويعني بها: أَوْجُه (العِلْم) الثلاثة، وهي: (عِلْم) المنَوَّن بمعنى أَنْ تُعْلَمَ، و(عِلْم) المنَوَّن بمعنى

(١) المرجع نفسه.

(٢) المرجع نفسه.

(٣) المرجع نفسه.

(٤) المرجع نفسه.

(٥) المرجع نفسه.

أَنْ يُعْلَمَ، و(عِلِمَ) غير المنوّن، ثُمَّ رَجَعَ مَرَّةً أُخْرَى -والمقام مقام إِمْلَاءٍ- لِيُبَيِّنَ كَيْفِيَّةَ تَوَلُّدِ تِلْكَ الْوُجُوهِ السَّبْعَةِ وَالْعِشْرِينَ؛ فَقَالَ: «ثُمَّ تَضْرِبُ التَّسْعَةَ فِي الثَّلَاثَةِ الْأَوَّجِهِ الْأَخِيرَةِ، فَتَصِيرُ سَبْعَةً وَعِشْرِينَ»^(١)، ويعني بالثلاثة الأخيرة: أَوْجُهُ (البَابِ) الثَّلَاثَةِ، وهي: (بَابُ) المضموم المنوّن، و(بَابُ) المضموم غير المنوّن، و(بَابًا) المفتوح المنوّن.

هذه هي العملية الحسابية الحاصرة للوجوه الإعرابية التي قدّمها أبو جعفر النحّاس في مطلع رسالته، ويؤخذُ عليها ما يلي: ١- غلبة الاختصار عليها. ٢- اشتغالها على بعض التكرار.

٣- سقوط وجه من أوجه (البَابِ) الأربعة.

فأما غلبة الاختصار عليها، فبيّن من تقديمه لها في أسطر معدودة لا تتجاوز الخمسة، هذا مع ما فيها من حشدٍ وتداخل.

وأما اشتغالها على بعض التكرار، فواضح في قوله: «وإن شئت قلت: هذا باباً علم ما الكلم، على أنّ (العِلِمَ) بمعنى أن تُعْلَمَ، و(ما) زائدة، ولك أن تجعلها بمعنى الذي، ولك أن تجعلها استفهاماً»؛ إذ ذكر عقيبها قوله: «وإن شئت قلت: هذا باباً علم ما الكلم، على أنّ (العلم) بمعنى أن يُعْلَمَ، و(ما) زائدة، و(الكلم) اسم ما لم يُسم فاعله، وإن شئت كانت (ما) بمعنى الذي في هذه الجملة، وإن شئت كانت استفهاماً»^(٢)، وهذه الأوجه الثلاثة هي عين الأوجه الثلاثة السابقة لها، لا فرق إعرابياً بينها، ودليل تكرارها أطراخ أبي جعفر النحّاس لها في عدّه؛ إذ لم يحتسبها ضمن وجوه الإعراب السبعة والعشرين.

وأما سقوط وجه من أوجه (البَابِ) الأربعة، فظاهر من إسقاطه وجه المفتوح غير المنوّن منها؛ وذلك أنه لما ذكر أولاً وجه المرفوع المنوّن: (بَابُ)، ثُمَّ ذَكَرَ ثَانِيًا وَجْهَ الْمَرْفُوعِ الْغَيْرِ الْمُنَوَّنِ (بَابُ)، ثُمَّ ذَكَرَ ثَالِثًا وَجْهَ الْمَفْتُوحِ الْمُنَوَّنِ (بَابًا)؛ لم يذكر سهواً وجه المنصوب غير

(١) المرجع نفسه.

(٢) المرجع نفسه.



المُنَوَّن (باب)، مع ذِكرِه له ضمن وجوه الإعراب لقول سيبويه في أثناء رسالته.

وهذا الأمر لم يتطَرَّق إليه المحققون السابقون، علاوةً على أنَّه بسقوط هذا الوجه عنده تحتلُّ عمليَّته الحسَابِيَّةُ الحاصِرةُ؛ إذ كان عليه أن يضربَ الأوجُهَ التَّسْعَةَ في أوجُه (الباب) الأربعة، فتصيرَ بذلك ستَّةً وثلاثينَ وجهًا، لا سبعةً وعشرينَ وجهًا كما ذكره وقرَّره. وسيأتي مزيدُ بيانٍ لذلك في المبحث الثاني من هذه الدِّراسة إن شاء الله.

المبحث الثاني: الوجوه المرويَّة، والوجوه الإعرابِيَّة في الرِّسالة تفصيلًا.

إنَّ رسالة أبي جعفر النحَّاس غزيرةَ العلم، وإنَّ كانت صغيرةَ الحجم؛ إذ اشتملتْ على بضعة وأربعينَ وجهًا، إلَّا أنَّ هذه الوجوه لم تُفرد بالتفصيل، ولم تُعنَّ بالتحليل؛ وذلك لقيامها على الإملاء والاختصار، واشتمالها على بعض التَّدَاخُلِ والتَّكرار؛ فلهذا عمَدَ الباحثُ إلى دراستها وتحليلها، من أجل فصلِ وجوهها المرويَّة واستقصائها، وتفصيلِ وجوهها الإعرابِيَّة وإحصائها، وفَقِّ الخطوات الآتية:

أولًا: تفصيلُ الأوجُه العشرة:

استفتح أبو جعفر النحَّاس - كما سبق بيانه - رسالته بِذِكرِ عشرة أوجُهٍ في تفصيلِ إعرابِ قولِ سيبويه، ولكنَّه خلطَ فيها بين الوجوه المرويَّة، والوجوه الإعرابِيَّة؛ فاستلزمَ فصلُ الوجوه عن بعضها أولًا، ثُمَّ إدراجُ الأعرابِ المحتملةِ تحتها ثانيًا، وذلك على النحو الآتي:

أ- الوجوه المرويَّة، وعددها خمسة، وهي كما يلي:

- ١- هذا بابُ عِلِّمَ ما الكَلِم. ٢- هذا بابُ عِلِّمَ ما الكَلِم. ٣- هذا بابُ عِلِّمَ ما الكَلِم.
- ٤- هذا بابًا عِلِّمَ ما الكَلِم. ٥- هذا بابًا عِلِّمًا ما الكَلِم.

ب- الوجوه الإعرابِيَّة المندرجةُ تحتها، وعددها عشرة، وهي كما يلي:

- ١- الوجه الأول: (هذا بابُ عِلِّمَ ما الكَلِم).

ذَكَرَ له أبو جعفر النحّاس وَجْهًا إعرائيًا واحدًا، وهو: (هذا): مبتدأ، و(بابٌ): خبرٌ، وهو مضاف، و(عِلْمٌ): مضافٌ إليه، و(ما) استفهاميةٌ بَدَلٌ من (عِلْمٍ)، والتّقدير: هذا بابٌ ما الكَلِم. (١) وهو لم ينصَّ فيه على تقدير (عِلْمٍ) بمعنى أنْ تَعْلَمَ، ولا أنْ يُعْلَمَ.

٢- الوجه الثاني: (هذا بابٌ عِلْمٌ ما الكَلِم).

ذكر له وَجْهًا إعرائيًا واحدًا، وهو: (هذا): مبتدأ، و(بابٌ): خبرٌ، و(عِلْمٌ): بَدَلٌ من (الباب)، و(ما): استفهاميةٌ بَدَلٌ من (عِلْمٍ)، والتّقدير: هذا ما الكَلِم. (٢) ولم ينصَّ فيه أيضًا على تقدير (عِلْمٍ) بمعنى أنْ تَعْلَمَ، ولا أنْ يُعْلَمَ.

٣- الوجه الثالث: (هذا بابٌ عِلْمٌ ما الكَلِم).

ذَكَرَ له أربعةٌ أَوْجُه، هي:

الوجهُ الأوّل - (هذا): مبتدأ، و(بابٌ): مفعول به منصوب بالفعل المقدّر: أعني، وهو مضاف، و(عِلْمٌ): مضافٌ إليه، و(ما): زائدة، و(الكَلِم): خبر (هذا)، والتّقدير: هذا أعني بابٌ عِلْمٍ الكَلِم. (٣)

الوجهُ الثّاني - (هذا): مبتدأ، و(بابٌ): مفعول به منصوب بالفعل المقدّر: أعني، وهو مضاف، و(عِلْمٌ): مضافٌ إليه، و(ما): استفهاميةٌ في محل رفع خبر مقدّم، و(الكَلِم): مبتدأ مؤخّر، والجملة الاستفهامية من (ما الكَلِم): في محل رفع اسمٍ لِمَا لم يُسمَّ فاعله مقول القول، وجملة: (يُقال فيه ما الكَلِم) في محل رفع خبر: (هذا)، والتّقدير: هذا أعني بابٌ عِلْمٍ يُقال فيه: أيُّ شيءٍ الكَلِم. (٤)

(١) المرجع نفسه.

(٢) المرجع نفسه.

(٣) المرجع نفسه.

(٤) المرجع نفسه.



الوجه الثالث - (هذا): مبتدأ، و(باب) حال منصوب، والعامل فيه كان التامة المحذوفة، وهو مضاف، و(علم): مضاف إليه، و(ما): زائدة، و(الكلم): خبر (هذا)، والتقدير: هذا إذا كان مبوب علم الكلمة. (١)

الوجه الرابع - (هذا): مبتدأ، و(باب): حال منصوب، والعامل فيه كان التامة المحذوفة، وهو مضاف، و(علم): مضاف إليه، و(ما): موصولة، و(الكلم): خبر (هذا). والتقدير: هذا إذا كان مبوب علم الذي هو الكلمة. (٢)

وهو في هذه الأوجه الأربعة لم ينصّ فيها على تقدير (علم) بمعنى أن تعلم، ولا أن يُعلم.

٤ - الوجه الرابع: (هذا باباً علم ما الكلمة).

ذكر له وجهين إعرابين، هما:

الوجه الأول - (هذا): مبتدأ، و(باباً): مفعول به منصوب بالفعل المقدّر: أعني، و(علم): خبر (هذا)، و(ما): استفهامية في محل رفع خبر مقدم، و(الكلم): مبتدأ مؤخر، والجملة من (ما الكلمة): في محل رفع اسم لما لم يُسم فاعله مقول القول، وجملة: (يقال فيه ما الكلمة) في محل رفع صفة ل: (علم)، والتقدير: هذا أعني باباً علم يُقال فيه: أي شيء الكلمة. (٣)، وهو لم ينصّ فيه على تقدير (علم) بمعنى أن تعلم، ولا أن يُعلم.

الوجه الثاني - (هذا): مبتدأ، و(باباً): مفعول به منصوب بالفعل المقدّر: أعني، و(علم): خبر (هذا)، و(ما): زائدة، و(الكلم): اسم لما لم يُسم فاعله، والتقدير: هذا أعني باباً أن يُعلم الكلمة. (٤)

(١) المرجع نفسه.

(٢) المرجع نفسه.

(٣) المرجع نفسه.

(٤) المرجع نفسه.

٥- الوجه الخامس: (هذا باباً علماً ما الكلم).

ذكر له وجهين إعرابين، هما:

الوجه الأول - (هذا): مبتدأ، و(باباً): مفعول به منصوب بالفعل المقدّر: أعني، و(علماً): بدل من (باباً)، و(ما): موصولة في محل رفع خبر للمبتدأ: (هذا)، و(الكلم): خبر صدر الصلة المحذوف تقديره: هو، والجملة: صلة الموصول، والتقدير: هذا أعني باباً علماً الذي هو الكلم. (١)

الوجه الثاني - (هذا): مبتدأ، (باباً): مفعول به منصوب بالفعل المقدّر: أعني، و(علماً): بدل من (باباً)، و(ما): زائدة، و(الكلم): خبر: (هذا)، والتقدير: هذا أعني باباً علماً الكلم. (٢)

وهو لم ينص في هذين الوجهين على تقدير (علماً) بمعنى أن تعلم، ولا أن يعلم.

فهذه هي الأوجه العشرة الإعرابية المتضمنة للأوجه الخمسة المروية التي ذكرها أبو جعفر النحاس في مقدمة رسالته على أكمل ترتيب، وأفضل تبويب.

ثانياً: تفصيل الوجوه الستة والعشرين:

لما أتم أبو جعفر النحاس ذكر الأوجه المروية الخمسة، ووجوها الإعرابية العشرة المندرجة تحتها شرع يذكر الوجوه السبعة والعشرين (التي هي في حقيقتها ستة وعشرون وجوهاً)، ولكنه كما سبق خلط فيها بين الوجوه المروية، والوجوه الإعرابية، علاوة على أنه كرر فيها بعض الأوجه؛ فاستلزم فصل الوجوه عن بعضها أولاً، ثم إدراج الأعراب تحتها ثانياً، ثم بيان المكرر فيها ثالثاً، فكان ذلك على النحو الآتي:

أولاً- الوجوه المروية، وعددها أحد عشر وجهاً، وهي كما يلي:

(١) المرجع نفسه

(٢) المرجع نفسه.



١- هذا بابٌ عِلْمٌ ما الكَلِم. ٢- هذا بابٌ عِلْمٌ ما الكَلِم. ٣- هذا بابٌ عِلْمٌ ما الكَلِم. ٤- هذا بابٌ عِلْمٌ ما الكَلِم. ٥- هذا بابٌ عِلْمٌ ما الكَلِم. ٦- هذا بابٌ عِلْمٌ ما الكَلِم.

٧- هذا بابٌ عِلْمٌ ما الكَلِم. ٨- هذا بابًا عِلْمٌ ما الكَلِم. ٩- هذا بابًا عِلْمٌ ما الكَلِم. ١٠- هذا بابًا عِلْمٌ ما الكَلِم. ١١- هذا بابًا عِلْمٌ ما الكَلِم.

ثانيًا- الوجوه الإعرابية المندرجة تحتها، وعددها ستة وعشرون وَجْهًا، وهي كما يلي:

١- الوجْه الأول: (هذا بابٌ عِلْمٌ ما الكَلِم).

ذَكَرَ له أبو جعفر النحَّاس وَجْهًا إعرابيًا واحدًا، وهو: (هذا): مبتدأ، و(بابٌ): خبر، وهو مضاف، و(عِلْمٌ): مضاف إليه، و(ما): زائدة، و(الكَلِم): منصوبٌ بوقوع (العِلْم) عليه، والتقدير: هذا بابٌ أنْ تَعْلَمَ الكَلِم. (١)

٢- الوجْه الثاني: (هذا بابٌ عِلْمٌ ما الكَلِم).

ذَكَرَ له وَجْهينِ إعرابيين، وأسقط وَجْهًا ثالثًا سَهْوًا، والوَجْهَان هما:

الوجْه الأول- (هذا): مبتدأ، و(بابٌ): خبر، وهو مضاف، و(عِلْمٌ): مضاف إليه، و(ما): استفهامية في محل رفع مبتدأ، و(الكَلِم) خبرها، والجملة الاستفهامية من (ما الكَلِم) في محل جرٍّ مضافٍ إليه، والتقدير: هذا بابٌ عِلْمٌ أيُّ شيء الكَلِم. (٢)

الوجْه الثاني- (هذا): مبتدأ، و(بابٌ): خبر، وهو مضاف، و(عِلْمٌ): مضاف إليه، و(ما): موصولة بمعنى الذي في محل جرٍّ مضافٍ إليه، و(الكَلِم): خبر صدر الصلة المحذوف وتقديره: (هو)، وجملة: (هو الكَلِم): صلة الموصول، والتقدير: هذا بابٌ عِلْمٌ

(١) المرجع نفسه.

(٢) المرجع نفسه.

الذي هو الكَلِمُ. (١)

وأما الوجه الثالث المروي الذي أسقطه سَهْوًا، فهو:

(هذا بابُ عِلْمٍ ما الكَلِمُ). وفيه وَجْهٌ إعرابيٌّ واحد، وهو: (هذا): مبتدأ، و(بابُ):

خبر، وهو مضاف، و(عِلْمٍ): مضاف إليه، و(ما) زائدة، و(الكَلِمُ): في محل جرٍّ مضافٍ إليه، والتّقدير: هذا بابُ عِلْمٍ الكَلِمُ. (٢)

٣- الوجه الثالث: (هذا بابُ عِلْمٍ ما الكَلِمُ).

ذَكَرَ له سِتَّةُ أَوْجُهٍ إعرابيَّةٍ، ثلاثةٌ منها على تقدير (عِلْمٍ) بمعنى: (أَنْ يُعْلَمَ)، وثلاثةٌ منها على تقدير (عِلْمٍ) بمعنى: (أَنْ تَعْلَمَ)، وذلك على النحو الآتي:

أولاً: على تقدير (عِلْمٍ) بمعنى: (أَنْ يُعْلَمَ):

الوجه الأول- (هذا): مبتدأ، و(بابُ): خبر، وهو مضاف، و(عِلْمٍ): مضاف إليه، و(ما): زائدة، و(الكَلِمُ): اسمٌ لِمَا لم يُسَمَّ فاعله، والتّقدير: هذا بابُ أَنْ يُعْلَمَ الكَلِمُ. (٣)

الوجه الثاني- (هذا): مبتدأ، و(بابُ): خبر، وهو مضاف، و(عِلْمٍ): مضاف إليه، و(ما): موصولةٌ بمعنى الذي في محل رفع اسمٍ لِمَا لم يُسَمَّ فاعله، و(الكَلِمُ): خبر صدر الصِّلة المحذوف، وتقديره: (هو)، وجملة: (هو الكَلِمُ): صلة الموصول، والتّقدير: هذا بابُ أَنْ يُعْلَمَ الذي هو الكَلِمُ. (٤)

الوجه الثالث- (هذا): مبتدأ، و(بابُ): خبر، وهو مضاف، و(عِلْمٍ): مضاف إليه، و(ما): استفهاميَّةٌ في محل رفع مبتدأ، و(الكَلِمُ): خبر (ما)، وجملة (ما الكَلِمُ) الاستفهاميَّة

(١) المرجع نفسه.

(٢) المرجع نفسه.

(٣) المرجع نفسه.

(٤) المرجع نفسه.



في محل رفع نائب فاعل، والتقدير: هذا بابٌ أن يُعَلِّمَ أيُّ شيءٍ الكَلِمَ. (١)

ثانيًا: على تقدير (عِلِّمَ) بمعنى: (أَنْ تَعْلَمَ):

الْوَجْهُ الْأَوَّلُ - (هذا): مبتدأ، و(بابٌ): خبر، وهو مضاف، و(عِلِّمَ): مضاف إليه، و(ما): زائدة، و(الكَلِمَ): منصوب بوقوع الفعل عليه، والتقدير: هذا بابٌ أن تَعْلَمَ الكَلِمَ. (٢)

الْوَجْهُ الثَّانِي - (هذا): مبتدأ، و(بابٌ): خبر، وهو مضاف، و(عِلِّمَ): مضاف إليه، و(ما): موصولة بمعنى الذي في محل نصب مفعول به، و(الكَلِمَ): خبر صدر الصلة المحذوف تقديره: (هو)، وجملة: (هو الكَلِمَ): صلة الموصول، والتقدير: هذا بابٌ أن تَعْلَمَ الذي هو الكَلِمَ. (٣)

الْوَجْهُ الثَّالِثُ - (هذا): مبتدأ، و(بابٌ): خبر، وهو مضاف، و(عِلِّمَ): مضاف إليه، و(ما): استفهامية في محل رفع مبتدأ، و(الكَلِمَ): خبر (ما)، وجملة (ما الكَلِمَ) الاستفهامية في محل نصب مفعول به، والتقدير: هذا بابٌ أن تَعْلَمَ أيُّ شيءٍ الكَلِمَ. (٤)

٤- الْوَجْهُ الرَّابِعُ: (هذا بابٌ عِلِّمَ ما الكَلِمَ).

ذَكَرَ لَهُ وَجْهًا إِعْرَابِيًّا وَاحِدًا عَلَى تَقْدِيرِ (عِلِّمَ) بِمَعْنَى: (أَنْ تَعْلَمَ)، وهو: (هذا): مبتدأ، و(بابٌ): خبر، و(عِلِّمَ): بدلٌ من (بابٌ)، و(ما) زائدة، و(الكَلِمَ): منصوبٌ بوقوع (عِلِّمَ) عليه، والتقدير: هذا بابٌ أن تَعْلَمَ الكَلِمَ. (٥)

(١) المرجع نفسه.

(٢) المرجع نفسه.

(٣) المرجع نفسه.

(٤) المرجع نفسه.

(٥) المرجع نفسه.

٥- الْوَجْهُ الْخَامِسُ: (هَذَا بَابٌ عَلَّمَ مَا الْكَلِمُ).

ذَكَرَ لَهُ خَمْسَةُ أَوْجُهٍ إِعْرَابِيَّةٍ، اثْنَانِ مِنْهَا عَلَى تَقْدِيرِ (عَلَّمَ) بِمَعْنَى: (أَنْ تَعْلَمَ)، وَثَلَاثَةٌ مِنْهَا عَلَى تَقْدِيرِ (عَلَّمَ) بِمَعْنَى: (أَنْ يُعْلَمَ)، وَذَلِكَ عَلَى النُّحُو الْآتِيَةِ:

أَوَّلًا: عَلَى تَقْدِيرِ (عَلَّمَ) بِمَعْنَى: (أَنْ تَعْلَمَ):

الْوَجْهُ الْأَوَّلُ - (هَذَا): مَبْتَدَأٌ، وَ (بَابٌ): خَبَرٌ، وَ (عَلَّمَ): بَدَلٌ مِنْ (بَابٌ)، وَ (مَا): مَوْصُولَةٌ بِمَعْنَى الَّذِي فِي مَحَلِّ نَصْبٍ مَفْعُولٍ بِهِ، وَ (الْكَلِمُ): خَبَرٌ صَدْرُ الصِّلَةِ الْمَحْذُوفِ وَتَقْدِيرُهُ: (هُوَ)، وَجُمْلَةٌ: (هُوَ الْكَلِمُ): صِلَةُ الْمَوْصُولِ، وَالتَّقْدِيرُ: هَذَا بَابٌ أَنْ تَعْلَمَ الَّذِي هُوَ الْكَلِمُ. (١)

الْوَجْهُ الثَّانِي - (هَذَا): مَبْتَدَأٌ، وَ (بَابٌ): خَبَرٌ، وَ (عَلَّمَ): بَدَلٌ مِنْ (بَابٌ)، وَ (مَا): اسْتِفْهَامِيَّةٌ فِي مَحَلِّ رَفْعٍ مَبْتَدَأٌ، وَ (الْكَلِمُ) خَبَرُهَا، وَجُمْلَةٌ الاسْتِفْهَامِيَّةُ مِنْ (مَا الْكَلِمُ) فِي مَحَلِّ نَصْبٍ مَفْعُولٍ بِهِ، وَالتَّقْدِيرُ: هَذَا بَابٌ أَنْ تَعْلَمَ أَيُّ شَيْءٍ الْكَلِمُ. (٢)

ثَانِيًا: عَلَى تَقْدِيرِ (عَلَّمَ) بِمَعْنَى: (أَنْ يُعْلَمَ):

الْوَجْهُ الْأَوَّلُ - (هَذَا): مَبْتَدَأٌ، وَ (بَابٌ): خَبَرٌ، وَ (عَلَّمَ): بَدَلٌ مِنْ (بَابٌ)، وَ (مَا): زَائِدَةٌ وَ (الْكَلِمُ): اسْمٌ مَرْفُوعٌ لِمَا لَمْ يُسَمَّ فَاعِلُهُ لِلْمَصْدَرِ (عَلَّمَ)، وَالتَّقْدِيرُ: هَذَا بَابٌ أَنْ يُعْلَمَ الْكَلِمُ. (٣)

الْوَجْهُ الثَّانِي - (هَذَا): مَبْتَدَأٌ، وَ (بَابٌ): خَبَرٌ، وَ (عَلَّمَ): بَدَلٌ مِنْ (بَابٌ)، وَ (مَا): مَوْصُولَةٌ بِمَعْنَى الَّذِي فِي مَحَلِّ رَفْعٍ اسْمٍ لِمَا لَمْ يُسَمَّ فَاعِلُهُ، وَ (الْكَلِمُ): خَبَرٌ صَدْرُ الصِّلَةِ وَتَقْدِيرُهُ: (هُوَ)، وَجُمْلَةٌ: (هُوَ الْكَلِمُ): صِلَةُ الْمَوْصُولِ، وَالتَّقْدِيرُ: هَذَا بَابٌ أَنْ يُعْلَمَ الَّذِي هُوَ الْكَلِمُ. (٤)

- (١) المرجع نفسه.
- (٢) المرجع نفسه.
- (٣) المرجع نفسه.
- (٤) المرجع نفسه.



الوجه الثالث - (هذا): مبتدأ، و(باب): خبر، و(علم): بدل من (باب)، و (ما): استفهامية في محل رفع مبتدأ، و(الكلم): خبر (ما)، وجملة (ما الكلم) الاستفهامية في محل رفع اسم لما لم يُسم فاعله، والتقدير: هذا باب أن يُعلم أي شيء الكلم. (١)

٦- الوجه السادس: (هذا باب علم ما الكلم).

ذكر له وجهًا إعرابيًا واحدًا، وهو: (هذا): مبتدأ، و(باب): خبر، و(علم): بدل من (باب)، وهو مضاف، و(ما): زائدة، و(الكلم): مضاف إليه مجرور بالكسرة، والتقدير: هذا باب علم الكلم. (٢)

٧- الوجه السابع: (هذا باب علم ما الكلم).

ذكر له وجهين إعرابين، هما:

الوجه الأول - (هذا): مبتدأ، و(باب): خبر، و(علم): بدل من (باب)، وهو مضاف، و(ما): موصولة بمعنى الذي في محل جر مضاف إليه، و(الكلم): خبر صدر الصلة المحذوف، تقديره: (هو)، وجملة: (هو الكلم): صلة الموصول، والتقدير: هذا باب علم الذي هو الكلم. (٣)

الوجه الثاني - (هذا): مبتدأ، و(باب): خبر، و(علم): بدل من (باب)، وهو مضاف، و(ما): استفهامية في محل رفع مبتدأ، و(الكلم) خبرها، والجملة الاستفهامية من (ما الكلم) في محل جر مضاف إليه، والتقدير: هذا باب علم أي شيء الكلم. (٤)

(١) المرجع نفسه.

(٢) المرجع نفسه.

(٣) المرجع نفسه.

(٤) المرجع نفسه.

٨- الْوَجْهُ الثَّامِنُ: (هذا بابًا عَلِمَ ما الْكَلِم).

ذَكَرَ لَهُ وَجْهًا إِعْرَابِيًّا وَاحِدًا، وهو: (هذا): مبتدأ، و(بابًا): حال، و(عَلِمَ): خبر (هذا) وهو مضاف، و(ما): زائدة، و(الْكَلِم): مضافٌ إليه مجرور، والتقدير: هذا مُبَوَّبًا عَلِمَ الْكَلِم. (١)

٩- الْوَجْهُ التَّاسِعُ: (هذا بابًا عَلِمَ ما الْكَلِم).

ذَكَرَ لَهُ وَجْهَيْنِ إِعْرَابِيَيْنِ، هما:

الْوَجْهُ الأوَّلُ - (هذا): مبتدأ، و(بابًا): حال، و(عَلِمَ): خبر (هذا) وهو مضاف، و(ما): موصولة بمعنى الذي في محل جرٍّ مضافٍ إليه، و(الْكَلِم): خبر صدر الصِّلة المحذوف، وتقديره: (هو)، وجملة: (هو الْكَلِم): صلة الموصول، والتقدير: هذا مُبَوَّبًا عَلِمَ الذي هو الْكَلِم. (٢)

الْوَجْهُ الثَّانِي - (هذا): مبتدأ، و(بابًا): حال، و(عَلِمَ): خبر (هذا) وهو مضاف، و(ما): استفهامية في محل رفع مبتدأ، و(الْكَلِم) خبرها، والجملة الاستفهامية من (ما الْكَلِم) في محل جرٍّ مضافٍ إليه، والتقدير: هذا مُبَوَّبًا عَلِمَ أيُّ شيءٍ الْكَلِم. (٣)

١٠- الْوَجْهُ العَاشِرُ: (هذا بابًا عَلِمَ ما الْكَلِم).

ذَكَرَ لَهُ وَجْهًا إِعْرَابِيًّا وَاحِدًا على تقدير (عَلِمَ) بمعنى: (أَنْ تَعْلَمَ)، وهو: (هذا): مبتدأ، و(بابًا): حال، و(عَلِمَ): خبر (هذا)، و(ما): زائدة، و(الْكَلِم): منصوبٌ بوقوع (عَلِمَ) عليه، والتقدير: هذا مُبَوَّبًا أَنْ تَعْلَمَ الْكَلِم. (٤)

(١) المرجع نفسه.

(٢) المرجع نفسه.

(٣) المرجع نفسه.

(٤) المرجع نفسه.



١١- الوجة الحادي عشر: (هذا باباً علّم ما الكلّم).

ذَكَرَ له ثمانية أوجهٍ إعرابيّة، احتسَبَ منها خمسة: اثنانٍ منها على تقدير (علّم) بمعنى: (أَنْ تَعْلَمَ)، وثلاثةٌ منها على تقدير (علّم) بمعنى: (أَنْ يُعْلَمَ)، وطَرَحَ منها الثلاثة التي قَدَّرَ فيها (علّم) بمعنى: (أَنْ تَعْلَمَ)؛ على النحو الآتي:

أولاً: على تقدير (علّم) بمعنى: (أَنْ تَعْلَمَ):

الوجه الأول- (هذا): مبتدأ، و(باباً): حالٌ، و(علّم): خبرٌ (هذا)، و(ما): موصولةٌ بمعنى الذي في محل نصب مفعول به للمصدر (علّم)، و(الكلّم): خبر صدر الصلّة المحذوف تقديره: (هو)، وجملة: (هو الكلّم): صلة الموصول، والتقدير: هذا مُبَوَّباً أَنْ تَعْلَمَ الذي هو الكلّم. (١)

الوجه الثاني- (هذا): مبتدأ، و(باباً): حالٌ، و(علّم): خبرٌ (هذا)، و(ما): استفهاميّة في محل رفع مبتدأ، و(الكلّم): خبرها، وجملة (ما الكلّم) الاستفهاميّة في محل نصبٍ مفعولٍ به، والتقدير: هذا مُبَوَّباً أَنْ تَعْلَمَ أي شيء الكلّم. (٢)

ثانياً: على تقدير (علّم) بمعنى: (أَنْ يُعْلَمَ):

الوجه الأول- (هذا): مبتدأ، و(باباً): حالٌ، و(علّم): خبرٌ (هذا)، و(ما): زائدة، و(الكلّم): اسمٌ مرفوعٌ لِمَا لم يُسمَّ فاعله للمصدر (علّم)، والتقدير: هذا مُبَوَّباً أَنْ يُعْلَمَ الكلّم. (٣)

الوجه الثاني- (هذا): مبتدأ، و(باباً): حالٌ، و(علّم): خبرٌ (هذا)، و(ما): موصولةٌ بمعنى الذي في محل رفع اسمٍ لِمَا لم يُسمَّ فاعله، و(الكلّم): خبر صدر الصلّة المحذوف

(١) المرجع نفسه.

(٢) المرجع نفسه.

(٣) المرجع نفسه.

تقديره: (هو)، وجملة: (هو الكلّم): صلة الموصول، والتّقدير: هذا مُبَوَّبًا أَنْ يُعْلَمَ الذي هو الكلّم. (١)

الوجهُ الثّالثُ - (هذا): مبتدأ، و(بابًا): حال، و(عِلْمٌ): خبرٌ (هذا)، و(ما): استفهاميّة في محل رفع مبتدأ، و(الكلّم): خبر (ما)، وجملة (ما الكلّم) الاستفهاميّة في محل رفع اسمٍ لِمَا لم يُسمَّ فاعله، والتّقدير: هذا مُبَوَّبًا أَنْ يُعْلَمَ أيُّ شيءٍ الكلّم. (٢)

ثالثًا: على تقدير (عِلْمٌ) بمعنى: (أَنْ تُعْلَمَ):

الوجهُ الأوّلُ - (هذا): مبتدأ، و(بابًا): حال، و(عِلْمٌ): خبرٌ (هذا)، و(ما): زائدة، و(الكلّم): اسمٌ لِمَا لم يُسمَّ فاعله، والتّقدير: هذا مُبَوَّبًا أَنْ تُعْلَمَ الكلّم. (٣)

الوجهُ الثّاني - (هذا): مبتدأ، و(بابًا): حال، و(عِلْمٌ): خبرٌ (هذا)، و(ما): موصولة بمعنى الذي في محل رفع اسمٍ لِمَا لم يُسمَّ فاعله، و(الكلّم): خبر صدر الصلة المحذوف، تقديره: (هو)، وجملة: (هو الكلّم): صلة الموصول، والتّقدير: هذا مُبَوَّبًا أَنْ تُعْلَمَ الذي هو الكلّم. (٤)

الوجهُ الثّالثُ - (هذا): مبتدأ، و(بابًا): حال، و(عِلْمٌ): خبرٌ (هذا)، و(ما): استفهاميّة في محل رفع مبتدأ، و(الكلّم): خبر (ما)، وجملة (ما الكلّم) الاستفهاميّة في محل رفع اسمٍ لِمَا لم يُسمَّ فاعله، والتّقدير: هذا مُبَوَّبًا أَنْ تُعْلَمَ أيُّ شيءٍ الكلّم. (٥) وهذه الأوجهُ الثلاثةُ الأخيرةُ اطّرحها أبو جعفر النّحاس من جملة الوجوه الإعرابيّة.

وبعد، فهذه ستّة وعشرون وَجْهًا إعرابيًا، لا سبعةً وعشرون كما عدّها أبو جعفر

(١) المرجع نفسه.

(٢) المرجع نفسه.

(٣) المرجع نفسه.

(٤) المرجع نفسه.

(٥) المرجع نفسه.



النَّحَّاس، وهي مندرجةٌ تحت الوجوه الإحدى عشرة المروية التي ذكرها في مقدِّمة رسالته. هذا، ولو احتُسبت الأوجه الثلاثة التي اطَّرحها أبو جعفر النَّحَّاس من السَّبعة والعشرين التي ظنَّها كذلك؛ لبلَّغت عنده ثلاثين وجهًا، وبلَّغت عند الباحث تسعة وعشرين وجهًا.

ثالثًا: تفصيل الوجوه الملحقة بالسِّتَّة والثلاثين:

لما انتهى أبو جعفر النَّحَّاس من ذكر الوجوه الإعرابية أخذ يجمعها مع الوجوه السَّابقة لها، فقال: «فهذه سبعة وعشرون وجهًا مع العشرة المتقدِّمة، فذلك سبعة وثلاثون وجهًا». (١)

ولكن بعد البحث والدِّراسة تبَيَّن أنَّ عددها ستَّة وعشرون وجهًا، لا سبعة وعشرون كما ذكره، وأنَّ مجموع عددها مع العشرة السَّابقة لها ستَّة وثلاثون وجهًا لا سبعة وثلاثون كما قرَّره.

وسياقي بيان ذلك إن شاء الله بعد الانتهاء من تفصيل الوجوه الملحقة بالسِّتَّة والثلاثين.

ثمَّ ألحق أبو جعفر النَّحَّاس بتلك الوجوه أوجهًا لم ينصَّ على عددها من جهة، ولم تسلم كسابقاتها من التَّدَاخُل والتَّكرار من جهة أخرى؛ ممَّا استلزم فصلها عن بعض، وبيان عددها كما فُعل بأخواتها من قبل، وذلك على النحو الآتي:

أولًا - الأوجه المروية الملحقة بالسِّتَّة والثلاثين، وعددها ستَّة أوجه، وهي كما يلي:

- ١- هذا بابًا علمًا ما الكلِّم. ٢- هذا باب علم ما الكلِّم. ٣- هذا باب علم ما الكلِّم.
- ٤- هذا باب علم ما الكلِّم. ٥- هذا بابًا علم ما الكلِّم. ٦- هذا باب علم ما الكلِّم.

(١) المرجع نفسه.

ثانياً- الأوجه الإعرابية الملحقّة بالستّة والثلاثين، وعدّها تسعة أوجه، وهي كما يلي:

١- الوجه الأوّل: (هذا باباً علماً ما الكلّم).

ذكر له ثلاثة أوجهٍ إعرابيّة، هي:

الوجه الأوّل- (هذا): مبتدأ، و(باباً): حال، و(علماً): حال، و(ما): موصولة بمعنى الذي في محل رفع خبر (هذا)، و(الكلّم): خبر صدر الصلّة المحذوف، وتقديره: (هو)، وجمله: (هو الكلّم): صلة الموصول، والتقدير: هذا مَبُوبٌ علماً الذي هو الكلّم. (١)

الوجه الثّاني- (هذا): مبتدأ، و(باباً): حال، و(علماً): حال، و(ما): استفهاميّة في محل رفع مبتدأ، و(الكلّم): خبرها، والجمله الاستفهاميّة من (ما الكلّم) في محل رفع خبر (هذا)، والتقدير: هذا مَبُوبٌ علماً أي شيء الكلّم. (٢)

الوجه الثّالث- (هذا): مبتدأ، و(باباً): حال، و(علماً): حال، و(ما): زائدة، و(الكلّم): خبر (هذا)، والتقدير: هذا مَبُوبٌ علماً الكلّم. (٣)

٢- الوجه الثّاني: (هذا باب علم ما الكلّم).

ذكر له وجهين إعرابين، هما:

الوجه الأوّل- (هذا): مبتدأ، و(باب): حال، و(ما): موصولة بمعنى الذي في محل رفع خبر (هذا)، و(الكلّم): خبر صدر الصلّة المحذوف، وتقديره: (هو)، وجمله: (هو الكلّم): صلة الموصول، والتقدير: هذا مَبُوبٌ علم الذي هو الكلّم. (٤)

(١) اجتهد المحققان الآخران في تأويلهما المصدر (علماً) الواقع حالاً بالمشتق: (معلومًا)، وهذا ما لم يره الباحث عند أحدٍ من النّحويين.

(٢) يُنظر: الرّسالة، مجلة آفاق الثقافة، ص: ١٢٣-١٢٤، ودار البشائر، ص: ٢٣-٢٤، ومجّلة المورد، ص: ١١٧٠-١٧١.

(٣) المرجع نفسه.

(٤) المرجع نفسه.



الوجه الثاني - (هذا): مبتدأ، و(باب): حال، و(ما): زائدة، و(الكلم): خبر (هذا)، والتقدير: هذا مَبُوبٌ عِلْمُ الكَلِم. (١)

٣- الوجه الثالث: (هذا بابٌ عِلْمُ ما الكَلِم).

ذَكَرَ لَهُ وَجْهًا إِعْرَابِيًّا وَاحِدًا، وهو: (هذا): مبتدأ، و(باب): خبره، وهو مضاف، و(عِلْم): مضافٌ إليه، و(ما) استفهاميةٌ في محل رفع مبتدأ، و(الكَلِم): خبرها، والجملة الاستفهامية من (ما الكَلِم): ابتدائيةٌ لا محلَّ لها من الإعراب، والتقدير: هذا بابٌ عِلْمُ ما الكَلِم. (٢)

ولم ينصَّ فيه على تقدير (عِلْم) بمعنى أنْ تَعْلَمَ، ولا أنْ يُعْلَمَ.

٤- الوجه الرابع: (هذا بابٌ عِلْمُ ما الكَلِم).

ذَكَرَ لَهُ وَجْهًا إِعْرَابِيًّا وَاحِدًا، وهو: (هذا): مبتدأ، و(عِلْم): خبرٌ، و(باب)، و(ما) استفهاميةٌ في محل رفع مبتدأ، و(الكَلِم): خبرها، والجملة الاستفهامية من (ما الكَلِم): ابتدائيةٌ لا محلَّ لها من الإعراب، والتقدير: هذا عِلْمُ، أيُّ شيءٍ الكَلِم. (٣)

ولم ينصَّ فيه على تقدير (عِلْم) بمعنى أنْ تَعْلَمَ، ولا أنْ يُعْلَمَ.

٥- الوجه الخامس: (هذا بابًا عِلْمُ ما الكَلِم).

ذَكَرَ لَهُ وَجْهًا إِعْرَابِيًّا وَاحِدًا، وهو: (بابًا): حال، و(عِلْم): خبر (هذا)، و(ما) استفهاميةٌ في محل رفع مبتدأ، و(الكَلِم): خبرها، والجملة الاستفهامية من (ما الكَلِم): ابتدائيةٌ لا محلَّ لها من الإعراب، والتقدير: هذا مَبُوبًا عِلْمُ، أيُّ شيءٍ الكَلِم. (٤)

(١) المرجع نفسه.

(٢) المرجع نفسه.

(٣) المرجع نفسه.

(٤) المرجع نفسه.

ولم ينصَّ فيه أيضًا على تقدير (عِلْمٌ) بمعنى أنْ تَعْلَمَ، ولا أنْ يُعْلَمَ.

٦- الْوَجْهُ السَّادِسُ: (هَذَا بَابٌ عِلْمًا مَا الْكَلِمُ).

ذَكَرَ لَهُ وَجْهًا إِعْرَابِيًّا وَاحِدًا، وَهُوَ: (بَابٌ): خَبَرُ: (هَذَا)، وَ(عِلْمًا): حَالٌ، وَ(مَا) اسْتِفْهَامِيَّةٌ فِي مَحَلِّ رَفْعٍ مُبْتَدَأٌ، وَ(الْكَلِمُ): خَبَرُهَا، وَالْجُمْلَةُ الْاسْتِفْهَامِيَّةُ مِنْ (مَا الْكَلِمُ): ابْتِدَائِيَّةٌ لَا مَحَلَّ لَهَا مِنَ الْإِعْرَابِ، وَالتَّقْدِيرُ: هَذَا بَابٌ عِلْمًا، أَيُّ شَيْءٍ الْكَلِمُ. (١)

وَبَعْدُ، فَهَذِهِ سِتَّةُ أَوْجُهٍ مَرْوِيَّةٍ ائْتَرَجَتْ تَحْتَهَا تِسْعَةُ أَوْجُهٍ إِعْرَابِيَّةٍ أَحَقُّهَا أَبُو جَعْفَرٍ النَّحَّاسُ فِي خَاتَمَةِ رِسَالَتِهِ بِالْوَجْهِ السِّتَّةِ وَالثَّلَاثِينَ الَّتِي عَدَّهَا سَهْوًا سَبْعَةً وَثَلَاثِينَ.

وَيُلْحِظُ عِنْدَ التَّدْقِيقِ وَإِنْعَامِ النَّظَرِ أَنَّهُ تَكَرَّرَتْ فِي هَذِهِ الْأَوْجُهَةِ الْإِعْرَابِيَّةِ الْمُلْحَقَةُ بِالسِّتَةِ وَالثَّلَاثِينَ أَوْجُهَةٌ مَرْوِيَّةٌ قَدْ سَبَقَ ذِكْرُهَا ضِمْنَ الْوَجْهِ الْإِعْرَابِيَّةِ السِّتَةِ وَالْعِشْرِينَ السَّابِقَةِ لَهَا، كَمَا تَكَرَّرَتْ فِي الْوَجْهِ الْإِعْرَابِيَّةِ السِّتَةِ وَالْعِشْرِينَ أَيْضًا أَوْجُهٌ مَرْوِيَّةٌ قَدْ سَبَقَ ذِكْرُهَا ضِمْنَ الْأَوْجُهَةِ الْإِعْرَابِيَّةِ الْعَشْرَةِ السَّابِقَةِ لَهَا كَذَلِكَ، وَفُقِّ الْجَدُولُ الْآتِي:

الأَوْجُهَةُ الْخَمْسَةُ الْمَرْوِيَّةُ وَيَنْدَرُجُ تَحْتَهَا عَشْرَةُ أَوْجُهٍ إِعْرَابِيَّةٍ	الأَوْجُهَةُ الْأَحَدُ عَشَرَ الْمَرْوِيَّةُ وَيَنْدَرُجُ تَحْتَهَا سِتَّةٌ وَعِشْرُونَ وَجْهًا إِعْرَابِيًّا	الأَوْجُهَةُ السِّتَةُ الْمَرْوِيَّةُ الْمُلْحَقَةُ وَيَنْدَرُجُ تَحْتَهَا تِسْعَةُ أَوْجُهٍ إِعْرَابِيَّةٍ
١- هَذَا بَابٌ عِلْمٌ مَا الْكَلِمُ.	١- هَذَا بَابٌ عِلْمٌ مَا الْكَلِمُ.	١- هَذَا بَابًا عِلْمًا مَا الْكَلِمُ.
٢- هَذَا بَابٌ عِلْمٌ مَا الْكَلِمُ.	٢- هَذَا بَابٌ عِلْمٌ مَا الْكَلِمُ.	٢- هَذَا بَابٌ عِلْمٌ مَا الْكَلِمُ.
٣- هَذَا بَابٌ عِلْمٌ مَا الْكَلِمُ.	٣- هَذَا بَابٌ عِلْمٌ مَا الْكَلِمُ.	٣- هَذَا بَابٌ عِلْمٌ مَا الْكَلِمُ.
٤- هَذَا بَابًا عِلْمًا مَا الْكَلِمُ.	٤- هَذَا بَابٌ عِلْمٌ مَا الْكَلِمُ.	٤- هَذَا بَابٌ عِلْمٌ مَا الْكَلِمُ.
٥- هَذَا بَابًا عِلْمًا مَا الْكَلِمُ.	٥- هَذَا بَابٌ عِلْمٌ مَا الْكَلِمُ.	٥- هَذَا بَابًا عِلْمًا مَا الْكَلِمُ.
	٦- هَذَا بَابٌ عِلْمٌ مَا الْكَلِمُ.	٦- هَذَا بَابٌ عِلْمًا مَا الْكَلِمُ.
	٧- هَذَا بَابٌ عِلْمٌ مَا الْكَلِمُ.	
	٨- هَذَا بَابًا عِلْمًا مَا الْكَلِمُ.	
	٩- هَذَا بَابًا عِلْمًا مَا الْكَلِمُ.	

(١) المرجع نفسه.



	١٠- هذا باباً عَلِمَ ما الكَلِم.	
	١١- هذا باباً عَلِمَ ما الكَلِم.	

وبناءً على ما سبقَ يكونُ عددُ الوجوه المرويَّة إجمالاً: اثنين وعشرينَ وَجْهًا مرويًّا؛ ولهذا كان لا بُدَّ من ضمِّ الوجوه المتناظرة بعضها إلى بعض، لحصر المتكرِّر فيها، وإطراحه منها، وليبيان إحصائها؛ وذلك على النحو الآتي:

أولاً - الأوجهُ الخمسةُ المرويَّةُ: لا تكررَ فيها.

ثانياً - الأحد عشرَ وَجْهًا المرويَّةُ: تكررَّت فيها ثلاثة أوجه قد سبقَ ذِكْرُها ضمَّنَ الأوجه الخمسة، وهي: ١- هذا بابٌ عَلِمَ ما الكَلِم. ٢- هذا بابٌ عَلِمَ ما الكَلِم. ٣- هذا باباً عَلِمَ ما الكَلِم. فتصفو على ثمانية أوجه مرويَّة غير متكرِّرة.

ثالثاً - الأوجهُ الستَّةُ المرويَّةُ الملحقَّة: تكررَّت فيها خمسة أوجه، سبقَ ذِكْرُها ضمَّنَ الأوجه الخمسة، وضمَّنَ الأوجه الأحد عشرَ أيضاً، وهي:

١- هذا باباً عَلِمَ ما الكَلِم. ٢- هذا بابٌ عَلِمَ ما الكَلِم. ٣- هذا بابٌ عَلِمَ ما الكَلِم.

٤- هذا بابٌ عَلِمَ ما الكَلِم. ٥- هذا باباً عَلِمَ ما الكَلِم.

فتصفو على وَجْه واحدٍ غير متكرِّر.

وبعد ضمِّ المتناظرات، وحصر المتكرِّرات البالغة ثمانية أوجه، وطَرَحُها من الاثنين والعشرينَ وَجْهًا، فإنَّ عددَ الوجوه المرويَّة في رسالة أبي جعفر النحاس على التَّحقيق: أربعة عشرَ وَجْهًا، وعددَ الوجوه الإعرائيَّة المندرجة تحتها على التَّدقيق: خمسة وأربعونَ وَجْهًا.

علماً أنَّ أبا جعفر النحاس قد أسقط وَجْهًا من الوجوه المرويَّة سهواً، وهو: (هذا بابٌ عَلِمَ ما الكَلِم)، ويندرجُ تحتَه وَجْهٌ إعرائيٌّ واحدٌ، وهو: (هذا): مبتدأ، و(بابٌ): خبره، وهو مضاف، و(عَلِمَ): مضاف إليه مجرور، وهو مضاف، و(ما): زائدة، و(الكَلِم): مضاف إليه مجرور بالكسرة، والتَّقدير: هذا بابٌ عَلِمَ الكَلِم.

وبناءً عليه؛ فقد انبغى للوجوه المروية عند أبي جعفر النحاس أن تكون خمسة عشر وَجْهًا مرويًا، وأن تكون الوجوه الإعرابية لديه ستَّةً وأربعين وَجْهًا إعرابيًا، ولكن ذلك لم يكن، مع أنَّه رحمه الله قد ذكر وَجْهَ زيادة (ما) مع إضافة ما قبلها لِمَا بعدها مرتين، أولاهما: عند حديثه عن وَجْه: (هذا بابٌ عِلْمٌ ما الكَلِم)، وثانيهما: عند حديثه عن وَجْه: (هذا بابًا عِلْمٌ ما الكَلِم)، وهذان الِوَجْهَان قد ذكرهما بعد ذلك الموضع الذي أسقطه سَهْوًا، فسبحان مَنْ لا يسهو!

وبعد هذه المحصلة النهائية لعدد الوجوه الإعرابية؛ فإنَّ البحث يستلزم العودة مرَّةً أخرى إلى عملية أبي جعفر النحاس الحسائية التي حصر بها في مُقدِّمة رسالته الوجوه الإعرابية؛ لتصحيحها، وإعادة بنائها، ولا سيَّما بعد ضمِّ المتناظرات، وحذف المتكررات؛ لتكون كالآتي:

١ - تُضْرَبُ أَوْجُهُ (ما) الثلاثة: (الرَّائدة، والاستفهامية، والموصولة)، في أَوْجُهُ (العِلْم) الثلاثة: وهي: (عِلْم) المَنْوَن بمعنى أَنْ تَعْلَمَ، و(عِلْم) المَنْوَن بمعنى أَنْ يُعْلَمَ، و(عِلْم) غير المَنْوَن، فتصيرُ تسعةً.

٢ - تُضْرَبُ الْأَوْجُهُ التَّسْعَةُ بعد ذلك في أَوْجُهُ (الباب) الأربعة، وهي: وَجْه (باب) المضموم المَنْوَن، ووَجْه (باب) المضموم غير المَنْوَن، ووَجْه (بابًا) المفتوح المَنْوَن، ووَجْه (باب) المفتوح غير المَنْوَن، (وهذا الِوَجْه هو الذي أسقطه سَهْوًا من عملياته الحسائية)؛ فتصيرُ ستَّةً وثلاثين وَجْهًا.

٣ - تُضَافُ إليها بعد ذلك الْأَوْجُهُ التسعة الملحقة بها؛ فتصيرُ: خمسةً وأربعين وَجْهًا.

ويمكن تحليلها بطريقة حسابية أخرى أيضًا، وهي:

١ - يُبْدَأُ بِالْأَوْجِهِ العشرة الأولى، ثُمَّ يُزَادُ عليها الوجوه الستَّة والعشرون، فتصيرُ: ستَّةً وثلاثين.



٢- يُزاد عليها بعد ذلك الأوجه التسعة الأخرى التي ألحقها بها؛ فتصير: خمسة وأربعين وجهًا إعرابيًا، كما هو موضح بين القوسين: $(١٠ + ٢٦ + ٩ = ٤٥$ وجهًا).

هذا، وقد انبغى للوجوه أن تكون عنده كما يلي:

١- تُضمُّ الأوجه العشرة الأولى، مع الوجوه الثلاثين الأخرى؛ لأنه ذكر ثلاثة أوجه لم يحتسبها ضمن السبعة والعشرين، علاوة على إسقاطه وجهًا من السبعة والعشرين لم يذكره ضمنها سهوًا أيضًا؛ فيصير مجموعها: أربعين وجهًا.

٢- تُلحق بها الأوجه التسعة الأخيرة؛ فتصير: تسعة وأربعين وجهًا إعرابيًا.

٣- تُطرخ منها الأوجه الأربعة، وهي: الثلاثة التي زادها على السبعة والعشرين ولم يحتسبها معها، علاوة على الوجه الذي أسقطه من السبعة والعشرين سهوًا؛ فيصير مجموعها لديه: خمسة وأربعين وجهًا، كما هو موضح بين القوسين: $(١٠ + ٣٠ + ٩ = ٤٩ - ٤ = ٤٥$ وجهًا).

وهذا أو أن تفصيل الوجوه المروية والوجوه الإعرابية، مجدولة بأرقامها كما وردت عند أبي جعفر النحاس في رسالته، وبيان الساقط منها، والزائد فيها على النحو الآتي:

أولاً: الأوجه الإعرابية العشرة:

الوجه المروي	الوجه الإعرابي
١- هذا باب علم ما الكلم.	١- ما استفهامية بذل من (علم).
٢- هذا باب علم ما الكلم.	٢- ما استفهامية بذل من (علم).
٣- هذا باب علم ما الكلم.	٣- ما زائدة مع وجه المفعولية. ٤- ما استفهامية. ٥- ما زائدة مع وجه الحالية. ٦- ما موصولة.
٤- هذا باب علم ما الكلم.	٧- ما زائدة. ٨- ما استفهامية.
٥- هذا باب علم ما الكلم.	٩- ما زائدة. ١٠- ما موصولة.

ثانيًا: الوجوه الإعرابية الثلاثون + الوجه الساقط سهوًا:

الوجه المروي	الوجه الإعرابي
١- هذا بابٌ عَلِمَ ما الكَلِمِ.	على تقدير: (عَلِمَ) بمعنى أن تَعَلَّمَ: ١- ما زائدة. ٢- ما موصولة. ٣- ما استفهامية.
٢- هذا بابٌ عَلِمَ ما الكَلِمِ.	٤- ما استفهامية. ٥- ما موصولة.
٣- هذا بابٌ عَلِمَ ما الكَلِمِ.	٦- ما زائدة. (أَسْقَطَ هذا الوجه أبو جعفر النحاس سَهْوًا)
٤- هذا بابٌ عَلِمَ ما الكَلِمِ.	على تقدير: (عَلِمَ) بمعنى أن يُعَلِّمَ:
٥- هذا بابٌ عَلِمَ ما الكَلِمِ.	٧- ما زائدة. ٨- ما موصولة. ٩- ما استفهامية.
٦- هذا بابٌ عَلِمَ ما الكَلِمِ.	على تقدير: (عَلِمَ) بمعنى أن تَعَلَّمَ: ١٠- ما زائدة.
٧- هذا بابٌ عَلِمَ ما الكَلِمِ.	على تقدير: (عَلِمَ) بمعنى أن تَعَلَّمَ:
٨- هذا بابٌ عَلِمَ ما الكَلِمِ.	١١- ما موصولة. ١٢- ما استفهامية. ١٣- ما زائدة.
٩- هذا بابًا عَلِمَ ما الكَلِمِ.	على تقدير: (عَلِمَ) بمعنى أن يُعَلِّمَ:
١٠- هذا بابًا عَلِمَ ما الكَلِمِ.	١٤- ما موصولة. ١٥- ما استفهامية. ١٦- ما زائدة.
١١- هذا بابًا عَلِمَ ما الكَلِمِ.	١٧- ما زائدة.
١٢- هذا بابًا عَلِمَ ما الكَلِمِ.	١٨- ما موصولة. ١٩- ما استفهامية.
	٢٠- ما زائدة.
	٢١- ما موصولة. ٢٢- ما استفهامية.
	على تقدير: (عَلِمَ) بمعنى أن تَعَلَّمَ:
	٢٣- ما زائدة.
	على تقدير: (عَلِمَ) بمعنى أن تَعَلَّمَ:
	٢٤- ما موصولة. ٢٥- ما استفهامية. ٢٦- ما زائدة.
	على تقدير: (عَلِمَ) بمعنى أن تَعَلَّمَ: (أَطْرَحَهَا النحاس).
	٢٧- ما موصولة. ٢٨- ما استفهامية. ٢٩- ما زائدة.
	على تقدير: (عَلِمَ) بمعنى أن يُعَلِّمَ:
	٣٠- ما موصولة. ٣١- ما استفهامية.

الوجوه الإعرابية التسعة الملحقة:



الوجه المروي	الوجه الإعرابي
١- هذا باباً علماً ما الكلم.	١- ما موصولة. ٢- ما استفهامية. ٣- ما زائدة.
٢- هذا باب علم ما الكلم.	٤- ما موصولة. ٥- ما زائدة.
٣- هذا باب علم ما الكلم.	٦- ما استفهامية.
٤- هذا باب علم ما الكلم.	٧- ما استفهامية.
٥- هذا باباً علماً ما الكلم.	٨- ما استفهامية.
٦- هذا باب علم ما الكلم.	٩- ما استفهامية.

فهذه تسعة وأربعون وجهًا إعرابيًا باطّراح الوجه الذي سقط منه سهوًا، واحتسبه ضمن الوجوه الإعرابية السبعة والعشرين، وهو الوجه الإعرابي ذو الرقم: (٦)، وزاد فيها ثلاثة أوجه سهوًا من عنده أيضًا، وهي الأوجه الثلاثة ذوات الأرقام: (٢٧، ٢٨، ٢٩)، ولكنّه لم يحتسبها ضمن الوجوه السبعة والعشرين أيضًا، فصار مجموع الوجوه عنده: خمسة وأربعين وجهًا.

هذا، والدليل على زيادة تلك الأوجه الثلاثة عنده، وإطراحها لها بعد ذلك أنّه جعل (علم) فيها بمعنى: (أنّ تعلم)، وهذا لا يصح؛ لأنّ بناء الكلمة للمجهول بتقدير: (علم) فيها بمعنى: (أنّ تعلم) غاية ما فيه بناء الكلمة على التّأنيث، والتّأنيث لا يؤثّر في حقيقة الإعراب شيئًا، فهو مثل أن يقال: تُرى النّسوة، ويُرى النّسوة، فنائب الفاعل سواء في الكلمتين، هذا من جهة، ومن جهة أخرى لا يصحّ بناء الكلمة للمعلوم أيضًا بتقدير: (علم) فيها بمعنى (أنّ تعلم)؛ لاقتضائه نصب (الكلم)، لا رفعه كما هو مُدَوّن في الرّسالة، كما لا يصحّ تقدير (ما) فيهما موصولةً أيضًا، ولا استفهاميةً كذلك؛ لأنّه ذكر هذين التّقديرين في الوجه السّابق لهما، فإعادتهما مرّةً أخرى تكرار لا داعي له. فهذا ما يُفسّر عند الباحث اطّراح أبي جعفر النّحاس هذه الأوجه الثلاثة عند حصّره عدد الوجوه الإعرابية في السّبعة والعشرين وجهًا فقط.

وبهذا تستقرّ الوجوه الإعرابية عند أبي جعفر النّحاس بعد سقوط الأوجه الأربعة

منها على خمسة وأربعين وَجْهًا إعرابيًا، تدرج تحت أربعة عشر وَجْهًا مرويًّا. والحمد لله رب العالمين.

المبحث الثالث: بيان موقف مُحَقِّقِي الرِّسَالَةِ مِنَ الوجوه المروية، ووجوهها الإعرابية.

إذا كان الغرض من التَّحْقِيقِ هو إخراج النصِّ على الوجه الذي أراده عليه مؤلِّفه؛ فإن رسالة أبي جعفر النحَّاس كان ينبغي أن تحظى من ذلك الإخراج بأوفر الحظِّ والنَّصيب؛ إذ توالى على تحقيقها ثلاثة من المحقِّقين، أوَّلهم: د. حاتم صالح الضَّامن رحمه الله، إذ نشرها بتحقيقه مرَّتين، الأولى: في مجلَّة آفاق الثَّقافة والتُّراث، في العدد السَّادس عشر، سنة: ١٩٩٧م، والأخرى: في دار البشائر، دمشق، الطَّبعة الأولى: سنة ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م، تحت عنوان: كتابان في النَّحو لأبي جعفر النحَّاس المتوفَّى: ٣٣٨هـ، ولابن الحنبلي المتوفَّى: ٩٧١هـ. والآخران هما: د. محمد عبد مشكور، و د. علي حكمت فاضل محمَّد، إذ اشتركا في تحقيقها، ونشَّراها في مجلَّة المورد في العدد الثَّاني - المجلد الخمسين ٢٠٢٣م، وقد اعتمدتُ على كلتا النُّسختين المحقَّقتين المنشورتين في مجلَّة (آفاق الثَّقافة والتُّراث، ودار البشائر)، وفي مجلَّة (المورد).

ولكنَّ الرِّسالة على قلَّة لوحاتها، وعدد صفحاتها لم تسلِّم من بعض الأخطاء الواقعة في نصِّها، كما أنَّها لم تُعالج في دراستها مُعالجةً وَصْفِيَّةً تحليليَّةً، بدءًا من المحقِّق الأوَّل لها، وانتهاءً بالمحقِّقين الآخرين.

أمَّا د. حاتم الضَّامن وهو صاحبُ قصَبِ السَّبق في تحقيقها، فلم يُولِ الرِّسالة حقَّها من الدِّراسة والتَّحليل، كما أنَّه لم يسلم من الوقوع في بعض الأخطاء المنهجية في تحقيقه لنصِّها أيضًا؛ وذلك على النَّحو الآتي:

أولًا: دراسته للرِّسالة:

استفتح د. حاتم الضَّامن تحقيقه نصَّ الرِّسالة بدراسة موجزة لها، تحدَّث فيها عن المصنِّف، وعن شيوخه، وعن تلاميذه، وعن مصنَّفات المطبوعة، والمفقودة، ثُمَّ عرَّج على لبِّ موضوع الرِّسالة تعريجيًّا يسيرًا، فبيَّن أنَّها تضمُّ سبعةً وأربعين وَجْهًا عند أبي جعفر النحَّاس،



ولم يزد على ذلك شيئاً، ثُمَّ ذَكَرَ عَدَدًا مِنَ النُّحَاةِ مِمَّنْ شَغَلَتْهُمْ قَوْلُهُ سَيَبِيهِ؛ فَتَحَدَّثُوا عَنْ وَجْهِهِ إِعْرَابَهَا، ثُمَّ انْتَقَلَ بَعْدَ ذَلِكَ إِلَى وَصْفِ الْمَخْطُوطَةِ وَصْفًا تَفْصِيلِيًّا، ثُمَّ شَرَعَ يَذْكُرُ نَصَّ رِسَالَةِ أَبِي جَعْفَرٍ النَّحَّاسِ -رَحِمَهُ اللَّهُ- مِنْ دُونِ أَنْ يَدْرُسَ الْوَجْهَ الْوَارِدَةَ فِيهَا دَرَسَةً وَصْفِيَّةً تَحْلِيلِيَّةً، وَإِنَّمَا اكْتَفَى فِيهَا بِقَوْلِهِ: «وَقَدْ بَلَغَتْ عِنْدَ النَّحَّاسِ سَبْعَةٌ وَأَرْبَعِينَ وَجْهًا».

ثانيًا: تحقيقه لنصّ الرسالة:

وقع د. حاتم الضّامن في بعض الأخطاء العلميّة في تحقيقه للرّسالة، وقد حصرتها في ما يلي:

١- أخطأ في ضبط قول أبي جعفر النّحّاس: «هذا بابٌ ما الكَلِمُ»^(١) بتنوين الباب، وصوابه: «هذا بابٌ ما الكَلِمُ» من دون تنوين الباب.

٢- أخطأ في ضبط قول المصنّف: «ولك أن تجعله فيها بمعنى: أن يَعْلَمُ»^(٢)؛ إذ وردت مُهْمَلَةٌ فِي الْمَخْطُوطَةِ، وصوابها: «أَنْ تَعْلَمَ»؛ لِأَنَّ (الْعِلْمَ) الْمَنْوْنُ عِنْدَهُ: إمَّا أَنْ يَكُونَ عَلَى مَعْنَى: (أَنْ تَعْلَمَ)، وَإِمَّا أَنْ يَكُونَ عَلَى مَعْنَى: (أَنْ يُعْلَمَ)، لَا عَلَى مَعْنَى: (أَنْ يَعْلَمَ)، وَلَا عَلَى مَعْنَى: (أَنْ تُعْلَمَ) وَعَلَى ذَلِكَ النَّحْوِيُّونَ قَاطِبَةً.

٣- أهمل ضبط آخر «الكَلِمِ» بالكسر في قول المصنّف: «هذا بابٌ عِلْمٌ ما الكَلِمِ»^(٣)؛ وصوابه: «هذا بابٌ عِلْمٌ ما الكَلِمِ» بكسر آخره.

٤- أخطأ في ضبط قول المصنّف: «هذا بابًا عِلْمٌ ما الكَلِمِ»^(٤) بضمّ آخره، وصوابه: «هذا بابًا عِلْمٌ ما الكَلِمِ» بكسر الآخر، مع مجيئه صوابًا في النّسخة المخطوطة.

(١) ينظر: نشرة مجلة آفاق الثقافة والتراث، ص: ١٢٢، س: ٢٠، ونشرة دار البشائر، ص: ٢٠، س: ٢.
(٢) المرجع نفسه المخطوط: ق: ٢٩ب، س: ٦، ونشرة مجلة آفاق الثقافة والتراث، ص: ١٢٣، س: ٢٤، ونشرة دار البشائر، ص: ٢٢، س: ١٦.
(٣) المرجع نفسه، المخطوط: ق: ٣٠أ، س: ١٤، ونشرة مجلة آفاق الثقافة والتراث، ص: ١٢٤، س: ٤، ونشرة دار البشائر، ص: ٢٣، س: ٥.
(٤) يُنظر: المخطوط، ق: ٣٠أ، ونشرة مجلة آفاق الثقافة والتراث، ص: ١٢٤، س: ٤، ونشرة دار البشائر، ص: ٢٣، س: ٩.

٥- ضَبَطَ فِي نَشْرَتَيْهِ سَهْوًا أَوْ طَبَاعَةً قَوْلَ الشَّاعِرِ: (بصالح) الوارد في المخطوطة بتنوين الكسر، ضَبَطَهُ بالكسر فقط: (بصالح)، علمًا أَنَّ الضبط بتنوين الكسر رواية مشهورة، ذَكَرَهَا ابْنُ مَالِكٍ (١)، وَابْنُهُ بَدْرُ الدِّينِ (٢)، وَابْنُ هِشَامٍ (٣)، وَرَجَّحَهَا الدَّمَامِينِيُّ فِي شَرْحِهِ لِلْمَغْنِيِّ (٤).

٦- تابع المصنّف في ضبط قوله: «هذا بابًا علّم ما الكلّم على أن العلم بمعنى: أن تُعَلِّمَ»، ويحتمل أن يُقرأ ضبطها: ب: (أَنْ تُعَلِّمَ) أيضًا، ومع هذا فلا يصحّ فيه شيء من ذينك الضبطين؛ لأنّ ضبطه ب: (أَنْ تُعَلِّمَ) لا فرق فيه إعرابيًا بينه وبين: (أَنْ يُعَلِّمَ)؛ ولأنّه ذكر وَجْهَ البناء للمجهول بعد هذا الوجه أيضًا، كما لا يصحّ ضبطه ب: (أَنْ تُعَلِّمَ) كذلك؛ لأنّه ذكر وَجْهَ البناء للمعلوم قبل هذا الوجه مباشرة، علاوة على أنّ زيادة (ما) تقتضي نَصَبَ: (الكلّم)، وهو واردٌ في المخطوطة بالرفع؛ وهذه الإشكالات الواردة على كلا الضبطين لم يحتسب أبو جعفر النحاس عدّ هذا الوجه، ولا الوجهين اللذين بعده من الوجوه السبعة والعشرين. (٥)

٧- تابع النَّاسِخُ فِي وَهْمِهِ ضَبَطَ قَوْلَ المَصْنِفِ: «هذا بابًا علّم ما الكلّم» (٦)؛ وصوابه: «هذا بابًا علّم ما الكلّم» بتنوينه. هذا ما تناوله د. حاتم الضّامن في تحقيقه للرّسالة، وما رُصِدَ عليه من أخطاءٍ علميّةٍ يسيرةٍ فيها.

وأما المحقّقان الآخريان، فقد وقفَ الباحثُ على تحقيقهما منشورًا في مجلّة المورد حين

- (١) يُنظر: ابن مالك الطائي الجباني، شرح تسهيل الفوائد تحقيق: د. عبد الرحمن السيد، د. محمد بدوي المختون، ط١، دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان ١٤١٠هـ/١٩٩٠م.
- (٢) يُنظر: ابن الناظم، شرح ألفيّة ابن مالك، تحقيق: د. عبد الحميد السيد، بيروت دار الجليل، ص٧٤٩-٧٥٠.
- (٣) ينظر: ابن هشام الأنصاري، مغني اللبيب عن كتب الأعراب، تحقيق: د. مازن المبارك، محمد علي حمدالله، ط١، بيروت، دار الفكر، ١٤١٢هـ/١٩٩٢م ١١٨٨/٢-١١٨٩.
- (٤) يُنظر: الدّمَامِينِيُّ، تحفة الغريب في الكلام على مغني اللبيب، تحقيق: د. محمد عاطف التراس، ط١، القاهرة مصر دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة، ١٤٤٣هـ ٢٠٢٢م، ص٥٥١.
- (٥) يُنظر: المخطوط، ق: ٣٠، ونشرة مجلّة آفاق الثقافة والتراث ص: ١٢٤، س: ١٩، ونشرة دار البشائر، ص: ٢٤، س: ٢.
- (٦) المرجع نفسه، المخطوط: ق: ٣٠، ونشرة مجلّة آفاق الثقافة والتراث ص: ١٢٤، س: ٢٢، ونشرة دار البشائر، ص: ٢٤، س: ٦.



أشرفَ على الانتهاء من بحثه القائم على تحقيقيّ د. حاتم الضّامن للرّسالة في نُسخيّتها المنشورتين، فرجع يقرأ تحقيقهما، ويقارنه بالنّشرتين السّابقتين، لبيان ما يمتازان به، وما يؤاخذان عليهما فيه.

أولاً: دراستُهما للرّسالة:

استفتح المحقّقان الآخراّن عملهما بمقدّمة مُطوّلة تحدّثا فيها عن عناية النّحويّين بكتاب سيبويه، واهتمامهم به، مُشيرين إلى التعريف بمنزلة أبي جعفر النّحاس، وما له من كتب ذائعة الصّيت ككتاب إعراب القرآن وغيره، ثم عرّجا بإيجاز على الرّسالة، وبيان مكانتها؛ إذ تمثّل جهداً نحوياً جماعياً لكبار علماء النّحو ممّن تتلمذ عليهم المصنّف، وسمع منهم، وما اشتملت عليه أيضاً من فوائد إعرابيّة تصلّ إلى نيّف وأربعين وجْهاً، وأنّ شخصية المصنّف تمثّلت في مسارين، أولهما: سعُهُ إحاطته بالأعريب التي عُيّت بقول سيبويه، وثانيهما: طريقته الحسائيّة الدّقيقة في ضبط الوجوه الإعرابيّة التي سبق بها غيره من النّحويّين والمُعربين.

ثم أشارا إلى تحقيق د. حاتم الضّامن، وأنّه قد سبقهما إلى تحقيق هذا العمل، وأنّه نشره في مجلة (آفاق الثّقافة والتّراث) في العدد السّادس عشر من سنة: ١٩٩٧م، وأنّه جاء في سبع صفحات بدءاً من ص: ١٢٠ - ١٢٦، وأنّ عمله يعتوره جملةٌ من المؤاخذات العلميّة والمنهجيّة دعتهما إلى ضرورة إعادة تحقيقه تحقيقاً علمياً مستوفياً ما يتطلّبه العمل من ضبطٍ وتخرّيج، وتوضيحٍ للوجوه الإعرابيّة الكثيرة التي يعتاص فهمها على كثيرٍ من طلبة العلم اليوم.

وللباحثِ جملةٌ من المؤاخذات العلميّة والمنهجيّة على الدّراسة التي قدّمها المحقّقان الآخراّن بين يديّ عملهما، على النّحو الآتي:

أولاً: لم يدْرِسِ المحقّقانِ الآخرانِ على طُولِ مُقدِّمتَهما الوجوهَ الواردةَ في رسالةِ أبي جعفرِ النّحاسِ دراسةً وصفيّةً تحليّةيّةً، ولم يُفصِّلَا القولَ فيها، وإنّما اكتفيا بقولهما: «ومن الجدير بالذِّكرِ أنّه ينطوي على فوائدٍ إعرابيّةٍ تصلُّ إلى نيّفٍ وأربعينَ وجْهًا»^(١). ومعلومٌ أنّ النيّفَ عند حُذاق اللُّغويين: مِنْ واحدٍ إلى ثلاثٍ، والبِضْعُ: من أربع إلى تسع، فالمحقّقانِ الآخرانِ بوصفهما للوجوه بالنيّف قد قلّلا عدَدَ الوجوه التي كَتَبَها أبو جعفرِ النّحاسِ مِنْ وصفه لها بالبِضْع.

ثانيًا: أنّ ما استدرَكُهُ المحقّقانِ الآخرانِ من أخطاءٍ على عمل د. حاتم الضّامن قد تنبّه هو لها رحمه الله، ورجع عنها إلا في موضع واحد، وذلك في نسخته الأخرى التي أعاد تحقيقها، ونشرها في دار البشائر، وهذه النّشرة ربّما لم يطلّع عليها المحقّقانِ الآخرانِ!

ثالثًا: ذكّر المحقّقانِ الآخرانِ أنّهما اتّخذا عمل د. حاتم الضّامن - رحمه الله - في تحقيقه للرّسالة نُسخةً لهما؛ ليقابلا عليه النّسخة المخطوطة التي بين أيديهما، مع أنّها عيْنُ النّسخة الفريدة التي حقّقها د. حاتم الضّامن، وهذا أمرٌ غيرُ معهودٍ في عِلْمِ تحقيقِ المخطوطات!

رابعًا: جعلَ المحقّقانِ الآخرانِ من أسباب إعادة تحقيقهما لعمل د. حاتم الضّامن أيضًا: (سقوط بعض الكلمات من النّسخة الخطيّة في تحقيق د. حاتم الضّامن)^(٢)، والحقُّ أن د. حاتم الضّامن قد تنبّه لتلك الأسقاط؛ واستدرَكها في نشرته الأخرى التي ربّما لم يطلّعا عليها!

خامسًا: لم يُحاول المحقّقانِ الآخرانِ أن يُحصّيا الوجوهَ الإعرابيّةَ ولو بتخمين، وإنّما اكتفيا بأنّها تُنيّفُ على الأربعينَ وجْهًا حينًا، وأنّها تزيد على الأربعينَ وجْهًا حينًا آخر، وأنّها تفوقُ وجوهَ أبي سعيدٍ السّيرافي التي لم تتجاوز خمسةَ عشرَ وجْهًا حينًا آخر.

(١) يُنظر: أبو جعفرِ النّحاس، الكلام على تفصيل إعراب قول سيويه، مجلّة المورد، تحقيق: د. محمد عبد مشكور، د. علي حكمت فاضل محمد العدد ٢، المجلد الخمسون سنة ٢٠٢٣م، ص: ١٥٨.

(٢) المرجع نفسه.



ثانيًا: تحقيقهما لنصّ الرّسالة:

وقع المحقّقان الآخراّن في أثناء استدراكهما على تحقيق د. حاتم الضّامن للرّسالة في بعض الأخطاء العلميّة في تحقيقها أيضًا، وفي التّعليق على بعض أعرابها كذلك، وقد حصرت ذلك كلّهُ في أربعة أمور:

أولًا: ما استدركه المحقّقان الآخراّن على تحقيق د. حاتم الضّامن:

١- استدرك المحقّقان الآخراّن على د. حاتم الضّامن ضبطه قول الشاعر: (فأجبتُهُ في كيف أنتَ بصالح)^(١) بأنّه ضبط غير صحيح؛ لورود البيت شاهدًا على الحكاية، وصوابه: (بصالح).

ولو نظر المحقّقان الآخراّن بإمعانٍ على النّسخة الأصل للمخطوطة؛ لوجدا أنّ ضبط البيت فيها قد وردَ بحركة الكسرِ والتّنوين، كما أثبتته د. حاتم الضّامن، ولكن سقطت منه -طباعةً أو سهوًا- حركةُ التّنوين دون حركةِ الكسر في نشرته للرّسالة، علمًا أنّ رواية الكسر والتّنوين مذكورة عند النّحويين، كما سبقت الإشارة إلى ذلك.

٢- استدرك المحقّقان الآخراّن على د. حاتم الضّامن إثباته رواية البيت كما جاءت في نصّ رسالة أبي جعفر النّحاس، فغيّرها وهي الرّواية القُدّمي للبيت برواية أخرى متأخّرة عنها.

لقد كان صنيعُ د. حاتم الضّامن في معالجته اختلالَ وزن البيت مع محافظته على روايته القُدّمي بزيادة كلمة: (أنت) السّاقطة فيه أوفق وأليقّ بصنعة التّحقيق من صنيعهما.

٣- لم يُكلّف المحقّقان الآخراّن أنفسهما البحث عن مصادر أخرى لتخريج البيت الذي غيّراه، مُكتفيين بتخريج د. حاتم الضّامن له في نشرته الأخرى التي رُبّما لم يطلّعا عليها، ولو بحثنا لوجدا البيت مذكورًا في كتاب (الإبانة) للعوّتي الصّحاري^(٢)، وفي شرح

(١) المرجع نفسه: نشرة مجلّة المورد ص: ١٦٩، س: ٥، هـ: ٨٠.

(٢) يُنظر: العوّتي الصّحاري، الإبانة في اللغة العربيّة، تحقيق: مجموعة من الأساتذة، ط ١، مسقط، عمان، وزارة التراث القومي والثقافة، ١٤٢٠هـ، ١/١٨٧.

التسهيل لابن مالك^(١) أيضاً.

٤ - استدرك المحققان الآخران على د. حاتم الضامن ضبطه قول المصنف: «هذا باباً علّم ما الكلّم»؛ لعدم موافقته الوجه الإعرابي الذي بعده، وأنّ صوابه: «هذا باباً علّم ما الكلّم» بتنوين العلم. وهو استدراكٌ صحيحٌ، وقد استدركه الباحث أيضاً، وهو وهمٌ من النَّاسخ، وقد تابعه عليه د. حاتم الضامن سهواً أو نسياناً.^(٢)

ثانياً: ما أخطأ فيه المحققان الآخران من تعليقاتهما على هامش الرسالة:

وقع المحققان الآخران في بعض الأخطاء في تعليقاتهما على هوامش الرسالة، كما يأتي:

١ - علّق المحققان الآخران على كلمة: (موضع الخبر) في قول أبي جعفر النحاس: «أن تجعل ما استفهاماً في موضع الخبر»، فقالا: «أي: الصّفة»، وهذا خلاف مراد المصنف؛ إذ إنّ مراده: أن (ما): خبرٌ مُقدّمٌ، و(الكلّم): مبتدأ مؤخر.^(٣)

٣ - أخطأ المحققان الآخران في ضبط الفعل: (ملّث) من قول الشاعر:

وأجبتُ قائلَ كيفَ أنتَ بِصالحٍ حتّى ملّثتُ وملّني عُوّادي^(٤)

بفتح اللام: (ملّثتُ)، والصّوابُ أنّه بكسرهما: (ملّثتُ)؛ لأنّه من باب فَرَحَ، ك: سَعِمَ يَسْأَمُ.^(٥)

٤ - أخطأ المحققان الآخران في تعليقاتهما على محلّ الشاهد في صدر البيت أيضاً حين ذكرا أنّه في كلمة: (بصالح)، على حين أنّه كما أراده النحاس، هو: وقوعُ جملة الاستفهام فيه مضافاً إليها، كما أضيف العلمُ إلى جملة الاستفهام في قول سيبويه: هذا

(١) يُنظر: ابن مالك، شرح تسهيل الفوائد، تحقيق: د. عبد الرحمن السيد، د. محمد بدوي المختون، ط ١، هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان ١٤١٠هـ/١٩٩٠م، ٩٨/٢.

(٢) يُنظر: نشرة مجلّة المورد، ص: ١٧٠، س: ٣، ه: ٨٨.

(٣) المرجع نفسه ينظر: مجلّة المورد، ص: ١٦٤، ح: ٣٢.

(٤) البيت من بحر الكامل.

(٥) يُنظر: أبو العباس الفيومي، المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، بيروت، مكتبة لبنان، ١٩٨٧م، مادة: (ملل).



باباً علماً ما الكلّم. (١)

٧- أخطأ المحققان الآخريان في الموضع السابق أيضاً بتأويلهما: (علماً) بالمشتق: (معلومًا)؛ ليحاكيّا أبا جعفر النحاس في تأويله: (باباً) بالمشتق: (مُبَوَّبًا)، وفرق ما بين التأويلين؛ لأنّ تأويله: (باباً) بالمشتق: (مُبَوَّبًا) صحيح؛ فالمسألة مُبَوَّبَةٌ، وأمّا تأويلهما: (علماً) بالمشتق: (معلومًا)، فغير صحيح؛ لأنّ المسألة لم تُعلّم بعد، علاوةً على أنّ الباحث لم يقف على هذا التأويل عند غيرهما.

الخاتمة، وفيها أهمّ النتائج، وأبرز التوصيات:

وبعد الانتهاء من دراسة رسالة أبي جعفر النحاس، فقد خلصَ البحثُ إلى أهمّ النتائج الآتية:

أولاً: تعليلُ إهمام أبي جعفر النحاس عددَ الوجوه الإعرابية في رسالته في بضعة وأربعين وَجْهًا.

ثانيًا: الفصلُ بين الوجوه المروية في الرسالة وبين الوجوه الإعرابية المندرجة تحتها.

ثالثًا: حصرُ الوجوه المروية في الرسالة في أربعة عشر وَجْهًا، والإعرابية في خمسة وأربعين وَجْهًا.

رابعًا: انبغاء الوجوه المروية في الرسالة أن تكونَ على خمسة عشر وَجْهًا مرويًا، وأن تكونَ وجوهها الإعرابية على ستة وأربعين وَجْهًا إعرابيًا.

خامسًا: عدمُ تطرُق أبي جعفر النحاس في رسالته إلى إعراب: (مِنَ العريّة) البتّة.

سادسًا: خطأ د. حاتم الضّامن في حصره عددَ الوجوه الإعرابية في الرسالة في سبعة وأربعين وَجْهًا.

سابعًا: خطأ المحققين الآخرين بمقارنة الوجوه الواردة في الرسالة بالوجوه عند أبي سعيد السّيرافي.

(١) يُنظر: نشرة مجلة المورد، ص: ١٦٩، هـ: ٨٠.

وأما التوصيات، فمن أبرزها:

أولاً: إعادة تحقيق رسالة أبي جعفر النحاس تحقيقاً علمياً رصيناً يُخلصها ممّا علق بها من شوائب الخطأ والسّهو في نصّها، ومن الحشو الذي لا علاقة لها به في هوامشها.

ثانياً: دراسة الوجوه الإعرابية لقول سيبويه في أول الكتاب: (هذا بابٌ علّم ما الكلّم من العربيّة) عند شراح كتابه، والموازنة بينها.

ثالثاً: الاعتناء بمسائل التمارين الإعرابية، وخاصةً ما يتعلّق منها بكتاب سيبويه؛ تنميةً للألباب، وتمريضاً للطلّاب.

هذا، والله تعالى أعلم وأجلّ، وصلى الله وسلّم على رسولنا محمّدٍ النبيّ الأمين، وعلى آله وصحبه أجمعين، وآخر دعوانا أن الحمد لله ربّ العالمين.



المصادر والمراجع

- ١- ابن النازم، شرح ألفية ابن مالك، تحقيق: د. عبد الحميد السيّد، د. ت، دار الجليل، بيروت.
- ٢- ابن مالك الطائي الجياني، شرح تسهيل الفوائد، تحقيق: د. عبد الرحمن السيد، د. محمد بدوي المختون، الطبعة الأولى هجر للطباعة، والنشر، والتوزيع والإعلان. ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م.
- ٣- ابن هشام الأنصاري، مغني اللبيب عن كتب الأعراب، تحقيق: د. مازن المبارك، ومحمد علي حمد الله، الطبعة الأولى، بيروت دار الفكر، ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م.
- ٤- ابن يعيش، شرح المفصل، تحقيق: د. إبراهيم محمد عبد الله، الطبعة الأولى، دمشق، سوريا دار سعد الدين، ١٤٣٤هـ - ٢٠١٣م.
- ٥- البغدادي، عبد القادر بن عمر، خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، الطبعة الرابعة القاهرة، دار النشر مكتبة الخانجي، ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م.
- ٦- الدماميني بدر الدين، تحفة الغريب في الكلام على مغني اللبيب، تحقيق: د. محمد عاطف التراس، الطبعة الأولى، القاهرة، مصر. دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة، ١٤٤٣هـ - ٢٠٢٢م.
- ٧- الذهبي، شمس الدين، تاريخ الإسلام، ووفيات المشاهير والأعلام، تحقيق: د. بشار عوّد معروف، الطبعة الأولى، دار الغرب الإسلامي، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م.
- ٨- الزّجاجي أبو القاسم، الإيضاح في علل النّحو، تحقيق: د. مازن المبارك، الطبعة الخامسة، بيروت، دار النفائس، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م.
- ٩- السيوطي، أبو بكر جلال الدين، بغية الوعاة في طبقات اللّغويين والنّحاة، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الطبعة الأولى، المكتبة العصرية، صيدا، لبنان.
- ١٠- العوتي الصّحاري، الإبانة في اللغة العربية، تحقيق مجموعة من الأساتذة، الطبعة

الأولى، مسقط، عُمان. مسقط، عُمان. وزارة التراث القومي والثقافة، ١٤٢٠هـ.

١١- الفيومي أبو العباس، المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، مكتبة لبنان، بيروت، ١٩٨٧م.

١٢- النحاس أبو جعفر، الكلام على تفصيل إعراب قول سيويه رحمه الله في أول الكتاب: هذا باب علم ما الكلم من العربية، تحقيق: د. حاتم صالح الضامن، منشورة في مجلة آفاق الثقافة والتراث، العدد السادس عشر، سنة: ١٩٩٧م، ومنشورة في دار البشائر، دمشق، سنة ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م، والنشرة الأخرى بتحقيق: د. محمد عبد مشكور، ود. علي حكمت فاضل محمد، في مجلة المورد، العدد الثاني، المجلد الخمسون، سنة ٢٠٢٣م.

١٣- سيويه، عمرو بن عثمان بن قنبر، كتاب سيويه، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، الطبعة الثالثة، القاهرة، مكتبة الخانجي، ١٤٠٨ هـ ١٩٨٨.

1. Ibn al-Nāẓim, Sharḥ al-Fiyyah Ibn Mālik, taḥqīq: D. ‘Abd al-Ḥamīd al-Sayyid, D. t ,Dār al-Jīl, Bayrūt.
2. Ibn Mālik al-Tā’ī al-Jayyānī, Sharḥ Tas’hīl al-Fawā’id, taḥqīq: D. ‘Abd al-Raḥmān al-Sayyid, D. Muḥammad Badawī al-Makhtūn, al-ṭab‘ah al-ūlá, Hajar lil-Ṭibā‘ah wa-al-Nashr wa-al-Tawzī‘ wa-al-I‘lān, 1410H–1990M.
3. Ibn Ḥishām al-Anṣārī, Mughnī al-Labīb ‘an Kutub al-A‘ārīb, taḥqīq: D. Māzin al-Mubārak, W. Muḥammad ‘Alī Ḥamad Allāh, al-ṭab‘ah al-ūlá, Bayrūt: Dār al-Fikr, 1412H–1992M.
4. Ibn Ya‘īsh, Sharḥ al-Mufaṣṣal, taḥqīq: D. Ibrāhīm Muḥammad Allāh, al-ṭab‘ah al-ūlá, Dimashq, Sūriyā: Dār Sa‘d al-Ddīn, 1434H–2013M.
5. al-Baghdādī, ‘Abd al-Qādir ibn ‘Umar, Khizānat al-Adab wa-Lubb Lubāb Lisān al-‘Arab, taḥqīq: ‘Abdussalām Muḥammad Hārūn, al-ṭab‘ah al-rābi‘ah, al-Qāhirah: Dār al-Nashr Maktabat al-Khānjī, 1418H–1997M.
6. al-Damāmīnī, Badr al-Dīn, Tuḥfat al-Gharīb fī al-Kalām ‘alā Mughnī al-Labīb, taḥqīq: D. Muḥammad ‘Āṭif al-Ttrās, al-ṭab‘ah al-ūlá, al-Qāhirah,



- Miṣr: Dār al-Islām li-al-Ṭibā‘ah wa-al-Nashr wa-al-Tawzī‘ wa-al-Tarjamah, ١٤٤٣H–2022M.
7. al-Dhahabī, Shams al-Dīn, Ta’rīkh al-Islām wa-Wafayāt al-Mashāhīr wa-al-A‘lām, taḥqīq: D. Bashshār ‘Awwād Ma‘rūf, al-ṭab‘ah al-ūlā, Dār al-Gharb al-Islāmī, 1424H–2003M.
 8. al-Zajjājī, Abū al-Qāsim, al-Īdāh fī ‘Ilal al-Naḥw, taḥqīq: D. Māzin al-Mubārak, al-ṭab‘ah al-khāmisah, Bayrūt: Dār al-Nafā‘is, 1406H–1986M.
 9. al-Suyūṭī, Abū Bakr Jalāl al-Dīn, Bughyat al-Wu‘āh fī Ṭabaqāt al-Lughawiyyīn wa-al-Nuḥāh, taḥqīq: Muḥammad Abū al-Faḍl Ibrāhīm, al-ṭab‘ah al-ūlā, al-Maktabah al-‘Aṣrīyah, Ṣaydā, Lubnān.
 10. al-‘Awtabī al-Ṣuḥāry, al-Ibānah fī al-Lughah al-‘Arabīyah, taḥqīq :Majmū‘ah min al-Asātidhah, al-ṭab‘ah al-ūlā, Masqaṭ, ‘Umān: Wizārat al-Turāth al-Qawmī wa-al-Thaqāfah, 1420H.
 11. al-Fayyūmī, Abū al-‘Abbās, al-Miṣbāḥ al-Munīr fī Gharīb al-Sharḥ al-Kabīr, Maktabat Lubnān, Bayrūt, 1987M.
 12. al-Naḥḥās, Abū Ja‘far, al-Kalām ‘alā Tafṣīl I‘rāb Qawl Sībawayh raḥimahu Allāh fī Awwal al-Kitāb: Hādhā Bāb ‘Ilm Mā al-Kalim min al-‘Arabīyah, taḥqīq :D. Ḥātim Ṣāliḥ al-Ḍamn, manshūrah fī Majallat Āfāq al-Thaqāfah wa-al-Turāth ,al-‘Adad al-Sādis ‘Ashar, 1997M; wa-manshūr fī Dār al-Bashā‘ir, Dimashq\ ٤٢٥ ,H–2004M .The other edition taḥqīq: D. Muḥammad ‘Abd Mashkūr, W. ‘Alī Ḥikmat Fāḍil Muḥammad, fī Majallat al-Mawrid, al-‘Adad al-Thānī, al-Mujallad al-Khamsūn, 2023M.
 13. Sībawayh, ‘Amr ibn ‘Uthmān ibn Qanbar, Kitāb Sībawayh, taḥqīq: ‘Abd al-Salām Muḥammad Hārūn, al-ṭab‘ah al-thālithah, al-Qāhirah: Maktabat al-Khānjī, 1408H–1988M.

توهُم السامع وأثره في توجيه الاستعمال اللغويّ

Impact on Guiding Lan- Listener Misconceptions and Their guage Use

إعداد:

د. حسن بن إبراهيم بن محمد قابور

أستاذ النحو والصرف والمشارك بقسم اللغة العربيّة، كليّة الفنون والعلوم الإنسانيّة، جامعة
جازان

حاصل على درجة الماجستير من جامعة أم القرى بتخصص النحو والصرف

حاصل على درجة الدكتوراه من الجامعة الإسلاميّة بتخصص اللغويات

البريد الإلكتروني: sa.edu.jazanu@hqabur



<https://doi.org/10.65728/1625-000-022-007>



الملخص

موضوع البحث: توهم السامع وأثره في توجيه الاستعمال اللغوي.

أهداف البحث:

- 1 - الكشف عن المقصود بتوهم السامع.
- 2 - محاولة جمع المواطن التي جعل توهم السامع فيها علة للاستعمال.
- 3 - التحقق من صلاحية توهم السامع تعليلاً لبعض الاستعمالات.
- 4 - فحص الاستعمال الذي جعل فيه توهم السامع علة للاستعمال.
- 5 - معرفة الأسباب التي أدت إلى توهم السامع.

منهج البحث: المنهج الوصفي التحليلي.

أهم النتائج:

- 1-مراعاة فهم السامع قد تكون مُستشعرة لدى منشئ الاستعمال، وقد تكون من أدوات محلل الاستعمال.
- 2-بعض التحليلات المبنيّة على مراعاة فهم السامع فيها شيء من المبالغة، بل إنّ بعضها ينقض قواعد لغويّة أخرى، ولذا استطاعت الدّراسة أن تردّ بعض هذه التحليلات.
- 3-بعض الاستعمالات التي قيل إنّ في اختيارها مراعاة لتوهم السامع لا يعدو أنّه اختيار معتمد على رواية ليس غير.

أهم التوصيات:

- العناية بما كان يُراعى السامع من توجيه الكلام العربي وإعرابه.

الكلمات المفتاحيّة: توهم، السامع، فهم، الاستعمال.

Abstract

Research Topic:

Listener Misconceptions and Their Impact on Guiding Language Use.

Research Objectives:

1. To point out the meaning of listener misconceptions.
2. To attempt to gather instances where listener misconceptions have served as a reason for usage.
3. To verify the validity of listener misconceptions as explanations for certain usages.
4. To scrutinize the usages where listener misconceptions have been a reason for usage.
5. To pinpoint the reasons which led to listener misconceptions.

Research Methodology:

- Descriptive Analytical Approach

Key Findings:

- Consideration of the listener's understanding may be perceived by the speaker and can serve as a tool for analyzing usage.
- Some analyses based on the consideration of the listener's understanding contain elements of exaggeration, and some even contradict other linguistic rules; thus, the study was able to refute some of these analyses.
- Some usages that considered listener misconceptions in their selection are merely choices based on narration, nothing more.

Key Recommendations:

Paying attention to aspects which consider the listener in guiding Arabic speech and its grammatical analysis.

Keywords:

- Misconception, Listener, Understanding, Usage, Comprehension



مقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، أمّا بعد:

فمن المعلوم أنّ طرفي العمليّة التّواصلية في اللغة المنطوقة، أيّة لغة، هما المتكلّم منشئ الخطاب التّواصليّ والسّامع المتلقّي لهذا الخطاب.

وقد غُيّت علوم اللغة بالوضوح في الخطاب بين هذين القطبين، ومن أبرز هذه العلوم علم النّحو الذي فطن علماؤه إلى هذه القضية منذ بداية التّأليف، فجاء تفسير كثيرٍ منهم لبيان أسباب اختيار صورة من صور الاستعمال دون غيرها، وكان من أهمّ تلك الأسباب مراعاة فهم السّامع، وقد تعددت المستويات التي عُيِّل بها صور الاستعمال، فشملت المستوى الصّوتي، والمستوى الصّرفي، والمستوى النّحوي، ومن هنا جاءت فكرة هذا البحث منطلقةً من فرضيتين نهضت لفحصهما، أولاهما: أنّ توهُم السّامع حاصل في الاستعمال الذي تُرك ومأمونٌ في الاستعمال المتّخذ، وثانيتها: أنّ توهُم السّامع كان افتراضاً من موجّه الاستعمال وهو غير وارد في ذهن المستعمل حين إنشاء الخطاب، ولا يمكن أن يردّ إلى ذهن السّامع حين تلقّي الخطاب.

وراعت الدّراسة حين جمع مادّتها أن تقتصر على ما نصّ عليه موجّه الاستعمال أو مفسّره بقوله: «توهُم السّامع» أو ما شارك هذا التركيب من تراكيب مماثلة.

مشكلة الدراسة وأسئلتها:

قامت الدراسة لتُجيب عن عدد من الأسئلة تمثّل مشكلتها، ومن أبرزها:

- 1- ما المقصود بتوهُم السّامع؟
- 2- ما مدى تحقق علة خوف توهُم السّامع الذي عُيِّل به اختيار الاستعمال؟
- 3- ما ضابط هذا التوهُم لدى مفسّري الاستعمال وموجّهيهِ؟
- 4- هل يكون توهُم السّامع المُعلَّل به توهُماً من قِبَل المُعلِّل؟
- 5- كيف يمكن أن يُدفع هذا التوهُم؟

أهمية الدراسة:

تبرز أهمية هذه الدراسة في أنّها تُعالج قضيةً تواصليةً ذات أهمية بين المتكلم والسماع، وهي الفهم الصحيح أو الفهم المتوهم، ولا سيّما أنّ بعض هذه الاستعمالات التي وُسمت أنّها جاءت على صورةٍ اختيرت مخافة توهم السامع خالفها استعمالاتٌ أخرى لا تقلُّ فصاحة عنها، فأرادت الدراسة التّحقّق من توهم السامع المخوف الذي من أجله اختيرت صورة استعماليةٍ دون غيرها.

أهداف الدراسة:

من أهم الأهداف التي نهضت الدراسة لتحقيقها ما يأتي:

- 1 - الكشف عن المقصود بتوهم السّماع.
- 2 - محاولة جمع المواطن التي جعل توهم السّماع فيها عِلّة للاستعمال.
- 3 - التّحقّق من صلاحية توهم السامع تعليلاً لبعض الاستعمالات.
- 4 - فحص الاستعمال الذي جعل فيه توهم السّماع عِلّة للاستعمال.
- 5 - معرفة الأسباب التي أدّت إلى توهم السّماع.

منهج الدراسة:

اتّخذت الدراسة المنهج الوصفيّ التحليليّ منهجاً لها؛ لتحقيق أهدافها.

الدراسات السابقة:

هناك عدد من الدراسات في التوهم، ولكنّه توهم غير الذي أرادته هذه الدراسة، فما كُتِب من دراسات أراد توهم المتكلّم، وهذه الدراسة تعالج توهم السامع، فحصل الفرق، ولم أجد دراسةً -في ما اطّلعْتُ عليه- عالجت توهم السامع، غير أنّ هذه الدراسة قد تتقاطع مع الدراسات التي عالجت اللبس وأمنه، ولكنها تفارقها في أمور، منها أنّ تلك الدراسات عالجت الأساليب أو الأحكام التي قيل فيها باللبس أو أمنه، أما دراستي



هذه، فهي -في أغلبها- تتحدّث عن اختيار استعمال وترك آخر، وتبيّن أنّ سبب مجيئه على الصّورة المختارة هو خوفُ توهُّم السّامع، وتورد استعمالاً آخر قرّر منه لذلك، سواء أكان هذا الاستعمال ورد كأن ترد قراءتان، ويُعلّل مجيء إحداهما بخوف توهم السّامع أم كان الاستعمال المتروك مفترضاً من قبل المعلّل، وكذلك فإنّ الدّراسات التي عالجت اللبس وأمنه كان اللبس في أغلبها واضحاً، أمّا دراستي هذه فالتوهُّم جاء متوقعاً من قبل محلّل الاستعمال كالمفسّرين، ومعربي القرآن الكريم، وبعض النّحويّين.

ومن الدراسات التي عالجت اللبس -مع اختلاف بينها وبين دراستي كما أشرت في المادة العلميّة والمعالجة- ما يأتي:

- 1- أمن اللبس ووسائل الوصول إليه في اللغة العربية، تمام حسان، مجلّة كليّة دار العلوم، العدد (١)، ١٩٦٩م.
- 2- الوهم واللبس وأثرهما في الأحكام: دراسة نحويّة صرفيّة، رسالة ماجستير، عطية محمد عطية، جامعة أم درمان، السودان، ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م.
- 3- الأحكام النّحويّة المبنيّة على أمن اللبس، عبد الملك عبد الوهاب الحسامي، مجلّة الدراسات الاجتماعيّة، العدد (٣١)، يوليو - ديسمبر ٢٠١٠م.
- 4- علة أمن اللبس في اللغة العربيّة، د. مجيد خير الله الزاملّي، دار الكتب العلميّة، بيروت، ط ١، ١٤٣٥هـ - ٢٠١٤م.

خطة الدراسة:

تألّفت الدّراسة ممّا يأتي:

- **المقدّمة:** تناولت مشكلة الدّراسة، وأهمّيّتها، وأهدافها، ومنهجها، والدّراسات السابقة.
- **التمهيد:** فيه بيان مراد الدّراسة بتوهُّم السامع.
- **المبحث الأول:** الوقف خوف توهُّم السامع.
- **المبحث الثاني:** التّقديم خوف توهُّم السامع.

- المبحث الثالث: اختيار اللفظ خوفَ توهُم السامع.
- المبحث الرابع: الدِّكْر الدَّافع لتوهُم السامع.
- المبحث الخامس: تركيب الألفاظ وزيادتها وأثرها في توهم السامع.
- الخاتمة: وتضمّنت أهمّ نتائج الدِّراسة.
- قائمة المصادر والمراجع.

التمهيد

جاءت مادة (و ه م) في المعجم العربيّ على معانٍ من أبرزها: الغلط، والظنُّ، والتصوُّر، والتَّخِيل، والحدس^(١)، وقد فَرَّق أبو هلال العسكريُّ بين هذه المعاني؛ ليجعل للوهم - وخاصة ما جاء منه على صيغة (تفعل)، أي: (التوهُم) - معنًى منافياً للعلم وجارياً مجرى الظن، إذ قال: «الفرق بين التصوُّر والتوهُم أنَّ تصوُّر الشيء يكون مع العلم به، وتوهُمه لا يكون مع العلم به؛ لأنَّ التوهُم من قبيل التجويز، والتجويز يُنافي العلم». (٢)

وقرّنه صاحب بن عبّاد بالغلط، فعَدَّ الوهم غلطاً. (٣)

وأما في الاصطلاح فقد عرّفه الجرجانيُّ بقوله: «التوهُم: إدراك المعنى الجزئيّ المتعلّق بالمحسوسات»^(٤)، وعرّفه التعريف نفسه أبو البقاء الكفوي. (٥)

أمّا التوهُم لدى النّحويّين فقد جاء جُلّه تعليلاً لبعض الظواهر الاستعماليّة الفصيحّة التي خالفت أقيستهم، ونذّت عن قواعدهم، ومن أمثلة ذلك ما جاء في كتاب سيبويه من تعليلاته أو تعليلات أستاذه الخليل لبعض الاستعمالات الفصيحّة، فقد فسّر

(١)(١) ينظر: أبو هلال الحسن بن عبد الله العسكري، معجم الفروق اللغوية، تحقيق: محمد إبراهيم سليم، القاهرة: دار العلم والثقافة (د.ط)، (د.ت)، ص ٢٦١، والحسن بن محمد الصغاني، العباب الزاخر، تحقيق: د. فير حسن (د.ط)، (د.ت)، ٨١/١ (ح د س)، وأبو الفضل محمد بن مكرم بن منظور، لسان العرب، بيروت: دار صادر، ط ١ (د.ت)، ٤٦/٦ (ح د س).

(٢)(٢) معجم الفروق اللغوية، ص ١٢٦.

(٣)(٣) ينظر: صاحب، إسماعيل بن عباد، المحيط في اللغة، تحقيق: محمد حسن آل ياسين، بيروت: عالم الكتب، (د.ط)، (د.ت)، ٣٢٣/١ (الماء والميم).

(٤)(٤) علي بن محمد الجرجاني، التعريفات، بيروت: دار الكتب العلمية، ط ١، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م، ص ٧١.

(٥)(٥) ينظر: أيوب بن موسى الكفوي، الكليات، تحقيق: عدنان درويش ومحمد المصري، بيروت: مؤسسة الرسالة، (د.ط)، ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م، ص ٣١٦.



به كسر حرف العين من قولهم: (ادِّعْه)؛ إذ قال: «وزعم أبو الخطاب أن ناساً من العرب يقولون: (ادِّعْه) من دعوتُ، فيكسرون العين، كأنَّها لما كانت في موضع الجزم توهُموا أنَّها ساكنة إذ كانت آخر شيءٍ في الكلمة».(١)

فسيبويه من هذا النصُّ يُوضِّح العلة التي من أجلها كسرت العين في (ادِّعْه)، وحققها أن تُضَمَّ، وهذه العلة - كما هو واضحٌ من قوله - توهُمُ الناطقين بالكسرة أنَّ العين ساكنة ظناً أنَّها آخر حروف الفعل، ومعلومٌ أنَّ آخر الأمر في مثل هذه الحالة ساكن، ولالتقاءه بحرف الدال الساكن التقى ساكنان فكسرت العين المتوهم سكونها تخلُّصاً من التقاء الساكنين، ثمَّ قال سيبويه: «إنَّ هذه لغة رديئة، وهو غلط»، وقاسه على قول زهير:

بدا لي أي لستُ مدركٌ ما مضى* ولا سابقٍ شيئاً إذا كان جائياً(٢)

وهناك غير موضع من كتاب سيبويه وجه فيها بعض الاستعمالات الفصيحة على التَّوهُم، وتبع سيبويه عددٌ من النحويين كابن السراج(٣)، والزجاجي(٤)، وابن جني(٥)، وابن مالك(٦)، وهو أمر استفاض لدى النحويين.

والتوهُم المشار إليه سابقاً توهُم من المستعمل، أي: من منشئ الخطاب، وهو توهُم

(١)(٦) عمرو عثمان بن قنبر سيبويه، كتاب سيبويه، تحقيق: عبد السلام هارون، القاهرة: مكتبة الخانجي، ط٣، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م، ١٦٠/٤.

(٢)(١) بيت من الطويل لزهير بن أبي سلمى في الأعلم الشتنمري، شعر زهير بن أبي سلمى، تحقيق: د. فخر الدين قباوة، بيروت، دار الأفاق الجديدة، ط٣، ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م، (ص١٦٩)، والكتاب، (٤/١٦٠)، وأبي بكر محمد بن سهل بن السراج، الأصول في النحو، تحقيق: د. عبد الحسين الفتلي، بيروت: مؤسسة الرسالة، ط٣، ١٤١٧هـ - ١٩٩٦م، (٤٣٢/١).

(٣)(٢) ينظر: الأصول في النحو (٢٥٢/١)، و (٣٧٤/١).

(٤)(٣) ينظر: أبو القاسم عبد الرحمن بن إسحاق الزجاجي، الإيضاح في علل التَّحو، تحقيق: د. مازن المبارك، بيروت: دار النفائس، ط٥، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م، (ص٥٧).

(٥)(٤) ينظر: أبو الفتح عثمان بن جني، الخصائص، تحقيق: عبد الحميد هندراوي، بيروت: دار الكتب العلمية، ط١، ١٤٢١هـ - ٢٠٠١م، (٩٥/١)، و (٢٨٣/١).

(٦)(٥) ينظر: جمال الدين محمد بن عبد الله بن مالك، شرح الكافية الشافية، تحقيق: د. عبد المنعم هريدي، مكة المكرمة: مركز البحث العلمي وإحياء التراث الإسلامي بجامعة أم القرى، ط١، ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م (١١٧٩/٣).

كما رأينا يرادف الغلط في بعض مواضعه، وهو ما صرف إليه الباحثون اهتمامهم، وأفردوا له عددًا من الدراسات^(١)، بل إنّ بعض الباحثين^(٢) لا يمنع أن يقيس على التوهم.

أمّا توهم السّامع الذي تريده هذه الدراسة، فهو بمعنى التّصوّر والظنّ الذي يرى موجّه الاستعمال أنّه قد يتبادر إلى ذهن السّامع، ويكون غير مراد المتكلّم، وهذا التّوهم هو توهم افتراضي يفترضه موجّه الاستعمال اللغوي، سواء أكان نحوياً أم مفسّراً أم غيره ممّن يُعنون بتوجيه الاستعمال وتفسيره، وهو بذلك يُفارق التّوهم الشائع لدى الدارسين من جهتين:

الجهة الأولى: أنّ التّوهم الشائع منشؤه المتكلم، وهذا التّوهم مصدره السّامع.

الجهة الثّانية: أنّ التّوهم الشائع جاء - كما أسلفْتُ - تعليلاً للاستعمال الفصيح الذي خرج عن القاعدة، ولم يوجد له تعليل غيره، وقد يكون مرادفاً للغلط، أمّا التّوهم الذي تريده هذه الدّراسة فهو تفسير لاستعمال فصيح ومقيس، ولكن يُبيّن أنّ سبب اختياره هذه الصورة من الاستعمال دون غيرها هو مخافة توهم السّامع الذي يكون في أغلبه توهمًا مفترضًا من الموجّه أو المعلّل نفسه.

المبحث الأول: الوقف خوف توهم السامع

من المعلوم أنّ للوقف والابتداء أثرًا في تحديد المعنى، ومن ثمّ في التوجيه الإعرابيّ للألفاظ داخل التراكيب، ومن ذلك ما أورده الزجاجيّ في مجالسه^(٣) عن الكسائيّ

(١)(٦) مثل التعليل بالتوهم عند النحاة: أسبابه ونتائجه، أحمد الشايب عرباوي، مجلة الممارسات اللغويّة، جامعة مولود معمري تيزو وزو، العدد (٤)، مج (١٢)، ديسمبر ٢٠٢١م، الصفحات (١٤٥-١٦٠)، والتوهم ومطائنه في العربيّة، رقية محمد الخزامي، مجلة كليّة اللّغة العربيّة بالزّقازيق، العدد (٢١)، ٢٠٠١م، الصفحات (٥٩٩-٦٥٧)، وظاهرة التوهم عند المعاصرين: دراسة وتحليل، ليلي السبعان، مجلة كليّة دار العلوم، جامعة القاهرة، العدد (٣١)، ٢٠٠٤م، الصفحات (٢٩٩-٣٣٦).

(٢)(٧) ذهب إلى ذلك الباحث عبد الرزاق بن فراج الصاعديّ في بعض تغريداته خلال منصة (X)، وقد أصدر مجمع اللغة الافتراضي قراره ذا الرقم (٢٠) بإجازة صوغ الفعل الرباعي (مُعْجَم) مشتقًا من لفظ المعجم مراعاة لمعنى الميم على طريقة العرب في توهم أصالة الحرف الزائد. http://almajma3.blogspot.com.tr/2015/10/blog-post_13.html (٣) ينظر: (ص ١٩٥).



واليزيديّ حين تحاورا بحضرة الرشيد حول قول الشاعر:

لا يكون العيرُ مهرًا ** لا يكون المهرُ مهرُ

وكيف أنّ الكسائيّ عندما لم يراع الوقفَ، وظنَّ أنّ الكلام متّصلٌ رأى في البيت إقواءً، بينما راعى اليزيديّ الوقفَ وعدَّ البيت صحيحًا لا إقواء فيه، وقول الشاعر: «المهرُ مهرٌ» جملة مستأنفةٌ مكوّنة من مبتدأ وخبر، ولا أثر لـ (يكون) فيهما؛ لأنّه قد وُقفَ عليه.

والوقف والابتداء وأثرهما في توجيه الكلام العربيّ - وخاصة في ما يتعلّق بالقرآن الكريم - من الأمور الشائعة المعروفة لدى الدارسين، وقد قدّم فيها عددٌ من الدراسات (١)، وليس المقام هنا مقام مناقشة هذا الأمر، ولكنّي سأكتفي بتحليل ما يتعلّق بفكرة هذه الدِّراسة، وهو ما وُجّه فيه الوقف بخوف توهُم السّامع، ومن ذلك ما يأتي:

أولاً: خوف توهُم الكلمتين بكلمة واحدة:

مما هو مقرّر في علم الأصوات أنّ النون الساكنة تُدغم في الرّاء لقرب مخرجيهما، قال سيبويه: «النون تُدغم مع الرّاء، لقرب المخرجين على طرف اللسان، وذلك قولك: من رّاشد، ومن رّأيت» (٢).

وهذا هو الشائع لدى النّحويّين واللّغويّين (٣)، غير أنّ حفصاً روى عن عاصم أنّه قرأ في قول الله تعالى ﴿وَقِيلَ مَنْ رَاقٍ﴾ (٤) بسكّنة لطيفة على النون وإظهار الرّاء من (راق)، وقد أوردها أبو عليّ الفارسي، ثم قال: «لا أدري ما وجه قراءته» (٥)، إلا أنّ أبا (١) مثل الوقف والابتداء عند النحاة والقراء، رسالة دكتوراه، إعداد: خديجة أحمد مفتي، وأثر اختلاف القراءات القرآنية في الوقف والابتداء في كتاب الله عز وجل، بحث مشور، إعداد: عبد الرحمن الجمل، وغيرهما من الدراسات.

(٢) كتاب سيبويه (٤/٤٥٢).

(٣) ينظر: محمد بن يزيد المبرد، المقتضب، تحقيق: محمد عبد الخالق عزيمة، بيروت: عالم الكتب، (د.ط)، (د.ت)، (٢١٧/١)، وأبو البقاء موفّق الدين بن يعّيش، شرح المفصل، بيروت: عالم الكتب، (د.ط)، (د.ت)، (٥/٥٤٢)، وأبو حيان محمد بن يوسف الأندلسيّ، ارتشاف الضرب، تحقيق: د. رجب عثمان محمد، القاهرة: مكتبة الخانجي، (ط ١)، (١٤١٨هـ - ١٩٩٨م)، (٢/٧١٢).

(٤) سورة القيامة: ٢٧.

(٥) أبو عليّ الحسن بن أحمد الفارسيّ، الحجة للقراء السبعة، تحقيق: بدر الدين قهوجي، بشير جويجاني، دمشق

الحسن الضَّرير - كما نقل عنه تلميذه أبو الحسن الواحدي - قد علَّل هذا الوقف بسبب الخوف من أن يتوَهَّم السَّامع أن قوله تعالى: ﴿وَقِيلَ مَنْ رَاقٍ﴾ إذا وُصِلت قد تكون فعلاً من المروق (مَرَّاق) (١)، ونسب أبو حفص الصقليُّ هذا التعليل إلى بعض أهل العلم (٢)، وفي هذا التعليل نظرٌ من أوجه أبرزها:

أولها: أن إعراب (راقٍ) كاشفٌ أنَّها ليست (مَرَّاق)؛ لأنَّها لو كانت كذلك لَنُطِقت (مَرَّاقٌ). (٣)

ثانيها: أنَّ السِّياق لا يحتمل إلا أن تكون (من راقٍ) كلمتين منفصلتين لا كلمةً واحدةً، سواءً أكانت من الرُّقية أم من الرُّقي.

ثالثها: أنَّ غير حفصٍ قرأ دون سكتٍ، فهل يُعقل أن يكون حفصٌ وحده من راعى توَهَّم السامع، وغيره لم يرد ذلك في أذهانهم؟

إذن، فخوف توَهَّم السامع المشار إليه سابقاً - في ما أرى - غيرٌ مُتصوِّر، بل لا أظنُّ أنَّه كان حاضراً في ذهن حفص، ولكنَّ حفصاً كما هو معروفٌ اشتهر بسكاته، وهذه إحداها.

ثانياً: خوف التوَهَّم في الإعراب:

ومن المواطن التي سكت فيها حفصٌ عن عاصم سكتةً خفيفةً على آخر عوجاً (٤) من قول الله تعالى: ﴿وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا﴾ (٥) وقد علَّل هذا السكوت بخوف توهم وبيروت: دار المأمون للتراث، ط ٢، ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م (٣٤٦/٦).

(١) ينظر: أبو الحسن علي بن أحمد الواحدي، التفسير البسيط، تحقيق: د. محمد بن صالح الفوزان وآخرين، الرياض: شركة العبيكان للتعليم، ط ٢، ١٤٣٩هـ - ٢٠١٨م (٤٧٧/٢٢).

(٢) ينظر: عمر بن خلف الصقلي، تثقيف اللسان وفتح الجنان، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، بيروت: دار الكتب العلمية، ط ١، ١٤٠١هـ - ١٩٩١م (ص ٢٠٣).

(٣) ينظر: التفسير البسيط (٤٧٧/٢٢).

(٤) ينظر: شمس الدين أبو الخير بن الجزري، التَّشْرُفُ فِي الْقُرْآنِ الْعَشْرِ، تحقيق: علي محمد الضباع، بيروت: دار الفكر، (د. ط)، (د. ت)، (٣١٠/٢)، وأحمد بن محمد الدمياطي، إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر، تحقيق: أنس مهرة، بيروت: دار الكتب العلمية، ط ٣، ١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م (٢٠٨/٢).

(٥) سورة الكهف: ١، ٢.



السامع أن يكون قِيَمًا نَعْتًا (عَوَجًا)، أو بدلًا منه، وليس حالًا من (الكتاب) (١)، قال السمين الحلبي: «ووقف حفصٌ على تنوين (عَوَجًا) بيدله ألفًا، ويسكت سكتةً لطيفةً من غير نفس، إشعارًا بأنَّ (قيَمًا) ليس متَّصلاً بـ(عَوَجًا)، وإنما هو من صفة الكتاب، وغيره لم يعبأ بهذا الوهم فلم يسكت اتِّكالا على فهم المعنى» (٢).

إذن، فحفصٌ خاف أن يتوهم السامع فيخلط في التوجيه الإعرابي (لِقيَمًا)، وقيل: إنَّ هذا الاستحضار من حفص قد جاء موافقًا لبعض مصاحف الصحابة: «لم يجعل له عَوَجًا، ولكن جعله قِيَمًا» (٣).

ويؤيد خوف حفصٍ توهم السامع الرواية التي أوردها ابن هشام من أنَّ شيخًا كان يُعلِّم تلميذه إعراب هذه الآية فقال: إنَّ (قيَمًا) صفةٌ لـ(عَوَجًا)، قال قائلٌ له: يا هذا، كيف يكون العوجُ قِيَمًا؟ وترخَّم على من وقف من القراء على ألف التنوين في (عَوَجًا). (٤)

وأقول: إنَّ الخوف يُمكن أن يكون ممَّن ليس له أدوات التأمل، أو أن يقرأ دون استحضار، أمَّا المتأمل والمستحضر فلا يقع منهما هذا التوهم فضلًا عن العالم بالتحو وأسراره، وحفصٌ مصيبٌ في صنيعه هذا؛ لأنَّ القرآن يقرؤه ويستمع إلى قراءته المسلمون بكل طوائفهم، وأرى في الوقت نفسه أنَّ الجاهل بأسرار الوقف قد يسلم من نعت صنيع حفص بخوف التوهم، وهذا - في ما أرى - من الأشياء التي يكون العالم بها محترزًا من أمور لا يقع فيها غيره، إذ إنَّ سياق الآية ومعاني الألفاظ الواردة حامية من هذا التوهم.

(١) تعددت أوجه إعراب (قيَمًا)، وليس المجال مجال ذكرها، وللإستزادة من ذلك يُنظر: المنتجب بن أبي العز الهمداني، الكتاب الفريد في إعراب القرآن المجيد، تحقيق: محمد نظام الدين الفتيح، المدينة المنورة: مكتبة دار الزمان، ط ١، ١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م (٢٣٧/٤)، وأحمد بن يوسف الحلبي، الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، تحقيق: د. أحمد الخراط، دمشق: دار القلم، ط ٤، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م (٤٣٣/٧)، وجمال الدين عبد الله بن أحمد بن هشام، مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، تحقيق وشرح: د. عبد اللطيف الخطيب، الكويت: المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، ط ١، ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م (٣٠/٦).

(٢) الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، (٤٣٤/٧ - ٤٣٥).

(٣) ينظر: محمد بن جرير الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، بيروت: دار الفكر، (د.ط)، ١٤٠٥هـ (١٧/٥٩١)، والدر المصون في علوم الكتاب المكنون، (٤٣٥/٧)، وقد عدّها أبو حيان في البحر المحيط (٩٤/٦) تفسير معنى لا قراءة.

(٤) ينظر: مغني اللبيب (٣٠/٦).

المبحث الثاني: التقديم خوف توهم السامع

التركيب في اللغة العربية تركيب متَّسِمٌ بالمرونة فتجد ما حُفَّه التقديم قد يأتي متأخراً، ومن أسباب ذلك أنَّ اللغة العربية لغةٌ معربة، فالعلامة الإعرابية الواقعة في آخر الكلمة تحدّد وظيفتها مهما كان موقعها، ومن هنا كان التقديم والتأخير أمراً مقبولاً في هذه اللغة، بل رُبَّما لا يمكن الاستغناء عنه أحياناً^(١)، وهذا أمرٌ معروف ومُشارٌ إليه في غير باب من أبواب النحو التي يكون في تراكيبها شيء من الترتيب، كجواز تقديم المفعول به على الفاعل وتقديم الخبر على المبتدأ، وهكذا.

• وجوب تقديم المبتدأ على الخبر:

من المواطن التي وقع فيها التقديم والتأخير تقديم الخبر على المبتدأ، وهو أمرٌ معروفٌ لدى النحويين، وشائع في مصنفاتهم، ومنه الجائز والواجب.^(٢)

ومّا يتصل بفكرة هذا البحث اشتراط تقديم الخبر على المبتدأ في أساليب وردت عن العرب، منها قولهم: (لله دُرْكُ!) فلا يفهم منها معنى التَّعَجُّب إلا بتقديم الجارّ والمجرور على المبتدأ، ومن ذلك ما قاله ابن مالك في حديثه عن قول الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾^(٣) «فإن الخبر فيها لازم التقديم (٤)، وذلك أنَّ المعنى: سواء عليهم الإنذار وعدمه، فلو قُدِّم (أأنذرتهم) لتوهم السامع أنَّ المتكلم مستفهمٌ حقيقةً، وذلك مأمونٌ بتقديم الخبر». (٥)

(١) ينظر: التقديم والتأخير بين النحويين والبلاغيين، محمد جواد الطريحيّ مجلة كلية الآداب، جامعة بغداد، العدد: ٩٦، (ص ١).

(٢) ينظر على سبيل المثال: المقتضب (١٩٠/٤)، وأبو الفتح عثمان بن جني، اللّمع في العربية، تحقيق: حامد المؤمن، بيروت: عالم الكتب - مكتبة النهضة العربية، ط ٢، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م (ص ٣٠)، وشرح المفصل لابن يعيش (٢٣٤/١).

(٣) البقرة: ٦.

(٤) ما صرّح به ابن مالك هنا من أنَّ (سواء) خبر واجب التقديم أحد آراء قيلت في إعراب هذه الآية الكريمة، وهناك من يرى أنَّ (سواء) مبتدأ، والجملة بعده خبر، وغير ذلك من الوجوه. ينظر: أبو جعفر أحمد بن محمد النحاس، إعراب القرآن، تحقيق: د. زهير غازي زاهد، بيروت: عالم الكتب ومكتبة النهضة العربية، ط ١، ١٤١٧هـ - ١٩٩٦م (١/١٨٤)، وأبو حيان محمد بن يوسف الأندلسي، التذيل والتكميل في شرح كتاب التسهيل، تحقيق: أ.د. حسن هندواوي، كنوز إشبيلية، الرياض، ط ١، ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م (٣٤٧-٣٤٨).

(٥) جمال الدين محمد بن عبد الله بن مالك، شرح التسهيل، تحقيق: د. عبد الرحمن السيد، ود. محمد



يتبيّن من نص ابن مالك السابق أنّ من أسباب تقدّم الخبر دفع التوهّم الذي قد يؤدي إليه تأخير، وهذا يعني أنّ النحويّ العربيّ كان يُراعي في تفسيره الظواهر اللغوية توهّم السّامع الذي يُعدُّ أهم طرق التّواصل بين منشئ النّص ومتلقيه، وليس كما يذهب بعض الباحثين إلى أنّ النّحويين العرب لم يكونوا على عناية بالدلالات التي يؤديها التقديم والتأخير، بل كل عنايتهم - حسب هذا الباحث - كانت مقصورةً على الناحية المعيارية من جواز التقديم والتأخير. (١)

• وجوب تقديم الاسم على اللقب

أشار النّحويون إلى وجوب تقديم الاسم على اللقب حين اجتماعهما، معلّلين ذلك بخوف توهّم السّامع، قال ابن مالك: «وهذا أيضاً موجب لتقديم الاسم على اللقب؛ لأنّ اللقب في الغالب منقول من اسم غير إنسان كبطة وقفه وكرز، فلو قدّم لتوهّم السامع أنّ المراد مُسمّاه الأصليّ، وهذا مأمون بتأخير». (٢)

فمن هذا النصّ يُبيّن ابن مالك أنّ موجب تقديم الاسم على اللقب هو خوف توهّم السامع من أنّ المراد من اللقب مُسمّاه الأصليّ وليس اللقب، وقد وردت بعض الاستعمالات التي تقدّم فيها اللقب على الاسم كقول الله تعالى: ﴿وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ﴾ (٣٤) [النساء: ١٥٧]، وقوله: ﴿إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ﴾ (٤)، ففي هاتين الآيتين تقدّم اللقب (المسيح) على الاسم (عيسى)، وكذا في قول أوس بن الصّامت:

أنا ابنُ مزيقيا عمرو وجدي * أبوه منذرُ ماء السماء (٥)

فتقدّم اللقب (مزيقيا) على الاسم (عمرو)، ومثل هذا قول جنوب أخت عمرو

بدوي المختون، القاهرة: هجر للطباعة والنشر، ط ١، ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م (٣٠١/١).

(١) ينظر: التقديم والتأخير بين النحويين والبلاغيين، ص ١.

(٢) شرح التسهيل، (١/١٧٤).

(٣) (٤) سورة النساء: ١٥٧.

(٤) سورة النساء: ١٧١.

(٥) بيت من الوافر منسوب إلى أوس بن الصامت في التصريح بمضمون التّوضيح، (١/٣٨٢)، ومنسوب إلى بعض الأنصار في خزانة الأدب (٤/٣٦٥)، وبلا نسبة في ارتشاف الضرب (٢/٩٦٥).

ذي الكلب:

أَبْلُغْ هُذَيْلًا وَبَلِّغْ مَنْ يَبْلُغُهَا ** عَنِّي حَدِيثًا وَبَعْضَ الْقَلْبِ تَكْذِيبُ

بَأَنَّ ذَا الْكَلْبِ عَمْرًا خَيْرَهُمْ نَسَبًا ** بِيْطْنِ شَرِيَّانَ يَعْوِي حَوْلَهُ الذِّيبُ (١)

حيث تقدّم اللقب (ذا الكلب) على الاسم (عمرًا)، وهذه الاستعمالات هي استعمالات فصيحة عالية (٢)، وأرى أنّ توهُم السامع مأمونٌ في ما سبق من استعمالات؛ إذ إنّ (المسيح) - وإن كان لقبًا - أشهر من (عيسى)؛ لأنّ (المسيح) لا يقع إلا على عيسى عليه السّلام، بخلاف الاسم (عيسى) فهو متعدّد (٣)، و(ذو الكلب) واضحٌ من هذا التّركيب الإضافي أنّه لقب لا اسم، وكذلك (مزيقيا)؛ إذ إنّ عمرًا - كما قيل - كان يلبس خُلّتين، فإذا أمسى مَرّهُما كراهةً أن يلبسَهُما مرّةً ثانيةً أو يلبسَهُما غيره (٤)، ولا يُمكن أن يختلط مع (عمر) في الاسميّة، ولذا حينما أُمن توهم السّامع في مثل الأساليب السّابقة جاز أن يتقدّم اللقب على الاسم.

المبحث الثالث: اختيار اللفظ خوف توهُم السّامع

أولاً: اختيار أحد المترادفين

من المعلوم أنّ التّردّد واقعٌ في اللغة العربيّة، وله من يؤيّدوه، وقد ظهرت مصنّفات في ذلك، أبرزها: الألفاظ المترادفة والمتقاربة في المعنى، لأبي الحسن الرّمّاني (ت ٣٨٤هـ) (٥)، كما أفرد غير واحد من العلماء أبواباً في مصنّفاتهم للتّردّد من مثل ابن جني في

(١) بيتان من البسيط منسوبان إلى جنوب الهذليّة في شرح أشعار الهذليين (٢/٥٨٠)، وشرح التسهيل (١/١٧٤)، وتمهيد القواعد (٢/٦٠١).

(٢) ينظر: محمد المالكي، الكنية واللقب في القرآن الكريم: دراسة نحويّة دلاليّة، بحث منشور في مجلّة الإمام الشّاطبيّ للدراسات القرآنيّة، (ص ١٧).

(٣) ينظر: حاشية يس على التّصريح، (١/١٢).

(٤) ينظر: خالد زين الدين بن عبد الله الأزهرّي، التّصريح بمضمون التّوضيح، تحقيق: أ.د. عبد الفتاح بحيري إبراهيم، القاهرة: الزهراء للإعلام العربي، ط ١، ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م (١/٣٨٣).

(٥) حققه فتح الله صالح المصري.



كتابه الخصائص^(١)، والسيوطي في المزهري في علوم اللغة وأنواعها^(٢)، وقد وُجد من أنكر التّرادف^(٣)، غير أنّي لستُ معنيًا هنا ببسط القول في هذه المسألة، فقد كفاني فيه غيرُ باحث. (٤)

ومن أنواع التّرادف أن يكون الاسم الثاني ضَرْبًا من أضرب الاسم الأول، ولكنّه يُعني عنه إذا افترقا، ومن ذلك أنّنا نقول: (ذهب زيدٌ منطلقًا)؛ فالانطلاق نوع من أنواع الدّهَاب فيه شيءٌ من السّرعَة والخلوّ من القيد، ولكنّا إذا قلنا: (انطلق زيدٌ) أغنانا عن قولنا: (ذهب زيد)، وهذا ما أشار إليه سيبويه حين تحدّث عن التّرادف؛ إذ قال: «اعلم أنّ من كلامهم... واختلاف اللفظين والمعنى واحد». (٥)

ثمّ مثّل لهذا النّوع من الكلام بقولهم: ذهب وانطلق. (٦)

ومن هذا النّوع من التّرادف: الإفاضة والدّفع، قال أبو بكر الأنباري: «ومعنى الإفاضة الدّفع بالكثرة»^(٧)، فمن هذا النّص يتّضح أنّ الإفاضة نوع من أنواع الدّفع، وقد رُوِيَ أنّ العرب كانت تُطلق على الانصراف من عرفات الدّفع ومن مزدلفة الإفاضة، غير أنّه ورد في القرآن الكريم ما يُخالف هذا المرويّ، وذلك في قول الله تعالى: ﴿فَإِذَا أَفَضْتُمْ مِنْ عَرَفَاتٍ فَاذْكُرُوا اللَّهَ عِنْدَ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ﴾^(٨)، ومما قيل في ذكر أسباب إطلاق الإفاضة على الانصراف من عرفات واختيار هذا اللفظ دون الدّفع تجنّب ما قد يتوهّمه السّامع أنّ

(١) ينظر: (١١٣/٢).

(٢) ينظر: (٤٠٢/١).

(٣) كأحمد بن فارس، وأبي هلال العسكري، وغيرهما.

(٤) منهم عبد الجبار بلال منير في بحثه الموسوم: (التّرادف تعريفه وأسبابه وشروطه وآراء العلماء حوله) المنشور في مجلة كلية اللغة العربية بجامعة أم درمان، السودان، العدد: (١) (٢٠١٣م)، وعائِد جدوع حنون في بحثه الموسوم: (ظاهرة التّرادف بين الواقع اللغوي وآراء الدّارسين) المنشور بمجلة القادسية للعلوم الإنسانية، المجلد: (١٣)، العدد: (١) (٢٠١٠م)، وغيرهما من الباحثين.

(٥) كتاب سيبويه، (٢٤/١).

(٦) السابق: (٢٤/١).

(٧) محمد بن القاسم الأنباري، الزّاهر في معاني كلمات النّاس، تحقيق: د. حاتم الضامن، بيروت: مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤١٢ هـ - ١٩٩٢م (٣٤٤/٢).

(٨) سورة البقرة: ١٩٨.

في هذا السير اشتمالاً على دفع النَّاس بعضهم بعضاً، يقول ابن عاشور: «ولأن في تجنب دفعتم تجنباً لتوهم السامعين أن السير مشتملٌ على دفع بعض الناس بعضاً؛ لأنهم كانوا يجعلون في دفعهم ضوضاء وجلبةً وسرعةً سير». (١)

وأقول: إنَّ الإفاضة نوع من الدَّفْع، وهي ترادفه إذا افترق اللفظان، وما زُويَ عن العرب ليس بلازم، ولا معيارٌ يحكمه، فمن وجهة نظري أنَّ هذه الرواية إن صحَّت فالهدف من اختيار كل لفظ لمكان رُبَّما يعودُ إلى تحديد الانطلاق من مكان بعينه، فإذا قال المرء: أفضتُ فُهم أنَّه من مزدلفة، وإذا قال: دفعْتُ فُهم أنَّه من عرفات، ولكن هذا لا يمنع أن يُستعمل اللفظ للمكان الآخر، وخاصَّةً إذا صُرحَ باسم المكان، أمَّا التَّوهم الذي يُخاف على السَّامع منه، وقيل به في تعليل ورود (أفضتم) في الآية الكريمة فيَّي لا أراه.

ثانياً: اختيار إحدى صيغ الفعل

الفعل ذو دلالة على الزمان، يقول سيبويه: «وأما الفعل فأمثلةٌ أُخذت من لفظ أحداث الأسماء، وبُنيت لما مضى، ولما يكون ولم يقع، ولما هو كائنٌ لم ينقطع». (٢)

فسيبويه في هذا النص يُقسِّم زمن الفعل إلى ماضٍ وحاضرٍ ومستقبل. (٣)

ومعلومٌ أنَّ الماضي ما دلَّ على زمانٍ قبل الإخبار بالفعل، وهذا يكون بصيغة الفعل الماضي، ك(ذهب، وعلم) والمضارع ما كان في زمن الحال أو الاستقبال، ك(يذهب، وسيذهب) (٤)، وهذا ممَّا قرَّره النحويُّون، وقد أورد السيرافيُّ افتراض طعنٍ في هذه القسمة، وذلك أنَّ الزمن الحاضر لا وجود له، ورد على هذا الطَّعن، وليس المقام مقام بسط هذا

(١) يُنظر: محمد الطاهر بن محمد بن عاشور، التحرير والتَّووير، تونس: دار سحنون للنشر والتوزيع، (د.ط)، ١٩٩٧م (٢٣٨/٢).

(٢) كتاب سيبويه (١٢/١).

(٣) يُنظر: أبو سعيد الحسن بن عبد الله السيرافي، شرح كتاب سيبويه، تحقيق: د. عبد المعطي قلعي، القاهرة: شركة القدس للنشر والتوزيع، ط ١، (د.ت)، (٢٤/١).

(٤) يُنظر: عبد القاهر بن عبد الرحمن الجرجاني، المفتاح في الصَّرف، تحقيق: د. علي توفيق الحمد، بيروت: مؤسسة الرسالة، ط ١، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م (ص ٥٣).



القول. (١)

والذي يعني من هذا الأمر أنَّ اختيار صيغة من صيغ الفعل قد عُول عليه في دفع توهم السامع، ومن ذلك ما ورد في تفسير قول الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَىٰ﴾ (٢) إذ قال الطاهر بن عاشور: «وعبر في (يكتمون) بالفعل المضارع للدلالة على أنهم في الحال كاتمون للبيّنات والهدى، ولو وقع بلفظ الماضي لتوهم السامع أنَّ المعنيَّ به قومٌ مضوا مع أنَّ المقصود إقامة الحجّة على الحاضرين». (٣)

ففي هذا النص يُبين ابن عاشور أنَّ التعبير بصيغة المضارع دون الماضي هو خوف توهم السامع في المقصودين بالكتمان.

ومعنى صيغة الفعل مركبٌ من دالتين دلالة الحدث ودلالة الزمن، وهما معنيان وظيفيّان لا ينفكّان عن صيغة الفعل (٤)، وبناءً على ذلك تحتفظ كلُّ صيغة بما لها من الدلالات، وهذا هو الأغلب الأعمُّ، إلا أنَّه قد وُجد أنَّ هذه الصيغ تتعاور فيقع بعضها موقع الآخر؛ إذ يقع الماضي موقع المضارع، ويقع المضارع موقع الماضي، قال سيبويه: «وقد تقع (نفعل) في موضع (فعلنا) في بعض المواضع». (٥)

بل إنَّ هذا التّعاور قد يكون مطلباً أحياناً، ويؤدي إلى معنى بلاغي لا تؤدّيه الصّيغة الأصلية للفعل، ومن ذلك أنَّ المضارع قد يأتي بصيغة الماضي لتحقيق وقوعه، كقول الله تعالى: ﴿آتَىٰ أَمْرُ اللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ﴾ (٦)، أي يأتي، وغير ذلك من الآيات، وقد جاء في الشعر أيضاً، كقول الحطيئة:

(١) ينظر: شرح كتاب سيبويه للسيرا في (٢٤/١) وما بعدها.

(٢) سورة البقرة: ١٥٩.

(٣) التحرير والتنوير (٦٦/٢).

(٤) ينظر: عاطف بن طالب الرفوع، التعاور بين الفعل الماضي والمضارع في ضوء نظرية السياق، مجلة الدراسات اللغوية، مجلة الدراسات اللغوية، المجلد (١٧)، عدد (٢)، ربيع الآخر - جمادى الآخرة ١٤٣٦هـ، فبراير - إبريل ٢٠١٥م (ص ١٩٠).

(٥) كتاب سيبويه ٢٤/٣.

(٦) النحل: ١.

شهد الخطيئة حين يلقي ربه ** أن الوليد أحق بالعدر (١)

أي: يشهد، والسياق هو الذي بيّن ذلك، لأنّ هذه الشهادة لا تكون إلا يوم القيامة، ولكنّه لتحقيق وقوعها عبر عن المضارع بصيغة الماضي. (٢)

وأما مجيء الماضي بصيغة المضارع فغايتة إفادة التأكيد وتقوية المعنى وإفادة الدوام والاستمرار، وهناك أدوات ومواطن ذكر النحويّون فيها أنّ المضارع قد وقع فيها موقع الماضي، ومنها (لو)، قال الله تعالى: ﴿لَوْ يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِّنَ الْأَمْرِ لَعَنِتُّمْ﴾ (٣) أي: لو أطاعكم، وغير ذلك من المواطن والسياقات. (٤)

وقد اشترط بعض النحويّين أن يؤمّن مع التّعاور اللبس. (٥)

أقول: ولعل الطاهر ابن عاشور استشعر أنّ التعاور بين الصيغتين مُلبسٌ، فبيّن لماذا جاء قوله تعالى: (يكتُمون) على صيغة المضارع دون صيغة الماضي (كتموا)، وفي تعليقه مراعاة لفهم السامع، وهو ممّا يجب أن يراعى إذا انعدم السياق المؤدي إليه، وأراه قد وُفّق في هذا التّوضيح، إذ إنّ لا قرينة دالّة على الممراد لو عُبر عنه بصيغة الماضي.

اختيار إحدى الأدوات:

الأدوات أو حروف المعاني ذات معانٍ متعدّدة، وقد تتقارض الأدواتان المعنى، فتأتي الأداة محتملةً معنى الأداة الأخرى، ويُحدّد السّياق المعنى المراد من الأداة، وهذا كلّهُ معروفٌ ومبسوط في كتب حروف المعاني وفي بعض كتب النحو والتفسير وشروح الدواوين وغيرها.

ومن هذه الأدوات (حتّى) التي جاءت على عدد من المعاني، منها أن تكون للاستثناء بمعنى (إلا)، كقول الشاعر:

(١) بيت من الكامل للخطيئة في ديوانه، (ص ٢٩٥)، والتذييل والتكميل، (٣١٣/٧).

(٢) ينظر: التعاور بين الفعل الماضي والمضارع، (ص ٢٨).

(٣) سورة الحجرات: ٧.

(٤) للاستزادة ينظر: التعاور بين الفعل الماضي والمضارع، (ص ٢٨).

(٥) ينظر: الخصائص (٣/٣٣١)، والتعاور بين الفعل الماضي والمضارع، (ص ٢٨-٣٠).



ليسَ العطاء من الفضولِ سماحةً ** حتى تجودَ وما لديك قليلُ (١)

قال ابن مالك: «بناءً على أنَّك لو جعلتَ (إلا أن) مكان (حتى) فقلت: ليس العطاء من الفضول سماحةً إلا أن تجود وما لديك قليلُ كان المعنى صحيحاً». (٢)

وقال بمجيئها على هذا المعنى غير واحدٍ من النحويين كابن هشام (٣)، وابن نور الدين الموزعي. (٤)

وقد ورد عكس هذا فقول: إنَّ (إلا أن) بمعنى حتى، قال سيبويه: «وأما قولهم: والله لا أفعلُ إلا أن تفعل، ف(أن تفعل) في موضع نصبٍ، والمعنى: حتى تفعل». (٥)

فمما سبق يتبيَّن أنَّ النحويين يرون تقارض (حتى) و(إلا) الاستثنائية المعنى، وخاصة إذا تبع (إلا) (أن) المصدرية، إلا أنَّ الطاهر بن عاشور قد منع مجيء (حتى) بمعنى (إلا) في قول الله تعالى: ﴿لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ﴾ (٦)، إذ قال: «وقد جعل الإنفاق من نفس المال المحبَّ غايةً لا تنفأ نوال البرِّ ... فظهر لـ (حتى) هنا موقعٌ من البلاغة لا يخلفها فيه غيرها، لأنَّه لو قيل: إلا أن تُنفقوا ممَّا تُحبُّون لتوهَّم السامع أنَّ الإنفاق من المحبِّ وحده يوجب البرَّ، وفاتت الدلالة على المسافات والدراجات التي أشعرت بها حتى الغائية». (٧)

فيتَّضح ممَّا سبق أنَّ ابن عاشور جعل (حتى) هنا غائيةً، وهو ما ذهب إليه غير واحد من المفسرين (٨)، ثمَّ بيَّن هنا أنَّ (حتى) لا تكون بمعنى (إلا)؛ لأنَّ ذلك سيُوهم

(١) بيتٌ من الكامل منسوب إلى المقنَّع الكندي في شرح ديوان الحماسة للمرزوقي (١٢١٧) وبلا نسبة في شرح التسهيل (٢٤/٤)، والجنى الداني (٥٥٥)، ومغني اللبيب (٢٧٢/٢).

(٢) شرح التسهيل (٢٤/٤).

(٣) ينظر: مغني اللبيب (٢٦٠/٢).

(٤) ينظر: محمد بن علي الموزعي، مصابيح المغاني في حروف المعاني، دراسة وتحقيق: د. عائض بن نافع العمري، القاهرة: دار المنار، ط ١، ١٤١٤ هـ - ١٩٩٣ م (ص ٢٣٢).

(٥) كتاب سيبويه (٣٤٢/٢).

(٦) سورة آل عمران: ٩٢.

(٧) التحرير والتنوير (٦/٤).

(٨) ينظر: الدر المصون (٣١٠/٣).

السَّامِعُ أَنَّ الإنفاقَ من المُحَبِّ هو وحده الذي يُنال به البرُّ، وسيلغي معنى دلاليًّا، وهو التدرُّج في الإنفاق الذي أفادته (حتَّى) الغائيَّة، وأرى أَنَّ ابن عاشور قد وُفِّق في هذا التوجيه للآية الكريمة، ومراعاته فهمَ السَّامِع، ومحافظته على دلالة التدرُّج التي أشار إليها.

المبحث الرابع: الذِّكْر الدَّافِع لتَوْهَم السامع

أولاً: الحرص على عدم الحذف

الأصل في المفردات داخل التَّركيب أن تُذكرَ، ويجوز حذف ما دلَّ عليه دليل (١)، وهو موضوع تناوله النَحْوِيُّونَ ونصَّ عليه البلاغيُّون في علم المعاني (٢)، والعنصر المحذوف قد يكون أحد طرفي الإسناد، وقد يكون بعض مكملات الجملة (٣).

ومن مكملات الجملة التي تناولها النَحْوِيُّونَ بحديثٍ عن جواز حذفها وعدمه الحال، يقول ابن جني: «وحذف الحال لا يحسن، وذلك أَنَّ الغرض فيها إنما هو تأكيد الخبر بها ... فأما ما أجزناه من حذف الحال في قول الله تعالى: ﴿فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ﴾ (٤)، أي: فمن شاهده صحيحاً بالغا فطريقه أَنَّهُ لما دلت الدلالة عليه من الإجماع والسُّنة جاز حذفه تخفيفاً» (٥).

فمن خلال هذا النص يتبيَّن أَنَّ ذكر الحال أولى من حذفها، غير أَنَّ ما استثناه ابن جني من جواز حذف الحال لدليل هو ما جاز فيه الحذف عموماً، وقد كان ابن مالك أكثر إيضاحاً لشرط حذف الحال حين بيَّن أَنَّ حذفها جائز ما لم تُنبَّ عن غيرها (٦).

-
- (١) ينظر: محب الدين محمود بن يوسف ناظر الجيش، تمهيد القواعد بشرح تسهيل الفوائد، دراسة وتحقيق: د. علي محمد فاخر وآخرين، القاهرة: دار السلام للطباعة والنشر، ط ١، ١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م (٤/١٧٥٨).
- (٢) ينظر: يحيى بن حمزة العلوي، الطراز لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز، تحقيق: د. عبد الحميد هنداي، بيروت: المكتبة العصرية، (د.ط)، (د.ت) (٣/١٦٣).
- (٣) ينظر: حسن طبل، علم المعاني في الموروث البلاغي تأصيل وتقييم، المنصورة: مكتبة الإيمان، ط ٢، ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م (ص ١٠٥).
- (٤) سورة البقرة: ١٨٥.
- (٥) الخصائص (٢/٣٨٠-٣٨١).
- (٦) ينظر: شرح التسهيل (٢/٣٤٨).



والذي يعني هذا البحث ما نُصّر فيه على أنّ سبب وجوب ذكر الحال هو خوف توهُّم السّامع معنًى غير المعنى المراد، وممّا جاء في ذلك ما ذكره ابن الجوزيّ عن الجملة الفعلية الواقعة حالاً في قول الله تعالى: ﴿فَأَتَتْ بِهِ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُ﴾^(١)، إذ بيّن أنّ سائلاً قد يسأل عن فائدة ذكر جملة (تحمله) مع أنّ قوله تعالى: ﴿فَأَتَتْ بِهِ﴾ مُغْنٍ عنها، ثمّ أجاب عن ذلك بأنّ السياق الذي وردت فيه هذه الآية فيه آيات معجزات، ومنها أنّ عيسى عليه السّلام قد تكلم، وهو في المهد، وعدم ذكر قوله تعالى: (تحمله) قد يوهم السّامع أنّه جاء ساعياً على قدميه، فيكون سعيه في هذه المرحلة المبكّرة آيةً كنطقه، ومع ذكر هذه الجملة يزول هذا التوهُّم، ويُعلم أنّه كسائر الأطفال.^(٢)

وأرى أنّ ابن الجوزيّ قد أحسن في طرح السؤال الافتراضيّ الذي أورده بقوله: «فإن قيل...»، ثمّ أجاب عنه بما ذكرته سابقاً، وذلك أنّ مراعاة السيّاق ذات أهميّة بالغة، والتّوهم لدى السّامع قد يحضّر - كما أشار إلى ذلك - عند حذف الجملة الحالية (تحمله)، والذّكر هنا أبلغ من الحذف لإزالة هذ التّوهم.

ثانياً: ذكر ما يدفع التّوهم:

النّاظر في الثّراث النّحويّ يجد أنّ النّحويّين فسّروا ذكر بعض الألفاظ بدفع توهم السّامع، وممّا جاء من ذلك ما يأتي:

١- التّوكيد:

من المعلوم أنّ التّوكيد بنوعيه: اللفظيّ والمعنويّ يأتي ليُزيل احتمالاً يقع في النفس من ذكر اسم ما، وهذا الاحتمال يكون بحذف مضاف، كأن يقول قائل: (جاء الوزير) فيحتمل أنّ الجائي أحد وكلائه أو خطاب منه أو ما إلى ذلك، وقد أشار النّحويّون إلى ذلك.^(٣)

(١) سورة مريم: ٢٧.

(٢) ينظر: جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن الجوزيّ، زاد المسير، تحقيق: عبد الرزاق المهديّ، بيروت: دار الكتاب العربي، ط ١، ١٤٢٢هـ (٢٨/٣).

(٣) ينظر: المع في العربية (٨٤)، وأوضح المسالك (٢٨/٣).

غير أن ابن مالك كان صريحاً في أن التوكيد يأتي لإزالة توهم السامع، إذ قال: «التوكيد المعنوي هو المعتد به في التوابع، وهو على ضربين: أحدهما: الذي قصد به رفع توهم السامع أن المتكلم حذف مضافاً وأقام المضاف إليه مقامه، نحو: قتل العدو زيد نفسه... والثاني: أن يُقصد به رفع توهم السامع أن المتكلم وضع العام موضع الخاص، نحو قولك: جاء بنو فلان كلهم».(١)

والمقابل في المثالين اللذين أوردهما ابن مالك يجد أن المضاف الذي قد يتوهمه السامع في المثال الأول: (قتل العدو...) يُقدَّر بـ(جند) مثلاً، فيكون زيد على هذا التقدير أمراً بالقتل لا مباشراً له، بخلاف التوكيد الذي يُزيل هذا الاحتمال.

وفي المثال الثاني: (جاء بنو فلان كلهم) قد يتوهم السامع أن بعضهم جاء لو لم يُذكر لفظ التوكيد (كل) الذي أزال هذا الوهم، وأفهم أنهم جميعاً حضروا لا بعضهم.

٢- ضمير الفصل:

ضمير الفصل - كما يُسمّيه البصريون - أو ضمير العماد لدى الكوفيّين هو «ضمير رفع منفصل يفصل بين المبتدأ والخبر أو ما أصلهما المبتدأ والخبر، ليدلّ على أن الاسم بعده خبر، وليس صفةً أو بدلاً أو غير ذلك من المكملات».(٢)

ومن أمثله قول الله تعالى: ﴿فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ﴾.(٣) وضمير الفصل شروط ومواضع وأغراض ليس المقام مقام ذكرها(٤)، والذي يعني البحث ما فسّر به بعض النحويّين أن ضمير الفصل جيء به لرفع التوهم الذي يكون لدى السامع، ومن ذلك ما جاء عند ابن مالك إذ يقول: «ومن مواضع هذه اللام(٥) الفصلُ المسَمَّى عماداً... وجاز

(١) شرح التسهيل (٢٨٩/٣).

(٢) مها الخضير، ضمير الفصل دراسة نحوية قرآنية، حولية كلية اللغة العربية بالزقازيق، العدد: (٣٧)، (١٤٣هـ - ٢٠١٧م (ص ٣٦٧)، ويُنظر -من قبل- المقدمة الجزولية في النحو (١٨٤).

(٣) سورة الحديد: ٢٤.

(٤) ينظر: ضمير الفصل دراسة نحوية قرآنية (ص ٣٦٨ - ٣٧١).

(٥) يعني لام الابتداء.



أن تدخل عليه؛ لأنَّه مقوِّ للخبر، برفعه توهم السامع كون الخبر تابعاً». (١)

فقد نصَّ ابنُ مالك أنَّ ضمير الفصل جيء به رافعاً لتوهم قد يحصل من السامع في كون الخبر الواقع بعد ضمير الفصل تابعاً، وهذا الذي صرَّح به ابن مالك هنا يمكن أن يفهم من كلام إمام التَّحَوِّيِّين سيبويه حين ذكر ناقلاً عن شيخه الخليل أنَّ المتكلِّم إذا ذكر مبتدأً لزمه أن يذكر خبراً بعد المبتدأ، وإلا ففسد الكلام ولم يسُغ، فإذا ذكر ضمير الفصل استدللَّ المحدث أنَّ الاسم قد تمَّ وأنَّ ما بعده ليس منه. (٢)

فالفائدة التي أفادها ضمير الفصل - كما يرى الخليل وسيبويه - هي الإعلام بأنَّ الاسم قد تمَّ، وأنَّ ما بعد الضمير هو الخبر. (٣)

وفي هذا الموضوع والموضع السَّابِق له دليلٌ على أنَّ التَّحَوِّيِّين راعوا السامع وفهمه في درسهم، بل وضعوا أبواباً تُعنى بذلك، وهذا يدفعُ التُّهمة التي نراها ونسمعها أحياناً من بعض الدارسين الذين يرون أنَّ التَّحَوِّيِّين غيَّبوا المعنى عن اهتمامهم النحوي. (٤)

المبحث الخامس: تركيب الألفاظ وزيادتها وأثرها في توهم السامع

أولاً: التركيب الدَّافع للتوهم:

الأصل في الكلمات أن تكون مفردةً، ولا سيَّما الأسماء، إلا أنَّ التَّحَوِّيِّين قد لاحظوا أنَّ بعض الأسماء اتصلت بأسماء أخرى وارتبطت بها في علاقة ليست إسنادية ولا إضافة، وهو ما وسموه بتركيب المزج (٥)، ومن أنواع هذا التَّركيب الأعداد المركَّبة، وهي الأعداد من أحد عشرَ إلى تسعة عشرَ، ولهذه الأعداد أحكام في الإعراب والبناء ليس المقام مقام الوقوف عندها، وأصل هذه الأعداد تعاطف جزأيها، (فخمسة عشرَ) مثلاً

(١) شرح التسهيل (٢/٢٧).

(٢) كتاب سيبويه (٢/٣٨٩).

(٣) ينظر: ضمير الفصل دراسة نحوية قرآنية (ص ٣٦٨).

(٤) أشار إلى هذا غير واحد من الدارسين المحدثين، ومن ذلك ما جاء في مقدمة دراسة بعنوان: (النحو والمعنى: دراسة في معني اللَّبِيب).

(٥) ينظر: محمد بن عبد الله المالكي، تركيب المزج وأثره في الإعراب والبناء، مجلة الجامعة الإسلامية للغة العربية وآدابها، العدد (٧)، (٢/٩٨).

أصلها: خمسة وعشرة، قال سيبويه: «وَأَمَّا خَمْسَةُ عَشَرَ وَأَخَوَاتُهَا وَحَادِي عَشَرَ وَأَخَوَاتُهَا، فَهِيَ شَيْئَانِ جُعِلَا شَيْئًا وَاحِدًا، وَإِنَّمَا أَصْلُ خَمْسَةِ عَشَرَ خَمْسَةٌ وَعَشْرَةٌ». (١)

وَمَّا تَجَدَّرُ الْإِشَارَةُ إِلَيْهِ أَنَّ تَرْكِيبَ هَذِهِ الْأَعْدَادِ قَدْ جَعَلَهُ النَّحْوِيُّونَ مِقْيَاسًا لغيرها من المركبات، فتجدهم يقولون: رُكِّبَ تَرْكِيبَ خَمْسَةِ عَشَرَ، يقول ابن مالك: «... أَنَّ مِنَ الظُّرُوفِ الَّتِي لَا تَتَصَرَّفُ مَا رُكِّبَ تَرْكِيبَ خَمْسَةِ عَشَرَ كَقَوْلِكَ: فَلَانِ يَتَعَهَّدُنَا يَوْمَ يَوْمٍ وَصَبَاحَ مَسَاءٍ». (٢)

وَمَّا عُيِّلَ بِهِ تَرْكِيبَ هَذِهِ الْأَعْدَادِ وَالْعَدُولُ بِهَا عَنِ الْعَطْفِ خَوْفُ تَوْهُمِ السَّمَاعِ فِي أَنَّ يَظُنُّ أَنَّ ذِكْرَهُمَا مَتَعَاظِفِينَ يَعْنِي كَوْنَهُمَا صَفْقَتَيْنِ فِي نَحْوِ أُعْطِيتُ فِي هَذَا الثَّوْبِ خَمْسَةٌ وَعَشْرَةٌ (٣)، وهذا تعليل -من وجهة نظري- جيّد، ولو قيل: فَلِمَ جَاءَتِ الْأَعْدَادُ الْمُتَعَاظِفَةُ نَحْوِ (وَاحِدٌ وَعَشْرُونَ) وَ(سِتَّةٌ وَأَرْبَعُونَ) دُونَ تَرْكِيبٍ، وَلَمْ يُخَشَّ فِيهَا هَذَا التَّوْهُمُ الَّذِي حُشِيَ فِي الْأَعْدَادِ الْمُرَكَّبَةِ؟ فَإِنَّا نَجِدُ الْإِجَابَةَ عِنْدَ ابْنِ الْخَشَّابِ الَّذِي ذَكَرَ عِلَّتَيْنِ لذلِكَ، إِحْدَاهُمَا لَفْظِيَّةٌ وَالْأُخْرَى مَعْنَوِيَّةٌ، أَمَّا اللَّفْظِيَّةُ فَلِأَنَّ عَشْرِينَ وَبِأُهَا أَلْفَظَهَا أَلْفَاظُ جَمْعِ السَّلَامَةِ، وَهِيَ مُلْحَقَةٌ بِهَا فِي الْإِعْرَابِ، وَالتَّرْكِيبُ لَا يَتَطَرَّقُ إِلَى الْمَجْمُوعَاتِ مَعَ غَيْرِهَا، وَإِنَّمَا بَابُهُ الْمَفْرَدَاتِ، وَأَمَّا الْعِلَّةُ الْمَعْنَوِيَّةُ -وهي التي تعني البحث- فَلِأَنَّهُ قَلَّمَا يَتَبَايَنُ حُكْمُ مُثَمِّنٍ فِي التَّقْوِيمِ، حَتَّى يُعْطَى تَارَةً وَاحِدًا وَتَارَةً عَشْرِينَ، وَكُلَّمَا زَادَ التَّبَايَنُ زَالَ احْتِمَالُ التَّوْهُمِ الَّذِي يُجَدِّثُهُ التَّعَاظُفُ بَيْنَ هَذِهِ الْأَعْدَادِ. (٤)

ثانيًا: الزيادة الصّرفية الموهمة للسامع:

الكلمة العربيّة إمّا أن تكون مجردة من الحروف الزائدة، وإمّا أن تكون مزيدة، والزيادة التي تأتي عليها الصيغة تكون ذات معنى وأثر دلاليّ، ومن هذه الصيغ صيغة (١) الكتاب (٢٩٧/٣).

(٢) شرح التسهيل (٤١٤/٢)، وينظر: رضي الدين الإستراباذي، شرح شافية ابن الحاجب، تحقيق: محمد نور الحسن ورفاقه، بيروت: دار إحياء التراث، ط ١، ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م (٤٧٨/٤)، وارتشاف الضرب (١٤٦٠/٣).

(٣) ينظر: عبد الله بن أحمد بن أحمد بن الخشاب، المرتجل في شرح الجمل، دمشق، (د.ط)، ١٣٩٢هـ - ١٩٧٢م (ص ١١١).

(٤) السابق.



(فَعَّلَ)، بتضعيف عين الفعل الثلاثي، وأبرز معنى تؤدّيه هذه الصيغة هو التّكثير وتكرار حدوث الفعل، يقول ابن جني: «اعلم أنّ (فَعَّلْتَ) أكثر ما يكون لتكرار الفعل». (١)
ومن ذلك قولهم: (قَطَعْتُ الثياب وغَلَقْتُ الأبواب)، وهذا معنى غالب على هذه الصيغة كما أشار إلى ذلك الرّمحشريّ. (٢)

وقد ورد فيما نحن بصدد الحديث عنه قراءات في قول الله تعالى: ﴿وَلَكِنْ يُّؤَاخِذُكُمْ بِمَا عَقَّدْتُمُ الْأَيْمَانَ﴾ (٣)، ومن هذه القراءات قراءة ابن كثير ونافع وأبي عمرو ورواية حفص عن عاصم (بما عَقَّدْتُمُ الأيمان) - بتشديد القاف من الفعل (عقد) (٤) - وقد تناول هذه القراءة غير واحد من مفسّري القرآن الكريم ومعريه، ومما نُقِلَ عن أبي عبيد أنّه أنكر هذه القراءة معتمداً على المعنى الصّرّيّ، مبيناً أنّ السامع قد يهّم أنّ الحالف لا تكون عليه كفارة إلا إذا كرّر الحلف، ولا يقع عليه إذا أقسم يمينا واحدة. (٥)

ورُدّ عليه أنّ التّشديد في هذه القراءة يحتمل أوجهاً أخرى غير ما ذهب إليه، وخاف على السامع الوهم بسببه، ومن هذه الأوجه: الأول: أنّه للتكثير، وذلك أنّ المخاطب به جماعة، والثاني: أنّه بمعنى المجرد فيوافق القراءة الأخرى بتخفيف القاف، ومثله: (قَدَّرَ وقَدَّرَ)، والثالث: أنّه يدلّ على توكيد اليمين، لا على تكثيرها، وغير ذلك من الأوجه. (٦)

ومن خلال ما سبق يتبيّن أنّ استحضر الوهم الذي قد يقع فيه السّامع أو المتلقّي - سواء أكان ذلك في اللحظة الآنية أم في المستقبل - يقود اللّغويّ إلى أن يشرح وجهة (١) أبو الفتح عثمان ابن جني، المنصف شرح ابن جني لكتاب التصريف، تحقيق: إبراهيم مصطفى وعبد الله أمين، مصر: مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي، ط ١، ١٣٧٣هـ - ١٩٥٤م (٩١/١).
(٢) ينظر: محمود بن عمرو الرّمحشريّ، المفصل في صناعة الإعراب، تحقيق: إميل بديع يعقوب، بيروت: دار الكتب العلمية، ط ١، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م (ص ٣٧٣).
(٣) سورة المائدة: ٨٩.

(٤) ينظر: أحمد بن موسى بن مجاهد، السبعة في القراءات، تحقيق: د. شوقي ضيف، القاهرة: دار المعارف، ط ٢، ١٤٠٠هـ (ص ٢٧٤).
(٥) ينظر: مكّي بن أبي طالب القيسيّ، الهداية إلى بلوغ النهاية، تحقيق مجموعة من الباحثين، الشارقة: كلية الدراسات العليا والبحث العلمي، ط ١، ١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م (١٨٥٢/٣)، والتفسير البسيط (٤٩١/٧)، والدّر المصون (٤٠٣/٤).
(٦) ينظر: الدّر المصون (٤٠٣/٤).

نظره في قضية ما، ويحذر من وهم السامع الذي قد ترتبط به قضايا أخرى مترتبة على هذا الفهم، ولذا ورد عن أبي عبيد أنه قال: «التشديد للتكرير مرة بعد مرة، ولست آمن أن توجب هذه القراءة سقوط الكفارة في اليمين الواحدة، لأنها لم تكرر». (١)

فقوله: «ولست آمن أن توجب...» موحٍ بأن كفارة اليمين الواحدة غير ساقطة في فهمه، ولدى معاصريه في الوقت الذي يعيش فيه، ولكنه يخشى على من يأتي بعده أن يعتمد على معنى الصيغة الصريّة، ويجوز بناء على فهمهم سقوط كفارة اليمين الواحدة.

ونجد في الردود عليه أوجهًا تبعد توجيه القراءة عن هذا الوهم الذي خشيه أبو عبيد، وأرى أن أبا عبيد في خوفه هذا مختزل معنى الصيغة الصريّة في معنى واحد، وأن من ردّ عليه من العلماء وسّعوا هذا الاختزال، وهو الذي أراه صوابًا، وخاصة أن صنيعهم مستند إلى أمور، منها أن السياق يفهم أن الكفارة حاصلة، ولو كانت اليمين واحدة، وكذلك تأييد القراءة الأخرى التي جاءت بالتخفيف، ومعلوم أن الأصل في القراءات أن تتوافق في المعنى.

(١) التفسير البسيط (٧/٤٩١-٤٩٢).



الخلاصة

في ختام هذه الدراسة أدون أبرز ما هُديت إليه من نتائج:

1. انتهت الدراسة إلى أنّ فهم السّامع من الأمور التي راعاها موجّهو الاستعمال العربيّ من التّحويين والمفسرين.
 2. مراعاة فهم السّامع قد تكون مُستشعرةً لدى منشئ الاستعمال، وقد تكون من أدوات محلّل الاستعمال.
 3. بعض التحليلات المبنية على مراعاة فهم السّامع فيها شيءٌ من المبالغة، بل إنّ بعضها ينقض قواعد لغويّة أخرى، ولذا استطاعت الدراسة أن تردّ بعض هذه التحليلات.
 4. بعض الاستعمالات التي قيل إنّ في اختيارها مراعاةً لتوهم السامع لا يعدو أنّه اختيار معتمد على رواية ليس غير.
 5. أكّدت الدراسة أنّ مستنبطي القواعد اللغويّة -ولا سيّما النحويّة- كانوا مراعين للمعنى، بل لأدقّ تفاصيله، وفي هذا ردٌّ على من يزعم أنّ القواعد النّحويّة لفظيّة ولا مجال للمعنى فيها.
 6. بعض ما ورد من خوف توهم السّامع ترتّب عليه أحكامٌ غير لغويّة كالأحكام الفقهيّة.
- وإذا كان للدّراسات أن توصي فإنّها توصي بتتبّع ما جاء لدى معري الكلام العربي وموجّهيه من توجيهات متعلّقة بمراعاة السّامع واستحضاره حين توجيه ذلك الكلام.

قائمة المصادر والمراجع

١. الأزهري، خالد زين الدين بن عبد الله، التصريح بمضمون التّوضيح، تحقيق أ.د. عبد الفتاح بحيري إبراهيم، القاهرة: الزهراء للإعلام العربي، ط ١ ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م.
٢. الإسترابادي، رضي الدين، شرح شافية ابن الحاجب، تحقيق محمد نور الحسن ورفاقه، بيروت: دار إحياء التراث، ط ١، ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م.
٣. الأعلام الشنتمري، يوسف بن سليمان، شعر زهير بن أبي سُلمى، تحقيق د. فخر الدين قباوة، بيروت، دار الآفاق الجديدة، ط ٣، ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م.
٤. الأنباري، محمد بن القاسم، الزّاهر في معاني كلمات النَّاس، تحقيق د. حاتم الضامن، بيروت: مؤسسة الرسالة، ط ١، ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م.
٥. البغدادي، عبد القادر بن عمر، خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب، تحقيق عبد السلام هارون، القاهرة: مكتبة الخانجي، ط ٤، ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م.
٦. الجرجاني، عبد القاهر بن عبد الرحمن، المفتاح في الصّرف، تحقيق د. علي توفيق الحمد، بيروت: مؤسسة الرسالة، ط ١، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م.
٧. الجرجاني، علي بن محمد، التعريفات، بيروت: دار الكتب العلمية، ط ١ ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م.
٨. ابن الجزري، شمس الدين أبو الخير، النّشر في القراءات العشر، تحقيق علي محمد الضباع، بيروت: دار الفكر.
٩. الجزولي، عيسى بن عبد العزيز، المقدّمة الجزوليّة في النّحو، تحقيق د. شعبان عبد الوهاب محمد، راجعه د. حامد أحمد نيل، وفتحي أحمد جمعة.
١٠. الجمل، عبد الرحمن، أثر اختلاف القراءات القرآنية في الوقف والابتداء في كتاب الله عز وجل، مجلة جامعة النجاح للأبحاث (العلوم الإنسانية)، المجلد ١٨ (١)، ٢٠٠٤م.
- ابن جني، أبو الفتح عثمان: الخصائص، تحقيق عبد الحميد هنداوي، بيروت: دار الكتب العلمية، ط ١، ١٤٢١هـ - ٢٠٠١م.
١١. اللّمع في العربية، تحقيق: حامد المؤمن، بيروت: عالم الكتب - مكتبة النهضة العربية، ط ٢، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م.



١٢. المنصف شرح ابن جني لكتاب التصريف، تحقيق إبراهيم مصطفى وعبد الله أمين، مصر: مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي، ط ١، ١٣٧٣هـ - ١٩٥٤م.
١٣. الجوزي، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن، زاد المسير، تحقيق عبد الرزاق المهدي، بيروت: دار الكتاب العربي، ط ١، ١٤٢٢هـ.
١٤. الحلبي، أحمد بن يوسف، الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، تحقيق، د. أحمد الخراط، دمشق: دار القلم، ط ٤، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م.
١٥. حنون، عايد جدوع، ظاهرة الترادف بين الواقع اللغوي وآراء الدارسين، منشور بمجلة القادسية للعلوم الإنسانية، المجلد ١٣، العدد ١، ٢٠١٠م.
١٦. أبو حيان، محمد بن يوسف: ارتشاف الضرب، تحقيق د. رجب عثمان محمد، القاهرة: مكتبة الخانجي، ط ١، ١٤١٨هـ - ١٩٩٨م.
١٧. التذيل والتكميل في شرح كتاب التسهيل، تحقيق أ.د. حسن هندراوي، كنوز إشبيلية، الرياض، ط ١.
١٨. البحر المحيط، تحقيق الشيخ عادل عبد المجيد وآخرين، بيروت: دار الكتب العلمية، ط ١، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م.
١٩. الخالدي، أنفال رشاد، النحو والمعنى: دراسة في مغني اللبيب، رسالة ماجستير، إشراف أ.د. زهير غازي زاهد، كلية التربية للبنات، جامعة الكوفة، ١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م.
٢٠. الخزامي، رقية محمد، التوهم ومظانته في العربية، مجلة كلية اللغة العربية بالزقازيق، العدد (٢١)، ٢٠٠١م.
٢١. ابن الخشاب، عبد الله بن أحمد، المرتجل في شرح الجمل، دمشق ١٣٩٢هـ - ١٩٧٢م.
٢٢. الخضير، مها، ضمير الفصل دراسة نحوية قرآنية، حولية كلية اللغة العربية بالزقازيق، العدد ٣٧، ١٤٣٨هـ - ٢٠١٧م.
٢٣. الدمياطي، أحمد بن محمد، إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر، تحقيق أنس مهرة، بيروت: دار الكتب العلمية، ط ٣، ١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م.
٢٤. الرفوع، عاطف طالب، التعاور بين الفعل الماضي والمضارع في ضوء نظرية السياق،

- مجلة الدراسات اللغوية، مجلة الدراسات اللغوية، المجلد (١٧)، عدد (٢)، ربيع الآخر - جمادى الآخرة ١٤٣٦هـ، فبراير - إبريل ٢٠١٥م.
٢٥. الزجاجي، أبو القاسم، الإيضاح في علل النحو، تحقيق د. مازن المبارك، بيروت: دار النفائس، ط ٥، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م.
٢٦. الزمخشري، محمود بن عمرو، المفصل في صناعة الإعراب، تحقيق إميل بديع يعقوب، بيروت: دار الكتب العلمية، ط ١، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م.
٢٧. السبعان، ليلي، ظاهرة التوهم عند المعاصرين: دراسة وتحليل، مجلة كلية دار العلوم، جامعة القاهرة، العدد (٣١)، ٢٠٠٤م.
٢٨. ابن السراج، أبو بكر، الأصول في النحو، تحقيق د. عبد الحسين الفتلي، بيروت: مؤسسة الرسالة، ط ٣، ١٤١٧هـ - ١٩٩٦م.
٢٩. السكري، أبو سعيد الحسن بن الحسين، شرح أشعار الهذليين، تحقيق د. عبد الستار أحمد فراج، القاهرة، مطبعة المدني.
٣٠. ابن السكيت، ديوان الخطيئة، برواية وشرح ابن السكيت، تحقيق د. نعمان محمد أمين طه، القاهرة، مكتبة الخانجي، ط ١، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م.
٣١. سيويو، عمرو عثمان بن قنبر، كتاب سيويو، تحقيق عبد السلام هارون، القاهرة: مكتبة الخانجي، ط ٣، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.
٣٢. السيرافي، أبو سعيد الحسن بن عبد الله، شرح كتاب سيويو، تحقيق د. عبد المعطي قلعجي، القاهرة: شركة القدس للنشر والتوزيع.
٣٣. صاحب، إسماعيل بن عباد، المحيط في اللغة، تحقيق محمد حسن آل ياسين، بيروت: عالم الكتب.
٣٤. الصغاني، الحسن بن محمد، العباب الزاخر واللباب الفاخر، تحقيق د. فير حسن.
٣٥. الصقلي، عمر بن خلف، تثقيف اللسان وفتح الجنان، تحقيق مصطفى عبد القادر عطا، بيروت: دار الكتب العلمية، ط ١، ١٤١٠هـ - ١٩٩١م.
٣٦. الطبري، محمد بن جرير، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، بيروت: دار الفكر، ١٤٠٥هـ.
٣٧. طبل، حسن، علم المعاني في الموروث البلاغي تأصيل وتقييم، المنصورة: مكتبة الإيمان، ط ٢، ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م.



٣٨. الطّريحيّ، محمد جواد، التقديم والتأخير بين النحويين والبلاغيين، مجلة كلية الآداب، جامعة بغداد، العدد ٩٦
٣٩. ابن عاشور، محمد الطاهر بن محمد، التحرير والتّنوير، تونس: دار سحنون للنشر والتوزيع، ١٩٩٧م.
٤٠. عرباوي، أحمد الشايب، التعليل بالتّوهّم عند النحاة: أسبابه ونتائجه، مجلة الممارسات اللغويّة، جامعة مولود معمري تيزو وزو، العدد (٤)، مج (١٢)، ديسمبر ٢٠٢١م
٤١. العسكري، أبو هلال الحسن بن عبد الله، معجم الفروق اللغوية، تحقيق محمد إبراهيم سليم، القاهرة: دار العلم والثقافة.
٤٢. العلويّ، يحيى بن حمزة، الطراز لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز، تحقيق د. عبد الحميد هندراويّ، بيروت: المكتبة العصريّة.
٤٣. العليمي، ياسين بن زين، حاشية يس على التّصريح، مصر: طبعة عيسى البابي الحلبي.
٤٤. الفارسيّ، أبو علي الحسن بن أحمد، الحجة للقراء السبعة، تحقيق بدر الدين قهوجي، بشير جويجاني، دمشق وبيروت: دار المأمون للتراث، ط ٢، ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م.
٤٥. القيسيّ، مكّي بن أبي طالب، الهداية إلى بلوغ النهاية، تحقيق مجموعة من الباحثين، الشارقة: كلية الدراسات العليا والبحث العلميّ، ط ١، ١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م.
٤٦. الكفوي، أيوب بن موسى، الكليات، تحقيق عدنان درويش ومحمد المصريّ، بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م.
٤٧. المالكيّ محمد بن عبد الله:
٥. الكنية واللقب في القرآن الكريم: دراسة نحويّة دلاليّة، بحث منشور في مجلّة الإمام الشّاطبيّ للدراسات القرآنيّة.
٦. تركيب المزج وأثره في الإعراب والبناء، بحث منشور في مجلة الجامعة الإسلامية للغة العربيّة وأدائها، العدد ٧.
٤٨. ابن مالك، جمال الدين محمد بن عبد الله:
٧. شرح التسهيل، تحقيق د. عبد الرحمن السيد، ود. محمد بدوي المختون، القاهرة: هجر للطباعة والنشر، ط ١، ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م.
٨. شرح الكافية الشافية، تحقيق د. عبد المنعم هريديّ، مكة المكرمة: مركز البحث العلميّ وإحياء التراث الإسلاميّ بجامعة أم القرى، ط ١، ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م.

٤٩. المبرد، محمد بن يزيد، المقتضب، تحقيق محمد عبد الخالق عزيمة، بيروت: عالم الكتب.
٥٠. ابن مجاهد، أحمد بن موسى، السبعة في القراءات، تحقيق د. شوقي ضيف، القاهرة: دار المعارف، ط ٢، ١٤٠٠هـ.
٥١. المرادي، أبو محمد بدر الدين، الجنى الداني في حروف المعاني، تحقيق فخر الدين قباوة، ومحمد نديم فاضل، بيروت: دار الآفاق الجديدة، ط ٢، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م.
٥٢. مفتي، خديجة أحمد، الوقف والابتداء عند النحاة والقراء، رسالة دكتوراه، إشراف د. عبد الفتاح شلبي، مكة المكرمة: كلية اللغة العربية، جامعة أم القرى، ١٤٠٥هـ - ١٤٠٦هـ.
٥٣. ابن منظور، أبو الفضل محمد بن مكرم، لسان العرب، بيروت: دار صادر، ط ١.
٥٤. منير، عبد الجبار بلال، الترادف تعريفه وأسبابه وشروطه وآراء العلماء حوله، منشور في مجلة كلية اللغة العربية بجامعة أم درمان، السودان، العدد ١، ٢٠١٣م.
٥٥. الموزعي، محمد بن علي، مصابيح المغاني في حروف المعاني، دراسة وتحقيق د. عائض بن نافع العمري، القاهرة: دار المنار، ط ١، ١٤١٤هـ - ١٩٩٣م.
٥٦. ناظر الجيش، محب الدين محمود بن يوسف، تمهيد القواعد بشرح تسهيل الفوائد، دراسة وتحقيق د. علي محمد فاخر وآخرين، القاهرة: دار السلام للطباعة والنشر، ط ١، ١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م.
٥٧. النحاس، أبو جعفر أحمد بن محمد، إعراب القرآن، تحقيق د. زهير غازي زاهد، بيروت: عالم الكتب ومكتبة النهضة العربية، ط ١، ١٤١٧هـ - ١٩٩٦م.
٥٨. ابن هشام، جمال الدين: ٩. أوضح المسالك، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، بيروت: المكتبة العصرية، ١٤٤٢هـ - ١٩٩٩م.
١٠. مغني اللبيب عن كتب الأعراب، تحقيق وشرح د. عبد اللطيف الخطيب، الكويت: المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، ط ١، ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م.
٥٩. الهمداني، المنتجب بن أبي العز، الكتاب الفريد في إعراب القرآن المجيد، تحقيق محمد نظام الدين الفتيح، المدينة المنورة: مكتبة دار الزمان، ط ١، ١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م.
٦٠. الواحدي، أبو الحسن علي بن أحمد، التفسير البسيط، تحقيق د. محمد بن صالح الفوزان وآخرين، الرياض: شركة العبيكان للتعليم، ط ٢، ١٤٣٩هـ - ٢٠١٨م.



٦١. ابن يعيش، أبو البقاء موفق الدين، شرح المفصل، بيروت: عالم الكتب.
٦٢. مجمع اللغة الافتراضي بالمدينة المنورة على منصة (X).

Bibliography

1. Al-Azhari, Khaled Zain al-Din bin Abdullah, Al-Taṣrīḥ Bimaḍmūn Al-Tawḍīḥ, edited by Prof. Dr. Abdel Fattah Behairy Ibrahim, Cairo: Al-Zahraa for Arab Media, 1st edition ١٤١٨ AH - 1997 AD.
2. Al-Iṣṭrabadhī, Radi al-Din, Sharḥ Shafiya Ibn al-Hajib, edited by Muhammad Nour al-Hasan and his companions, Beirut: Dar Ihya al-Turath, 1st edition, 1426 AH - 2005 AD.
3. Al-Alam Al-Shantamari, Yusuf bin Suleiman, Shi'r Zuhayr Ibn Abī Sulmā, edited by Dr. Fakhr Al-Din Qabawa, Beirut, Dar Al-Afaq Al-Jadeeda, 3rd edition, 1400 AH ١٩٨٠ - AD.
4. Al-Anbari, Muhammad bin Al-Qasim, Alzzāḥr Fī Ma'ānī Kalimāt Alnnās, edited by Dr. Hatem Al-Damen, Beirut: Al-Resala Foundation, 1st edition, 1412 AH - 1992 AD.
5. Al-Baghdadi, Abd al-Qadir bin Omar, Khizānat Al-Adab Wa-Lubb Lubāb Lisān Al-'arab, edited by Abd al-Salam Haroun, Cairo: Al-Khanji Library, 4th edition, 1418 AH - 1997 AD.
6. Al-Jurjani, Abd al-Qahir bin Abd al-Rahman, Al-Miftāḥ Fī Al-Ṣarf, edited by Dr. Ali Tawfiq Al-Hamad, Beirut: Al-Resala Foundation, 1st edition, 1407 AH - 1987 AD.
7. Al-Jurjani, Ali bin Muhammad, Al-Ta'rīfāt, Beirut: Dar Al-Kutub Al-Ilmiyya, 1st edition ١٤٠٣ AH - 1983 AD.
8. Ibn Al-Jazari, Shams Al-Din Abu Al-Khair, Al-Nashr fī Al-Qira'at Al-Ashr, edited by Ali Muhammad Al-Dabaa, Beirut: Dar Al-Fikr.
9. Al-Jazouli, Issa bin Abdul Aziz, Al-Muqaddamah Aljazūliyyah Fī Al-Nahw, edited by Dr. Shaaban Abdel Wahab Muhammad, reviewed by Dr. Hamed Ahmed Neel, and Fathi Ahmed Gomaa.
10. Al-Gamal, Abd al-Rahman, Athar Ikhtilāf Al-Qirā'at Al-Qur'āniyyah Fī Al-Waqf Wa-Al-Ibtidā' Fī Kitāb Allāh 'azz Wa-Jall, An-Najah University Journal of Research (Human Sciences), Volume 18 (1), 2004 AD.
11. Ibn Jinni, Abu Al-Fath Othman:
12. Al-Khaṣāis, edited by Abdul Hamid Hindawi, Beirut: Dar Al-Kutub Al-Ilmiyyah, 1st edition ١٤٢١ AH - 2001 AD.
13. Al-Luma 'fī Al-'Arabiyyah, edited by: Hamid Al-Mu'min, Beirut: Alam Al-Kutub - Arab Nahda Library, 2nd edition, 1405 AH - 1985 AD.
14. Sharḥ Ibn Jinnī li Kitāb Al-Taṣrīf, edited by Ibrahim Muṣṭafa and Abdullah Amin, Egypt: Muṣṭafa Al-Babi Al-Halabi Library and Press, 1st edition, 1373 AH - 1954 AD.
15. Al-Jawzi, Jamal al-Din Abu al-Faraj Abd al-Rahman, Zād al-Masīr, edited by Abd al-Razzaq al-Mahdi, Beirut: Dar al-Kitab al-Arabi, 1st edition, 1422 AH.
16. Al-Halabi, Ahmed bin Yusuf, Al-Durr Al-Masun fī Ulum Al-Kitab Al-Maknūn, edited by Dr. Ahmed Al-Kharrat, Damascus: Dar Al-Qalam, 4th edition, 1424 AH

- 2003 AD.

17. Hanoun ,Ayed Jadoua, The Phenomenon of Synonymy Between Linguistic Reality And The Opinions of Scholars (in Arabic), published in Al-Qadisiyah Journal of Human Sciences, Volume 13, Issue 1, 2010 AD.
18. Abu Hayyan, Muhammad bin Yusuf:
19. Irtishāf Al-Ḍarb, investigated by Dr. Rajab Othman Muhammad, Cairo: Al-Khanji Library', 1st edition, 1418 AH - 1998 AD.
20. Al-Bahr Al-Muhit, edited by Sheikh Adel Abdul Majeed and others, Beirut: Dar Al-Kutub Al-Ilmiyyah, 1st edition, 1422 AH - 2001 AD.
21. Al-Tadhyl Wa-Al-Takmil Fī Sharḥ Kitāb Al-Tas'hīl, edited by Prof. Dr. Hassan Hindawi ,Treasures of Seville, Riyadh, 1st edition.
22. Al-Khalidi ,Anfal Rashad, Grammar and Semantics: A Study of Mughni Al-Labib (in Arabic) ,Master's Thesis, Supervised by Prof. Dr. Zuhair Ghazi Zahid, College of Education for Girls, University of Kufa, 1428 AH - 2007 AD.
23. Al-Khuzami ,Ruqaya Muhammad, Altawahhum Wamaẓānnih Fī Al-‘Arabīyah, Journal of the College of the Arabic Language in Zagazig, Issue (21), 2001 AD.
24. Ibn al-Khashab, Abdullah bin Ahmad, Al-Murtajil fi Sharh al-Jamal, Damascus 1392 AH ١٩٧٢ - AD.
25. Al-Khudair ,Maha ,Ḍamīr al-Faṣl, a Qur’anic Grammatical Study, Yearbook of the College of Arabic Language in Zagazig, Issue ١٤٣٨ ,٣٧ AH - 2017 AD.
26. Al-Dimyātī ,Ahmed bin Muhammad, Ithāf Fuḍalā’ Al-Bashar Fī Al-Qirā’āt Al-Arba’ah ‘ashar ,edited by Anas Mahra, Beirut: Dar Al-Kutub Al-Ilmiyyah, 3rd edition, 1427 AH ٢٠٠٦ - AD.
27. Al-Rafu , ‘Atef Talib, The Alternation Between the Past and Present Tense In Light of Context Theory (in Arabic), Journal of Linguistic Studies, Journal of Linguistic Studies, Volume (17), Issue (2), Rabi’ Al-Akhir - Jumada Al-Akhira ١٤٣٦ AH, February - April 2015 AD.
28. Al-Zajjaji ,Abu Al-Qasim, Al-Ihdah Fi Il’l-Isāl Al-Ṣahāl, edited by Dr. Mazen Al-Mubarak ,Beirut: Dar Al-Nafais, 5th edition, 1406 AH - 1986 AD.
- MahmoudbinAmr,Al-MufaṣṣalFīṢan‘atAl-I‘rāb,editedbyEmil,Al-Zamakhshari .29
.Beirut: Dar Al-Kutub Al-Ilmiyyah, 1st edition, 1420 AH - 1999 AD ,Badi Yaqoub
30. Al-Sabaan ,Laila, The Phenomenon of Illusion Among Contemporaries: Study and Analysis (in Arabic), Journal of the Faculty of Dar Al-Ulum, Cairo University, Issue (31) ٢٠٠٤ ,(AD.
31. Ibn al-Sarraj, Abu Bakr, Al-Uṣūl Fī Al-Nahw, edited by Dr. Abdul Hussein Al-Fatli, Beirut: Al-Resala Foundation, 3rd edition, 1417 AH - 1996 AD.
32. Al-Sukkari ,Abu Saeed Al-Hassan bin Al-Hussein, Sharḥ Ash‘ār Al-Hudhaylīyīn, edited by Dr .Abdel Sattar Ahmed Farrag, Cairo, Al Madani Press.
33. Ibn al-Sakit, Diwan al-Huttay’ah, narrated and explained by Ibn al-Sakit, edited by Dr. Noman Muhammad Amin Taha, Cairo, Al-Khanji Library, 1st edition, 1407 AH ١٩٨٧ -AD.
34. Sibawayh ,Amr Othman bin Qanbar, Kitāb Sibawayh, edited by Abdul Salam Haroun, Cairo :Al-Khanji Library, 3rd edition, 1408 AH - 1988 AD.
35. Al-Sirafi ,Abu Saeed Al-Hassan bin Abdullah, Sharḥ Kitāb Sibawayh, edited by Dr. Abdel Muti Qalaji, Cairo: Al-Quds Publishing and Distribution Company.
36. Al-Sahib ,Ismail bin Abbad, Al-Muhit fi Al-Lughah, edited by Muhammad Hassan



- Al Yassin ,Beirut: World of Books.
37. Al-Saghani ,Al-Hasan bin Muhammad, Al-‘Ubāb Al-Zākhīr Wa-Al-Lubāb Al-Fākhīr, edited by Dr .Fair Hassan.
 38. Al-Saqali ,Omar bin Khalaf, Tathqīf Allsān Wa-Fath Al-Jinān, edited by Muṣṭafa Abdul Qadir Atta, Beirut: Dar Al-Kutub Al-Ilmiyyah, 1st edition, 1410 AH - 1991 AD.
 39. Al-Tabari ,Muhammad bin Jarir, Jāmi‘ Al-Bayān ‘an Ta’wīl Āy Al-Qur’ān, Beirut: Dar Al-Fikr, 1405 AH.
 40. Tabl ,Hassan, ‘Ilm Al-Ma‘ānī Fī Al-Mawrūth Al-Balāghī Ta’ṣīl Wa-Taḥqīm, Rooting and Evaluation, Mansoura: Al-Iman Library, 2nd edition, 1425 AH - 2004 AD.
 41. Al-Tarihi ,Muhammad Jawad, Al-Taḥqīm Wa-Al-Ta’khīr Bayna Al-Nahwīyīn Wa-Al-Balāghīyīn ,Journal of the College of Arts, University of Baghdad, No. 96
 42. Ibn Ashour, Muhammad Al-Tahir bin Muhammad, Al-Taḥrīr Wa-l-Tanwīr, Tunisia: Sahnoun Publishing and Distribution House, 1997 AD.
 43. Arbawi ,Ahmed Al-Shayeb, Reasoning by Illusion among Grammarians: Its Causes and Consequences (in Arabic), Journal of Linguistic Practices, Mouloud Mammeri Tizo Ouzou University, Issue (4), Volume (12), December 2021 AD
 44. Al-Askari ,Abu Hilal Al-Hassan bin Abdullah, Mu‘jam Al-Furūq Al-Lughawīyah, edited by Muhammad Ibrahim Salim, Cairo: Dar Al-Ilm and Culture.
 45. Al-Alawi ,Yahya bin Hamza, Al-Ṭirāz Li-Asrār Al-Balāghah Wa-‘ulūm Ḥaqā’iq Al-I‘jāz ,edited by Dr. Abdel Hamid Hindawi, Beirut: Modern Library.
 46. Al-Alimi ,Yassin bin Zain, Ḥāshiyat Yāsīn ‘alā Alṭṭaṣṣyḥ, Egypt: Issa al-Babi al-Halabi edition.
 47. Al-Farsi ,Abu Ali Al-Hasan bin Ahmed, Al-Ḥujjah Lil-Qurrā’ Al-Sab‘ah, edited by Badr Al-Din Qahwaji, Bashir Juyjani, Damascus and Beirut: Dar Al-Ma’mun for Heritage, 2nd edition, 1413 AH - 1993 AD.
 48. Al-Qaisi ,Makki bin Abi Talib, Al-Hidāyah Ilā Bulūgh Al-Nihāyah, edited by a group of researchers, Sharjah: College of Graduate Studies and Scientific Research, 1st edition, 1429 AH - 2008 AD.
 49. Al-Kafawi ,Ayoub bin Musa, Al-Kulliyyat, edited by Adnan Darwish and Muhammad Al-Masry ,Beirut: Al-Resala Foundation, 1419 AH - 1998 AD.
 50. Al-Maliki Muhammad bin Abdullah:
 51. Kunya and Title In the Noble Qur’an: A Grammatical and Semantic Study (in Arabic) ,research published in the Imam Al-Shatibi Journal of Qur’anic Studies.
 52. Tarkīb Almjz Wa-Atharuhu Fī Al-I‘rāb Wa-Al-Binā’, research published in the Journal of the Islamic University of Arabic Language and Literature, No. 7.
 53. Ibn Malik, Jamal al-Din Muhammad bin Abdullah:
 54. Sharḥ Al-Tashīl, investigated by Dr. Abdel Rahman Al-Sayed, Dr. Muhammad Badawi Al-Makhtoon, Cairo: Hajar Printing and Publishing, 1st edition, 1410 AH - 1990 AD.
 55. Sharḥ Al-Kāfiyah Al-Shāfiyah, edited by Dr. Abdel Moneim Haridi, Mecca: Center for Scientific Research and Revival of Islamic Heritage at Umm Al-Qura University, 1st edition, 1402 AH - 1982 AD.
 56. Al-Mubarrad ,Muhammad bin Yazid, Al-Muqtaḍab, edited by Muhammad Abd al-Khaliq Adima ,Beirut: Alam al-Kutub.
 57. Ibn Mujahid, Ahmed bin Musa, Al-Sab‘ah Fī Al-Qirā’āt, edited by Dr. Shawqi Deif,

- Cairo: Dar Al-Maaref, 2nd edition, 1400 AH.
58. Al-Muradi ,Abu Muhammad Badr Al-Din, Al-Janā Al-Dānī Fī Ḥurūf Al-Ma‘ānī, edited by Fakhr Al-Din Qabbawa and Muhammad Nadim Fadel, Beirut: New Horizons House, 2nd edition, 1403 AH - 1983 AD.
 59. Mufti ,Khadija Ahmed, Al-Waqf Wa-Al-Ibtidā’ ‘inda Al-Nuḥāh Wa-Al-Qurrā’, doctoral dissertation, supervised by Dr. Abdel Fattah Shalabi, Mecca: College of Arabic Language, Umm Al-Qura University, 1405 AH - 1406 AH.
 60. Ibn Manzur, Abu al-Fadl Muhammad ibn Makram, Lisan al-Arab, Beirut: Dar Sader, 1st edition.
 61. Mounir ,Abdul-Jabbar Bilal, Al-Tarāduf Ta‘rīfuh Wa-Asbābuh Wa-Shurūṭuh Wa-Ārā’ Al-‘ulamā’ Ḥawlahu, published in the Journal of the Faculty of Arabic Language at Omdurman University, Sudan, Issue 1, 2013 AD.
 62. Al-Mawzi ,Muhammad bin Ali, Maṣābīḥ Al-Maghānī Fī Ḥurūf Al-Ma‘ānī, study and investigation by Dr. Ayed bin Nafi’ Al-Omari, Cairo: Dar Al-Manar, 1st edition, ١٤١٤AH - 1993 AD.
 63. Nāzīr Al-Jaysh, Muḥibb Al-Dīn Maḥmūd Ibn Yūsuf, Tamhīd Al-Qawā’id Bi-Sharḥ Tas’hīl Al-Fawā’id, study and investigation by Dr. Ali Muhammad Fakher and others ,Cairo: Dar Al Salam Printing and Publishing, 1st edition, 1428 AH - 2007 AD.
 64. Al-Nahhas ,Abu Jaafar Ahmed bin Muhammad, I‘rāb al-Qur’ān, edited by Dr. Zuhair Ghazi Zahid, Beirut: The World of Books and the Arab Nahda Library, 1st edition, 1417 AH - 1996 AD.
 65. Ibn Hisham, Jamal al-Din:
 66. Awḍaḥ Al-Masālik, edited by Muhammad Muhyi al-Din Abd al-Hamid, Beirut: Modern Library, 1421 AH - 1999 AD.
 67. Mughnī Allbyb ‘an Kutub Al-A‘ārīb, investigated and explained by Dr. Abdul Latif Al-Khatib ,Kuwait: National Council for Culture, Arts and Literature, 1st edition, 1421 AH ٢٠٠٠ - AD.
 68. Al-Hamdhani ,Al-Muntajjab bin Abi Al-Izz, Al-Kitāb Al-Farīd Fī I‘rāb Al-Qur’ān Al-Majīd ,edited by Muhammad Nizam al-Din al-Futaih, Medina: Dar al-Zaman Library, 1st edition, 1427 AH - 2006 AD.
 69. Al-Wahidi ,Abu Al-Hasan Ali bin Ahmed, Al-Tafsir Al-Basit, edited by Dr. Muhammad bin Saleh Al-Fawzan and others, Riyadh: Obeikan Education Company, 2nd edition ١٤٣٩ ,AH - 2018 AD.
 70. Ibn Yaish, Abu Al-Baqa Muwaffaq Al-Din, Sharh Al-Mufasal, Beirut: Alam Al-Kutub.
 71. The Arabic Virtual Academy in Medina on the (x) platform



الحجاج البلاغي في العتاب الإلهي للمصطفى ﷺ دراسة في ضوء المنهج الأسلوبي

Rhetorical argumentation in the divine admonition to the Prophet Muhammad, peace and blessings be upon him, a study in light of the stylistic approach

د. عمر بن نوح المطيري

أستاذ مشارك بقسم اللغة العربية، كلية التربية جامعة الأمير سغام بن عبد العزيز

ماجستير جامعة الملك سعود في الأدب والنقد

دكتوراه جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية في الأدب والنقد

o.almotiry@psau.edu.sa



<https://doi.org/10.65728/1625-000-022-008>

الحجاج البلاغي في العتاب الإلهي للمصطفى ﷺ:

دراسة في ضوء المنهج الأسلوبي

ملخص البحث:

يتناول هذا البحث العتاب الإلهي للنبي محمد ﷺ في القرآن الكريم، من منظور بلاغي حجاجي، كاشفًا عن أبعاده التقويمية والأسلوبية، بوصفه نخطًا من التوجيه الإلهي الذي يزاوج بين البيان والحكمة، وبين التعليم والرحمة، وانطلق البحث من فرضية مفادها أن هذا العتاب لا يُفهم إلا من خلال تحليل مستوياته الأسلوبية والحجاجية، باعتباره خطابًا تقويميًا يعيد ترتيب سلم القيم ويؤسس للقيادة النبوية بوصفها قدوة تشريعية وتربوية.

اعتمد الباحث المنهج الأسلوبي، ودمج بين البلاغة العربية والتداولية الحجاجية عبر مبحثين، تناول الأول: البنية البلاغية في العتاب الإلهي، وتناول أنماط الخطاب وأدواته، فيما تناول المبحث الثاني أنماط الحجاج البلاغي في العتاب الإلهي، وفيه قام بتحليل تسع آيات قرآنية تمثل أنماطًا متنوّعة من العتاب، موزّعة على ثلاثة محاور تحليلية: الحجاج البلاغي في العتاب الرفيق اللطيف، والحجاج البلاغي في العتاب التقويمي (التوجيهي)، والحجاج البلاغي في العتاب البياني المباشر.

ومن أبرز ما توصل إليه البحث من نتائج:

- كشفت القراءة التحليلية الأسلوبية لآيات العتاب الإلهي الموجّه إلى النبي ﷺ عن نسق حجاجي بالغ الدقة، يمثّل واحدة من أرقى صور التواصل التقويمي (الإرشادي) في الخطاب القرآني، فجاء هذا العتاب موزعًا ضمن ثلاث درجات متدرجة في الخطاب تراوحت بين الرفق اللغوي والبيان الصريح، بحسب طبيعة الموقف، وخصوصية السياق، ومقتضيات المقام النبوي.

الكلمات المفتاحية: الحجاج، العتاب، القرآن، الأسلوبية.



Abstract

This research examines the phenomenon of divine admonition to the Prophet Muhammad (peace and blessings be upon him) in the Holy Qur'an, from a rhetorical and argumentative perspective, revealing its educational and stylistic dimensions, as a sophisticated form of divine guidance that combines eloquence and wisdom, and firmness and mercy. The research is based on the hypothesis that this admonition can only be understood through analyzing its stylistic and argumentative levels, as it is an evaluative discourse that rearranges the scale of values and establishes prophetic leadership as a legislative and educational model.

The research adopted the modern stylistic approach, combining Arabic rhetoric and argumentative discourse, through analyzing nine Qur'anic verses that represent diverse forms of admonition, divided into three analytical topics: gentle admonition, educational admonition, and direct rhetorical admonition. The analysis revealed the effectiveness of the argumentative linguistic structure in guiding behavior through rhetorical tools such as negation, contrast, repetition, and anastrophe. This highlights the depth of divine guidance to the Prophet, peace and blessings be upon him, on the one hand, and the establishment of an educational discourse for the nation, on the other hand.

Keywords: Argumentation- Admonition - Qur'an - Stylistics

مقدمة

يُعَدُّ العتاب الإلهي في الخطاب القرآني ظاهرة بلاغية تربوية ذات طابع خاص، تندرج ضمن أنماط التواصل الرباني الرفيع الذي حُصِّ به النبي محمد ﷺ، ويمتاز عن غيره من وجوه البيان القرآني بسمات أسلوبية، ووظائف حجاجية، وأبعاد دلالية غاية في الدقة واللفظ.

أسباب اختيار الموضوع:

- 1 - لأن العتاب يمثل بعداً بلاغياً حجاجياً فريداً في الخطاب القرآني.
 - 2 - لأن هذا اللون من الخطاب يكشف عن جمالية البيان القرآني في تقويم السلوك، وتصحيح المواقف.
- وتتلور أهمية البحث في الآتي:

- 1 - تسليط الضوء على الوظيفة الإقناعية للعتاب في النص القرآني وكيفية بنائه للحجة من خلال البيان والرفق، وتقديم نموذج بلاغي تطبيقي يمكن الاستفادة منه في تحليل أساليب القرآن الأخرى كالتوبيخ أو الموعظة أو الحوار.
 - 2 - تجديد المنهج البلاغي في دراسة القرآن عبر ربط البلاغة بالحجاج والخطاب التداولي والأسلوبي.
 - 3 - خدمة الخطاب الإسلامي المعاصر من خلال استلهام الأسلوب القرآني في العتاب بوصفه وسيلة للتقويم والإصلاح لا للتقريع والجدل.
- ويأتي هذا الموضوع استجابة لحاجة الدرس البلاغي المعاصر إلى تحليل هذا النمط من الخطاب التقويمي العالي.

إشكالية البحث:

تنطلق الدراسة من إشكالية مركزية مفادها: كيف جسّد الخطاب القرآني العتاب الإلهي للنبي ﷺ من خلال بناء بلاغي حجاجي يوازن بين التقويم والرحمة؟



أسئلة البحث:

- 1 - ما الأنماط البلاغية التي يتجلى من خلالها العتاب الإلهي؟
- 2 - ما القيم المعرفية والجمالية التي ينهض بها هذا العتاب في بناء الخطاب القرآني؟
- 3 - كيف يسهم العتاب الإلهي في صياغة نموذج بلاغي يقوم على الرفق والتقويم أكثر من التأنيب والعقاب؟

أهداف البحث:

- 1 - الكشف عن الأبعاد البلاغية في العتاب الإلهي، وبيان كيف يتحول إلى حجاج تقويمي موجّه للمخاطب.
- 2 - تصنيف أنماط العتاب في القرآن الكريم وفق منهج بلاغي يراعي مقاصد الخطاب الإلهي ووظائفه.
- 3 - إبراز العلاقة بين الأسلوب الحجاجي والغاية التقويمية في النص القرآني.
- 4 - تحديد السمات الأسلوبية التي تمنح العتاب الإلهي قوّته الإقناعية وفاعليته في التوجيه.

الدراسات السابقة:

تناولت بعض الدراسات العتاب الإلهي في القرآن الكريم من زوايا متنوعة، أهم هذه الدراسات:

- حصنة بنت حمد الحواس (٢٠١٣)، عتاب الله لنبيه وآثاره التربوية في ضوء آيات القرآن الكريم: ركّزت على الآثار التربوية للعتاب، دون التحليل البلاغي أو الحجاجي للنص.
- عويد المطرفي (٢٠٠٥)، آيات عتاب المصطفى في ضوء العصمة والاجتهاد: حيث تناول العتاب من منظور عقدي وفقهي، مع التركيز على العصمة والاجتهاد، متجاهلاً الجانب البلاغي الحجاجي.
- وتميز هذا البحث بأنه اعتمد المنهج البلاغي الحجاجي، حيث حلّل البنية اللغوية والبيانية للعتاب الإلهي، وصنّف أنماطه وفق تصنيف بلاغي واضح (رفيق - تقويمي - بياني مباشر)، مما يوفر قراءة منهجية متكاملة للنصوص القرآنية.
- اعتمد البحث المنهج الأسلوبي بوصفه إطاراً رئيساً للتحليل، مع الاستفادة من بعض آليات المنهج التداولي (الحجاج) والمأثور التفسيري.

حدود البحث:

تنقسم حدود البحث إلى موضوعية وزمانية، تنحصر الحدود الموضوعية في خطاب العتاب الإلهي الموجه إلى النبي محمد ﷺ، حيث اعتمد البحث نصاً مكوناً من تسع آيات موزعة على ثلاث درجات أسلوية بحسب طبيعة الخطاب: العتاب الرقيق اللطيف، والعتاب التقوي، والعتاب البياني المباشر، وهي قوله تعالى: ﴿وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِمْ مِنْ شَيْءٍ فَطَرْتَهُمْ فَتَكُونُ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ [الأنعام: ٥٢]، وقوله تعالى: ﴿وَلَا تَقُولَنَّ لِشَايٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَلِكَ غَدًا ۖ إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ ۚ وَادْكُرْ رَبَّكَ إِذَا نَسِيتَ وَقُلْ عَسَىٰ أَن يَهْدِيَنِّي رَبِّي لِأَقْرَبَ مِنْ هَذَا رَشَدًا﴾ [الكهف: ٢٣-٢٤]، وقوله تعالى: ﴿وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰ أَحَدٍ مِّنْهُمْ مَاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَىٰ قَبْرِهِ﴾ [التوبة: ٨٤]، وقوله تعالى: ﴿عَفَا اللَّهُ عَنْكَ لِمَ أَذِنْتَ لَهُمْ﴾ [التوبة: ٤٣]، وقوله تعالى: ﴿مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَكُونَ لَهُ أَسْرَىٰ حَتَّىٰ يُنْخَنَ فِي الْأَرْضِ تُرِيدُونَ عَرَضَ الدُّنْيَا وَاللَّهُ يُرِيدُ الْآخِرَةَ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [لَوْلَا كُتِبَ مِنَ اللَّهِ سَبَقٌ لِّمَسْكُكُمْ فِيمَا أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ۖ فَكُلُوا مِمَّا غَنِمْتُمْ حَلَالًا طَيِّبًا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [الأنفال: ٦٧-٦٩]، وقوله تعالى: ﴿لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا عَقَّدْتُمُ الْأَيْمَانَ﴾ [المائدة: ٨٩]، وقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ تَبْتَغِي مَرْضَاتَ أَزْوَاجِكَ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [فَدَفَرَضَ اللَّهُ لَكُمْ تَحِلَّةَ أَيْمَانِكُمْ وَاللَّهُ مَوْلَاكُمْ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ﴾ [التحریم: ١-٢]، وقوله تعالى: ﴿وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَاهُ﴾ [الأحزاب: ٣٧]، وقوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَغُلَّ وَمَن يَغُلَّ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ الْقِيَمَةِ ثُمَّ تَوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ [آل عمران: ١٦١]، اختيرت بناءً على معياري التصريح أو التلميح بالعتاب، وملاءمتها لأهداف التحليل البلاغي الحجاجي.

وحدود زمانية تقتصر على العصر النبوي، ويسعى البحث من خلال هذا الطرح إلى الإسهام في تطوير الدراسات البلاغية القرآنية، وتقديم قراءة تأويلية جديدة تضيء الأبعاد الأسلوية والتقويمية في خطاب العتاب الإلهي.



المبحث الأول

البنية البلاغية في العتاب الإلهي، وتناول أنماط الخطاب وأدواته

المحور الأول: منطلقات الحجاج عند البلاغيين واللغويين القدماء:

الحجاج في اللغة من «حجج وحجاج، وحاجه محاجه وحجاجًا: نازعه الحجة وحجه بحجة حجا: غلبه على حجته، وفي الحديث (فحج آدم موسى) أي غلبه بالحجة واحتج بالشيء: اتخذ حجه، والحجة والدليل والبرهان، يقال: حاججته، فأنا محاج وحجيج أي غلبه بالحجة»^(١)، ويقال: «حاججت فلانًا فحججته أي: غلبته بالحجة، وذلك الظفر يكون عند الخصومة والجمع حجج، والمصدر الحجاج»^(٢)، وهو في المعنى الاصطلاحي «يدل على صنف مخصوص من العلاقات المودعة في الخطاب، والمدرجة في اللسان ضمن المحتويات الدلالية، والخاصية الأساسية للعلاقات الحجاجية، أن تكون درجيّة أو قابلة للقياس بالدرجات، أي أن تكون واصلة بين سلام»^(٣)، في حين يؤكد (طه عبد الرحمن) على «أن المنطوق به الذي يستحق أن يكون خطابًا هو الذي يقوم بتمام مقتضيات الواجبة في حق ما يسمى بالحجاج، إذ حد الحجاج أنه كل منطوق به موجه إلى الغير لإفهامه دعوى مخصوصة، يحق له الاعتراض عليها، فلا خطاب بغير حجاج، ولا مخاطب من غير أن تكون له وظيفة المدعي، ولا مخاطب من أن تكون له وظيفة المعارض»^(٤)، وعند استجلاء الملامح الأولى للفكر الحجاجي عند البلاغيين الأوائل من خلال ما قدموه من مفاهيم تدور في فلك التأثير والخطاب المقامي، نجد أن الجاحظ عرّف البيان بأنه «اسم جامع لكل شيء كشف لك قناع المعنى، وهتك الحجاب دون الضمير، حتى يفضي السامع إلى حقيقته، ويهجم على محصولة كائنا ما كان ذلك البيان، ومن أي جنس كان الدليل؛ لأن مدار الأمر والغاية التي إليها يجري القائل والسامع، إنما هو الفهم و الإفهام؛

(١) ابن منظور محمد بن مكرم الأفريقي المصري، لسان العرب، بيروت، دار صادر د.ت، ص ٢٢٨، ج ٢، مادة حجج.

(٢) أبو الحسن أحمد بن فارس، مقاييس اللغة، تحقيق: عبد السلام هارون، بيروت، دار الجيل، ١٩٩٩م، ص ٣٠، ج ٢، مادة حجج.

(٣) صابر الحباشة، التداولية والحجاج، صفحات للدراسات والنشر، دمشق، ٢٠٠٨م، ص ٢١.

(٤) طه عبد الرحمن، اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ١٩٩٨م، ص ٢١.

فبأي شيء بلغت الإفهام وأوضحت عن المعنى، فذلك هو البيان في ذلك الموضوع»^(١).
وتُعد نظرية النظم عند عبد القاهر الجرجاني محطة بالغة الأهمية في تشييد المعنى داخل التركيب، بما يتجاوز حدود الدلالة المعجمية إلى شبكة العلاقات النصية، فقد قرر في مقدمة كتابه أن النظم ليس سوى أن تضع كلامك الموضوع الذي يقتضيه علم النحو، وتعمل على اختيار الألفاظ، ثم ترتيبها على نسق مخصوص^(٢)، وتضافر عند البلاغيين أيضاً مفهوم مراعاة مقتضى الحال بوصفه مفتاحاً لنجاح الخطاب، ومقياساً لبلاغته، ويظهر السكاكي هذا المعنى في مفتاح العلوم حين يجعل البلاغة «مطابقة الكلام لمقتضى الحال، مع فصاحته»^(٣)، وهذا المقتضى تسميه التداولية الحديثة السياق التواصلية أو المقام الحوارية، الذي يحكم اختيار البنى والأساليب بحسب الغرض والمخاطب.

وإذا جمعنا هذه القراءات المتناثرة عند البلاغيين، وجدنا أن التفكير الحجاجي حاضر عندهم على مستوى الجوهر، وإن غاب كمصطلح مستقل، فكان يُعْنَوْنَ بالوظيفة، والغايات، وتوجيه الخطاب، وترتيب الحجج، والملاءمة بين المقام والمقال.

تطور مفهوم الحجاج في البلاغة الحديثة والتداوليات:

عرف الحجاج في البلاغة الحديثة تحولات جوهرية، جعلت منه مفهوماً مركزياً في دراسة الخطاب، بعد أن كان في البلاغة مقصوراً على فنون الخطابة أو بعض صور الجدل، وكان أبرز من أحدث هذا التحول المفهومي منظّرو البلاغة الجديدة، وفي مقدمتهم شايم بيرلمان، الذي رأى أن الخطاب الحجاجي لا يستهدف الإلزام المنطقي الصارم، وإنما يسعى إلى إحداث درجة من القبول في ذهن المتلقي، فالحجاج «مؤسس على بنية الأقوال اللغوية، وعلى تسلسلها واشتغالها داخل الخطاب»^(٤).

(١) الجاحظ، البيان والتبيين، القاهرة، مكتبة الخانجي، ٢٠٠٣م، ص ٥٦.

(٢) ينظر: عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، تحقيق: محمود شاكر، ط ٣، جدة، دار المدني، ١٩٩٣، ص ٤٦ وما بعدها.

(٣) السكاكي، مفتاح العلوم، تحقيق: حمدي محمدي قابيل، قدم له وراجعته: مجدي فتحي السيد، مصر، المكتبة التوفيقية، ج ٣، ص ٢٥٥.

(٤) أبو بكر العزاوي، اللغة والحجاج، العمدة في الطبع، الدار البيضاء، ٢٠٠٦م، ص ١٧.



وفي هذا السياق، ارتبط الحجاج ارتباطاً عضوياً بالتداولية، بوصفها مجالاً يبحث في العلاقة بين القول والسياق، وبين البنية النحوية والوظيفة المقامية، وبذلك «تهدف نظرية الحجاج اللغوي أو اللساني التي وضعها كل من (أنسكومبر (anscombre) وأزوالد ديكر (o.ducro) إلى دراسة الجوانب الحجاجية في اللغة ووصفها انطلاقاً من فرضية محورية ألا وهي أننا نتكلم عامة بقصد التأثير، أي تحميل اللغة في طياتها بصفة ذاتية وجوهرية وظيفة حجاجية تتجلى في بنية الأقوال ذاتها، صوتياً وصرفياً وتركيبياً ودلالياً». (١)

وبذلك نخلص إلى «أن موضوع نظرية الحجاج هو درس تقنيات الخطاب التي من شأنها أن تؤدي بالأذهان إلى التسليم بما يعرض عليها من أطروحات، أو أن تزيد في درجة ذلك التسليم». (٢)

وقد استثمرت الأسلوبية الحديثة هذا المعطى الحجاجي، فعدت الأسلوب بنية دلالية لا شكلية، ترتبط بمقام الخطاب وبنيته الحجاجية، كما يرى محمد مفتاح، الذي يذهب إلى أن كل انزياح في اللغة إنما هو حجاج مقنع، يستبطن رغبة في إحداث الأثر وتوجيهه المتلقي (٣)، وبهذا أصبح الاشتغال الأسلوبي يصف الخصائص التعبيرية، ويُفكّك الوظيفة الإقناعية للأسلوب بوصفه مظهرًا حجاجيًا.

الحجاج بوصفه استراتيجية تواصلية مقصودة:

لقد أكدت الدراسات التداولية الحديثة أن كل خطاب - في جوهره - يسعى إلى التأثير، حتى ولو بدا تقريراً موضوعياً؛ لأن مجرد اختيار الألفاظ وتنظيم الجمل وتحديد المقامات يشي بقصدية توجيهية، وفي هذا السياق، يرى محمد العمري أن الحجاج فعل

(١) جميل حمداوي، نظريات الحجاج، شبكة الألوكة، ص ٣٢-٣٣.

(٢) عبد الله صولة، في نظرية الحجاج دراسات وتطبيقات، منتدى نور الأزبكية، تونس، مسكيلياني للنشر، ٢٠٠١م، ص ١٣.

(٣) ينظر: محمد مفتاح، تحليل الخطاب الشعري: استراتيجية التناس، ط ٢، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ٢٠٠٥م، ص ٢١٢.

لغوي متعمد، يصدر عن متكلم له نية في التأثير، وله موقف مسبق، ويملك أدوات للتوجيه^(١)، فالمتكلم في المقام الحجاجي يبني قوله بطريقة تجعل من المستمع شريكاً في التفكير، ومستهدفاً بالتأثير.

وهذا ما يجعل من الحجاج فعلاً تواصلياً قائماً على التخطيط والإقناع والتوجيه، وأشار محمد مفتاح إلى أن الحجاج ممارسة ذكية، تستثمر ما في اللغة من طاقات لتوليد المعنى وتوجيهه^(٢)، ومن هنا جاء تماهي الحجاج مع الأسلوب؛ لأن كليهما لا يفهمان إلا في ضوء السياق والمقصد والنية التوجيهية.

(١) ينظر: محمد العمري، الحجاج مفهومه ومجالاته، إربد، دار عالم الكتب الحديث، ٢٠١٠م، ص ١٤.
(٢) ينظر: محمد مفتاح، تحليل الخطاب الشعري استراتيجية التناص، ط ٢، الدار البيضاء، المركز الثقافي العربي، ٢٠٠٥، ص ٢٤١.



آليات وتقنيات الحجاج:

المقدمات العقلية والوجدانية:

تُشكّل المقدمات العقلية والوجدانية البنية التحتية لكل خطاب حجاجي فاعل؛ لأنها تُبنى في ضوء وعي المتكلم بطبيعة المتلقي، ومدى استعداداته الذهني والنفسي لتقبُّل الرسالة، وتُعد هذه المقدمات بمثابة نقاط انطلاق استراتيجية تُهيئ المتلقي للقبول أو إعادة النظر، بحسب طبيعة المقام وهدف الخطاب، فالمقدمات العقلية تخاطب الذهن بالبراهين والمقارنات والتسليمات المنطقية، بينما تخاطب المقدمات الوجدانية العاطفة، وتستثير الانفعال أو التعاطف أو الخوف أو الحنان، دون أن تكون مجرد انفعالات خام، بل وسائط بلاغية وظيفتها تمهيدية وتأثيرية في آن واحد، فالحجاج العربي التقليدي كان يميل إلى التكامل بين المقنع العقلي والمحرك الشعوري، عبر تنويع أساليب القول، بما يضمن تعدد المداخل إلى ذهن المتلقي.^(١)

وبذلك يتبيّن أن المقدمات العقلية والوجدانية في الخطاب الحجاجي من صميم استراتيجية التأثير، وفي خطاب العتاب القرآني للمصطفى ﷺ، جاءت هذه المقدمات موزونة على المقام، ومشغولة بمنطق الرحمة والتربية، مما يجعلها أداة حجاجية تقويمية، تؤدي رسالتها بلطف وأدب، دون أن تفقد الحجة قوتها، أو تتخلى عن مقصدها الإصلاحي.

الأدوات اللغوية والبنائية في الخطاب الحجاجي:

تتجلى الفاعلية الحجاجية في الخطاب من خلال ما يُعرف بالأدوات اللغوية والبنائية، وهي الوسائل التي تُستدعى داخل النص لا لتأثيره شكلياً، وإنما لإدارة عملية الإقناع وقيادة المتلقي نحو موقف محدد، ومن هذه الأدوات: الاستفهام، والنفي، والقسم، والتوكيد، والشرط،

(١) ينظر: محمد ولد سالم الأمين، حجاجية التأويل في البلاغة المعاصرة، طرابلس، منشورات المركز العربي للدراسات، ٢٠٠٤م، ص ١٥.

وغيرها، والتي يُعاد توظيفها حجاجيًا وأسلوبياً بحسب مقام القول.(١)

فالاستفهام من أكثر الأدوات البلاغية توظيفاً في الحجاج، ليس لطلب الفهم فحسب، بل لتثبيت الحجة، أو تفنيد قول، أو تقرير ضمني، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ [القرآن الكريم: البقرة: ٤٤]، وهو استفهام تقرير يضع المتلقي أمام مسؤولية فكرية، تُلزم عقله بالمراجعة، كما تُستخدم الصيغة الاستفهامية أحياناً لإثارة التوتر الشعوري، كما في قوله تعالى: ﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ [الرحمن: مكررة]، حيث يتكرر الاستفهام في إطار من التذكير والامتنان، وهو تكرار مقصود يُراكم الحجة في النفس، ويحوّل التلقي إلى موقف وجداني وعقلي معاً.(٢)

أما النفي، فهو من أبرز الأدوات التي تُستثمر في إبطال دعوى أو تعديل مسار مفهومي، والنفي في الحجاج يُعنى ببناء سياق بديل يُعيد ترتيب الفهم، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿مَا يَفْعَلُ اللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِنْ شَكَرْتُمْ وَءَامَنْتُمْ﴾ [النساء: ١٤٧]، حيث يُستخدم النفي لإبراز علة العذاب وأساس نفيه، مما يجعل النفي هنا أداة تربوية حجاجية متقدمة. ويُعدّ القسم أداة حجاجية قوية، خصوصاً حين يُراد تعزيز مصداقية الدعوى المطروحة، فحين يُقسم الحق سبحانه بقوله: ﴿وَالشَّمْسُ وَضُحَاهَا﴾ [الشمس: ١]، ثم يُتبع القسم بحقائق تربوية: ﴿قَدْ أَقْلَحَ مِنْ زُكُّهَا﴾ [الشمس: ٩]، فإن القسم فيه إدخال للمخاطب في أجواء تأملية تُمهّد لتقبُّل الحجة، وكل أداة لغوية - من النفي إلى القسم - تسلك سلوكاً بلاغياً يوجّه المعنى ويقوّي سلطته التأثيرية.(٣)

وإذا نظرنا إلى هذا الاستخدام من منظور المنهج الأسلوبي، فإننا نلاحظ أن هذه

(١) ينظر: عبد الهادي الشهري، استراتيجيات الخطاب مقارنة تداولية، بيروت، دار الكتاب الجديد، ٢٠٠٤، ص ٤٧٧.

(٢) ينظر: عبد الله صولة، الحجاج في القرآن من خلال خصائصه الأسلوبية، لبنان، دار الفارابي، ٢٠٠١م، ص ٨٩.

(٣) ينظر: محمد خطابي، لسانيات النص استراتيجيات التناس مدخل إلى لسانيات النص، الدار البيضاء، المركز الثقافي العربي، ١٩٩١م، ص ١٦-١٧.



الأدوات تُكتسب طاقتها البلاغية من تموضعها داخل السياق، ومن انسجامها مع نبرة الخطاب ومقامه، فالأسلوب استراتيجي القول، كما عبّر عن ذلك محمد العمري في موضع آخر بأن الأسلوب هو الوجه التداولي للبلاغة، والحِجاج هو منطق هذه البلاغة.^(١)

وبذلك فإن دراسة الأدوات اللغوية في ضوء هذا التكامل تكشف أن الحِجاج في القرآن جاء بناءً بلاغيًا أسلوبيًا متماسكًا يُنتج أثرًا نفسيًا ومعرفيًا معًا.

العلاقة بين الحِجاج وبلاغة الإقناع:

تمثّل العلاقة بين الحِجاج وبلاغة الإقناع امتدادًا طبيعيًا لتكامل البعدين التداولي والأسلوبي في الخطاب، فالحِجاج من جهة هو تنظيم للحجج وتوجيه لها ضمن سياقات تواصلية بهدف تحقيق تأثير محدد، وبلاغة الإقناع من جهة أخرى هي تجلٍ لهذا التنظيم حين يتحقق الأثر في نفس المتلقي، وفي هذا الصدد يقول صلاح فضل: «كانت البلاغة فنًا بالمعنى الكلاسيكي للكلمة، وتحددت حينئذ بأنها فن الإقناع الذي يتكون من مجموعة من القواعد والمواصفات، يضمن تطبيقها إقناع السامع بالقول أولاً، أو إقناع القارئ بالعمل الأدبي بعد ذلك، حتى ولو كان هذا الذي يراد به زيفًا وبهتانًا».^(٢)

فالمقاربة الأسلوبية للحِجاج تنظر في مقاصدها الإقناعية، وفي الطاقة الدلالية التي يُنتجها انتظامها داخل البنية الكلية للخطاب.

وبهذا تتجلى العلاقة بين الحِجاج وبلاغة الإقناع في ثلاثة أوجه متكاملة:

- 1 - الحِجاج يُقدِّم المادة (الفكرة والدعوى والدليل).
- 2 - البلاغة تُعالج الصياغة (الأسلوب والتنظيم والنبرة).
- 3 - الإقناع يتحقق حين تتفاعل الحجّة مع حسّ المتلقي، ضمن مقامٍ يحترم عقله ومشاعره.

(١) ينظر: محمد العمري، الحجاج مفهومه ومجالاته، ص ١٥.

(٢) صلاح فضل، علم الأسلوب، مبادئه وإجراءاته، مصر، دار الشروق، ١٩٩٨م، ص ١٦٩.

والقرآن الكريم - في مواضع العتاب والتوجيه والتربية - يُقدّم نموذجًا متفردًا في هذا التكامل، إذ يُوجّه دون تحريج، ويُصحّح دون تعنيف، ويُقنع دون أن يُكره، وهذا ما يجعل الخطاب الإلهي إلى المصطفى ﷺ في غاية الرقي من جهة حجاجيته، وغاية الفعالية من جهة إقناعه.

أنماط الحجاج القرآني

إنّ الحجاج في القرآن لا يُقصد به الجدل العقيم، ولا الإقناع القسري، وإنما هو نوع من التربية البلاغية القائمة على التعليل، والتقويم، والتذكير، وهي سمات تجعل من الخطاب القرآني مدرسة متكاملة في فن التأثير اللغوي والسلوكي، وقد حرصت النصوص القرآنية في خطابها مع البشر على بناء الحجّة بأسلوب متوازن يجمع بين البيان والإقناع، وبين العقل والوجدان، وبين السلطة التوجيهية وحضور الرحمة. (١)

وتتجلّى هذه الفاعلية الحجاجية في أنماط متعددة، تتنوّع بحسب المقام والسياق وغايات الخطاب، ومن أبرزها: الحجاج العقلي، والحجاج الأخلاقي، والحجاج الخطابي، وهي أنماط لا تتقاطع بقدر ما تتداخل وتتساند في إنتاج أثر مزدوج معرفي وقيمي.

يقوم الحجاج القرآني على بنية مركّبة تجمع بين العقل والخُلق والبيان، وهو ما عبّر عنه بعض الدارسين بالتداخل الحيّ بين المنطق والقيم والأسلوب، حيث تُعنى ببنائها ضمن رؤية كلية متجاوزة لحدود الجدل الصوري أو القياس المنطقي المحض، ولهذا تُصنّف أنماط الحجاج في الخطاب القرآني إلى ثلاثة أنماط رئيسة: الحجاج العقلي، والحجاج الأخلاقي، والحجاج الخطابي، وكل نمط منها يُسهم في خدمة مقصد النص الإقناعي بأسلوب مخصوص. (٢)

(١) محمود كاظم الغزي، أنماط البنى الحجاجية في سور الحواميم، مجلة آداب المستنصرية، العدد ٨٣، ٢٠١٨م، ص ٩.

(٢) ينظر: المرجع السابق، ص ١١.



فالحِجَاج العقلي ينهض على البرهنة وإثارة التفكير واستدعاء البديهيّات، ويعتمد على مخاطبة العقل من خلال قوانين التلازم والاستنتاج والمقارنة، ومن أمثلته قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ [الزمر: ٩]، فهذا السؤال الاستفهامي لا يُنتظر منه جواب، بل هو حجة عقلية تنطلق من تباين واضح، يُسلم به كل عقل سليم، وعدّه محمد العمري من أبرز صور الحِجَاج المقتنع غير الجدلي؛ لأنه يبيّن سلماً عقلياً نحو الاستيعاب. (١)

أما الحِجَاج الأخلاقي، فيتمثل في اعتماد الخطاب على القيم العليا مثل الصدق، والعدل، والإحسان، والوفاء، والتواضع إلخ، وهو يُخاطب الضمير الإنساني لا الذكاء الذهني فقط، ومن أمثلته قوله تعالى: ﴿يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [النحل: ٩٠]، فالنص يُقدّم توجيهاً يقوم على سلّم قيميّ أخلاقي، يوجّه الفعل الإنساني عبر المعاني لا المجادلة، وأشار عبد الله صولة إلى أن «الحِجَاج الأخلاقي هو جوهر البلاغة الإقناعية في النصوص القرآنية؛ لأنه يستند إلى المشترك القيمي الذي لا يتطلّب جدالاً». (٢)

أما الحِجَاج الخطابي، فهو الأكثر اتساعاً، إذ يستثمر الصوت البلاغي للنص «من الصور والاستعارات، إلى الطباق والمقابلة، إلى الجمل الإيقاعية والتكرار، وغيرها، ويُعدّ هذا النمط مزيجاً من العقلي والوجداني، لكنه يُصاغ بأسلوب خطابي متدرج التأثير، وغالباً ما يُستخدم في المقامات التي تتطلب شد الانتباه أو تحريك الشعور» (٣)، وهكذا يظهر التناسق بين هذه الأنماط الثلاثة في بناء الخطاب الحِجاجي القرآني، فهي تُنسج معاً بحسب المقام، ويتولّى الأسلوب وظيفة المزج والمواءمة بينها.

سياقات الحِجَاج القرآني وأهدافه:

يتميّز الحِجَاج القرآني بخصوصية بارزة تتمثّل في ارتباطه الوثيق بالسياق، وتحدده الدقيق بالهدف، إذ لا يرد في القرآن خطاب حِجاجي خارج مقامه، ولا تُستخدم وسائله إلا بما

(١) ينظر: محمد العمري: الحِجَاج مفهومه ومجالاته، ص ١٠٥.

(٢) ينظر: عبد الله صولة: الحِجَاج في القرآن من خلال خصائصه الأسلوبية، ص ١١٣.

(٣) ينظر: محمود كاظم الغزي: أنماط البنى الحجاجية في سور الحواميم، ص ١٢.

يوافق الغاية التقويمية أو العقدية أو السلوكية المرجوة، ولهذا فإن فهم البنية الحجاجية في النص القرآني يقتضي الانتباه إلى المقامات والسياقات التي تُوجّه فيها الحجج، وإلى المقاصد التي يسعى النص لتحقيقها من خلالها.

وجاء خطاب القرآن بكل أنواع الخطاب واستعان بألوان من الحجج والبراهين، بعضها يوافق طبيعة الذهن العربي بوضوح مقدماته ونتائجه، وبعضها جاء على ما عرف بعد عند المتكلمين من اعتماد الحاجة المستندة إلى الأدلة الدقيقة المعقدة، وفي سعيه لإرساء عملية حجاجية صحيحة، حرص الخطاب القرآني على مراعاة «شروط التلقي ودرجات الاعتقاد ومدارك المتلقين وأوضاعهم الزمنية والمكانية استجابة لدواعي الإقناع ومسلوكيات التخاطب وأنماطه السلوكية وبنياته البيانية وأساسه المنطقية وسلمية الاستدلالات العقلية وحركية الأفعال الحجاجية»^(١)، فهو في أكثر من موضع يؤكد على دور الحجة في الإقناع وبطرق مختلفة، أي بحسب قدرات الناس العقلية والعاطفية، فمنهم من يقنع بالفكرة عن طريق استهواء العاطفة وإيقاظ الشعور، ومنهم من لا يدعن لغير البرهان المباشر ويستخدم الاستدلال المنطقي كالقياس والتّمثيل والاستقراء، كما يذهب الزّركشي الذي اصطنع البرهان للتعريف بعلوم القرآن إلى أنّ القرآن قد اشتمل على جميع أنواع البراهين والأدلة والحجج وما من برهان ودلالة وتقسيم وتحديد شيء من كليات المعلومات العقلية والسّمعية إلّا وكتاب الله قد نطق به.^(٢)

وبتبع الحجاج القرآني نجد أنه يتنوع بحسب المقام إلى سياقات عقدية، وسلوكية، وتاريخية، وتربوية، ولكل سياق بنيته الخاصة، وأسلوبه الإقناعي المناسب، ففي السياقات العقدية، يهدف الحجاج إلى إثبات التوحيد، والبعث، والعدل الإلهي، وغيرها من القضايا الكبرى، ويبنى على برهنة عقلية وتعليل بياني، كما في قوله تعالى: ﴿أَأَلِهٌ مَّعَ اللَّهِ بَلْ هُمْ

(١) أحمد يوسف، سيميائيات التواصل وفعالية الحوار، المفاهيم والآليات، منشورات مختبر السيميائيات وتحليل الخطابات، جامعة وهران، ٢٠٠٤، ص ٨٧.

(٢) الزّركشي، البرهان في علوم القرآن، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، مصر، دار إحياء الكتب العربية عيسى البابي الحلبي وشركائه، ١٣٧٦هـ، ج ٢، ص ٣٤.

قَوْمٌ يَعْدِلُونَ ﴿[النمل: ٦٠].

أما في السياقات السلوكية، فالحجاج يُستخدم لتقويم الفعل البشري، وضبط العلاقات بين الأفراد، كما في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللَّهَ أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالْإِثْمِ﴾ [البقرة: ٢٠٦]، فالنص هنا يُقدِّم حجة سردية قصيرة توضح خطأ منحرفاً في السلوك، ليُدين صاحبه ضمناً دون مواجهة مباشرة، وهي تقنية بلاغية حجاجية ذات أثر أخلاقي عميق.

وفي السياقات التاريخية، يُستدعى الحجاج لاستعراض سير الأقسام السابقة، بغرض التحذير أو العبرة، كما في قوله تعالى: ﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً مُطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّنْ كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذْهَبَهَا اللَّهُ لِبَاسِ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ﴾ [النحل: ١١٢].

أما السياقات التقييمية في البحث فتتميز بخطاب حجاجي هادئ، يقوم على اللين والموعظة والتوجيه غير الصدامي، كما في قوله تعالى: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لَنتَ هُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَأَنفَضُوا مِنْ حَوْلِكَ﴾ [آل عمران: ١٥٩]، فالخطاب هنا يوظف بنية توصيفية تُقرِّر الواقع وتُلَمِّح للتقويم، فيستبطن النص حُجَّة تربوية من نوع خاص، قائمة على التذكير بالعاطفة والرحمة لا على المجادلة.

فالخطاب القرآني يصنف ضمن الخطاب الحجاجي لكونه جاء ردّاً على خطابات تعتمد عقائد ومناهج فاسدة، فهو يطرح أمراً أساسياً يتمثل في عقيدة التوحيد، ويقدم الحجج بمستويات مختلفة والمدعمة لهذا الأمر ضد ما يعتقد المتلقون من مشركين وملحدين ومنكرين للنبوة والمعاد ومجادلين، وذلك يجعل أيّ قول مدعم صالحاً أو مقبولاً بمختلف الوسائل، ومن خلال مختلف الصيغ اللغوية إذا اعتبرنا أنّ هذه الصيغ هي أفعال كلام تمارس وظيفة الإقناع من خلال قوّتها الكلامية التي تتجلى بدورها من خلال طرائق منطقية في البناء والربط والعلاقات الاستدلالية التي يُمثِّل الحجاج أبرز مظاهرها. (١)

(١) ينظر: أمنية بلعلی، الإقناع، المنهج الأمثل للتواصل والحوار نماذج من القرآن والحديث، مجلة التراث العربي، مجلة فصلية تصدر عن اتحاد الكتاب العرب، دمشق، العدد ٨٩، ٢٠٠٣م.

المحور الثاني: مفهوم العتاب وبلاغته في القرآن وأدب الخطاب الإلهي مع النبي ﷺ:

يتميّز الخطاب الإلهي الموجه إلى النبي ﷺ بأسلوب بلاغي رفيع، يجمع بين الرحمة واللفظ والعتاب الرصين، في إطار من التقدير والتوجيه التقويمي (إصلاحية)، بحيث يصبح نموذجاً للحجاج البلاغي الهادف إلى الإصلاح، والعتاب في اللغة مصدر عاتب، «وعتب عليه عتباً وعتاباً وعتاباً ومعتباً ومعتبَةً، لأمه وخاطبه مخاطبة الإدلال طالباً حسن مراجعته، ومذكراً إياه بما كرهه منه» (١).

وهو في المعنى الاصطلاحي لا يخرج عن المعنى اللغوي المذكور سابقاً، فالعتاب: مخاطبة الإدلال، ومذاكرة الموحدة (٢)، وهو لوم من طرف لآخر على سبيل الحب والإدلال (٣)، وإنما يعاتب من ترجى عنده العتبي، أي: الرجوع عن الذنب والإساءة، أو ما هو أولى، وهذا المعنى هو أنسب معاني العتاب وأمسها بالموضوع.

وفي النظر إلى الفرق بين العتاب واللوم وغيره، فإن العتاب يمثّل في جوهره نوعاً من التوجيه الكلامي اللطيف الذي يُستعمل بين المتحابين أو المتقاربين عند حدوث مخالفة ما، لكنه يختلف من حيث بنيته المقصدية وأثره الشعوري عن كل من اللوم والغفو، وقد مر بنا دلالاته اللغوية والاصطلاحية، وقد ورد العتاب في القرآن بمعناها في اللغة وهو: مخاطبة الإدلال ومذاكرة الموحدة، قال الشاعر (٤):

(١) الفراهيدي، العين، تحقيق محمد مهدي المخزومي وإبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال، ١٩٨٢م، ٧٥/٢-٧٧، الجوهري، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، ط ٤، بيروت، دار العلم للملايين، ١٩٩٠م، ١٧٥/١-١٧٧.

(٢) ينظر: المناوي، التوقيف على مهمات التعاريف، تحقيق: عبد الحميد حمدان، القاهرة، عالم الكتب، ١٩٩٠م، ص ٢٣٦.

(٣) ينظر: مجموعة باحثين، نظرة النعيم، دار الوسيلة للنشر، جدة، ١٩٨٩/٣.

(٤) الجوهري، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، ١٧٦/١.



إذا ما رابني منه اجتناب

أعاتب ذا المودة من صديق

وللتفريق البلاغي بينه وبين اللوم، فإن اللوم يشتد في النبذة ويتجه نحو التوبيخ والتقريع، بينما العتاب يخفف حدة التوجيه ويكسوه بلبوس الحنان، وقد عبّر العسكري عن ذلك بقوله: هو «عذل الإنسان عما فيه عيب». (١)

أما العفو، فهو في اللغة مصدر عفا يعفو عفوًا، والعفو يطلق على معنيين أصليين: أحدهما: ترك الشيء، والآخر: طلبه. (٢)

وهو في الاصطلاح كف الضرر مع القدرة عليه، وكل من استحق عقوبة فتركها، فقد عفا (٣)، فهو يقع في المقابل الدلالي للوم، ويأتي بوصفه تجاوزًا عن الخطأ ورفعًا للعقوبة أو الإنكار، ومن ثم فهو يحمل في طياته دلالة أخلاقية عليا، تنصرف إلى الكرم أو الرحمة أو الصفح، ولذا فإن العتاب يتوسّط -بلاغيًا ووظيفيًا- بين اللوم والعفو، فيجمع من أحدهما نبذة التنبيه، ومن الآخر روح التسامح، ويتميّز عنهما معًا بنفَس توجيهي إصلاحِي يُراعي المقام والخطاب والسياق.

آداب وخصائص العتاب الإلهي الموجه للنبي ﷺ:

يتسم الخطاب الإلهي الموجه إلى النبي محمد ﷺ ببلاغة سامقة، تقوم على الجمع بين اللين والحزم، وبين التوجيه والتقدير، في قالب تعبيري يتفرد به النص القرآني عن سائر النصوص الدينية والخطابية، ومن أبرز الآداب البلاغية لهذا الخطاب:

1 - الرفق في التوجيه، حيث يُقدّم العتاب غالبًا مسبوقًا بتمهيد لطيف أو مدح، فقد

(١) أبو هلال العسكري، الفروق اللغوية، تحقيق: محمد إبراهيم سليم، القاهرة، دار العلم والثقافة، ص ٣٥٠.

(٢) ابن فارس: مقاييس اللغة، ٥٦/٤.

(٣) ينظر: أيوب الكفوي، الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، تحقيق: عدنان درويش، بيروت، مؤسسة الرسالة، ص ٥٣، ٥٩٨.

قال ﷺ: «لم يدخل الرفق في شيء إلا زانه»^(١)، وقال ﷺ: «إن هذا الدين متين، فأوغلوا فيه برفق!»^(٢)، ففي قوله تعالى: ﴿عَفَا اللَّهُ عَنْكَ لِمَ أَذْنَتْ لَهُمْ﴾ [التوبة: ٤٣]، افتتحت بالعفو قبل عرض موطن العتاب، وهذا التقديم يدل على منزلة النبي ﷺ، ويجعل العتاب يأتي في إطار المودة والرعاية.

2 - الاقتصاد اللفظي مع قوة الدلالة، فالآيات الموجهة للنبي ﷺ تتسم بالإيجاز الذي لا يُخلُ، ويُضفي على الخطاب وقارًا وجاذبية.

3 - غياب التصريح في بعض المواضع، حيث تُستخدم الضمائر أو التلميحات، مما يُبعد الخطاب عن الجرح الشخصي، ويجعله أقرب إلى الحوار التقويمي (إصلاح) الداخلي.

4 - التوازن بين الحجة والعاطفة، فلا يُغفل النص جانبًا وجدانيًا في أثناء عرض الحجة، كما لا يُهمل الغاية الإقناعية في ظل هذا الحضور العاطفي.

وفي كل ما سبق يؤكد أن الخطاب الإلهي في العتاب لم يكن إلا أحد تجليات الحِجاج الأسلوبي القرآني، الذي يجمع بين: دقة اللغة، ومراعاة المقام، وفعالية التأثير، وسمو الغاية فهو خطاب يُحيل إلى سلطة الحبّ والبيان، ويكفي أنه موجه إلى أحب خلق الله إليه، ليكون البلاغ فيه على أرقى درجات الإنسانية والرحمة.

أنواع العتاب الإلهي:

تختلف أنواع العتاب باختلاف السياقات والمقاصد والأساليب، فهناك العتاب الرقيق (اللطيف)، الذي يُقال بدافع المحبة، ويتوسل الرقة، ويعتمد لغة التودد، وهذا ما نجده في قول الله تعالى لنبيه: ﴿عَفَا اللَّهُ عَنْكَ لِمَ أَذْنَتْ لَهُمْ﴾ [التوبة: ٤٣]، حيث يتقدم العفو على العتاب، إيذانًا بالصفح قبل المحاسبة.

(١) أخرجه أحمد في مسنده، ١٦٧/٢١، رقم ١٣٥٣١.

(٢) أخرجه أحمد في مسنده، ٣٤٦/٢٠، رقم ١٣٠٥٢.



وهناك العتاب التقويمي (التوجيهي)، الذي يتوجّه إلى تصحيح فعل معيّن، ويكون صريحاً في بيانه، لكن دون إخلال بمقام المخاطب، كما في قوله تعالى: ﴿مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَكُونَ لَهُ أَسْرَىٰ حَتَّىٰ يُتَخَنَ فِي الْأَرْضِ﴾ [الأنفال: ٦٧]، إذ يحمل توجيهها ضمناً لسداد القرار دون تجريح، وفيه «تعريض بمعاتبه النبي ﷺ بالعتاب المباشر في خشيته الناس». (١)

كما نلاحظ نوعاً ثالثاً، وهو العتاب البياني المباشر، الذي يُصرّح بالفعل ويضع البديل ويبين الموقف، مثل قوله: ﴿يَأْيُهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ﴾ [التحریم: ١]، إذ يتجه العتاب هنا إلى الموقف مباشرة بلغة توجيهية واضحة، ويمكن أيضاً أن نتحدث عن العتاب الضمني الذي يفهم من السياق العام للخطاب دون أن يُصرّح به، كما في بعض الأساليب البيانية التي تكتفي بالإشارة أو السكوت.

وتتفاوت هذه الأنواع بحسب طبيعة المقام، وتاريخ العلاقة، وموقع المخاطب، وهدف الخطاب، وتُظهر في مجملها عبقرية البيان القرآني في اختيار نوع العتاب المناسب لكل موقف بحسب مقامه ودقته وتوقيت نزوله، فهناك أساليب أو أنواع أخرى منها أسلوب التوجيه، وأسلوب التنبيه، وأسلوب التحذير (٢)، ومن هنا، فإن تصنيف العتاب في القرآن الكريم هو تصنيف دلالي مقصود، يرتبط بوظائف الحجاج، ومراتب التربية، وسمات الرحمة التي تحكم خطاب الله لعباده، وعلى رأسهم خاتم النبيين ﷺ.

ختاماً يتبين من هذا المبحث أن الحجاج في بنيته البلاغية والأسلوبية نشاط تواصلية مركّب يستند إلى خلفية عقلية ودلالية وسياقية.

وقد وقفنا عند الآليات الحجاجية التي يُبنى عليها الخطاب من مقدمات عقلية ووجدانية وأدوات لغوية إنشائية تؤسس لإنتاج الحُجّة، وتُرسّخ العلاقة بين الحجاج وبلاغة

(١) ابن عطية، المحرر الوجيز، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤٢٢هـ، ٣٨٨/٤.

(٢) د. عويد المطرني، آيات عتاب المصطفى في ضوء العصمة والاجتهاد، مكة المكرمة، كلية الشريعة والدراسات للنشر، ٢٠٠٥م، ص ١٤.

الإقناع، كما أُشير إلى أنماط الحجاج القرآني التي تتراوح بين العقلي والأخلاقي والخطابي. وعلى ضوء هذا التأسيس النظري، سيُنقل في المبحث الآتي إلى دراسة تطبيقية، ترصد أنماط الحجاج البلاغي وتحليلاته الأسلوبية في مواضع مختارة من العتاب الإلهي للنبي ﷺ، وفق قراءة تحليلية تراعي النسق البلاغي، والمقصد التداولي، والبعد التقويمي (التوجيهي) للخطاب القرآني.



المبحث الثاني: أنماط الحجاج البلاغي في العتاب الإلهي

يمثّل هذا المبحث الجانب التطبيقي من الدراسة، إذ يُعنى بتحليل نماذج مختارة من آيات العتاب الإلهي الموجه للنبي ﷺ، من خلال تفعيل أدوات المنهج الأسلوبي في ضوء الرؤية الحجاجية التي تم تأصيلها في المبحث الأول، ويهدف التحليل إلى تتبّع الخصائص البلاغية للخطاب الإلهي، وتفكيك آلياته اللغوية، وتبيان وظائفه التقويمية، بما يُبرز فاعلية الحجاج القرآني في صياغة العتاب بأسلوب رفيع يجمع بين التوجيه والتنبيه، دون تجريح أو تصعيد، ويأتي هذا المبحث ليجسّد أنماط الحجاج البلاغي في العتاب الإلهي عبر ثلاثة محاور رئيسة سيتم تناولها كالآتي:

المحور الأول: الحجاج البلاغي في العتاب الإلهي الرقيق (اللطيف):

يُعدّ العتاب في الخطاب الإلهي للنبي ﷺ واحدًا من أبرز مظاهر الحجاج اللطيف والرفيق، حيث يتجلّى بأسلوب يجمع بين الحزم والرقّة، ويهدف إلى التوجيه بلين دون تهديد أو إدانة، ويحرص على المحافظة على مقام النبي ﷺ ويُراعي خصوصية العلاقة بين الله ورسوله، وفي هذا المحور، سيتم تحليل آيات مختارة تعكس هذا الأسلوب الحجاجي اللطيف، مع التركيز على كيفية توظيف القرآن الكريم لآليات بلاغية وأساليب أسلوبية تحقق الحجاج في إطار من الرفق والرحمة، بحيث يُبرز الخطاب عتابًا رقيقًا يتلاءم مع مقام النبوة ويُحفّز على الإصلاح والتقويم.

وسينطلق التحليل من فهم كيف يعمل هذا النوع من العتاب الحجاجي على بناء علاقة تواصلية فاعلة مع المخاطب، تراعي المشاعر، وتحقق الغايات التقويمية بأسلوب يُعلي من مكانة الرسالة دون المساس بالكرامة الشخصية، وأول هذه الآيات قوله تعالى: ﴿وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْعَدْوَةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِمْ مِنْ شَيْءٍ فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُونَ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ [الأنعام: ٥٢].

تمثل هذه الآية القرآنية مثالاً راقياً على العتاب الإلهي الذي يتلبس بالحجاج البلاغي في أسلوب رقيق رقيق، يخاطب وجدان النبي ﷺ ويقوم فعله أو نيته المحتملة دون جرح أو تفرع، بل بلطف بالغ يراعي المقام النبوي، ويؤسس في الوقت ذاته لقيمة تربوية عميقة تتعلق بمفهوم المفاضلة بين الناس بناء على معايير الصفاء الديني لا المظهر الاجتماعي، فالافتتاح بنهي صريح: ﴿وَلَا تَطْرُدْ﴾ يوحي ابتداءً بوجود سلوك محتمل لم يقع بعد، لكنه يخضع لضغط مجتمعي أو اقتراح خارجي يُراد للنبي ﷺ أن يتفاداه، وهو طرد الضعفاء من حضرة المجلس النبوي استرضاءً لأصحاب الجاه من المشركين، غير أن النهي هنا يأتي في صورة خطاب تربوي وقائي، وظيفته توجيهية تقويمية، لا إدانة فيها، وهذا يتفق مع الطبيعة الأسلوبية للنص التي تراعي توازناً دقيقاً بين الوظيفة التعبيرية والوظيفة الإقناعية.

ويُبنى الحجاج مباشرةً بعد النهي، من خلال عرض صفات المخاطب عنهم: ﴿الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْعَدْوَةِ وَالْعَشِيِّ﴾، وهذه الصفات تُقيم الحجة على القيمة الباطنة التي يحملها أولئك المؤمنون، فهم موصوفون بدعاء مستمر، يمتد من أول النهار إلى آخره، في صورة توحيد الزمن التعبدي وتُظهر الإخلاص المتواصل، وعبرة ﴿يُرِيدُونَ وَجْهَهُ﴾ تعبر عن أن فعلهم خالص لا تشوبه رياء أو منفعة، مما يمنح خطاب العتاب بعداً قيمياً محضاً، ويُفقد مطلب المشركين - بطرد هؤلاء - أي حجة اعتبارية.

وعلى المستوى الأسلوبي، نلاحظ أن الجملة تحمل توازناً صوتياً دقيقاً بين الغداة والعشي، وكأنها تؤسس لإيقاع تعبدي دائري، لا ينقطع، ويعبر عن الاستغراق الروحي الكامل، كما أن الجملة توصف عبادتهم بأنها موجهة إلى وجه الله، مما يضيف عليها قداسة لا تنزع، وقد أشار ابن عاشور إلى هذا المعنى قائلاً: «أراد الله بهذه الصفات أن يُعلي شأن هؤلاء الفقراء من المؤمنين في نفوس من يتوهمون أن غنى الكافر أكرم عند الله من فقر المؤمن»^(١).

(١) ابن عاشور، التحرير والتنوير، تونس، دار سحنون، ٢٤٦/٧.



ويلي ذلك تركيب أسلوبي متقن قائم على النفي المزدوج: ﴿مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِمْ مِنْ شَيْءٍ﴾، وهذا التكرار البنائي يحمل دلالة بلاغية قوية؛ إذ يُظهر أن المسؤولية الدينية ليست على النبي ﷺ من جهة حساب الناس، ولا على الناس من جهة محاسبته، في تعبير يقطع الطريق على كل محاولة لربط القرب أو البعد من النبي ﷺ بمقاييس دنيوية، ويبرز هذا التكرار أيضاً قدرة النص على صنع الموازنة البينائية، التي تحقق الإقناع بأسلوب غير مباشر، في صيغة تُبعد اللوم عن النبي ﷺ، لكنها في الوقت ذاته تُعرِّي الحُجَّة القبلية القريشية، التي كانت تطالب بإبعاد الفقراء من حضرته.

وفي قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقُولَنَّ لِشَيْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَلِكَ غَدًا ۖ إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ ۚ وَادُّكَّرْ رَئِكَ ۖ إِذَا نَسِيتَ وَقُلْ عَسَىٰ أَن يَهْدِيَنِّي رَبِّي لِأَقْرَبَ مِنْ هَذَا رَشَدًا﴾ [الكهف: ٢٣-٢٤].

يظهر العتاب الإلهي للنبي ﷺ في سياق مرتبط بزمان الوحي، عندما سأله كفار قريش أسئلة عن أصحاب الكهف والروح وذي القرنين، فوعدهم أن يجيبهم في الغد دون أن يقول: «إن شاء الله» طمعاً في سرعة الجواب بوحي من الله، فجاء العتاب الإلهي هنا في هيئة تقويمية حجاجية متلبسة بأسلوب تربوي رفيق، يؤسس قيمة عقدية في عمقها، وهي ردُّ العلم إلى الله وتقييد العزم البشري بإرادة العليم الحكيم، وبمضي النص في هذا الخطاب دون أن يذكر الفعل الخطأ الذي ارتكب، بل يكتفي بنهي بلاغيٍّ يحمل في طياته الإشارة الرقيقة إلى موضع الخطأ، دون تصريح أو توبيخ.

يتبدئ العتاب بفعل النهي المؤكد: ﴿وَلَا تَقُولَنَّ﴾، وقد جاء مؤكداً بنون التوكيد الثقيلة، في تعبير يُحاكي مواضع الجزم العقدي، لا مجرد التوجيه الأخلاقي، مما يدل على أهمية المعنى العقدي الكامن خلف العبارة، غير أن هذا التوكيد لا يخرج عن سياق الأدب مع المخاطب، فالنهي جاء مسبوقاً بالفعل (ولا)، وفيه تفادي للتسمية المباشرة، مما يحافظ على مقام النبي ﷺ دون تقليل أو تعريض، ومن ثمَّ فإنَّ أسلوب العتاب هنا يُفَعِّل أرقى مستويات البلاغة الحجاجية التي تجمع بين حفظ المقام، وتأكيد المبدأ، وإبلاغ الغاية.

أما قوله: ﴿إِنِّي فَاعِلٌ ذَلِكَ غَدًا﴾، فهو جملة سردية تحمل داخلًا عتابًا على الاطمئنان إلى الفعل المستقبلي دون استحضار شرط المشيئة، ومن ثم جاءت الجملة التالية: ﴿إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ﴾؛ لتكون تصحيحًا ضمنيًا رقيقًا، يُقرّر مبدأ التقييد بإرادة الله بوصفه تصورًا عقديًا أساسه التوكل، وهذا المقام تعليم ضمني للأمة كلها، وأشار الطاهر بن عاشور إلى أن هذا الموضوع أسلوب في التأديب الإلهي وتعليم الأمة توخي الأدب في نسبة الأفعال إلى إرادة الله تعالى (١).

وفي ضوء الأسلوب، نلاحظ أن الانتقال من الجملة الخبرية «إني فاعل» إلى الجملة الشرطية «إلا أن يشاء الله» يُحدث انزياحًا بلاغيًا دقيقًا، يحوّل الخبر الحاسم إلى احتمال مفتوح، ويوسع دائرة التلقي من الذات إلى المجال الكوني الرحب، وهذا التحول في البنية الأسلوبية من الإخبار إلى التعليق الشرطي يحمل طاقة بيانية تُصاغ في قالب حجاجي تربوي، يجعل المخاطب يتأمل الحدث باعتباره قرارًا إلهيًا يُستحضر فيه الغيب.

أما تنمة الآية: ﴿وَأَذْكُرْ رَبَّكَ إِذَا نَسِيتَ﴾ فهي عبارة تحتزن بعدًا وجدانيًا عميقًا، فالنسيان هنا يُجبر بالذكر، وفيه بلاغة تسديد وتقويم وتوجيه إلى ما يعيد الصلة، وبهذا تتجلى أرقى صور العتاب القرآني الذي يتسلّل إلى النفس ليظهرها من لحظات الركون إلى النفس أو التقدير البشري المجرّد (٢).

وفي قوله تعالى: ﴿عَفَا اللَّهُ عَنْكَ لِمَ أَذِنْتَ لَهُمْ﴾ [التوبة: ٤٣].

يتجلى نموذج رفيع من العتاب الإلهي الحجاجي الرقيق (اللطيف) الذي يجمع بين إشراق الرحمة الإلهية، وصدق التوجيه النبوي، وقوة البناء البلاغي، بما يرسّخ وظيفة العتاب في القرآن كأسلوب نبوي تربوي يسمو فوق الانفعال والمحاسبة الصارخة، فالآية افتُتحت

(١) ابن عاشور، التحرير والتنوير، بيروت، مؤسسة التاريخ العربي، ٢٠٠٠م، ١٦/٢٩٦.

(٢) ينظر: ابن جرير الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن، تحقيق: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، ١٤٢٠هـ، ١٥/٢٢٠-٢٢١.



بالفعل: ﴿عَفَا اللَّهُ عَنْكَ﴾، وهو فعل لا يُعْبَرُ عن وقوع خطأ، بل يسبق حتى ذكر الفعل الذي استحق العتاب، قال ابن جرير: «وهذا عتاب من الله تعالى ذكره، عاتب به نبيّه ﷺ في إذنه لمن أذن له في التخلف عنه، حين شخص إلى تبوك لغزو الروم، من المنافقين». (١)

والتقديم بـ﴿عَفَا اللَّهُ عَنْكَ﴾، قبل ذكر الإذن، يُحيل إلى تقنية بلاغية أسلوبية تُبطل أثر العتاب ابتداءً، وتحيطه بإطار من المغفرة والرضا، وهو من أرفع ما يمكن أن يُقال في مقام التربية الإلهية للنبي ﷺ، فالضمير في عنك يُخصّص الخطاب، ويؤكد أن هذا العفو موجّه للنبي وحده، لا إلى غيره، في خصوصية شرف وخصوصية رقابة ربانية، وهو ما يعكس إدماجاً بين البنية النحوية (تقديم الجملة الفعلية وتخصيص الضمير)، وبين الدلالة التقويمية، وبين وظيفة الحجاج الضمني الذي يُعلي من منزلة المخاطب، حتى وهو يوجّه إليه نقدًا ناعمًا في صورة سؤال تقريرى: ﴿لَمْ أَذْنِ لَهُمْ﴾ وهو ماعبر عنه عون بقوله: «هل سمعتم بمعاتبه أحسن من هذا؟ بدأ بالعفو قبل المعاتبه». (٢)

فالسؤال: ﴿لَمْ أَذْنِ لَهُمْ﴾ يكشف عن الحكمة التقويمية في تمحيص الصفوف، وهو عتاب يُقَوِّم لا يُؤْتِب، ويُظهر أن الإذن بالانصراف للمنافقين كان تصرفاً مشروعاً من حيث الظاهر، لكنه يُفَوِّت مصلحة تربوية في كشف الصادق من الكاذب، وقد أشار ابن عاشور إلى أن العتاب هنا جاء «بصيغة الاستفهام عن العلة إيماء إلى أنه ما أذن لهم إلا لسبب تأوله ورجا منه الصلاح على الجملة بحيث يسأل عن مثله في استعمال السؤال من سائل يطلب العلم وهذا من صيغ التلطف في الإنكار أو اللوم». (٣)

أما ختام الآية: ﴿حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكَ الْذِينَ صَدَقُوا وَتَعْلَمَ الْكَذِبِينَ﴾ [التوبة:

(١) ابن جرير الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن: ٢٧٢/١٤.

(٢) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، تحقيق: سامي بن محمد سلامة، ط ٢، دار طيبة للنشر والتوزيع، ١٤٢٠هـ، ١٥٩/٤.

(٣) ابن عاشور، التحرير والتنوير، بيروت، مؤسسة التاريخ العربي، ٢٠٠٠م، ١٠/١٠٧.

[٤٣]، «وتعلم من الكاذب منهم المتخلف نفاقاً وشكاً في دين الله»^(١)، فالخطاب ينتقل من العتاب إلى المقصد، وهو مقام التبصّر والتحقيق، ويُراعى في ذلك تدرجاً في المعرفة: أولاً يتبين، وهي معرفة بالعلامات، ثم تعلم، وهي معرفة يقينية، وهذا التحول من التبين إلى العلم.

يمثل العتاب الإلهي للنبي ﷺ، كما تجلّى في الآيات التي تناولناها، نموذجاً فريداً من الخطاب الحجاجي التلطّفي، وقد دلّت المواضع الثلاثة المدروسة - في سور الأنعام، والكهف، والتوبة - على أن العتاب القرآني، حين يكون رفيقاً، لا يُفْرِط في مضمونه الحجاجي، بل يحقق مقاصده الإقناعية من غير صدام، ويقود المتلقي إلى التصحيح من غير تعنيف، وهكذا تتجلى البلاغة القرآنية في أرقى صورها، عندما يُوظّف العتاب أداةً لإعادة التوجيه، بأسلوب يحتفي بالمخاطب، ويزكي المقصد، ويطرسّم في كل ذلك هدي النبوة ومنهج التربية الإلهية.

(١) الطبري: تفسير الطبري، ٢٧٣/١٤.



المحور الثاني: الحجاج البلاغي في العتاب الإلهي التقويمي (التوجيهي):

يمثل هذا المحور نمطاً مغايراً من أنماط العتاب الإلهي، يعلو فيه صوت التوجيه، وتُستثمر فيه وسائل الحجاج لا لأجل التلطف وحده، بل بغرض تقويم الفعل، وضبط التصرف، وتأكيد البصيرة، ولا يزال العتاب في هذا المقام محكوماً بأدب الخطاب الإلهي مع النبي ﷺ، لكنه يتوسّل بأساليب أوضح، وصيغ أكثر توجيهاً، دون أن يفقد لياقته البيانية، وأول ما يطالعنا في هذا المحور قوله تعالى: ﴿وَلَا تُصَلِّ عَلَى أَحَدٍ مِّنْهُمْ مَّتَّ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَى قَبْرِهِ إِنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَمَآثُورًا وَهُمْ فَسِقُونَ﴾ [التوبة: ٨٤].

يمثل هذا الموضع من العتاب الإلهي نموذجاً ناصعاً للعتاب التوجيهي المباشر، إذ يتضمّن نهياً صريحاً وقاطعاً موجّهاً إلى النبي ﷺ في مقام مراجعة موقف سابق اتسم باللين والتجاوز في غير موضعه، كما ورد في الروايات من صلّاته على عبد الله بن أبيّ بن سلول، رأس النفاق، وجاء هذا العتاب -الذي يحمل وظيفة تقويمية توجيهية بالدرجة الأولى- بلغة تكتسب قوتها من الصيغة الحاسمة: ﴿وَلَا تُصَلِّ عَلَى أَحَدٍ مِّنْهُمْ مَّتَّ أَبَدًا﴾ [التوبة: ٨٤]، فالجملة تحمل أدوات نهي متكررة، تنقسم إلى نهي عن فعل تعبدّي: الصلاة، وآخر سلوكي: القيام على القبر، وكلاهما محاط بسياق تفسيري تعليلي: ﴿إِنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَمَآثُورًا وَهُمْ فَسِقُونَ﴾ [التوبة: ٨٤].

ويتجلى الجانب البلاغي الأسلوبي من خلال توظيف أسلوبي النهي والتعليل في حقل حجاجي واضح، يسعى إلى تقويم موقف نبويّ لم يكن فيه مخالفة شرعية، ولكن كان فيه ميل إلى الرحمة والتجاوز، فجاء العتاب ليضبط هذا الميل بمقتضى المصلحة العقدية والتقويمية للأمة، فالنهي هنا لا يعارض الرحمة، بل يعيد ضبط ميدانها ومقتضياتها.

وتزداد النبرة الحجاجية أثراً بدخول العلة التي تبني الحجّة: أُمَّ إِنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَمَآثُورًا وَهُمْ فَسِقُونَ، فالعلة جاءت ثلاثية: الكفر، والمفارقة الحياتية على هذا الكفر،

والإصرار على الفسق، مما يُكمل صورة السياق التوجيهي الحاد الذي يقوم ميل الرحمة النبوية في موضع يقتضي الحزم والعقيدة، وأشار ابن عاشور إلى أن هذا السياق من المواطن التي وضّحت الفصل بين الرحمة الفطرية عند النبي ﷺ، وبين مقتضى الهداية الربانية في قيادة الأمة. (١)

وفي قوله تعالى: ﴿مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَكُونَ لَهُ أَسْرَىٰ حَتَّىٰ يُثْخِنَ فِي الْأَرْضِ تُرِيدُونَ عَرَضَ الدُّنْيَا وَاللَّهُ يُرِيدُ الْآخِرَةَ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٦٧﴾ لَوْلَا كِتَابٌ مِّنَ اللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيمَا أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٦٨﴾ فَكُلُوا مِمَّا غَنِمْتُمْ حَلَالًا طَيِّبًا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٦٩﴾﴾ [الأنفال: ٦٧-٦٩].

تجسّد هذه الآيات نموذجًا بالغ الدلالة من نماذج العتاب الإلهي، الذي يزواج بين النقد التوجيهي الحازم، والرحمة الربانية الخاتمة، في إطار حجاجي تقويمي يُعالج سلوكًا ميدانيًا اتخذته النبي ﷺ وبعض أصحابه في أعقاب معركة بدر الكبرى، حين آثروا الفداء على القتل، طمعًا في المصلحة الظاهرة، خلافًا لما كانت تقتضيه مقتضيات الحزم الاستراتيجي في ظرف المواجهة، قال السعدي: «هذه معاتبته من الله لرسوله وللمؤمنين يوم بدر إذ أسروا المشركين وأبقوهم لأجل الفداء». (٢)

يفتح النص بعبارة ﴿مَا كَانَ لِنَبِيٍّ﴾ أي: ما صح له وما استقام وهي صيغة إنكارية تحمل شحنة بلاغية قوية، تنفي بصيغة التوقير أن يؤثر النبي ﷺ خيار الأسر قبل الإثخان في العدو. (٣)

ثم تأتي الجملة التالية: ﴿تُرِيدُونَ عَرَضَ الدُّنْيَا وَاللَّهُ يُرِيدُ الْآخِرَةَ﴾ لتبيّن الأساس الحجاجي لهذا العتاب، فالخطاب ينتقل من التنبيه إلى التقويم القيمي، فيقارن بين إرادتين:

- (١) ينظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير، تونس، دار سحنون، ٢٨٥/١١.
- (٢) عبد الرحمن السعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، تحقيق: عبد الرحمن بن معلا الوليح، مؤسسة الرسالة، ١٤٢٠هـ، ص ٣٢٦.
- (٣) الزمخشري: الكشاف، ٥٩٨/٢.



إرادة بشرية قريبة تتعلق بمنافع دنيوية، وإرادة إلهية أسمى تتصل بالمقاصد الأخروية، وهذه المقابلة الحجاجية تضع المتلقي أمام ميزان أخلاقي ومعرفي، يرفع من شأن إرادة الله ومقصده، ويعيد ترتيب الأولويات.

ومن الناحية الأسلوبية، يتسم السياق بكثافة في التوجيه والمراجعة: إذ نلاحظ استعمال جملة سببية مقدّرة: ﴿حَتَّى يُّتَخَنَ فِي الْأَرْضِ﴾ وهو شرط غايته التنبيه إلى التدرج الصحيح في إدارة المعركة، مما يدل على أن الأسلوب الحوارى في الخطاب الإلهي يتسم بإعادة بناء الوعي القيادي من خلال التأنيب المقرون بالحكمة.

ويبلغ الحجاج ذروته في قوله: ﴿لَوْلَا كِتَبٌ مِّنَ اللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيمَا أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾، وهو تركيب بلاغي يُوظف أداة شرط امتناعي (لولا)، لِيُبرز أن العقوبة ارتفعت بسبب سابق علم الله وتقديره، وهو ما أشار إليه الشيرازي حين قال: «لولا حكم من الله سبق إثباته في اللوح المحفوظ، وهو ألا يعاقب المخطئ في اجتهاده أو أن لا يعذب أهل بدر أو قوما بما لم يصرح لهم بالنهي عنه، أو أن الفدية التي أخذوها من الفداء عَذَابٌ عَظِيمٌ». (١)

ثم تُختتم الآيات بعبارة: ﴿فَكُلُّوا مِمَّا غَنِمْتُمْ حَلَالًا طَيِّبًا﴾، وهي جملة بلاغية تُعيد التوازن النفسي بعد التوجيه، وتُطمئن المخاطبين بأن ما نالوه لم يكن حراماً، فهي إزاحة ما وقع في نفوسهم منه بسبب تلك المعاتبة. (٢)

وبهذا، تكون هذه الآيات الثلاث مثلاً دقيقاً على نمط العتاب الحجاجي التوجيهي، الذي يُعيد ضبط البوصلة السلوكية عند القيادة النبوية، من غير مساس بالمقام، بل معزّزاً لسلطة النبوة بالتقويم الرباني الحكيم.

(١) ناصر الدين أبو سعيد الشيرازي البيضاوي، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤٢٠ هـ، ٣٩١/١.

(٢) المرجع السابق: ٣٩١/١.

وفي قوله تعالى: ﴿لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا عَقَّدْتُمُ الْأَيْمَانَ﴾ فَكَفَرْتُمْ، إِطْعَامُ عَشْرَةِ مَسْكِينٍ مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعَمُونَ أَهْلِيكُمْ أَوْ كِسْوَتُهُمْ أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ ۖ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ ذَلِكَ كَفَرَةُ أَيْمَانِكُمْ إِذَا حَلَفْتُمْ وَاحْفَظُوا أَيْمَانَكُمْ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿المائدة: ٨٩﴾.

يجيء الخطاب الإلهي في هذه الآية الكريمة في سياق ضبط مسلك قولٍ له تبعات شرعية، وذلك في ضوء التربية الربانية للنبي ﷺ والأمة من بعده في باب الأيمان، وما يترتب عليها من التزامات، والآية وإن جاءت بصيغة تعليمية، فإنها تنطوي على تقويم خفي لموقف نبوي سابق، حين جرى استخدام اليمين في غير محلّه، لأغراض شخصية أو لتهدئة شأن عائلي، وهو ما يلمح إليه أسلوب العتاب في التحريم، ويوضح تفصيله في هذه الآية.

يفتح النص بجملة تقريرية: ﴿لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ﴾، وهي جملة ذات طابع تلطيفي تمهيدي، تُهيئ المتلقي للفرقة بين اليمين غير المقصود (اللغو)، واليمين المعقّد الذي يقصد به المنع أو الإلزام أو الامتناع، وهذا الاستهلال البلاغي يحمل في بنيته نفيًا وإثباتًا، يحقق توازنًا أسلوبيًا بين العفو والمحاسبة، وهو ما يُبرز البعد الحجاجي في الخطاب، بوصفه نابعا من مبدأ العدل لا التشديد.

ثم تأتي الجملة المفتاحية: ﴿وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا عَقَّدْتُمُ الْأَيْمَانَ﴾ لتُحدّد مناهج المؤاخذه الشرعية، وتؤسس لحجّة قوية في تفريق الأحكام، وهي حجة تتأسس على نية التعمّد والالتزام، فهذا النوع من الخطاب يُعبّر عن وظيفة تقويمية معرفية، تجعل المخاطب يعيد النظر في سلوكه القوليّ، ويراجع دلالة يمينه، ويدرك حدود القول المشروع من القول المؤاخذه عليه، وهنا تظهر ملامح المنهج الأسلوبى من خلال توظيف التوازي البنيوي بين الجملتين، والتضاد بين (لا يؤاخذه... يؤاخذه)، مما يُعزز حجاجية التوجيه، ويُقرّب الفكرة للذهن.

ثم يُستكمل البناء التقويمي (التوجيهي) ببيان الكفارة، عبر ثلاثة خيارات تدريجية:



إطعام عشرة، أو كسوتهم، أو تحرير رقبة، ثم الانتقال إلى الصوم عند العجز، وهي بنية بلاغية تدرجية، تُراعي التفاوت الاجتماعي، وتُعطي الخطاب بعداً عملياً لا مجرد توجيهي.

هذا التفصيل في الكفارة هو جزء من منظومة حجاجية تقويمية، تُظهر أن القول ليس معزولاً عن التبعات، وأن التربية الإلهية تتجاوز النية إلى الأثر، والسلوك إلى الترشيده. (١)

ويُختتم النص بوصية حاسمة: ﴿وَأَحْفَظُوا أَيْمَنَكُمْ﴾، وهي عبارة جامعة موجزة، تُلخّص مضمون العتاب التوجيهي، وتحوّله إلى قاعدة أخلاقية، ثم يأتي مسك الختام: ﴿كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾، وهي صيغة تفسيرية للغرض الحجاجي من هذا البيان: الشكر الناتج عن الفهم، والامتثال المؤكّد للامتنان، مما يدمج التوجيه بالتركية.

أما من الجانب الأسلوبي، فإن تكرار الصيغ الفعلية بصيغة المضارع: (يؤاخذكم، عقدتم، أطعموا، كفارته، احفظوا) يخلق حركة لغوية حية، تجعل العتاب فعلاً حاضراً، لا قصة ماضية، وتحوّل العبرة إلى قاعدة، والواقعة إلى تشريع.

وهكذا يتضح من خلال تحليل نماذج العتاب الإلهي في هذا المحور أن الخطاب القرآني يقوم على ممارسة حجاج بلاغي ذي طابع تقويمي يروم إعادة ضبط الموقف، وتوجيه السلوك، وبُني هذا الحجاج في المواضع السابقة على أدوات لغوية وأطر أسلوبية محكمة، تُزاج بين أسلوب النهي، والتعليل، والتقابل، والتدرج، والتقويم، ما أضفى على الخطاب بعداً بلاغياً عالياً، ونبرة حجاجية عقلانية واضحة، دون أن تُغفل اللين.

(١) ينظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير، ١٣٢/٧.

المحور الثالث: الحجاج البياني في العتاب الإلهي المباشر:

يتخذ العتاب الإلهي في بعض المواضع القرآنية بنية حجاجية صريحة، يتجلى فيها البيان المباشر، ويُصرَّح فيها بالتقويم بأسلوب تعليمي واضح لا يُحِيل على التلميح أو المجازفة بالتأويل، ويأتي هذا النوع من العتاب مصحوباً بأدوات تأكيدية ولغوية وأساليب بيانية تتجاوز البنية الإنشائية إلى المقاصد الواضحة، فيغدو بذلك الخطاب ضرباً من الحجاج البياني التقويمي (التوجيهي)، يشفع العتاب بالإيضاح، ويربط النهي بالعلّة، ويصوغ الإرشاد صياغة مباشرة، وفي هذا المحور، سيتم تحليل بعض المواضع القرآنية التي تمثل هذا اللون من العتاب، الذي يحضر فيه ملامح البيان التقويمي (الإرشادي) الواضح والمباشرة، كما في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللَّهَ وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَهُ فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاهَا لِكَيْ لَا يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَزْوَاجِ أَدْعِيَائِهِمْ إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَرًا وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا﴾ [الأحزاب: ٣٧].

يُقدِّم العتاب الإلهي في هذه الآية الكريمة صورة من صور العتاب الرباني الرفيع، الذي يُزَوج بين الإبانة البلاغية والدقة التقويمية، فيكشف بأسلوب بياني مباشر عن لحظة إنسانية دقيقة عاشها النبي ﷺ، كان مأخوذاً برهافة الشعور واعتبارات الأعراف، فجاء الخطاب الإلهي ليضع الأمور في نصابها، ويعيد تشكيل الرؤية.

يندرج هذا العتاب ضمن أنماط الحجاج البلاغي التقويمي (الإرشادي) الذي يعتمد على الكشف لا التوبيخ، وعلى التبيين لا الزجر، إذ يضع بين يدي النبي ﷺ مفارقة دقيقة: ﴿وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَهُ﴾، فهذا التركيب يحتشد بشحنة دلالية عالية، تؤسس لعتاب هادئ لكنه نافذ، يُقابل فيه فعل الإخفاء الإنساني بفعل الإظهار الإلهي، ويوازن بين خشية الناس وخشية الله، في إطار جدلي حجاجي يسائل دوافع الفعل، وذهب ابن عاشور إلى أن المراد بإخفاء ما الله مبدية هو



ما كان في نفس النبي ﷺ من علمه أن الله زوجه بزینب بعد فراقها من زيد، وهذا علم خاص به من طريق الوحي، ولكن النفس البشرية تستشعر الحرج من الناس، فجاء العتاب ليُبصره بأن الخشية لا تكون من الخلق وإنما من الخالق (١)، فجعل من العتاب بياناً تربوياً لتصفية النية وتحذیب الباعث.

ويشتغل الخطاب القرآني هنا بحجاج بياني متدرج، يبدأ باستدعاء المشهد بصيغة التذكير ﴿وَإِذْ تَقُولُ﴾ وهي صيغة تستبطن العتاب دون إعلان، وتُهد له بالسياق لا بالمباشرة، ثم ينتقل إلى وصف الطرف المقابل (الذي أنعم الله عليه وأنعمت عليه)، في بنية تركيبية مزدوجة تُمهّد للعتاب دون أن تُقصي النعمة أو تُغفل الاعتراف بالفضل، بل تُقيم الأرضية النفسية التي يتم عليها الخطاب، ليظهر العتاب في ذروة المشهد لا في مطلعته (٢)، وبهذا يُمارس القرآن نوعاً من الحجاج التقويمي (الإرشادي) الذي يراعي مراتب النفس وتدرجات الإقناع.

أما الأسلوب فجاء مشحوناً بالتوجيه والإيقاع الوجداني، فالفعل (تُخفي) يقابله (مبديه)، والفعل (تخشى) يقابله (أحق أن تخشاه)، وهذه المقابلات لا تُبرز المعنى فقط، بل تُصعد التوتر الداخلي، وتُهيئ المتلقي لتقبل الحكم الإلهي، ثم إن الجملة الأخيرة: ﴿وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ﴾ جاءت فاصلة، حاسمة، خالية من التقديم والتأخير أو التخفيف، وهو ما يُعطيها بُعداً تربوياً حاسماً في إعادة التوجيه نحو القيمة العليا، وهذا ما أشار إليه ابن العربي بقوله: «تخشى الناس أن يعاتبوك، وعتاب الله أحق أن تخشاه» (٣).

ويلاحظ أن ختام الآية كان إشارة ضمنية إلى علة هذا التوجيه، فقد قال تعالى: ﴿زَوَّجْنَاهَا لِكَيْ لَا يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَزْوَاجِ أَدْعِيَائِهِمْ إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَرًا﴾، أي أن الله سبحانه أراد أن يكسر تقاليد الجاهلية التي كانت تُنكر على الرجل الزواج بزوجة

(١) ينظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير، ٢١/٢٦٢.

(٢) ينظر: المرجع السابق: ٢١/٢٥٩.

(٣) ابن عربي، أحكام القرآن، تحقيق: علي محمد البجاوي، مصر، دار إحياء الكتب العربية، ١٩٥٧م، ٣/٥٧٦.

متبناه بعد طلاقها، فكان النبي في موقف تمهيدي لتشريع إلهي، اقتضى منه البلاغ الصريح لا المداراة، فجاء العتاب تأسيساً لتشريع، لا مؤاخذه على تقصير.^(١)

بهذا يُوظف العتاب الإلهي كحجاج بياني وتربوي مباشر، يعالج موقعاً دقيقاً دون أن يجرح المقام النبوي، فيقيم الحجة بلغة البيان، ويُرَبِّي النفس بلغة العلو، فيتماهى المعنى مع البلاغة، ويغدو البيان القرآني مثلاً أعلى للحجاج التقويي (الإرشادي) الرفيع.

ويخاطب الله تعالى نبيه الكريم بأسلوب عتابٍ تربوي يتسم بالتدرج الحجاجي والبلاغي، فيقول: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ تَبْتَغِي مَرْضَاتَ أَزْوَاجِكَ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ۖ قَدْ فَرَضَ اللَّهُ لَكُمْ تَحِلَّةَ أَيْمَانِكُمْ وَاللَّهُ مَوْلَاكُمْ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ﴾ [التحریم: ٢-١]

يُعدُّ العتاب الإلهي في هذه الآيات، نموذجاً بيانياً فريداً يُجسِّد طبيعة الحجاج الإلهي المباشر، بما يحمله من طابع تعليمي وتربوي رفيع موجّه إلى شخص النبي ﷺ، ضمن خطاب يتسم باللطف والتأديب دون تجريح، ويفتح أفقاً للتأمل في المنهج الإلهي في تهذيب النفوس الرفيعة، يقول السعدي: «وهذا عتاب من الله لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم، حين حرم على نفسه سرّيته مارية أو شرب العسل، مراعاة لخاطر بعض زوجاته، ناداه بوصف النبوة يا أيها الذي أنعم الله عليه بالنبوة والوحي والرسالة». (٢)

في هذا الخطاب، يردّ العتاب بصيغة استفهامية تقريرية: ﴿لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ﴾، وهي صيغة بلاغية تستبطن معنى الإنكار اللطيف، وتُفَعِّلُ بعداً حجاجياً عميقاً يقوم على إثارة الوعي بالمخالفة من خلال السؤال، لا من خلال المباشرة في التوبيخ، وهو ما ينسجم مع مقام النبي ﷺ ومكانته العظمى، فالسؤال لا يهدف إلى طلب الجواب، وإنما يقرّر وقوع الفعل المستنكر بلطف، ويستدعي التفكير في دوافعه ومآلاته، ف«الاستفهام مستعمل في

(١) ينظر: الميزان في تفسير القرآن: ٣٢٢/١٦.

(٢) تفسير السعدي، ص ٨٧٢.



معنى النفي، أي لا يوجد ما يدعو إلى أن تحرم على نفسك ما أحل الله لك ذلك». (١)

ويتأسس الحجاج هنا على مفارقة بين المصلحة البشرية المؤقتة ومراد التشريع الإلهي الثابت، فالنبي ﷺ حَرَّمَ ما أحلَّ الله له ابتغاءَ مرضاة أزواجه، فجاء الخطاب ليبين أن رضا الناس -ولو كانوا الأقربين- لا ينبغي أن يكون على حساب حدود الله، هذا التركيب الحجاجي، الذي ينتقل من الاستفهام إلى تقرير السبب ﴿تَبْتَغِي مَرْضَاتَ أَزْوَاجِكَ﴾، ثم إلى تأكيد مغفرة الله ﴿وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾، يعكس نسقاً تربوياً متكاملاً، يوازن بين الإشارة إلى الخطأ، والفتح لباب التوبة والتجاوز، وهذا التعقيب فيه «استئناسا للنبي ﷺ من وحشة هذا الملام، أي والله غفور رحيم لك» (٢)، وهو «تصريح بأن الله قد غفر لرسوله، ورفع عنه اللوم، ورحمه». (٣)

أما البناء الأسلوبي للآيتين، فيقوم على تدرج بياني يشي بالحكمة الإلهية في تنمية الوعي القيمي، إذ يبدأ بالنداء التعظيمي: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ﴾، الذي يحمل في طياته إجلال المقام، ويؤسس لمخاطبة تهدف إلى التربية، ثم تأتي الجملة الفعلية: ﴿لَمْ تُحَرِّمْ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ﴾، وهي ذات طابع خبري ظاهري، لكنها إنكارية في المقام، تحمل قيمة تربوية في تحميل الإنسان مسؤولية قراراته.

وتعزز الجملة التالية: ﴿تَبْتَغِي مَرْضَاتَ أَزْوَاجِكَ﴾ هذا المقصد، حيث تفكك بنية الدافع وتجعله ظاهراً للمتلقي، وهو أمر نادر في الخطاب العربي، أن تُكشف النوايا بصيغة تقريرية تعليمية، أما ختام الآية الأولى بـ ﴿وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾، فهو يمثل الجانب الرحامي من العتاب، الذي يوازن بين التصويب والاحتواء، فلا يبقى للمتلقي إلا أن يتأدب ويتعلم دون أن يشعر بإهانة أو تبكيت.

(١) حصنة بنت حمد الحواس، عتاب الله لنبيه وآثاره التربوية في ضوء آيات القرآن الكريم، كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنات بالإسكندرية، الإصدار ٢٤ - ٧٤، ٢٠١٣م، ص ١٢١.

(٢) ابن عاشور، التحرير والتنوير، ٢٨/٣١٠.

(٣) تفسير السعدي: ص ٨٧٣.

ثم تأتي الآية التالية: ﴿قَدْ فَرَضَ اللَّهُ لَكُمْ تَحِلَّةَ أَيْمَانِكُمْ وَاللَّهُ مَوْلَاكُمْ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ﴾، لتُتمَّ بنية الحجاج، وتتحول من تقرير الخطأ إلى تعليم سُبُل الإصلاح والتجاوز، فتحلّة اليمين هنا تمثل البُعد العملي التطبيقي في الخطاب الحجاجي التقويمي (الإرشادي)، حيث يُقدّم المخرج الشرعي منه، في سياق تشريعي يحمل في ذاته بعداً تعليمياً للأمة. (١)

في سياق العتاب الإلهي الذي يجمع بين الحجاج البلاغي والبياني التقويمي (الإرشادي) المباشر، تأتي الآية الكريمة من سورة آل عمران لتؤكد مبدأ المحاسبة والعدل الإلهي تجاه الرسول ﷺ، فتقول: ﴿وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَغُلَّ وَمَنْ يَغُلَّ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ الْقِيَمَةِ ثُمَّ تَوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ [آل عمران: ١٦١].

يأتي العتاب في هذه الآية مشحوناً بالتقريع النافي -ابتداءً- عن شخص النبي أي احتمال للغلّ، ومؤسساً على ذلك نفيًا قاطعاً ومبدئياً يمس مقام النبوة وسمو أخلاقها، «أي إنكم تصوّرتُم وظننتم أن النبي يخونكم، والحال أنه ليس لنبي أن يغلّ، ويخون أحداً» (٢)، فأسلوب النفي بـ(ما كان) لا يحمل مجرد الإنكار، بل يشير إلى استحالة الفعل ذاته في حق النبي، وكأن السياق يربّي النفوس المؤمنة على وجوب إحسان الظن بأهل الفضل والقيادة، خاصة حين يكون المقام مقام النبي ﷺ، الذي لا يُتصوّر في حقه خيانة أو خديعة؛ لأن ذلك يتنافى مع العصمة والقدوة والعدل الإلهي الذي اصطفاه.

واللافت في هذه الآية أن نفي الغلول مدخل لبناء خطاب حجاجي يُقرُّ قواعد الجزاء والعدالة في الدنيا والآخرة، وينفي أي مساواة ظالمة بين من يغدر ومن يخلص، فبعد النفي، ينتقل السياق القرآني إلى تهديد من يفعل الغلول من عامة الناس، لا من النبي، في قوله: ﴿وَمَنْ يَغُلَّ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ الْقِيَمَةِ﴾، وهنا يبرز الحجاج البلاغي في أعلى تجلياته، حيث يُربط الفعل بمآله الأخروي، ويُدفع المتلقي إلى مراجعة سلوكه بموجب ميزان العدل

(١) ينظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير، ٣١٠/٢٨.

(٢) ينظر: الأمل في تفسير كتاب الله المنزل، ٧٥٨/٢ - ٧٥٩.



الإلهي الذي لا يُجَابي أحداً.

ومن زاوية الحجاج التقويمي، يتجلى في الآية بيانٌ يَعْلَمُ الناس كيف يتعاملون مع الشائعات أو التهم التي تُلصق بالرموز، خاصة حين تكون تلك الرموز معصومة، فالقرآن لم يكتفِ بمجرد الدفاع عن النبي، بل انتقل إلى تقعيد مبدأ أخلاقي واسع، مفاده أن من يغلل يُحاسب، ومن يُخلص يُوفى، وكل نفس تحصد ما زرعت، وهو خطاب يوجّه الأمة كلها نحو الوعي بسلوكها، وتحمل تبعات أفعالها، ويغرس فيها القيم العليا من خلال عتاب رفيع يحمل في طياته التربية والبيان، وهذا ما عبّر عنه الطباطبائي بقوله: «إنّ هذا السياق معناه تنزيه ساحة النبي عن السوء والفحشاء بطهارته، والمعنى: حاشا أن يغلل ويخون النبي ربّه أو الناس، وهو أيضاً من الخيانة لله، والحال أنّ الخائن يلقي ربّه بخيانتته، ثم توفّى نفسه ما كسبت» (١).

هذا النمط من العتاب هو إعادة تشكيل للوعي الجمعي، وتطهير لنفوس المؤمنين من الظن السيئ، وبناء لسُلّم قيمي محكم تُضبط به موازين الأخلاق والسلوك، ويُجْمى به مقام الرسالة، ويُحصن به المجتمع من السقوط في مهاوي الإفك أو الخيانة أو تزييف الحقائق.

(١) الميزان في تفسير القرآن، ٥٧/٤.

النتائج:

- 1- يظهر العتاب الإلهي في صورٍ متعددة (رفيق لطيف، وتقويمي تصحيحي، وبياني مباشر) تعكس درجات المقام والسياق.
- 2- الخطاب القرآني في العتاب يجمع بين الرفق والصرامة، ويوظف تقنيات بلاغية وأساليب حجاجية متكاملة لتحقيق إقناع رفيع المستوى في إطار التواصل التقويمي.
- 3- الحجاج القرآني في آيات العتاب يعكس إدراكًا عميقًا للسياقات النفسية والاجتماعية والوظيفية للنبي ﷺ، مما يُعزز فعالية الخطاب وعمقه الدلالي.
- 4- تنوعت الأساليب البلاغية في العتاب بين الاستفهام، والنفي، والتوكيد، والإنشاء، والتركيب التركيبي، حيث صُممت بعناية فائقة للحفاظ على كرامة النبي ﷺ وتحقيق أهداف الخطاب.
- 5- أتاح المنهج الأسلوبي الحجاجي الكشف عن بنية دلالية معقدة تجمع بين الوظيفة التقويمية والبيانية في خطاب العتاب الإلهي، مما يبرز تميز النص القرآني في الأداء والتأثير.
- 6- الخطاب القرآني في العتاب الإلهي يمثل نموذجًا فريدًا من الحجاج البياني التقويمي الراقي، يجمع بين التوجيه المباشر والرقّة في الأسلوب، مع الحفاظ على احترام المقام النبوي وسمو الرسالة.
- 7- في العتاب الرقيق (اللطيف)، ظهرت تقنيات حجاجية دقيقة تعتمد التلميح دون التصريح، مما وفّر للخطاب لطفًا يُجَنَّب المواجهة المباشرة، ويهيئ النفوس لتلقي التوجيه ضمن إطار عاطفي وإنساني.
- 8- في العتاب التقويمي، تجلّى بوضوح كيف يُزاوج النص بين نبرة الحسم والأسلوب الحوارية



الموجه، أما في العتاب البياني المباشر، فإنه يُستخدم البيان الصريح كآلية إظهار للحد الفاصل بين الخصوصية البشرية والوظيفة الرسالية، وفي ذلك، برزت أساليب بلاغية ذات بُعد حجاجي واضح، كالتكرار التركيبي، والتوكيد، والتعليل.

9- كشفت القراءة التحليلية الأسلوبية لآيات العتاب الإلهي الموجه إلى النبي ﷺ عن نسق حجاجي بالغ الدقة، يمثّل واحدة من أرقى صور التواصل التقويمي (الإرشادي) في الخطاب القرآني، فقد جاء هذا العتاب موزعاً ضمن ثلاث درجات متدرجة في الخطاب، تراوحت بين الرفق اللغوي والبيان الصريح بحسب طبيعة الموقف وخصوصية السياق ومقتضيات المقام النبوي.

التوصيات

- ضرورة توسيع الدراسات البلاغية التي تتناول الحجاج البلاغي في العتاب الإلهي في القرآن الكريم بوصفه ظاهرة حجاجية تستند إلى منطق البيان والإقناع، لا إلى العقاب أو التقرّيع.
- دعوة الباحثين إلى مقارنة أنماط العتاب القرآني بأساليب الحجاج في الخطاب النبوي والخطاب العربي القديم، للكشف عن الامتداد البلاغي والفكري بين النصوص.
- أهمية استثمار نتائج هذا البحث في تعزيز الخطاب الدعوي المعاصر بأسلوب قرآني قائم على اللطف والرفق والتقويم لا على المواجهة والجدل.
- العناية بتدريس مفهوم العتاب التقويمي في مناهج البلاغة القرآنية وعلوم البيان، لما له من أثر في فهم الجمال الحجاجي في النص الإلهي.

قائمة المصادر والمراجع:

- 1- الأمين، محمد ولد سالم، حجاجية التأويل في البلاغة المعاصرة، طرابلس، منشورات المركز العربي للدراسات، ٢٠٠٤م.
- 2- بلعللى، أمينة، الإقناع، المنهج الأمثل للتواصل والحوار نماذج من القرآن والحديث، مجلة التراث العربي، مجلة فصلية تصدر عن اتحاد الكتاب العرب، دمشق، العدد ٨٩، ٢٠٠٣م.
- 3- الجاحظ، البيان والتبيين، القاهرة، مكتبة الخانجي، ٢٠٠٣م.
- 4- الجرجاني، عبد القاهر، دلائل الإعجاز، تحقيق محمود شاكر، جدة، دار المدني، ط ٣، ١٩٩٣م.
- 5- الجوهري، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، ط ٤، بيروت، دار العلم للملايين، ١٩٩٠م.
- 6- الحباشة، صابر، التداولية والحجاج، دمشق، صفحات للدراسات والنشر، ٢٠٠٨م.
- 7- الحواس، حصنة بنت حمد، عتاب الله لنبیه وآثاره التربوية في ضوء آيات القرآن الكريم، كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنات بالإسكندرية، الإصدار ٢٤ - ٧٤، ٢٠١٣م.
- 8- خطابي، محمد، لسانيات النص استراتيجية التناس مدخل إلى لسانيات النص، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ١٩٩١م.
- 9- الزركشي، البرهان في علوم القرآن، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، مصر، دار إحياء الكتب العربية عيسى البابي الحلبي وشركائه، ١٣٧٦هـ.
- 10- الزمخشري، الكشاف، تحقيق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، الشيخ علي محمد معوض، الرياض، مكتبة العبيكان، ١٤١٨هـ.
- 11- السعدي، عبد الرحمن، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، تحقيق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، مؤسسة الرسالة، ١٤٢٠هـ.
- 12- السكاكي، مفتاح العلوم، تحقيق: حمدي محمدي قايليل، قدم له وراجعته: مجدي فتحي السيد، المكتبة التوفيقية، مصر.
- 13- الشهري، عبد الهادي، استراتيجيات الخطاب مقارنة تداولية، بيروت، دار الكتاب الجديد، ٢٠٠٤م.



- 14- الشيرازي، ناصر الدين أبو سعيد البيضاوي: أنوار التنزيل وأسرار التأويل، بيروت، دار الكتب العلمية ١٤٢٠هـ.
- 15- صولة، عبد الله، الحجاج في القرآن من خلال خصائصه الأسلوبية، لبنان، دار الفارابي، ٢٠٠١م.
- 16- صولة، عبد الله، في نظرية الحجاج دراسات وتطبيقات، منتدى نور الأزيكية، تونس، مسكيلباني للنشر، ٢٠٠١م.
- 17- الطبري، ابن جرير، جامع البيان في تأويل القرآن، تحقيق: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، ١٤٢٠هـ.
- 18- ابن عاشور، التحرير والتنوير، بيروت، مؤسسة التاريخ العربي، ٢٠٠٠م.
- 19- عبد الرحمن، طه، اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ١٩٩٨م.
- 20- ابن عربي، أحكام القرآن، تحقيق: علي محمد البجاوي، مصر، دار إحياء الكتب العربية، ١٩٥٧م.
- 21- العزاوي، أبو بكر، اللغة والحجاج، العمدة في الطبع، الدار البيضاء، ٢٠٠٦م.
- 22- العسكري، أبو هلال، الفروق اللغوية، تحقيق: محمد إبراهيم سليم، القاهرة، دار العلم والثقافة.
- 23- ابن عطية، المحرر الوجيز، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤٢٢هـ.
- 24- العمري، محمد، الحجاج مفهومه ومجالاته، إربد، دار عالم الكتب الحديث، ٢٠١٠م.
- 25- الغزي، محمود كاظم، أنماط البنى الحجاجية في سور الحواميم، مجلة آداب المستنصرية، العدد ٨٣، ٢٠١٨م.
- 26- ابن فارس، أبو الحسن أحمد، مقاييس اللغة، تحقيق عبد السلام هارون، بيروت، دار الجيل، ١٩٩٩م.
- 27- الفراهيدي، العين، تحقيق محمد مهدي المخزومي وإبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال، ١٩٨٢م.
- 28- فضل، صلاح، علم الأسلوب: مبادئ وإجراءاته، مصر، دار الشروق، ١٩٩٨م.
- 29- ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، تحقيق: سامي بن محمد سلامة، ط الثانية، دار طيبة للنشر والتوزيع، ١٤٢٠هـ.

- 30-الكفوي، أيوب، الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، تحقيق: عدنان درويش، بيروت، مؤسسة الرسالة.
- 31-مجموعة باحثين، نظرة النعيم، جدة، دار الوسيلة للنشر، د. ت.
- 32-المطري، عويد، آيات عتاب المصطفى في ضوء العصمة والاجتهاد، مكة المكرمة، كلية الشريعة والدراسات للنشر، ٢٠٠٥م.
- 33-مفتاح، محمد، تحليل الخطاب الشعري: استراتيجية التناس، الدار البيضاء، المركز الثقافي العربي، ط٢، ٢٠٠٥م.
- 34-المناعي، التوفيق على مهمات التعاريف، تحقيق: عبد الحميد حمدان، القاهرة، عالم الكتب، ١٩٩٠م.
- 35-ابن منظور محمد بن مكرم الأفريقي المصري: لسان العرب، بيروت، دار صادر، د. ت، ج ٢.
- 36-يوسف، أحمد، سيميائيات التواصل وفعالية الحوار، المفاهيم والآليات، منشورات مختبر السيميائيات وتحليل الخطابات، جامعة وهران، ٢٠٠٤م.



List of references and sources

- 1- al-Amīn, Muḥammad Wuld Sālīm, ḥijājīyah al-ta'wīl fī al-balāghah al-mu'aṣirah, Ṭarābulus, Manshūrāt al-Markaz al-'Arabī lil-Dirāsāt, 2004m.
- 2- Bil'alī, Umniyah, al-Iqnā', al-manhaj al-amthal lil-tawāṣul wa-al-ḥiwār namādhij min al-Qur'ān wa-al-ḥadīth, Majallat al-Turāth al-'Arabī, Majallat faṣlīyah taṣdur 'an Ittiḥād al-Kitāb al-'Arab, Dimashq, al-'adad 89, 2003m.
- 3- al-Jāhīz, al-Bayān wa-al-tabyīn, al-Qāhirah, Maktabat al-Khānjī, 2003m.
- 4- al-Jurjānī, 'Abd al-Qāhir, Dalā'il al-i'jāz, taḥqīq Maḥmūd Shākīr, Jiddah, Dār al-madanī, 1393h.
- 5- al-Jawharī, al-ṣiḥāḥ Tāj al-lughah wa-ṣiḥāḥ al-'Arabīyah, taḥqīq : Aḥmad 'Abd al-Ghafūr 'Aṭṭār, 14, Bayrūt, Dār al-'Ilm lil-Malāyīn, 1990m.
- 6- al-Ḥabāshah, Ṣābir, al-Tadāwulīyah wa-al-ḥijāj, Dimashq, Ṣafahāt lil-Dirāsāt wa-al-Nashr, 2008m.
- 7- al-ḥawāss, ḥshh bint Ḥamad, 'Attāb Allāh Inbyh wa-āthāruh al-Tarbawīyah fī ḍaw' āyāt al-Qur'ān al-Karīm, Kullīyat al-Dirāsāt al-Islāmīyah wa-al-'Arabīyah lil-Banāt bi-al-Iskandarīyah, al-iṣdār 24-74, 2013m.
- 8- Khaṭṭābī, Muḥammad, Lisānīyāt al-naṣṣ istirātījīyah al-Tanāṣṣ madkhal ilā Lisānīyāt al-naṣṣ, al-Markaz al-Thaqāfī al-'Arabī, al-Dār al-Bayḍā', 1991m.
- 9- alzzrkshy, al-burhān fī 'ulūm al-Qur'ān, taḥqīq : Muḥammad Abū al-Faḍl Ibrāhīm, Miṣr, Dār Iḥyā' al-Kutub al-'Arabīyah 'Isā al-Bābī al-Ḥalabī wa-shurakā'ih, 1376h.
- 10- al-Zamakhsharī, al-Kashshāf, taḥqīq : al-Shaykh 'Ādil Aḥmad 'Abd al-Mawjūd, al-Shaykh 'Alī Muḥammad Mu'awwad, al-Riyād, Maktabat al-'Ubaykān, 1418h.
- 11- al-Sa'dī, 'Abd al-Raḥmān, Taysīr al-Karīm al-Raḥmān fī tafsīr kalām al-Man-nān, taḥqīq : 'Abd al-Raḥmān ibn Mu'allā al-Luwayḥīq, Mu'assasat al-Risālah, 1420h.
- 12- al-Sakkākī, Miftāḥ al-'Ulūm, taḥqīq : Ḥamdī Muḥammadī Qābīl, qaddama lahu wa-rāja'ahu : Majdī Fathī al-Sayyid, al-Maktabah al-Tawfīqīyah, Miṣr.
- 13- al-Shahrī, 'Abd al-Hādī, Istirātījīyāt al-khiṭāb muqārabah tadāwulīyah, Bayrūt, Dār al-Kitāb al-jadīd, 2004m.
- 14- al-Shīrāzī, Nāṣir al-Dīn Abū Sa'īd al-Bayḍāwī : Anwār al-tanzīl wa-asrār al-ta'wīl, Bayrūt, Dār al-Kutub al-'Ilmīyah 1420h.
- 15- Ṣūlah, 'Abd Allāh, al-Ḥajjāj fī al-Qur'ān min khilāl khṣāsh al-uslūbīyah, Lub-nān, Dār al-Fārābī, 2001m.
- 16- Ṣūlah, 'Abd Allāh, fī Nazārīyat al-Ḥajjāj Dirāsāt wa-taṭbīqāt, Muntadā Nūr al-Azbakīyah, Tūnis, Miskīliyanī lil-Nashr, 2001m.
- 17- al-Ṭabarī, Ibn Jarīr, Jāmi' al-Bayān fī Ta'wīl al-Qur'ān, taḥqīq : Aḥmad Muḥammad Shākīr, Mu'assasat al-Risālah, 1420h.

- 18- Ibn 'Āshūr, al-Taḥrīr wa-al-tanwīr, Bayrūt, Mu'assasat al-tārīkh al-'Arabī, 2000m.
- 19- Abd al-Raḥmān, Ṭāhā, al-lisān wa-al-mīzān aw al-Takawthur al-'aqlī, al-Markaz al-Thaqāfī al-'Arabī, al-Dār al-Bayḍā', 1998m.
- 20- Ibn 'Arabī, Aḥkām al-Qur'ān, taḥqīq : 'Alī Muḥammad al-Bajāwī, Miṣr, Dār Iḥyā' al-Kutub al-'Arabīyah, 1957m.
- 21- al-'Azzāwī, Abū Bakr, al-lughah wa-al-ḥijāj, al-'Umdah fī al-ṭab', al-Dār al-Bayḍā', 2006m.
- 22- al-'Askarī, Abū Hilāl, al-Furūq al-lughawīyah, taḥqīq : Muḥammad Ibrāhīm Salīm, al-Qāhirah, Dār al-'Ilm wa-al-Thaqāfah.
- 23- Ibn 'Aṭīyah, al-muḥarrir al-Wajīz, taḥqīq : 'Abd al-Salām 'Abd al-Shāfī, Bayrūt, Dār al-Kutub al-'Ilmīyah, 1422h.
- 24- al-'Umarī, Muḥammad, alḥijāj mafhūmuḥu wa-majālātuh, Irbid, Dār 'Ālam al-Kutub al-ḥadīth, 2010m.
- 25- al-Ghazzī, Maḥmūd Kāzim, Anmāt al-Bunā al-ḥijājīyah fī suwar alḥwāmym, Majallat ādāb al-Muṣṭanṣirīyah, al-'adad 83, 2018m.
- 26- Ibn Fāris, Abū al-Ḥasan Aḥmad, Maqāyīs al-lughah, taḥqīq 'Abd al-Salām Hārūn, Bayrūt, Dār al-Jīl, 1999m.
- 27- al-Farāhīdī, al-'Ayn, taḥqīq Muḥammad Maḥdī al-Makhzūmī wa-Ibrāhīm al-Sāmarrā'ī, Dār wa-Maktabat al-Hilāl, 1982m.
- 28- Faḍl, Ṣalāḥ, 'ilm al-uslūb : mabādi'ih wa-ijrā'ātuh, Miṣr, Dār al-Shurūq, 1998m.
- 29- Ibn Kathīr, tafsīr al-Qur'ān al-'Azīm, taḥqīq : Sāmī ibn Muḥammad Salāmah, Ṭ al-thānīyah, Dār Ṭaybah lil-Nashr wa-al-Tawzī', 1420h.
- 30- al-Kaffawī, Ayyūb, al-Kullīyāt Mu'jam fī al-muṣṭalahāt wa-al-furūq al-lughawīyah, taḥqīq : 'Adnān Darwīsh, Bayrūt, Mu'assasat al-Risālah.
- 31- majmū'ah bāḥithīn, naṣrah al-Na'im, Jiddah, Dār al-wasīlah lil-Nashr, n.d.
- 32- al-Miṭrifi, 'Uwayyid, āyāt 'Attāb al-Muṣṭafā fī ḍaw' al-'Iṣmah wa-al-ijtihād, Makkah al-Mukarramah, Kullīyat al-sharī'ah wa-al-Dirāsāt lil-Nashr, 2005m.
- 33- Miftāḥ, Muḥammad, taḥlīl al-khiṭāb al-shi'rī : istīrātījīyah al-Tanāṣṣ, al-Dār al-Bayḍā', al-Markaz al-Thaqāfī al-'Arabī, 2, 2005m.
- 34- al-Munāwī, al-Tawqīf 'alā muḥimmāt al-ta'ārīf, taḥqīq : 'Abd al-Ḥamīd Ḥam-dān, al-Qāhirah, 'Ālam al-Kutub, 1990m.
- 35- Ibn manzūr Muḥammad ibn Mukarram al-Afrīqī al-Miṣrī : Lisān al-'Arab, Bayrūt, Dār Ṣādir, n.d., j2.
- 36- Yūsuf, Aḥmad, sīmyā'iyāt al-tawāṣul wa-fa'āliyat al-Ḥiwār, al-mafāhīm wa-al-ālīyāt, Manshūrāt Mukhtabar al-sīmiyā'iyāt wa-taḥlīl al-khiṭābāt, Jāmi'at Wahrān, 2004m.



تفاعل الأنساق اللغوية والبصرية في إنتاج الدلالة

دراسة في مجموعة (متاهات) الشعرية لمحمد إبراهيم يعقوب

د. إبراهيم سعيد السيد

أستاذُ البلاغة والنقد المشارك بقسم اللغة العربية - كلية الفنون والعلوم الإنسانية - جامعة جازان

جازان - المملكة العربية السعودية ialsayed1@jazanu.edu.sa

The interaction of linguistic and visual systems in the production of meaning

A study in the poetry collection (*Matahaat*) by Muhammad Ibrahim Yaqoub

Dr. Ibrahim Said Al-Sayed

Associate Professor of Rhetoric and Criticism, Department of Arabic Language, Faculty of Arts and Humanities, Jazan University



<https://doi.org/10.65728/1625-000-022-009>

الملخص:

يختبرُ هذا البحثُ فرضيةَ تفاعلِ النسقِ اللسانيِّ معِ البصريِّ لإنتاجِ الدلالةِ في مجموعةٍ شعريةٍ بعنوانِ (مناجات) لمحمد إبراهيم يعقوب، معتمداً في ذلكَ على معطياتِ المنهجِ السيميائيِّ، ومستفيداً بعطاءاتِ حقولِ معرفيةٍ متعددة، انطلاقاً من أهميةِ البحثِ في التوظيفِ الفنيِّ للعلاماتِ غيرِ اللغويةِ في النصِّ الأدبيِّ، وبخاصةٍ في ظلِّ تفاعلها معِ الأنساقِ اللسانيةِ، بحيثُ يكونُ الخطابُ الأدبيُّ ذا بعدٍ لسانيِّ، وبعدٍ فنيِّ هندسيِّ في تصويرِ المضامينِ والأهدافِ والرسائلِ.

وقد خلصَ البحثُ إلى أنَّ هناكَ مسارينِ ينتظمُ فيهما تقديمُ الخطابِ الشعريِّ في العصرِ الحديثِ: الأول: يتجرّدُ فيه العملُ الأدبيُّ من توظيفِ الوسائلِ البصريةِ في إحداثِ انسجامٍ بين المكوّنِ اللسانيِّ والمكوّنِ البصريِّ. أما المسلكُ الثاني، فنجد فيه أعمالاً كثيرةً يُحسنُ الكتابُ فيها توظيفَ الأيقوناتِ البصريةِ وفضاءِ النصِّ؛ بحيثُ يمكنُ استثمارها في توليدِ تفاعلٍ ناجحٍ بين الأنساقِ اللسانيةِ والأنساقِ البصريةِ، فاللسانيةُ مثل: الإيقاع، والمعجم، والتركيب، والدلالة، وغيرها، والبصرية: هي ما يتّصلُ بفضاءِ النصِّ من غلافٍ، وعتباتٍ، وعلاماتٍ ترقيمٍ، وألوانٍ، وطريقةٍ هندسيةٍ خاصةٍ في الكتابةِ والعرضِ الفني.

وقد جاء هذا البحثُ في مقدمةٍ، وتمهيدٍ ومبحثينِ وخاتمةٍ، تناول المبحثُ الأولُ: (آلياتِ التفاعلِ في فضاءِ النصِّ)، وتناولَ المبحثُ الثاني: (تفاعلُ أنساقِ الخطابِ الشعريِّ)، ثمَّ الخاتمةُ وفيها أهمُّ نتائجِ البحثِ.

الكلمات المفتاحية: محمد إبراهيم يعقوب، الأنساق، البصري، الأيقون.



Abstract

This research explores the interplay between linguistic and visual elements in the poetry collection (Matahaat) by Muhammad Ibrahim Yaqoub, using semiotic analysis and drawing on insights from multiple fields of knowledge. It emphasizes the artistic use of non-linguistic signs that accompany literary texts, especially as they interact with language to shape meaning. This interaction gives literary discourse both a linguistic-literary and an artistic-structural dimension, enhancing the text's themes and messages.

The study identifies two primary approaches to integrating visual elements with poetic language. In the first approach, visual components are absent, leading to an uncoordinated presentation. In the second approach, visual icons and text are carefully crafted to foster harmony, with elements such as rhythm, lexicon, structure, and semantics aligning with visual aspects like layout, cover design, punctuation, color, and geometry.

The research is structured with an introduction, a preface, two main sections, and a conclusion. The first section examines the mechanisms of interaction within the textual space, while the second discusses how discourse patterns interact within the poetic text. The conclusion highlights key findings, reinforcing the role of both linguistic and visual dimensions in enriching poetic expression.

Keywords: Muhammad Ibrahim Yaqoub, patterns, visual, icon.

مقدمة

يُعد الاهتمام بتحليل العلامات غير اللغوية من المجالات المهمة في المناهج النقدية التي تُعنى بتحليل الخطاب في العصر الحديث؛ ذلك أن الخطاب الشعري المعاصر حفل بالأنساق غير اللغوية كثيرًا؛ بحيث أصبح تحليل العلامات البصرية محلَّ اهتمام اللسانيات المعرفية وغيرها من المناهج التحليلية التي تُعنى ببلاغة التقنيات البصرية.

ومن ثمَّ فإنَّ هذه المناهج قد اهتمت بالأنساق غير اللغوية في تشكيل الدلالة، مثل: اللون والصورة في العتبات، وطريقة تقديم النصِّ باختيار هيئة متفردة في الكتابة، وكذلك تنسيقه بأدوات متعددة مثل: علامات الترقيم، والمسافات، وغير ذلك من تقنيات شكلية تُعد مكونًا فضائيًا فاعلاً في تقديم الخطاب الشعري، بالإضافة إلى الأنظمة اللسانية الأخرى مثل: المعجمية، والتركيبية والأسلوبية وغيرها.

وقد جاء اهتمام البلاغة الحديثة بدراسة الأيقونات والمكون الفضائي من جانبين:

الأول: دراسة طبيعتها الإشارية، وما تتضمنه من استراتيجيات بلاغية مهمة في تشكيل الخطاب.

الثاني: القيمة الدلالية الإضافية التي تُؤدّيها في تشكيل معانٍ خاصة.

وهذه الجوانب تحتاج إلى أدوات تحليلية خاصة، كما تحتاج إلى تأطير مفهوم موسَّع للبلاغة، بحيث يشمل البلاغة الأسلوبية والبلاغة البصرية معًا، فلا يمكن أن نلج إلى تحليل مثل هذه الأشياء بالمنهج البلاغي الذي يُقصد منه بيان الجوانب الأسلوبية المتعلقة بالقيمة البلاغية للظاهرة اللغوية فحسب، بل لا بد من إدخال بعض الأدوات المعنية بقراءة الأيقونات، وبيان قيمتها في النص.

أهمية الدراسة:

١- التحقق من فرضية جدوى البلاغة البصرية في ضوء تفاعلها مع البلاغة القولية، بغرض استنطاق النصوص وتحليل الخطابات، وهو جانب جديد ومهم في



البحث البلاغي، حيث يجمع بين آليات واستراتيجيات غير لغوية، بالإضافة إلى الآليات التعبيرية التي هي قارّة في أصول الدرس اللساني؛ ومن ثمّ فالبحث يعالج التأويل الإشاري للأيقونات البصرية وما يتعلق بها من دلالات بلاغية، من خلال دراسة التفاعل بين نسقين: الأول: لغوي تُستنتق فيه مضمراتُ الخطابِ عبرَ دراسة اللغويِّ والمرئي، بما يحمل معه من دلالاتٍ بلاغيةٍ في الخطاب. والثاني: بصري، بوصفه منظومة من العلامات المؤدية لمعنى خاص بالسياق.

1- أهمية الطبيعة الخاصة للنسقين التعبيري والبصري في مجموعة (متاهات) الشعرية للشاعر محمد إبراهيم يعقوب^(١)، فهي مقطّعات شعرية صغيرة، يضرّفها الكاتب بطريقة جديدة يكشف عن قيمتها هذا البحث.

أسئلة الدراسة:

- هل يمكن التعويل على تفاعل النسقين اللغوي والبصري في رصد وظائف بلاغية تتعلق بالإقناع أو الإمتاع أو كليهما معاً؟
- هل كانت النصوص والنماذج الشعرية التطبيقية التي اختارها البحث محلاً للإجراء والتحليل نماذج صالحة للدراسة باعتبارها عينةً قد تحققت فيها الظاهرة؟

أهداف الدراسة:

1- تحديد مفهوم (بلاغة الأيقونات البصرية) من خلال إطار نظري، وتطبيقات تحليلية للنص الأدبي.

(١) محمد إبراهيم يعقوب هو شاعر معاصر، ولد عام ١٩٧٢م بجازان، له العديد من الدواوين الشعرية منها: (رهبة في الظل) ٢٠٠١م، و(تراثيل العزلة) ٢٠٠٥م. و(جر من مروا) ٢٠١٠م، و(الأمر ليس كما نظن) ٢٠١٣م، و(ليس يعني كثيرًا) ٢٠١٥م، و(ماذا لو احترقت بنا الكلمات) ٢٠١٧م، و(متاهات) ٢٠١٧م، و(مقام نسيان) ٢٠١٩م. حصل على عدد من الجوائز منها: جائزة أهما الثقافية عام ٢٠٠٩م، وجائزة راشد بن حميد ٢٠١١م، وجائزة وزارة الثقافة والإعلام ٢٠١٣م، وجائزة: سوق عكاظ ٢٠١٩م، ولقب بشاعر عكاظ، وحصل على لقب وصيف أمير الشعراء، في مسابقة أمير الشعراء ٢٠١٨م. ينظر: مها بنت علي بن عبد الواحد الماجدي، سيميائية العتبات في ديوان متاهات للشاعر محمد إبراهيم يعقوب مقاربة سيميائية، مجلة كلية الآداب بجامعة جنوب الوادي بقنا، عدد ٥٦، سنة ٢٠٢٢م، ص ١٦٠.

٢- الكشف عن بعض الوظائف البلاغية لطبيعة التشكيل البصري في ضوء علاقته بالنسق اللغوي، وبيان أثرهما في تحديد دلالات الخطاب وقراءة المضامين، من خلال تحليل مجموعة (متاهات) الشعرية لمحمد إبراهيم يعقوب.

٣- سد فجوة معرفية تقع في ميدان الدراسات البلاغية والنقدية، وذلك بالكشف عن أهمية القيمة الفنية لتفاعل أنساق الخطاب اللغوية وغير اللغوية في إنتاج الدلالة.

النتائج المتوقعة:

بناء على ما سبق يمكن تحديد أبرز النتائج المتوقعة في ما يأتي:

الجانب الأول: نتائج تتعلق بالقيمة الوظيفية التأثيرية لتعلق العلامات اللغوية بالعلامات البصرية بوصفهما مكونين من مكونات الخطاب الشعري، وذلك اعتماداً على تحليل الأدوات المتعددة للأيقونات البصرية في هذا الديوان خاصة، وانطلاقاً من تحديد إطار نظري يضبط العلاقة بين الأيقونات البصرية وبلاغة الخطاب الأدبي، وما المجال المشترك لإنتاج المساحة التي سميتها (بلاغة الأيقونات).

الجانب الثاني: بيان القيمة الدلالية لفضاءات النص الأدبي، بما يؤدي إلى اكتشاف أدوات قرائية جديدة مناسبة لطريقة عرض النص الأدبي في ثوبه الجديد اعتماداً على منهج يجمع بين التحليل، والاستقراء، مع الاستضاءة بعلم البلاغة والمنهج السيميائي لتحليل بعض الأيقونات البصرية، وإحصاء لعينات الدراسة حتى يقول شيئاً مهماً؛ لأن النص الأدبي الحديث لم يعد نصّاً لغوياً فحسب، بل أصبح نصّاً مصحوباً بفضاء فني شكلي.

الدراسات السابقة:

هناك بعض الدراسات المهمة التي تقاطعت معي في نوع الدراسة، وذلك على النحو الآتي:

الدراسة الأولى بعنوان: (خرائط الجنوب: دراسة نقدية في أعمال الشاعر محمد إبراهيم يعقوب)، للدكتور أحمد كُرَيْم بلال، وهي دراسة مهمة نشرها نادي نجران الأدبي



عام ٢٠١٩م، وقد جاءت في سبعة فصول، الأول: (من رهبة الظل إلى المتاهات: سيرة شعرية)، والفصل الثاني: (أعتاب التراتيل: دراسة في العناوين الشعرية)، والفصل الثالث: (اقتراف الشدو: دراسة في الموسيقى الشعرية)، والفصل الرابع: (شهوة التلويح: دراسة في التصوير والمجاز)، والفصل الخامس: (مجيء الفرد محتشدا: دراسة في النزعة الدرامية)، والفصل السادس: (قميص لأوراق بيضاء: دلالات التشكيل البصري الكتابي للقصيد)، والفصل السابع: (انعكاس الطين في الأنساب: دراسة في موقف الشاعر من التراث).

ويعد الفصل السادس هو الفصل المتداخل معي في هذا البحث، وهو المعني بالتشكيل البصري الكتابي في الشعر الحديث، لكن وجوه الاختلاف بيني وبينه كثيرة منها:

١- أنه ركز في دراسة التشكيل البصري على أربعة عناصر: كتابة الشعر العمودي، ونقاط الحذف والإضمار، والتقويس، وإبراز أحرف الكلمة، أما بحثي فيتناول دراسة تداخل النسق اللغوي والبصري في العتبات الخارجية والداخلية، وتفاعل الانزياح اللغوي مع الانزياح الفضائي في النص، وثنائية البياض والسواد، وتفاعل الأسلوب مع علامات الترقيم وغيرها من المباحث.

٢- أن هذا الفصل ركز على دواوين محمد يعقوب الشعرية، ولم يحلل من (متاهات) في هذا الفصل سوى نص واحد جاء شاهداً على طريقة الكتابة الحرة بدلاً من الكتابة العمودية، مما يجعل للبحث الذي أقدمه جدّةً من حيث التركيز على (متاهات) وبخاصة مع معالجة جوانب القصديّة، من خلال دراسة التفاعل بين المكون اللساني والمكون البصري.

الدراسة الثانية: (سيمائية العتبات في ديوان (متاهات) للشاعر محمد إبراهيم يعقوب)، للدكتورة مها بنت علي بن عبد الواحد الماجدي، دراسة منشورة بمجلة كلية الآداب- جامعة جنوب الوادي بقنا، وقد وقعت عليها بعد إنجازه لهذا البحث، فكان لا بد من الرجوع إليها للإفادة منها، ولبيان أوجه التشابه والاختلاف مع بحثي، ويمكن رصد أبرز هذه الأوجه في ما يأتي:

١- التقت دراستها معي في بند: (أولاً) من المبحث الأول من دراستي، لكنها

اختلفت عنها في أن الباحثة توسعت في الحديث عن عتبات غير داخلية ضمن اهتمام بحثي مثل: (معلومات النشر، واسم المؤلف)، سواء في الغلاف الأمامي أم الواجهة الخلفية، وكذلك رصدت (رقم الإيداع في مكتبة الملك فهد، وعتبة المحتويات)، أما بحثي فلا يدرس إلا ما يقع فيه تفاعل بين النسقين اللغوي (المتصل بالمادة الأدبية للديوان) والبصري (الذي يمثل قيمة دلالية أدبية بلاغية)، وليس بصرية فحسب.

٢- أن الباحثة لم تتناول ما تناولته دراستي في بند: (ثانيًا من المبحث الأول) حيث الحديث عن تحليل الخطاب الشعري من منظور تفاعل الانزياح اللغوي والفضائي في النص، ولم تتناول ما تناولته دراستي، كذلك في (مسائل المبحث الثاني) كلها، حيث الحديث عن: تفاعل فكرة الخطاب مع ثنائية البياض والسواد، والحديث عن: الأسلوب وعلامات الترقيم وسميائية التواصل الدلالي.

الدراسة الثالثة: (سميائية التناص في (مقام نسيان) لمحمد إبراهيم يعقوب)، للدكتورة البندري ضيف الله المطيري، وهي دراسة منشورة بمجلة الجامعة الإسلامية، ٢٠٢٠م، وهي دراسة تختلف عن بحثي في الفكرة والمعالجة والمجموعة الشعرية محل التطبيق.

الدراسة الرابعة: (صناعة المعنى في شعر محمد إبراهيم يعقوب: مقارنة سيميائية)، طبعة مؤسسة الانتشار العربي ١٤٤١هـ. للباحثة مستورة العراي، حيث تناولت في بحثها السيميائيات وتأويل المعنى، وتحدثت عن أنواع السيميائية ومدارسها، وسيميائية التشاكل، والتناص، وتوسيع المعنى، وتأويل المعنى، وقد تشابه بحثي معها في الحديث عن تأويل المعنى، حيث تحدثت عن الأيقونة الفضائية كالغلاف إلخ، وأن أيقونة الشكل الشعري نسق دال، كما في الشكل التفعيلي (البياض والسواد إلخ). لكن بحثي يختلف عن دراستها في أن بحثي يركز فحسب على تحليل مجموعة (متاهات) الشعرية بوصفه خطابًا شعريًا مع دراسة جميع ما يتعلق بوسائله البصرية، هذا من جهة، ومن جهة أخرى فإنها لم تهتم بفكرة التفاعل بين النسقين: اللساني، والبصري الذي يهتم بدراسة الوظيفة الفنية للأيقونات.



منهج البحث:

تعتمد الدراسة على المنهج السيميائي، فالتحليل يقوم ببحث الدلالات الإشارية للظاهرة اللغوية في ضوء تفاعلها مع الأنساق غير اللغوية، بغرض تأويل النصوص وبيان قيمتها من خلال الدمج بين آليات التحليل، كما أنه قد اعتمد طريقة الاستقراء الناقص في تحليل العينات محل الدراسة، وبخاصة أنها مدركات بصرية تتطلب إحصاءها وبيان دلالتها، كما تعتمد الدراسة على الإفادة من منهج البلاغيين في تحليل الخطاب اللغوي، ذلك الخطاب الذي تتكون منه بعض الرموز والعلامات في الفضاء النصي، بالإضافة إلى مبادئ تحليل الخطاب في تأويل بعض العلامات.

خطة البحث:

بناء على ما سبق فقد جاء هذا البحث موزعاً في مقدمة وتمهيد ومبحثين وخاتمة، وذلك في العناصر الآتية:

التمهيد، وفيه تفصيل عن الإطار النظري لبعض المفاهيم الخاصة بالمصطلحات، ويتضمن الآتي:

١- البلاغة البصرية وتحليل الخطاب.

2- سيميائية الأيقونات البصرية.

ثم المبحث الأول: وفيه تحدثت عن (آليات التفاعل في فضاء النص)، ناقشت فيه ما يأتي:

أولاً: التفاعل في العتبات: مدخل إلى العوالم الدلالية، وجاء في عنصرين:

١- العتبات الخارجية: تشمل اللغوية والبصرية مثل: العنوان والغلاف، والإهداء والصياغة اللغوية، وطريقة الاستهلال.

٢- العتبات الداخلية: وهي تتضمن عتبات المجموعات الشعرية داخل الديوان.

ثانيًا: تفاعل الانزياح اللغوي والفضائي في النص.

أما المبحث الثاني: فجاء بعنوان: تفاعل أنساق الخطاب الشعري، تناولت فيه العناصر الآتية:

أولاً: تفاعل فكرة الخطاب مع ثنائية البياض والسواد.

ثانيًا: الأسلوب وعلامات الترقيم وسميائية التواصل الدلالي، وتناولت فيه القيمة الوظيفية لعلامات الترقيم داخل النص وما ترتبط به من علاقات إشارية مع المكون اللساني.

ثم الخاتمة وأهم نتائج البحث.

التمهيد:

أولاً: البلاغة البصرية وتحليل الخطاب:

تأثرت الدراسات الأدبية والبلاغية المتعلقة بالنص الأدبي عامةً بمجال تحليل الصورة المرئية، وبخاصة بعد تأثر الخطاب الأدبي بمجال الصور الإعلانية، وسميائية الأنماط الإشهارية، «فالصورة الإشهارية تحيل على منتج أو خدمة أو نوع أو مؤسسة، مُعَبِّرٌ عن كل واحد منها، إما باستعمال اللغة، أو بالصورة، أو بكليهما»^(١).

وإذا أنعمنا النظر في نتاج البلاغيين الأوائل فسنجد أنهم أولوا (الإشارة والرمز) اهتمامًا كبيرًا في نظرية البيان العربي، فالجاحظ يعرف البيان بأنه «اسم جامع لكل شيء كشف لك قناع المعنى»^(٢)، ونص أبو هلال على أن البلاغة هي «كل ما تبلغ به قلب السامع،

(١) محمد خريصي، آليات تفاعل أنساق العلامات اللسانية والأيقونية في الخطاب الإشهاري.. استراتيجيات الإقناع والتدليل من الإرسال إلى التلقي، مقارنة سيميائية-نسقية. مجموعة بحوث محكمة بعنوان: قضايا الخطاب في الفكر اللساني والسميائي، ط١، الأردن، طبعة كنوز المعرفة، ٢٠١٩م، ص٢٤١.

(٢) الجاحظ، البيان والتبيين، تحقيق عبد السلام هارون، ط٧، القاهرة، مكتبة الخانجي، ١٤١٨هـ، ١٩٩٨م، ص٧٦.



فتمكنه في نفسه كتمكنه في نفسه»^(١)، وذكر ابن المقفع أن «البلاغة اسم جامع لمعانٍ تجري في وجوه كثيرة، فمنها ما يكون في السكوت، ومنها ما يكون في الاستماع، ومنها ما يكون في الإشارة، ومنها ما يكون في الحديث، ومنها ما يكون في الاحتجاج، ومنها ما يكون جواباً، ومنها ما يكون ابتداءً»^(٢)، وهذه النصوص تدل على أن تصور الأوائل للبلاغة يتضمن وجود بلاغة الإشارة، أو بلاغة الرمز الدال المفهم، وإن لم يحظ باهتمام كبير في التأطير النظري.

ومن ثم صكَّ بعضُ الباحثين مصطلح (البلاغة البصرية) للدلالة على دراسة القيمة الوظيفية والتواصلية للعلامات الإشارية في التحليل والتأويل، كما أن البلاغة البصرية لها علاقة وثيقة بالخطاب الإشهاري.

ويعد مصطلح البلاغة البصرية (وكذلك الاستعارة البصرية، والكناية البصرية إلخ) من المصطلحات التي عرفها النقد الحديث، ويقصد بها توظيف مباحث البلاغة مع أدوات التكنولوجيا المعاصرة لإنتاج الدلالة التي تشتغل على اللساني والبصري، وبذلك لا يقتصر وعينا بالشيء على جانب اللغة في الخطاب الأدبي، وإنما يتفاعل معه جانب البلاغة المرئية ليكون الإدراك البصري أداة من أدوات تشكيل المعنى من منطلق أن «الخطاب رسالة للمتلقى تحمل قصيدة التوجه للبصر والبصيرة معاً»^(٣).

وبناء على ذلك فقد اهتم الباحثون بتحليل الخطاب الإشهاري، من منطلق ضرورة «الاشتغال على الأبعاد البصرية في العصر الراهن كالاتفات الإشهارية وغيرها، وهذا ما جعل مجموع المباحث المهمة بالخطاب الأدبي عموماً، والشعري منه تحديداً، قد تغير تصورها من حيث الاعتقاد بالتمركز حول الصوت والعلامة اللسانية، ونبد أنماط التعبير الأخرى»^(٤).

(١) أبو هلال العسكري، كتاب الصناعتين الكتابة والشعر، تحقيق علي محمد الجاوي، ومحمد أبو الفضل إبراهيم، ط ١، القاهرة، طبعة دار إحياء الكتب العربية عيسى الحلبي، ١٣٧١هـ، ١٩٥٢م. ص ١٠.

(٢) الجاحظ، البيان والتبيين، ص ١١٥، ١١٦.

(٣) مستورة العرابي، صناعة المعنى في شعر محمد إبراهيم يعقوب مقارنة سيماية، ط ١، بيروت، مؤسسة الانتشار العربي، ١٤٤١هـ، ١٩٠٠.

(٤) المرجع السابق. ص ١٨٩.

ثانيًا: سيميائية الأيقونات البصرية:

شاع مصطلح (السيميوطيقا البصرية) مرادفًا لمصطلح البلاغة البصرية، وتجدد الإشارة إلى أن (السيميائية) تعددت أسماؤها بتعدد الترجمات والمسارات البحثية؛ فوجد دي سوسير يسميها (السيمولوجيا **Semiology**)، حيث يهتم بدراسة العلاقة بين الدال والمدلول في إطار السياق، فالسيمولوجيا تُعنى - حينئذ - بدراسة حياة العلامات في المجتمع.^(١) أما شارلز بيرس فيسميها (السيموطيقا **Semiotics**)، حيث إن المنطق بدلالاته الكلية يرتبط عنده بعلم العلامات^(٢)، كما أن السيميوطيقا - حينئذ - تكون معبرة عن العالم كله، بوصفه شبكة من العلامات. أما إمبرتو إيكو فيطلق اسم علامة على «أشياء تعتمد على روابط دلالية، حتى وإن كانت بنيتها الداخلية ليست من طبيعة العلامات اللسانية».^(٣)

من هنا جاء مصطلح (السيميوطيقا البصرية)، إذ هو جزء من علم السيميائيات، يهتم بتحليل الصورة، والعلامات والرموز البصرية، المرئية ودراسة أثرها التواصلية، وبذلك تتداخل السيميوطيقا البصرية مع نظرية الاتصال، والتداولية وتحليل الخطاب، ومن ثمَّ كان الاهتمام بدراسة العلامات المرئية مهمًّا في مجال التواصل الإنساني؛ فقد أثَّرت المجال الأدبي على نحو كبير، وبخاصة مع تطور وسائل التقنيات الطباعية والإلكترونية.

وكان من نتيجة فاعلية هذه التقنيات أن انصرف الباحثون لدراسة ما يترتب عليها من قدرات وإمكانات في تطويع لغة التواصل؛ وهي «القفزة التقنية الهائلة في وسائل الاتصال الجماهيري، تلك التي لفتت الانتباه إلى القناة البصرية في الإدراك والتواصل في مجال الاتصال الأدبي، حيث أصبح الجهد منصبًا على البحث في إمكانية تطويع قدرات اللغة لتلائم الإمكانيات التي وفرتها الزمن التكنولوجي من أجل البحث عن بلاغة جديدة».^(٤)

(١) ينظر: فردينان دوسوسور، علم اللغة العام، ترجمة يوثيل يوسف عزيز، دار آفاق عربية- بغداد، ١٩٨٥م، ص ٣٤.

(٢) ينظر: دانيال تشاندلر، أسس السيميائية، ترجمة طلال وهبة، المنظمة العربية للترجمة، بيروت الطبعة الأولى ٢٠٠٨م، ص ٣٠.

(٣) إمبرتو إيكو، العلامة تحليل المفهوم وتاريخه، ترجمة سعيد بنكراد، المركز الثقافي العربي - الدار البيضاء، المغرب الطبعة الثانية، ٢٠١٠م، ص ١٩١.

(٤) ينظر: محمد الماكري، الشكل والخطاب مدخل لتحليل ظاهراتي، ط ١، المركز الثقافي العربي، ١٩٩١م، ص



ومن اللافت للنظر أن الحديث عن البلاغة البصرية يستدعي محاثة مصطلح آخر هو (الفضاء النصي) أو (الفضاء البصري)، وهو مجال مهم من مجالات تشكيل المعنى في القصيدة الحديثة، ويقصد به «ما يصاحب النص من وسائل ورموز بصرية، تقدم للقارئ إشارات دلالية تؤكد أو توجه دلالات الكلام المكتوب».^(١)

ومن هنا توسع النقاد في تحليل النصوص عبر توسيع مفهوم البلاغة ذاته، فلم تعد البلاغة هي (مطابقة الكلام لمقتضى الحال فحسب) في هذا التصور؛ وإنما انتقل الاهتمام من الاختصار على تحليل الجانب اللغوي إلى الانفتاح على قراءة الأبعاد التشكيلية المؤثرة في فضاء النص؛ اعتماداً على أن «القصيدة تشتمل على عناصر لغوية، بالإضافة إلى عناصر أخرى بصرية مثل حركة الأسطر، وعلامات التزييم، ونسبة البياض والسواد؛ لأن هذا المكتوب يحمل في طياته المنطوق، فهو مرئي بنكهة شفوية».^(٢)

أما مصطلح (الأيقون) فهو يدور حول معنى العلامة البصرية غير اللغوية؛ لأن «الممارسة الفنية لترسيم القصيدة تبرهن على أن اللغة لن تكون في قبضة اليد بكامل دلالتها إلا بالعودة إلى الصورة التشكيلية للقصيدة».^(٣)

والعلامات أقسام: منها الكتابي، وغير الكتابي، ويذكر بعض السيميائيين أن مصطلح (العلامة) يتضمن «علامات اللغة، وعلامات الكتابة، وعلامات التحية، وعلامات المرور، والعلامات النقدية، وعلامات العبادات، والشعائر، والعقائد، وعلامات الفن بكل أشكالها، والسمة العامة لكل هذه الأنظمة الاجتماعية هي قدرتها على الدلالة، وتكونها من وحدات دلالية، أو علامات».^(٤)

٥٦، ٦.

(١) ينظر: سامي العجلان، إغواء العتبة عنوان القصيدة وأسئلة النقد، ط ١، بيروت، مؤسسة الانتشار العربي، ٢٠١٥، ص ٤١٤.

(٢) مستورة العراي، صناعة المعنى، ص ١٩٠.

(٣) روجرز فرنكلين، الشعر والرسم، ترجمة مي مظفر، دار المأمون بغداد ١٩٩٩م. ص ٢٥٦. وينظر: مستورة العراي، صناعة المعنى، ص ١٩٠.

(٤) شكري عياد، أنظمة العلامات في اللغة والأدب والثقافة (مدخل إلى السيميوطيقا)، مجلة فصول، العدد ٤، مجلد ٦، يولييه وأغسطس وسبتمبر ١٩٨٦م، ص ١٧٠.

أما في العمل الأدبي فيمكن تصنيفها إلى ما هو لغوي وما هو غير لغوي، وكلاهما يجعل النص قابلاً للتأويل من جهات عدة، وبخاصة من منطلق أن «الكتابة عرسٌ للعين والأذن والباطن»^(١)، وبذلك يصبح للعلامات غير اللغوية أهمية كبيرة في توجيه الدلالات.

ومن أهم الباحثين السيميائيين الذين اهتموا بالحديث عن مفهوم العلامة والأيقون: شارل بيرس، بحسب نظريته، حيث يرى «أن بالإمكان تقسيم الأيقونات الجزئية حسب صيغة الأولانية التي تشارك فيها، فتلک التي تعتبر جزءاً من النوعيات البسيطة هي الصور، وتلك التي تمثل العلاقات الثنائية أساساً بين أجزاء شيء عن طريق علاقات مماثلة في أجزائها الخاصة هي الرسوم البيانية، وتلك التي تمثل خاصية التمثيلية لمثل ما عن طريق تمثيل توازن في شيء آخر هي الاستعارات»^(٢).

لذلك نجد التحليل السيميوطيقي يهتم «بالمجموعات العلامية (لوحات-رسوم شخصية-ملصقات-نصوص...)، ويقوم التحليل على تبين العلاقة بين العلامات كممثلات وبين موضوعاتها، بعد توضيح وإبراز المؤولات المناسبة التي تمكن من الإحالة على الموضوعات»^(٣).

وبناء عليه، فإن هذا البحث ينطلق من مفهوم معين لـ (بلاغة الأيقون البصري) -من وجهة نظري- وهو: (الأثر الوظيفي للمحيط النصي البصري الذي يُعطي الخطاب دلالةً إيحائيةً خاصةً عبر أدواته، أو يكون مساعداً في إعطاء الخطاب البلاغيّ تبثيراً بصرياً يبرزه، ويلفّظ النظر إلى دلالاته). وهذا ما سيتجلى في هذه الدراسة، فقد تناول المبحث الأول آليات التفاعل في فضاء النصّ، وتناول المبحث الثاني تفاعل أنساق الخطاب الشعريّ.

(١) عبد الله راجع، الجنون المقلن، مجلة الثقافة الجديدة. العدد ١٩، ١٩٨١م. ص ٥٦.

(٢) محمد الماكري، الشكل والخطاب، ص ٤٩.

(٣) المرجع نفسه، ص ٥٣.



المبحث الأول: آليات التفاعل في فضاء النص

أصبحت قراءة النص الأدبي -في الشعر الحديث- منفتحة على تقنيات مصاحبة للنص الأدبي نفسه، ويعد المجال البصري من أهم قنوات الاتصال بين النص وقارائه، لكنه -من وجهة نظري- ليس مجرد اتصال يهدف إلى الإفهام فحسب، وإنما يهدف إلى التأثير كذلك؛ لأن «الثقافة البصرية تهدف إلى تجسيد الإدراك الحسي للعالم لا إلى خلق التصورات عنه»^(١)، وحينئذ تتجلى القيمة البلاغية التأثيرية؛ حيث ينعكس ذلك على إدراك مضامين النص ودلالاته وتأثيره في المتلقي على نحو تفاعلي.

وكل نص له نسيجه الخاص وتشكيلاته المرتبطة بمقاصده وانسجامه، من حيث اختيار الغلاف ونوع الخط وطريقة الكتابة إلخ، فهذه مفاتيح لقراءة مضامين مهمة من عطاءات النص قراءة جمالية تشويقية، ولذلك فإن «اختلاف التشكيل من نص إلى آخر حسب مضمون وحالة كل نص يجعله جزءاً أساسياً من النص، بحيث يصبح المعطى الكتابي البصري مولداً للمعنى الشعري»^(٢) وفي ما يأتي أعرض أهم آليات التشكيل البصري في (مناهات) من خلال تتبع المباحث الآتية:

أولاً: عتبات النص..مدخل إلى العوالم الدلالية:

تعد العتبات هي الخطوة الأولى في الدخول إلى عالم النص، و«نادرًا ما يظهر النص عاريًا عن عتبات لفظية أو بصرية مثل: (اسم الكاتب، والعنوان الفرعي، والإهداء، والاستهلال، وصفحة الغلاف...) وهذا بقصد تقديمه للجمهور، أو بمعنى أدق: جعله حاضرًا إلى الوجود لاستقباله واستهلاكه»^(٣) وقد سمى النقاد المحدثون الوسائل التي تقدم النص إلى القارئ بالمناص، وهو «كل ما يجعل من النص كتابًا يقترح نفسه على قرائه أو

(١) محمد الصفواني، التشكيل البصري في الشعر العربي الحديث ١٩٥٠-٢٠٠٤. ط ١، الرياض، ط/النادي الأدبي بالرياض والمركز الثقافي العربي بيروت، ٢٠٠٨م، ص ٢٢.

(٢) المرجع نفسه.

(٣) عبد الحق بلعابد، عتبات جزار جينيت من النص إلى المناص، تقديم: سعيد يقطين، ط ١، بيروت، الدار العربية للعلوم ناشرون، ٢٠٠٨م، ص ٤٤.

صفة عامة على جمهوره، فهو أكثر من جدار ذي حدود متماسكة». (١)

وهذه المناصات لها وظائف متعددة، حيث تسهم في بناء النظام النصي المتكامل، بالإضافة إلى كونها وسائل فاعلة في تصوير المدلول وتقديمه، «فالمناص بكل أشكاله كما يقول جينيت في الأصل: «مساعد وموجه لخدمة أشياء أخرى، التي تشكل وعي كينونته وهو النص»، فهذا المبدأ المناصي دائم الارتباط بنصه، ووظيفته تحدد الأساسي من حضوره ومسلكه». (٢)

وهناك نوعان مهمان من أنواع المناصات، يتعلقان بما نحن بصده من الحديث عن (ثنائية العلامة واللغة)، وهما: المناصات ذات التظاهرات النصية أو اللفظية، مثل (العنوان والمقابلة والاستهلال)، والمناصات ذات التظاهرات الأيقونية تظهر في النص وبدقة أكبر في (تصميم الغلاف، والرسومات، والصور الفوتوغرافية، والأشكال الهندسية العادية أو البارزة) (٣)، ومن خلال تفاعل هذين النوعين تتجلى القيمة العلمية في التفاعل بين الأنساق.

وفي هذا البحث سأقسم العتبات -وفق ما جرى عليه النقاد- إلى قسمين:

١- العتبات الخارجية: وتشمل الواجهة الأمامية للغلاف والعنوان، والواجهة الخلفية.

٢- العتبات الداخلية وتشمل: الإهداء والاستهلال وعتبات المجموعات الشعرية داخل الديوان.

(١) المرجع نفسه.

(٢) المرجع نفسه ص ٥٧.

(٣) ينظر: المرجع نفسه، ص ٥٢، ٥٣.



١- العتبات الخارجية:

إذا أنعمنا النظر في عتبات النص الخارجية في (متهات) فسنجد أن الأيقونات البصرية قد أدت مجموعة من الوظائف البلاغية التي أسهمت في إحداث دلالة رئيسية في وعي القارئ، بحيث يتضافر المكون اللساني مع المكون البصري في إحداث نظام متماسك يشبه النظم في البناء اللغوي. وذلك على النحو الآتي:

أ- العنوان والغلاف:

يعد الغلاف الأمامي والخلفي من الأدوات البصرية المهمة في تقديم الخطاب الشعري للقارئ، فالواجهة الأمامية: هي الصورة التي تُدخل القارئ إلى عوالم المجموعة الشعرية، وكلما كانت الصورة أدق في التعبير عن المقاصد والمضامين الشعرية، كانت نوعاً من العبقرية الفنية المعتمدة على توظيف الأيقون البصري.

أما الواجهة الخلفية فهي ذات مساحة حرة من التعبير، بما تقدمه من تنوعات عن المؤلف أو عن عمله، غير أن ذكاء الواجهة الخلفية يتمثل في حملها للجملة الثقافية التي تقولها المجموعة الشعرية، وذلك باختيار بعض الأبيات التي تمثل بيت القصيد في الديوان، وذلك عن طريق كتابة مقطع مختار من النص، فيحفز المتلقي على القراءة والتفاعل، ويسهم في إضاءة الخطاب الشعري، وفتح آفاق عدّة للتأويل، بما يحمل من إشارات مكثفة شكلياً، ودلاليّاً، وتداوليّاً.^(١)

وقد جاء شكل الغلاف في المجموعة الشعرية (متهات) لمحمد يعقوب نوعاً من الرسم الذي يُستخدم في قياس الذكاء في الولايات المتحدة الأمريكية وأوروبا، وقد عرف هذا الشكل باسم (مقياس متهات بورتوس)، وهو رسم هندسي عبارة عن دائرة كبيرة في وسطها دائرة صغيرة مركزية، يتفرع عنها طريق يتشعب بعد ذلك إلى عدة طرق، ولا يخرج من الدائرة الكبيرة إلا عن طريق فتحة واحدة، ويعد الوصول إليها في وقت قصير نوعاً من

(١) حسن حجاب الحازمي، النص والنص الموازي، قراءة في رواية جاهلية لليلي الجهني، الرياض، كرسي الأدب السعودي، جامعة الملك سعود، ١٤٣٩هـ - ٢٠١٨م. ص ٢٤٥، ٢٥٠.

الذكاء، وقد طُوِّر هذا النموذج، حيث أصبح سلسلة من المتاهات المتدرجة في الصعوبة، والمستعملة في قياس القدرات العقلية.

وقد وظف الشاعر في مجموعته الشعرية هذه الفكرة، فسَمَّى ديوانه بهذا الاسم ليحاكي تلك الفكرة العقلية، وليعول على ذكاء القارئ في تحديد المخرج الوحيد من هذه المتاهات، فبدأ بتوزيع متاهاته على عشر متاهات هي: (متاهة روحها-متاهة عينيها-متاهة تفاصيلها-متاهة الحب-متاهة الحنين-متاهة الغياب-متاهة الخسارة-متاهة الرحيل-متاهة المرايا-متاهة الاعتراف)، ثم جعل داخل كل متاهة مجموعة من النصوص التي تمثل طرقاً يفتح بعضها على بعض، وهذه النصوص قصيرة جداً، تأتي في الغالب في بيتين من الشعر، وهذا القصر يحاكي قصر الطرق التي تحاول الخروج من هذه المتاهة الكبيرة.

بالإضافة إلى هذا نجد هناك اختلافاً في عدد النصوص داخل كل متاهة، وهو اختلاف يحاكي اختلاف عدد الطرق عند المحاولة من المخارج المرسومة، فبعضها قليل، سرعان ما يصل المسار إلى طريق مغلق يحمله على الرجوع إلى متاهة أخرى، وبعضها كثير بحيث يستمر إلى أن يصل إلى انسداد في الجدار الخارجي للدائرة الكبيرة، حتى يدرك القارئ بوعيه الإنساني أيّ المخارج يمكن أن تناسبه، أما الشاعر فقد اختار أن يكون الخروج عند نص جاء في آخر متاهة محددة، كما سيأتي الحديث عنه عند تحليل الواجهة الخلفية من الغلاف.

وبذلك يكون الغلاف هو المدخل الأول للنص الأدبي، وسبيلاً مهماً «لكشف أغواره ومجاهله ودلالاته العميقة، فهو نص مختصر يلخص كل الوقائع والأحداث والقضايا ويختزلها في كلمة أو في جملة قد تطول أو تقصر، وكلما كان العنوان مختصراً اتسعت دلالاته وقويت طاقته الإشعاعية، وانفتحت آفاقه الرمزية؛ لاعتماده على التكثيف، والمجاز، والرمز، والمنطق الدلالي».(١)

ولم يشأ الغلاف أن يقدم لنا صورة مكتملة عن المتاهة، بل جاء بعض جوانب

(١) فطيمة الزهرة، التشكيل الجمالي لصورة الغلاف والعنوان دراسة سيميائية، جامعة محمد خيضر، بسكرة الجزائر، بحث منشور، ص ١٤٠.

المتاهة محذوفًا، وبعضها غائبًا غير واضح، وهذه طريقة فذة في الدمج بين التجربة الشعرية -وبخاصة في هذه المجموعة الشعرية حيث إنها قصيرة في مقاطعها الشعرية من حيث الحجم- وبين الرسم الهندسي المعبر عن محاولة فقدان مساحات معينة من المتاهة؛ فيكون الدخول إلى عوالمها ضربًا من التيه غير المنتهي.

إنه تفاعل من نوع خاص بين المكون اللساني وطريقة الرسم الهندسي لتضفير خيوط المعرفة لدى القارئ، ذلك الذي يدرك בזكاء القراءة النقدية أن الذاكرة البشرية دروب معقدة ومسالك متشابكة، وبعضها خيالات بعيدة تتراءى في فضاء غير متشابك، بل تظهر بصورة غائمة وغير واضحة، وبعضها الآخر يتواصل برغم الفراغات الذهنية لتمام الصفحات بأفكار ذات نسيج دلالي واحد.

وفي ما يأتي صورة من هذا الغلاف:



فالعنوان (متاهات) لفظ نكرة جاء بصيغة الجمع، وهو وحدة صغرى (جملة اسمية)، داخل إطار أكبر هو الخطاب الشعري المتماسك في الديوان كله، عبر التحام عناوين المتاهات الشعرية وتواصلها مع عنوان المجموعة بطرق فيها تنافذ تكراري وعلاقة الجزء بالكل، وبعضها عن طريق التدرج الشعوري بين عنوان المتاهة ونصوصها الشعرية؛ ومن ثمّ فليس العنوان مجرد جملة افتتاحية أو هامش تقديمي لها، بل هو تعبير موجز بليغ يجمع بين قصر العبارة، واتساع الدلالة^(١)، فتحققت فيه بعض ملامح البلاغة، فمن جهة الجماليات اللغوية هو عنوان فيه إيجاز بالحذف (حذف المسند إليه) وتكثيف عن طريق توظيف صيغة الجمع النكرة التي تفيد الكثرة.

وكلمة (متاهة) اسم مكان للدلالة على المكان الذي حصل فيه التيه، واللفظ اللغوي (التيه) دال على عدم الاهتمام أو الهلاك، وكلها معان ترد إلى هذا التأويل، فالمتاهة مكان يقع فيه الذهاب الذي قد يكون بلا عودة وهو الهلاك، أو الذهاب وعدم القدرة على الخلاص، هذا من جهة المكون اللساني. أما من جهة دلالة الأيقون البصري، فالملاحظ أن كلمة (متاهات) ممتدة في الكتابة، وبخط يوحى بامتداد لا متناهٍ مع إحياء بتجوييف وتعرج يدل على كثرة التفرع والانقسام، «وهي كتابة تعبر -بطبيعة الحال- عن دلالة معينة تربط بالقصيدة، وتحمل إيحاءً محدداً تود نقله إلى القارئ من خلال هذا الشكل الكتابي المطبوع»^(٢).

ثم يأتي اسم الشاعر باللون الرمادي متوسط الحجم، ثم كلمة (شعر) بلونها الأسود مرة أخرى، وكأن التجربة الشعرية قد امتصت تلك التجربة النفسية بامتداداتها وتنوعها، فالتعبير المختار للعنوان مع التشكيل الفضائي للغلاف نسقان متمايزان نوعاً، ومتحدان وظيفة، حيث يستعملهما الكاتب من أجل تحقيق مؤشرات دلالية يريد إيصالها إلى المتلقي في نسيج متلاحم.

أما عن اللون في العنوان -بوصفه علامة سيميائية- فنجد أنه يحمل كثيراً من

(١) ينظر: سامي العجلان، إغواء العتبة عنوان القصيدة وأسئلة النقد، ص ٣١٥، ٣١٦.

(٢) أحمد كرّيم بلال، العنوان وبنية القصيدة في الشعر العربي المعاصر، ط ١، طنطا مصر، دار النابغة للنشر والتوزيع، ١٤٣٩هـ - ٢٠١٨م، ص ٤١١.



المضامين والمدلولات، وذلك لأن اللون إذا أحسن الشاعر البوح بمضمير الخطاب الأدبي من خلاله، فإنه يصبح أيقونةً دلالية تحمل أحاسيسه ورؤيته، وبخاصة إذا كان أحد مكونات المفارقة في النص الأدبي. ولذا نجد اللغويين قديمًا وحديثًا يهتمون بالحديث عن اللون وألفاظه ومفرداته، واستعمالاته المجازية والأدبية. (١)

وبالبحث عن الدلالة السيميائية للألوان نجد «أن أحد التأثيرات الأساسية للألوان هو ما تثيره من أفكار، فاللون يعبر عن فكرة أو مجموعة من الأفكار، معتمدًا على التجارب والخبرات السابقة للأفراد» (٢)، فعلى سبيل المثال: اللون الأسود «يحمل سيميائيًا دلالتين: الأولى: تحيل على اللون المرتبط بسكون الليل، والموت الأبدي، والقلق والحزن، وهو لون يستدعي إلى الذهن صورًا عديدة... والدلالة الثانية: لون السيادة والسلطة والجرأة والدهاء» (٣)، ولعل الدلالة الأولى هي الأقرب في هذه المجموعة الشعرية وبخاصة دلالة القلق والحزن، ولذلك اختار الشاعر هذا اللون في كلمة (متاهات) ليوجد نوعًا من جذب الانتباه لدى المتلقي، وهذا يعادل بدوره حسن الاستهلال، أو التشويق الدلالي.

لكنه سرعان ما عاد فكسر ذلك باللون البني في اسم الشاعر، وهو لون يحمل كثيرًا من الدلالات، منها أنه يدل على «الأهمية الموضوعية على الجذور، على الأرض والوطن... وإذا وقع البني في النصف الأول وبخاصة في أحد المكانين الأولين فهذا يعني الحاجة المتزايدة للراحة الجسمانية، والقناعة الحسية» (٤)، ولا شك أن تلك الدلالات يقصدها الشاعر وبخاصة مع تأمل كثير من العناوين الداخلية للنصوص الشعرية بوصفها مكونًا لسائيا كما سيأتي.

أما غلاف الكتاب - وبعض خطوط الدائرة التي تعبر عن النسق الأيقوني

(١) ومن أبرز هؤلاء في العصر الحديث أحمد مختار عمر في كتابه (اللغة واللون)، حيث يعقد فصلاً عن (ألفاظ الألوان والتعبيرات اللغوية)، وكذلك الحديث عن إيماءاته وانعكاساته النفسية... ينظر: أحمد مختار عمر، اللغة واللون، ٢، القاهرة، عالم الكتب، ١٩٩٧م.

(٢) محمد فريد الصحن، الإعلان، ١، الإسكندرية، الدار الجامعية، ١٩٩٣، ص ٢٤٦.

(٣) كريم شلال الخفاجي، سيميائية الألوان في القرآن، ١، بيروت، طبعة دار المتقين للثقافة والعلوم، ٢٠١٢م، ص ٧١. وينظر: يحيى حمودة، نظرية اللون، القاهرة، دار المعارف، ١٩٧٩م، ص ١٣١-١٣٥.

(٤) ينظر: أحمد مختار عمر، اللغة واللون، ص ١٩٥.

للمتاهات- فهو اللون الرمادي، لتدل في إشارة سيميائية معتمدة على إحياء لوني إلى معنى متوافر في اللون الرمادي، حيث يشير إلى الكآبة والخلاء والشيخوخة^(١)، وهو مناسب لدلالات كثير من عناوين القصائد -بوصفها مكوناً لسانياً- داخل المتاهات العشر مثل عناوين: (ظماً-أرواحنا تعبت- كأننا لم نكن-وجع مباح-هذيان- مشرد فيك- لا قلب ينجو- كن رحيلاً عادلاً-رحيل-نهاية...)، ثم يعود اللون الأسود بصورة خافتة في كلمة (شعر) مرة أخرى، ليدل على الامتصاص، وكأنه يشير إلى أن فن الشعر هو الأنسب في استيعاب تلك التجربة بأبعادها الذاتية والإنسانية، لذلك يقول الشاعر:

«أنا والقصيدة غيمتان

فحاولي ..

أن تأخذي الغيمات صوب تلاها»^(٢).

كما يدل اللون الأسود على الحزن والنفوذ، وعندما يحاور لوناً آخر فإن الغلبة تكون له، وهو يخدع البصرَ لعمقه وثقله وصرامته^(٣)، وهذا معنى معبر عن هذه الحالة في (متاهات).

تبقى الإشارة إلى أن الشاعر «عمد إلى اختيار تقنية اللوحة التشكيلية...وتتمثل تفاصيل اللوحة التشكيلية في ورقة قد احترق بعض أطرافها، تعلوها شبكة بيضاء تحتل ثلثي صفحة الغلاف، وفوق تلك الشبكة تظهر متاهة دائرية رسمت باللون الأسود، وقد تلاشت بعض أجزائها»^(٤)، ولعل هذا ينسجم دلائياً مع الدلالات المشار إليها في العناوين الداخلية.

(١) ينظر: خولة محمد الوادي، قراءة سيميائية لأنظمة الألوان في نماذج قصصية، مجلة دراسات، العلوم الإنسانية والاجتماعية، مج ٤٥، عدد ٣، ٢٠١٨م، ص ٨٥.

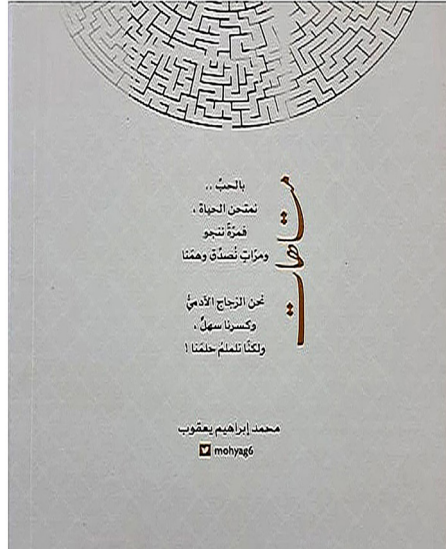
(٢) محمد إبراهيم يعقوب، متاهات، شعر، ط ١، الرياض، طبعة تشكيل للنشر والتوزيع، ٢٠١٧م، ص ٢٦.

(٣) ينظر: أشرف صالح، الإعلان فنون وجنون، أشرف صالح، القاهرة، دار غريب، ١٩٩٩م، ص ١٩.

(٤) مها بنت علي بن عبد الواحد الماجدي، سيميائية العتبات في ديوان متاهات للشاعر محمد إبراهيم يعقوب مقاربة سيميائية، ص ١٦٣، ١٦٤.

ب- الواجهة الخلفية:

من العتبات الخارجية للديوان: الواجهة الخلفية، وقد جاءت على النحو الآتي:



يلاحظ أنَّ هناك تغييراً في نوع اللون المستعمل في كلمة (متاهات) في الواجهة الخلفية، فهو اللون البني بدلالته المتعددة والإيجابية، وهذا اللون يدل على الاستقرار؛ فهو «غامق الأحمر المصفر، النشاط الضاغط للأحمر يقل هنا ويتجه إلى أن يكون أكثر أمناً»^(١)، ومن ثمَّ فإنه كثيراً ما يشجع على النظام والتنظيم، والأمن والحماية من الفوضى المتناثرة، ومما يتسق مع هذا المعنى اختيار جزء من الدائرة المرسومة في الغلاف الأمامي، التي تعبر عن المتاهة الكبيرة لتكون في الواجهة الخلفية، لكن العجيب أنه اختار الجزء الذي تتواجد فيه الفتحة التي يستطيع الخروج منها خارج ممرات المتاهة انطلاقاً إلى آفاق من العوالم الأخرى، وهو ما عبر عنه بالمساحات الفارغة في الغلاف.

ثم يأتي المكون اللساني في اختيار نص شعري يقع في آخر (متاهة المرايا)؛ ليؤشر على أنه الموضوع المناسب للخروج من وجهة نظر الشاعر، ويعنونه بقوله: (الزجاج الآدمي) ليكون إشارة سيميائية على أن وقوع هذا المكون اللساني في الواجهة الخلفية - خاصة -

(١) ينظر: أحمد مختار عمر، اللغة واللون، ص ١٩٤.

يحمل دلالة الخلاص من التيه، وهذا المقطع يقول فيه:

«بالحبِّ ..

نمتحن الحياة،

فمرةً ننجو

ومرات نُصدِّق وهما

نحن الزجاج الآدميُّ

وكسرنا سهل،

ولكنَّا نللملُ حلمنا!». (١)

وهذا النص جزء من (متاهة المرايا)، تلك التي اختار في مطلعها بيت عبد الله عبيد، الذي يقول فيه:

«واهدت

روحي إلى أعماقها

ثم هامت في مرايا الدهشة». (٢)

ليكون استهلالاً لمتاهة المرايا، فناسب مطلع المتاهة كون النص الأخير منها هو القطعة الأدبية المختارة في غلاف الواجهة الخلفية للمجموعة الشعرية، مع اختيار جزء من الرسم الهندسي يتضمن نافذة الخروج من التيه الكبير، ليدل في تفاعل بين المكونات اللسانية والأيقونات البصرية على إنتاج دلالة واحدة متماسكة، وبخاصة مع التأمل الحاصل من كيفية الحفاظ على مساحة بيضاء كبيرة، لندرك أن اختياره لهذا النص لم يكن عبثاً،

(١) محمد إبراهيم يعقوب، متاهات، ص ٧٤.

(٢) المرجع السابق، ص ٦٦.



بل جاء مقصوداً يحمل في طياته مؤشرات بلاغية تسهم في بناء الدلالة المركزية، وهي أن الخلاص يكون في الحب؛ فهو الذي نواجه به الأخطار، ونبلو اختبارات الحياة.

يأتي تكرار كلمة (متاهة) في مطالع المجموعات الداخلية معبراً عن حالة إنسانية قلقة، «فالدلالات العامة للقصائد الوجيزة الكثيفة لا تفيض بأنسام الغزل الحالم التقليدي كما يتبادر للذهن لأول وهلة، وإنما هي بالفعل متاهة جدلية تبدو فيها المرأة في مفارقات شتى: عاشقة معشوقة، نافرة منقّرة، طيبة متمردة، فضلاً عن ازدحام الدواوين بمضامين أخرى تثار ضمن متاهات من الرؤى الإنسانية العامة التي تحمل قلقاً تجاه الإنسان في ضعفه وأحزانه، وسعيه المطلق نحو الحرية واستشراف الحياة». (١)

فالإنسان إزاء هذا القلق بين يقين ووهم، وفي الحب عصمة من الضلال، بيد أن الإنسان -عادةً- يتخلى عن ذلك اليقين متبعاً وهم النفس البشرية، فيقع في براثن التيه، ولذا يختم بتلك الخلاصة من تجارب الحياة، وهي أن النفس الإنسانية كالزجاج الذي هو قابل للكسر، ولن يَشْعَبَ كسرها إلا صاحبها، فهو صاحب القرار في إعادة ترميمها عبر إقامة جسور الحب والتواصل مرة أخرى.

٢- العتبات الداخلية:

أ- الإهداء والصياغة اللغوية:

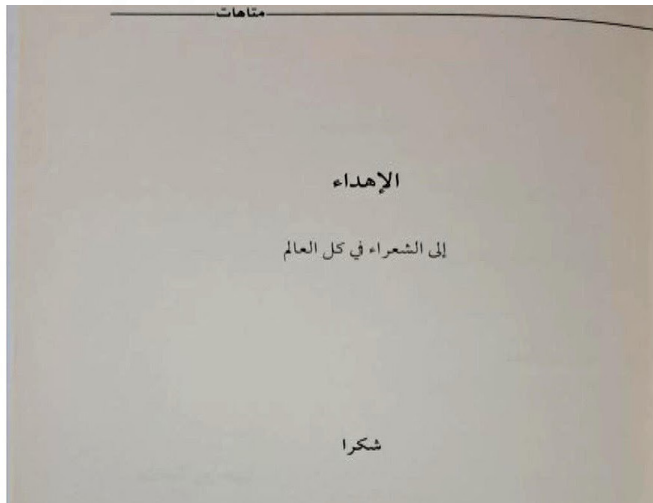
الإهداء في الأعمال الأدبية نوع من الاتصال الروحي والنفسي والوجداني والفكري؛ ذلك أن اختيار المهدى إليه في فاتحة المجموعة الشعرية يشير إلى أنه يمثل للمبدع قيمة روحية ووجدانية خاصة، أو أن القيمة تتبع من كون المهدى إليه هو أحد مصادر الإلهام والمعرفة والتأثير في عقل المبدع وثقافته، ولذلك يعد الإهداء عتبةً مهمة داخل الديوان، وتتجلى أهميتها في أنها «تقوم بتحديد خصوصية ونوعية المرسل إليه، متجاوزة الوظيفة التزيينية والاقتصادية إلى الالتحام برؤية الشاعر، وتعكس عتبة الإهداء نوع العلاقة بين

(١) أحمد كريم بلال، خرائط الجنوب دراسة نقدية في أعمال الشاعر محمد إبراهيم يعقوب، ط١، نجران السعودية، النادي الأدبي بنجران، القاهرة، مؤسسة أروقة للدراسات والترجمة والنشر، ٢٠١٩م، ص ٦١.

المهدي والمهدي له». (١)

أما عن توظيف الإهداء في الشعر الحديث فقد «ساد نمطان إهدائيّان في كتب الشعر العربي الحديث: إهداء الخواص (الأسرة أو من خارج الأسرة)، وإهداء الجمهور (جمهور القراء أو شريحة عريضة منهم دون أن يخصص شخصاً بعينه». (٢) والشاعر محمد يعقوب في (مناهاة) اختار شريحة عريضةً من القراء، وهم الشعراء، لكنه استعمل آلية الاستغراق في التعبير عنهم، فجاء إهداؤه على النحو الآتي: «الإهداء إلى الشعراء في كل العالم، شكراً. محمد»، هكذا جاء التعبير موجزاً ومكتثاً وجامعاً، حيث دلت (أل) الجنسية على الاستغراق، ودل تعبير (كل العالم) على شمولية أكبر تتجاوز الثقافة العربية لتضم إليها جميع لغات العالم وآدابه.

وقد جاء هذا التعبير في توزيع بصري دال، فجعل فضاء الصفحة البصري فارغاً إلا من هذه الكلمات، بالإضافة إلى الترقيم والسطر العلوي المصاحب بكلمة (مناهاة)، وهو فضاء يدل على الاتساع والاستغراق من جهة الإدراك البصري، كما يدل المكون اللساني على الاستغراق عبر تلك الوسائل المشار إليها ك(أل) الجنسية، ودلالة (كل) على الاستغراق.



- (١) محمد الصفراي، التشكيل البصري في الشعر العربي الحديث، ص ١٤٤.
(٢) ينظر: المرجع السابق، ص ١٤٤ - ١٤٦.



ب- عتبات النصوص الشعرية:

بنى محمد يعقوب مجموعته الشعرية (متاهات) على فكرة النواة المركزية التي تلتف حولها النصوص الشعرية، وجعل هذه النواة في الصفحة الأولى تحت عنوان المتاهة مباشرةً، وهذه النواة بيت من الشعر مقتبس من شاعر مذكور اسمه، بحيث يكون هذا البيت المقتبس هو البؤرة المركزية التي تلتف حولها مسارات كلِّ متاهة ومنعطفاتها.

مثال ذلك: (متاهة الحب) حيث جعل العتبة الأولى لهذه المتاهة قول حيدر العبد لله:

«صغاراً تآرجحنا عليه

ولم يزل يدغدغنا بين الحنايا تأرجحهُ». (١)

فيجعل النص الأول من هذه المتاهة بعنوان (آمنتُ...) ويقول في المقطع الثاني منه:

«ذوّبتها في الروح

نخباً أولاً

الحبُّ معركةٌ بغير عتاد». (٢)

ويقول في المقطع الثاني من النص الثاني الذي هو بعنوان (يحدث عادةً) من المتاهة نفسها:

«راحوا وما تركوا سوى أوهامنا

في الحبِّ

يحدث عادةً ما يحدث!». (٣)

ويقول في النص المقطع الثاني من النص الثالث الذي هو بعنوان (الرصاص الطائش) من متاهة الحب كذلك:

(١) محمد إبراهيم يعقوب، متاهات، ص ٢٨.

(٢) المرجع السابق، ص ٢٩.

(٣) المرجع السابق، ص ٣٠.

«في الحبّ لا معنى لأي خرائط نمضي ..

ونهجس بالرصاص الطائش» (١)

وبذلك يجعل النصوص مسارات لعبة المتاهة، فعنوان المتاهة (الحب) هو البؤرة المركزية التي تتفرع منها منعطفات المتاهة، فيكون النص الأول مرتبطاً بتلك المتاهة عبر تشبيه الحب بأنه معركة، ووجه الشبه أن النفس تشبه في إقبالها وإدبارها، واطمئنانها ووجلها، ورغبتها ورهبتها، طرفين يتصارعان ولا يغلب أحدهما الآخر؛ ذلك لأنهما لم يستعدا له الاستعداد الكافي بأخذ الحيلة والحذر، واتخاذ الدروع الواقية من وخزات الأسلحة.

وهذا يتضافر مع النص الثاني الذي جعل فيه الحب ساحة لصدق الظنون المعتادة من النفس البشرية وأمانيتها، فيكون لها الغلبة في النهاية، حين قال «في الحب يحدث عادةً ما يحدث»، وهذان النصان يرتبطان بالنص الثالث الذي يجعل الحب سياحة بغير خرائط، ولذلك «نمضي ونهجس بالرصاص الطائش»، وذكر «الرصاص الطائش» منسجم دلالياً مع قوله «الحب معركة»، و«يحدث عادة ما يحدث».

وهكذا الأمر في النص الرابع والخامس، وهما آخر هذه المتاهة، فالنص الرابع بعنوان (أرواحنا تعبت)، قال في المقطع الثاني منه:

«وكأن هذا الحب ..

لا معنى له

إلا بأن يقضي على أرواحنا» (٢)

ثم النص الأخير من المتاهة الذي هو بعنوان (كأننا لم نكن)، حيث يقول في المقطع

(١) المرجع السابق، ص ٣١.

(٢) المرجع السابق، ص ٣٢.



الثاني منه:

«أهكذا الحبُّ !؟»

لا أدري لم انتبهتُ مواجعي ..

لم أكن من قبل منتبها!». (١)

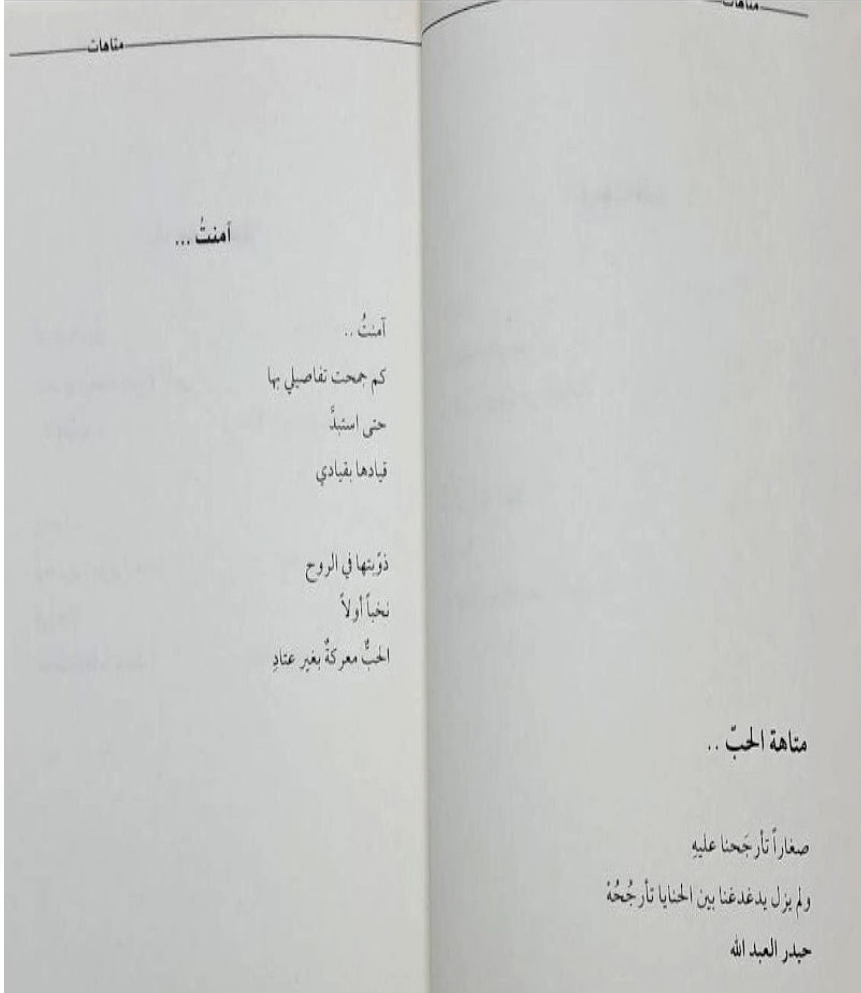
فالنص الرابع يرتبط بطرق المتاهة (متاهة الحب) حين يجعل جمال الحب في ألمه، ولذته في مغامرته، وهذا ألم لا يفارق، ومغامرة تدعو إلى إكمال المبتدئ، حتى تأتي لحظة كاشفة ربما تتجلى للإنسان عند طريق مسدود فتقطع آماله، وتتوقف خطواته، أو تجبره على أن يعود أدراجه بعد إفاقة يقينية «لم أكن من قبل منتبها»، وهذه خاتمة واستهلال في الوقت ذاته، خاتمة لمتاهة متشعبة، واستهلال جيد لمتاهة أخرى بعد هذه المتاهة مباشرة، وهي (متاهة الحنين).

إن استهلال المتاهة بيت من الشعر يكون هو البؤرة المركزية التي تدور حولها طرق كل متاهة - يعد مكوناً خطائياً يقع في فضاء نصي أولي في هذه المجموعة الشعرية، يجعلنا نستلهم المقولة النقدية القديمة: «إن حسن الافتتاح داعية الانشراح ومطية النجاح» (٢)، فالاستهلال في (متاهات) مجموعة من البؤر المركزية التي ترتبط بها مسارات/نصوص كل متاهة، وهذه المجموعة أبيات شعرية مقتبسة من شعراء عديدين، بحيث ترتبط مسارات المتاهة بالبيت الشعري الذي يعد نواة مركزية تدور حولها النصوص المنبثقة من روحها، والمتفاعلة معها. وبذلك يتفاعل النسق ذاتهما في مطالع هذه المتاهات: النسق البصري بطريقة التشكيل الهندسي الموحى عبر تغيير موضع الكتابة من الصفحة، وترك ثلثيها من الأعلى فارغين، مع كتابة مطلع المتاهة مرة في يمين الصفحة وأخرى في يسارها، مع النسق النصي حيث البؤر التركيبية المركزية والمقتبسة، ونصوص المتاهة نفسها التي تنبثق عبر الاتساق بتكرار بعض المفردات المعجمية، وانسجام معانيها دلاليًا، لتكون آليات متضافرة

(١) المرجع السابق، ص ٣٣.

(٢) ابن رشيق القيرواني، العمدة في محاسن الشعر وآدابه، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، ط ٥، بيروت، طبعة دار الجيل، ١٤٠١هـ - ١٩٨١م، ٢١٧/١.

في إنتاج معنى الخطاب الشعري كله.



ولكل مناهة من هذه المناهاة عتبة خاصة، تتكون من أمرين: نص لغوي، وطريقة تقديم خاصة، تتمثل هذه الطريقة في ملء الصفحة بفراغ طويل، ويأتي في أسفل الصفحة عنوان المجموعة، وعتبة نصية للمجموعة، «فبياضات النص تسجل على مستوى الكتابة، تلك الفوارق التي تفصل، وتكون الكلمات على لوحة اللغة، هذه البياضات ليس لها حقيقة خاصة سوى حقيقة الكلمات نفسها، فهي تعتبر مقاطع، تمثل الكلمات أطرافها».

(١)

(١) محمد الماكري، الشكل والخطاب، ص ١١٠



ولأن العناية الفنية برسم مكان التيه، وجعله متصلًا بأمكنة وتفصيل أخرى، هي الحالة المسيطرة على الديوان بدءًا من عنوانه وحتى أصغر قصيدة فيه، فإن هذا البياض معبر ومنسجم مع تلك الكلمات حيث إن «اكتساح البياضات للصفحة (انقطاعات، ودقة الأسطر الأفقية، واتساع الفواصل) يعد تأكيدًا للموقف الانطوائي والحاجة إلى الوحدة، وإلى زمان وفضاء ثابتين تملؤهما أشياء نابعة من الذات...»^(١)، فهذا البياض الكثير في ثلثي الصفحة يتشاكل مع حالة الديوان النفسية، وكأنه يُحدث اتصالاً بنائياً مع القيم الوجدانية التي يعبر عنها الديوان.

ثانيًا: تفاعل الانزياح اللغوي والفضائي في النص:

مصطلح الانزياح من المصطلحات النقدية المعاصرة، وله عدة مرادفات في الدرس النقدي الحديث منها: التجاوز، والانحراف، والاختلال، والإطاحة، والمخالفة، والانتهاك، وخرق السنن واللعن، والعصيان، والتحريف^(٢)، وقد تعددت مفاهيمه عند النقاد والدارسين، ولعل أقرب التعريفات إلى موضوع بحثي هو تعريف ريفاتير الذي عرفه بأنه «خرق للقواعد حينًا ولجوء إلى ما ندر من الصيغ حينًا آخر»^(٣)، وهو - بهذا المفهوم - ليس وليد الدرس النقدي الحديث، فإنه يلتقي مع مصطلحات بلاغية، كالالتفات الذي يقصد به التحول من خطاب إلى خطاب آخر، كالتحول من المخاطبة إلى الإخبار، ومن الإخبار إلى المخاطبة وغيرها^(٤)، وكذلك مباحث الخروج عن مقتضى الظاهر، كتجاهل العارف، وأسلوب الحكيم، واستعمال الماضي للدلالة على المستقبل، والتحول من المضارع إلى الماضي، وغيرها^(٥)، وجميع هذه المفاهيم داخلية ضمن المعنى اللساني.

أما المقصود من الالتفات الفضائي فهو التحول في طريقة الكتابة بما يلفت البصر

(١) المرجع السابق. ص ١٠٤.

(٢) ينظر: عبد السلام المسدي، الأسلوبية والأسلوب، ط ٣، دار سعاد الصباح، ١٩٩٣، ص ١٠٠ - ١٠١.

(٣) جون كوهين، بنية اللغة الشعرية، ترجمة محمد الولي ومحمد العمري، ط ١، المغرب، دار توبقال للنشر، ١٩٨٦، ص ١٩٢ - ١٩٣.

(٤) ينظر: عبد العزيز عتيق، علم البديع، ط ١، القاهرة، دار الآفاق العربية، ١٤٢٧ - ٢٠٠٦م. ص ١٠٠.

(٥) ينظر: أحمد مصطفى المراغي، علوم البلاغة البيان والمعاني والبديع، ط ٥، لبنان، دار الكتب العلمية ٢٠٢١م، الصفحات ١٤٠ - ١٤٨.

على نحو متسق يسهم في انسجام الأفكار، ويشكل ظاهرة مرئية من أول المجموعة الشعرية إلى آخرها، وهو بذلك يقوم على خرق القواعد وكسر أفق التوقع في تلقي النص بصرياً، واللجوء إلى طريقة جديدة من الصيغ في العرض الفني للبياض والسواد والخط وطريقة الكتابة وعلامات الترقيم وغيرها.

والمزج بين النسقين: الالتفات اللساني والالتفات البصري حصل في التحول في طريقة تقديم المجموعة الشعرية، فاللساني بدأ مبكراً منذ الغلاف الأول، حيث العنوان الأصلي (مناهاة) مع اختيار تلك الدائرة المعبرة عن التيه الذي له منفذ واحد للخروج، بما يدل على أن هذه المجموعة أفكار يسلم بعضها بعضاً في دوائر تنفتح على بعضها حيناً، ثم ما تلبث أن تغلق فيترد القارئ من الجهة المغلقة إلى جهة أخرى يظنها مفتوحة سعيًا إلى الخلاص، حيث إن عنوان المناهاة هو الرابط الذهني للنصوص التي تأتي تحتها، ثم يقفل الطريق لينتقل إلى مناهاة متماسة في دائرة كبيرة مع المناهاة الأخرى.

أما البصري داخل المجموعة الشعرية، فجاء في حصول الفرق بين موضع كتابة (المناهاة)، ومواضع كتابة (النصوص التي تحتها)، فكتابة المناهاة تقع في الثلث الأسفل من الصفحة، ويترك مكان الثلثين في أعلى الصفحة فارغاً، ثم تأتي النصوص التي تحت كل مناهاة على نسقٍ واحد، وهو أن يكتب كل نص في الثلث الأعلى من الصفحات متواليةً، وكأنها تتخذ هذا الترتيب: (المناهاة، مجموعة النصوص، مناهاة جديدة، مع مجموعة جديدة من النصوص وهكذا) وذلك وفق الشكل الآتي: (_ _ _ _ _) وهكذا، فالخط السفلي هو موضع كتابة المناهاة من الصفحة، والخطوط العلوية هي مواضع كتابة النصوص التي تندرج تحت المناهاة، وكأن طريقة تقديم الخطاب الشعري على هذا النحو محاكاةً للطرق المفتوحة والمسدودة في الدائرة التي اختيرت لتكون صورةً للغلاف الخارجي للمجموعة الشعرية كلها، بما يجعل النظام البصري في تقديم النص الشعري ممتزجاً مع النظام اللساني في تشكيل المعنى الإشاري المتضمن في تنافذ المناهاة حيناً، ثم العودة والبحث عن طريق آخر في تلك المناهاة.

ولعل في الشكلين الآتيين ما يوضح تلك الفكرة:



المبحث الثاني: تفاعل أنساق الخطاب الشعري

يمتد التفاعل بين أنساق الخطاب الشعري على مستوييه اللساني والبصري من عدة زوايا أخرى تتعلق بالفضاء المحيط بالنص، حيث تتفاعل الأيقونات البصرية بتشكلاتها وألوانها وطريقتها الهندسية مع أنماط خطائية معينة، فيكون المنتوج الدلالي قوة الخطاب في التعبير عن المعنى بما يلفت النظر إليه، ويكون الأمر متعلقاً بأهداف الخطاب عبر توظيف الأيقونات البصرية مع المكون اللساني.

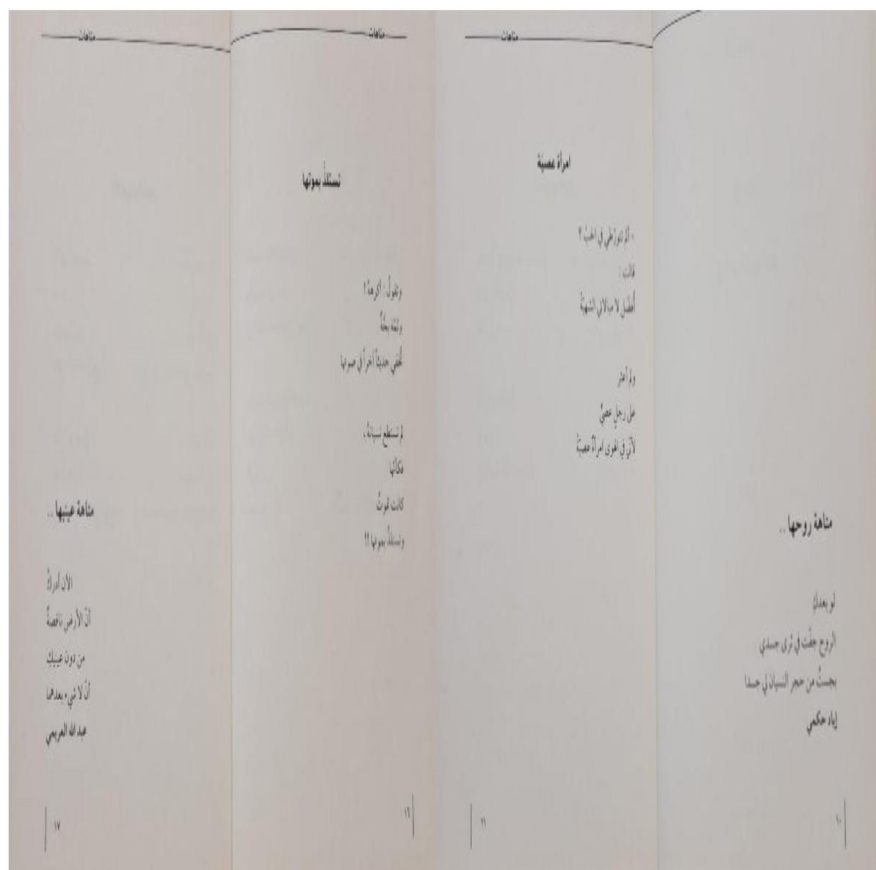
وهذا النوع من التفاعل يكثر في الخطاب الإشهاري، كالإعلانات، والملصقات، والصور المتحركة^(١)، وبذلك يتم الجمع بين المنبهات البصرية والعلامات اللغوية، وإن كان حضور النسق التركيبي في الخطاب يظل هو المقصود في المقام الأول، وقد تحقق هذا التفاعل في دواوين كثيرة من الشعر الحديث، وبخاصة عند محمد إبراهيم يعقوب، وذلك في أكثر من ديوان، ومن خلال القراءة النقدية في (متاهات) وغيرها من مجموعاته ودواوينه الشعرية مثل (مقام نسيان)، وجدت أن هناك طريقتين للتبشير حول النص فنيًا عند الشاعر، وذلك على النحو الآتي:

أولاً: تفاعل فكرة الخطاب مع ثنائية البياض والسواد:

هناك عدة طرائق يقدم بها النص كتابيًا وهندسيًا، ويتمثل ذكاء الشكل في مناسبتها لفكرة الخطاب الشعري الرئيسة، بحيث يدخل القارئ في جو مفعم بالدلالات التي يريدها الديوان أو المجموعة الشعرية كاملة، كما يأتي اختلاف طريقة الكتابة في القصيدة الحديثة في عدة أشكال منها توظيف ثنائية البياض والسواد، ويعنى بها.

أما في ثنائية البياض والسواد فقد حافظ الشاعر على تقنية مطردة في المجموعة كلها، وهي وجود مسافة بيضاء بين كل مقطع وآخر داخل النص الشعري، وهذا أمر لم تخل منه صفحة من صفحات المجموعة الشعرية، ومثال ذلك قوله في مقطع بعنوان (في البعد لا أحد يموت) من مجموعة (متاهة الغياب..):

(١) ينظر: محمد الماكري، الشكل والخطاب، ص ٣٤.



«قل للغيب:

تعوّدوا

لا تمتحنهم بالشجا

في البعد

لا أحد يموت،

ولا رسائل تُرتجى!». (١)

(١) محمد إبراهيم يعقوب، مناهات، ص ٤١.



فقد اطرده الحفاظ على ترك مساحة بين العنوان والمقطع الأول، وترك مساحة أخرى بين الجزء الأول والثاني، وهذا التوظيف الهندسي يأتي منسجماً مع فكرة التيه التي تؤثر عليها عناوين المجموعات الشعرية داخل الكتاب، كما أن كثرة هذا البياض يُعدُّ علامةً سيميائية على الفراغ المنسجم مع الدائرة التي تعبر عن المتاهة في غلاف المجموعة كلها، ومن ثمَّ فهو مؤشر بلاغي على الحذف المثير للأسئلة، وهنا يمكن إدراج (حذف العلامة البصرية) ضمن المفهوم الموسع لبلاغة الحذف، بالإضافة إلى الحرف والكلمة والجملة، حيث يحقق ذلك النمط من الحذف دلالةً الغموض من جهة، وهي دلالة مطلوبة في المتاهات كلها، ومن جهة ثانية فإن إسقاط نصوص من المقطع إسقاطاً متعمداً يشي من مسافة قريبة إلى قصدية الدلالة المركزية للمجموعة الشعرية (متاهات)، مثال قوله في النص السادس من المجموعة نفسها التي بعنوان (متاهة الغياب) يعنونه بقوله: فماذا بعد، وذلك على النحو الآتي:

«فماذا بعد .. !

كأنِّي قد أضعتُ لديكَ

روحي ..

فماذا بعد سوف يضيع مِنِّي ؟!

ولم تختَر غيابي،

وهو صعبٌ

ولم أختَر غيابكَ غير أُنِي ...!». (١)

وينتهي النص عند ذلك، تاركاً القارئ يني دلالات التلقي والتأويل الخاصة به في موضع الكلام المحذوف المؤشر عليه بثلاث نقاط يتبعها علامة تعجب، وهو حذف

(١) المرجع السابق، ص ٤٨.

يستثمر في «بلاغة الصمت، والإيجاء بأن هناك معنى مغيباً، وزيادة النقاط فيها تومئ إلى امتداد الكلام المحدوف وكثرته، وقد شاع استعمالها في القصائد الحديثة، إذ ترد في أحيان كثيرة منفردة بسطر خاص بها، حتى أطلق عليها بعض الباحثين اسم البيت الصامت»^(١)، كما أنه فراغ غير مفضٍ إلى شيء محدد؛ ليحاكي فراغات المتاهة الفرعية (متاهة الغياب) المنبثقة من مجموعة متاهات أخرى.

ومن مظاهر التفاعلات المهمة بين النسق الخطابي والنسق البصري: طريقة كتابة النصوص نفسها في كل الديوان، حيث يتم استثمار ثنائية البياض والسواد في الطريقة التي يكتب بها النص من جهة اتساع مساحة خطوط الكتابة السوداء، أو من حيث قلة المساحات الخطية لهذه الخطوط، فكل النصوص تقل فيها مساحات السواد في الأسطر، مثل قول الشاعر في مقطع بعنوان: (توقيت الحب) من (متاهة الغياب):

«هو كبرياء غيابهـ

هي

كبرياء غيابهـ

لم يضبطا

توقيت هذا الحبّ

فاحترقا بهـ». (٢)

نلاحظ هنا أن الكتابة الخطية قليلة، وأن سواد السطور قليل، والمساحات البيضاء أكثر، وربما نجد أن كثرة انتشار المساحات الفارغة مقارنةً بالمساحة التي فيه سواد مما يؤثر على دلالات التيه، والإحساس بالوحدة، والشعور بالألم، أو إلى البعثرة النفسية والغياب الروحي اللذين يرتبطان بالفكرة الرئيسة من المجموعة كلها، وهي فكرة تضفرها خيوط

(١) سامي العجلان، إغواء العتبة عنوان القصيدة وأسئلة النقد، ٤٢٦.

(٢) محمد إبراهيم يعقوب، متاهات، ص٥٢.



النصوص الفرعية المنبثقة عن المتاهات المبتوثة في الكتاب.

وربما كان هذا البياض من العلامات التي تثير تساؤلات عدة، منها: «هل يعتبر توظيف البياض دليلاً على حيرة الشاعر، أم أن الكلمات لم تُعَدَّ تُسَعِّفه لتأدية الغرض، وهل يتلمس الشاعر في البياض ما فقد في التماس المرام في الكلمات... أم أن الشاعر يتوسم في البياض علامةً شفيعة بالنظر إلى ما انتابه من مشاعر مبددة، فتأملها في هذا المخبوء».^(١)

ومن الأمور المهمة التي يتفاعل فيها الخطاب الشعري مع ثنائية البياض والسواد في (متاهات): اختيار الشاعر كتابة بعض النصوص على يمين الصفحة، وبعضها على يسار الصفحة، وهو داخل ضمن منظومة سيميائيات التشكيل البصري في الشعر الحديث، ومن ذلك: ما يعرف باسم (تقسيم الصفحة)، وهو «توظيف مساحة الصفحة في إنتاج دلالة النص الشعري»^(٢)، ويتعلق بهذا النوع من الأيقونات البصرية بتوظيف ثنائية البياض والسواد، وجعلها آلية لإنتاج المعنى وتوليد الدلالة.

كما يوجد أيضاً ما يسمى بقانون (الاتجاه السطري)، وهو «تغيير اتجاه السطر الشعري بتوجيهه في اتجاهات مختلفة؛ لتوليد دلالات بصرية معينة، يتجلى ذلك في مظهرين في الشعر العربي الحديث: اتجاه الكتابة: وهو تغيير اتجاه الكتابة من اليمين إلى الشمال، بإدخال مفردات من لغات تبدأ كتابتها من اتجاه مغاير لاتجاه الكتابة العربية. واتجاه السطر: ونعني به تغيير الاتجاه الأفقي للسطر الشعري لتكوين بنية تشكيلية تسجل سمات الأداء الشفهي، أو تجسد دلالة الفعل بصرياً».^(٣)

والخلاصة أن أنساق البصري يمكن توظيفها مع النسق اللساني في إنتاج المعنى، فمن ذلك أن الشاعر اختار المقطعات الصغيرة لتكوين هذه المجموعة، وهي مقطعات

(١) عبد القادر فيدوح، معارج المعنى في الشعر العربي الحديث، ط١، سوريا، صفحات للدراسات والنشر، ٢٠١٢م، ص ٢٠، ٢١.

(٢) محمد الصفرائي، التشكيل البصري في الشعر العربي الحديث، ص ١٥١.

(٣) محمد الصفرائي، التشكيل البصري في الشعر العربي الحديث، ص ١٧٩، ١٨٠.

شعرية مكثفة ودالة على معانٍ عدة تستفاد عبر توظيف التفاعل بين اللساني والبصري، وقد جاءت النصوص متفرقة، بحيث يأتي كل مقطع في صفحة منفردة، ويكتب المقطع في مساحة صغيرة من الصفحة، وتبقى المساحة البيضاء هي الغالبة والمنتشرة، فمن ذلك (متاهة الرحيل)، حيث تكتب في الثلث الأخير من الصفحة، ومدخلها بيت لعبد الله عبيد، على النحو الآتي:

«متاهة المرايا ..

واهتدت روعي إلى أعماقها

ثم هامت في مرايا الدهشة

عبد الله عبيد». (١)

وكثير من نصوص هذه المتاهة بيت واحد مكتوب في مساحة صغيرة من الصفحة، على نحو يلفت البصر إلى شيء من الوجد المكنون، والمعاني الحبيسة، وبذلك الشكل المعتمد على كثرة الفراغ ينتبه العقل التأويلي إلى ما يقدمه ذلك الخطاب اللغوي من دلالات، سواء حول ما يتعلق بانعدام الجهة (وهو ناتج عن معنى المتاهة)، أو باللفظة اللغوية التي تضاف إلى كلمة متاهة مثل: (روحها-عينها-تفاصيلها-الحب-الحنين-الغياب-الخشارة-الرحيل-المرايا-الاعتراف) أو بالنسق البلاغي الذي يقدم النصوص: كالمفارقة في (تستلذ بموتها)، أو التشبيه (كأننا لم نكن)، أو المجاز مثل: (الرصاص الطائش)، و(امتحان عطرها)، وهي في مجملها صور وسمات بلاغية وُظِّفَتْ من خلال البلاغة البصرية التي لفتت النظر بهذه الطريقة الكتابية المعتمدة على وسائل معينة في التشكيل والتقديم. وتبقى الإشارة إلى أنه بالرغم من أن المجموعة الشعرية تأتي على البحور الشعرية الخليلية، فإن طريقة الكتابة والتنسيق تصرف السمع عن الإيقاع وتلفت النظر إلى دلالات ساكنة في الطريقة الهندسية التي تتبعها الكتابة، ويجعل القراءة الأولى قراءة مجحفة، فإن المجموعة الشعرية تحتاج إلى قراءة خاصة لفك شفرات الوسائل البصرية في تفاعلها مع الأنساق

(١) محمد إبراهيم يعقوب، متاهات، ص ٦٦.



اللغوية.

ثانيًا: الأسلوب وعلامات الترقيم وسميائية التواصل الدلالي:

تعد علامات الترقيم من الأيقونات البصرية المهمة في تشكيل المعنى، والإسهام في إنتاج الدلالة؛ وذلك لأن المؤلف يحملها الكثير من المعاني المتصلة بالدلالات البلاغية في الخطاب الشعري. ف«علامات الترقيم ليست ترفًا كتابيًا زائدًا كما قد يتبادر إلى أذهان البعض».(١)

ولم يكن اختيار الشاعر لعلامات الترقيم سوى نوع من السيميائية المرتبطة ببناء الدلالة، ويتضح ذلك من استخدام المنهج الاستقرائي لهذه العلامات، فقد قمت بعمل إحصاء لاستعمال علامات الترقيم في المجموعة كلها فجاءت النتائج كالآتي:

أولاً: استغنى الكاتب عن النقطة (.) في الكتابة - والنقطة هي علامة الوقف - فلم تكتب في عناوين المتاهات، ولا في النصوص التي تندرج تحت كل منها على مدار (٧٨ صفحة)، باستثناء موضع واحد فقط جاء في مقطع شعري بعنوان: (عصبية جدًا)، ضمن (متاهة روحها)، وسبب ترك النقطة التوقف في عموم الكتاب أن التوقف أمر لا يقصده الكاتب، بل يريد وقوع التنافذ بين النصوص والدوائر والأزقة، فإذا سُدَّ بعضها فهذا لا يعني الوصول إلى نقطة نهائية، وإنما يعني المتابعة من أجل البحث عن الخلاص.

أما ذلك الاستثناء فجاء ذكيًا في نسيج الخطاب الشعري؛ حيث يوحي أن العصبية لا تفضي إلا إلى الانقطاع واليأس وفقدان المهمة عن المتابعة، يقول في هذا النص:

«عصبيةٌ جدًا

قد يقلبُ الدنيا عليّ مزاجها

وإذا انفعلتُ تقولُ:

(١) محمد الصفرائي، التشكيل البصري في الشعر العربي الحديث، ص ١٩٩.

كُنَّا نَعْبُثُ !

عَصِيَّةٌ جَدًّا

ونقطة ضعفها تخشى الغياب،

فكل شيء يحدث^(١).

يدل النسق اللغوي على حدة الطبع، وهو أمر إذا أصاب النفس البشرية أكسبها بعض الصفات منها: الطيش، والحاجة إلى الاعتذار بسبب التهور، وسرعة الملل، والفتور مع اليأس، وقد دلت الألفاظ اللغوية على مثل هذه المعاني «يقلب الدنيا عليّ مزاجها»، «وإذا انفعلت تقول: كُنَّا نَعْبُثُ!»، و«نقطة ضعفها»، كما يؤشر التقديم والتأخير في «يقلب الدنيا عليّ مزاجها» على خصوصية ذلك الانقلاب، حيث أحرَّ الفاعل وقَدَّم المفعول مع تقييده بالجار والمجرور (عليّ) ليدل على أنه انقلاب شديد جامع يؤثر على السياق المادي المحيط بأطراف الحدث والخطاب.

وقد جاءت النقطة بوصفها أيقونة إشارية في هذا الموضع فحسب، وذلك في آخر المقطع الشعري المعنون بـ(عصية جدا) دون سائر النصوص في الكتاب كله؛ ليدل على التلازم بين العصبية وانقطاع الأمل؛ بسبب ارتكاب بعض الحماقات المعطلة عن التفكير، والباحثة عن الخلاص.

ثانيًا: مزج الشاعر بين استعمال علامة التحدث (-) واستعمال فعل القول (قال)، في صورة من صور تفاعل اللغوي مع البصري، وذلك في مقطع بعنوان (امرأة عصية) من (متاهة روحها)، حيث يقول:

«امرأة عصية

- ألم تتورطي في الحب؟

قالت:

(١) محمد إبراهيم يعقوب، متاهات، ص ١٣.



أَفْضَلُ لَا مَبَالَا فِي الشَّهِيَةِ

وَلَمْ أَعْثَرِ عَلَى رَجُلٍ عَصِيٍّ

لَأَنِّي فِي الْهَوَىٰ امْرَأَةٌ عَصِيَّةٌ» (١).

حيث قامت الشرطة (-) مقام الفعل (قلت)، وربما كان الدافع إلى هذا التنوع الحفاظ على صحة الموسيقى العروضية للمقطع الشعري، لكن هذا لا ينفي قوة التفاعل بين اللغوي والبصري في تكوين الدلالة الشعرية؛ ذلك أن السؤال منه كان موجزاً، والإجابة منها كان أطول من السؤال بما يتضمن زيادة في التفصيل، حيث استغرق بقية المقطع الشعري، وهو يؤشر على الرغبة في الاستماع على نحو أكثر من التحدث، فجاء توظيف العلامة البصرية متسقاً مع هذه الدلالة.

ثالثاً: توظيف علامة الحذف دلاليًا مع النسيج اللساني واللغوية للنصوص، مثال ذلك: (متاهة الحب) والنصوص التي بعدها، يقول الشاعر:

«متاهة الحب ..

صغراً تَارجَحنا عليه

ولم يزل يدغدغنا بين الحنايا تَارجَحُه

حيدر العبد لله» (٢).

ثم يأتي النص الأول من هذه المتاهة على النحو الآتي:

«آمنت ...

آمنت ..

كم جمحت تفاصيلي بها

حتى استبدَّ

قيادها بقيادي

ذوبتها في الروح نجماً أولاً

(١) محمد إبراهيم يعقوب، متاهات، ص ٥١.

(٢) محمد إبراهيم يعقوب، متاهات، ص ٢٨.

الحُبُّ معركةٌ بغير عتادٍ» (١)

في عنوان النص الأول وهو (متاهة الحب) نجد أن الشاعر أتى بلفظين بينهما علاقة الإضافة، والمسند إليه محذوف تقديره: (هذه)، ولذلك جاءت النقطتان بعد هذا العنوان، بينما في عنوان النص الثاني (آمنت...) نجد أنه مكون من جملة فعلية، حيث الفعل والضمير المتصل الذي هو في محل رفع فاعل، لكن لم يذكر مع الفعل ما يتعلق به مما وقع عليه الفعل؛ ليكون السؤال المضمّر: بأي شيء آمنت؟ ولذلك اختار أن يضع بعد هذا العنوان ثلاث نقاط وليس نقطتين، والثلاث هنا علامة إشارية على الحذف، فحصل بذلك تفاعلٌ بين المكون اللساني (دلالة الحذف)، مع البصري (اختيار علامة الحذف) في نوع من الانسجام والتناغم.

والدليل على خصوصية هذا التفاعل - في هذا الموضع - أنه حين أعاد هذه اللفظة في البيت الأول: «آمنت.. كم جمحت تفاصيلي بها»، أتى بنقطتين فحسب ولم يأت بالنقاط الثلاث، والسبب في ذلك هو تعلق الفعل بمعمول بعده، ليأخذه إلى منعطف من منعطفات المتاهة غير المغلقة أبداً، وغير المفتحة أبداً.

ومن أهم ملامح التفاعل - كذلك - بين النسق اللغوي والنسق البصري: انسجام ملامح التكرار بدلالته الصوتية مع فكرة المتاهة المسيطرة على المجموعة كلها، حيث اختار «تدغدغنا» بما تحمله من استطالة وامتداد، وهذا أمر أشار إليه علماء اللغة في موضوعات مثل: إمساس الألفاظ أشباه المعاني (٢)، وهو جانب يحتاج إلى معالجة جديدة في ضوء محاكاة سياق الخطاب؛ حيث يحاكي الصوت المكرر امتداد أزقة المتاهة وتكرار منعطفاتها، ويوحى بقوة التشابه بين الإيقاع الصوتي للفظة وأزقة المتاهة الجغرافية التي سبقت الإشارة إليها في الحديث عن الغلاف.

وفي هذا النص لا تأتي علامة ترقيم سوى النقطتين الأفقيتين اللتين جاءتا مع كلمة «آمنت..»، ويخلو النص من سوى ذلك من العلامات، في دلالة على دلالة الاستطالة

(١) المرجع السابق، ص ٢٩.

(٢) أبو الفتح عثمان ابن جني، الخصائص، ط ٤، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٥٤/٢.



والامتداد الذي لا ينبغي أن يوقف بنقطة ولا استفهام ولا تعجب أو غير ذلك، ليكون مغرّقاً في حالة التيه التي تمضي بتكرارية مستطيلة.

ولعل ذلك يتسق مع تكرارٍ في النسق اللساني بإعادة لفظة «قيادها بقيادي»، موحياً بقوة هذا التشابه أيضاً، وبخاصة مع الدلالة المعجمية لكلمة (استبد)، وهو ترك الاختيار، والسير في طريق ما على سبيل الإجبار، فضلاً عن تحقيق دلالة الشرود عبر المعنى المعجمي لكلمة «جمحت»، ونسبة العلاقة الإسنادية لذلك الجموح إلى متّحد الذات متعدد الفروع، وذلك في قوله: «تفاصيلي»، وهو منسجم مع فكرة البؤرة المركزية لدائرة المتاهة، وتعدد مساراتها الداخلية التي تنبثق عنها.

رابعاً: تكررت علامة التوقف المؤقت (٦٩) مرة في المجموعة الشعرية، وهي من أكثر العلامات استخداماً في هذه المجموعة الشعرية، مما يدل على أن هناك شيئاً من الانقطاع في النفس والعقل والتفكير، وهذا يناسب الدلالة الأصلية في العمل وهو: (التيه والتوقف للرجوع والبدء من جديد)، وهذه العلامة تسمى أيضاً علامة التوقف المؤقت، وتكون «بغرض التأمل، أو التشويق وإثارة الترقب، أو لغرض المقابلة أو التنويع». (١) يقول الشاعر في نص من نصوص متاهة (الخسارة) بعنوان (لا جناح عليك):

«قالت: هو النسيان،

أنت تحبني

أدري..

ولكن لا سبيل إليك

لن نستطيع البدء

كن متهيئاً أن لا نعود..

(١) ينظر: سامي العجلان، إغواء العتبة عنوان القصيدة وأسئلة النقد، ص ٤٢١، ٤٢٢.

ولا جناح عليك». (١)

وبناء على ذلك فإن هذه العلامات تحمل قيمًا دلالية وإشارات سيميائية داخل النص الأدبي بحسب موقع كل منها، وبحسب ما يصحبها من أساليب شعرية خاصة. «وقد ابتكرت في الشعر العربي الحديث، ووظفت في إطار التلقي البصري، لحسم الجدل بين الشفهي والمكتوب، من خلال دلائلها البصرية على توقف صوت المنشد مؤقتًا بسبب التوتر الذي يدفعه لإسقاط الروابط النحوية» (٢)، ومن ثم فهي علامات إشارية مهمة في الخطاب الشعري، بما تؤديه وظائف دلالية وسياقية كثيرة.

(١) محمد إبراهيم يعقوب، متاهات، ص ٥٦.

(٢) محمد الصفراني، التشكيل البصري في الشعر العربي الحديث، ص ٢٠٤.



الخاتمة وأهم النتائج

كان الهدف من هذا البحث هو إلقاء الضوء على القيمة الدلالية لتفاعل الأنساق اللغوية والبصرية في النص الشعري، وذلك عبر دراسة الوظيفة الفنية للأيقونات البصرية في ديوان (مناهاة) لمحمد إبراهيم يعقوب، وبعد هذا العرض يمكن استخلاص النتائج الآتية:

أولاً: رصد البحث أوجه التفاعل بين النسقين اللغوي والبصري في مجموعة (مناهاة) للشاعر محمد إبراهيم يعقوب، من منطلق أن هذا التفاعل يُحدث تناغماً خاصاً في إنتاج الدلالة وقراءة المضامين، وقد توصل إلى أن الألفاظ والتراكيب جاءت متسقة ومنسجمة في أداء الدلالة مع التشكيل الفضائي البصري، مما جعل التأويل الشعري مرتبطاً بنسقين متميزين نوعاً، ومتحدين وظيفةً، فقد وظفهما الشاعر من أجل تحقيق مؤشرات دلالية متناغمة، وكأخهما منظومة إشارية متلاحمة.

ثانياً: أسهم اللون على نحو خاص - بوصفه علامة سيميائية - في تأويل الخطاب الشعري، حيث نجده يحمل كثيراً من المضامين والمدلولات وبخاصة في عتبات الديوان الخارجية (الأمامية والخلفية)؛ حيث كان للون الرمادي، والأسود الذي يحمل دلالة الاحتراق، والأسود العادي، بالإضافة إلى اللون البني، دلالات متعلقة بالبوح عن مضمرات الخطاب الأدبي، ومعبرة عن جملة من الأحاسيس التي يؤكد لها النسق اللغوي بألفاظه وتراكيبه، ولذا كان للون واستعمالاته المجازية والأدبية أهمية كبيرة في تحليل الخطاب.

ثالثاً: كانت العناية الفنية برسم مكان التيه وجعله متصلاً بأمكنة وتفصيل أخرى من الأدوات التعبيرية التي وظفها الشاعر في إنتاج الدلالة؛ لأن كثرة المساحات الفارغة البيضاء جاءت معبرة ومنسجمة مع فكرة المناهاة، وبخاصة غلبة البياض في صفحات كثيرة، مع دقة في توظيف الانقطاعات، وتوظيف الرسم الكتابي في الميمنة والميسرة، واتساع مساحات الفواصل، كل هذا جاء متشاكلاً مع حالة الديوان النفسية، وكأنه يُحدث اتصالاً بنائياً مع الأفكار التي يعبر عنها الديوان.

رابعاً: عالج البحث - ضمن اهتمامه بتفاعل النسقين اللغوي والبصري - بعض المفاهيم

الخاصة بمصطلحات الدراسة، إذ كان يقتضي الأمرُ تحييصَ المفهوم واختيار الأكثر مناسبة مع عينة الدراسة، كما في مصطلح (الانزياح) وهو من المصطلحات النقدية المعاصرة التي تغطي بمبرادفات كثيرة منها: التجاوز، والانحراف، والاختلال، والإطاحة، والمخالفة، والانتهاك، وخرق السنن وغيرها، بحيث يمكن توسيع فكرة (خرق القواعد واللجوء إلى ما ندر من الصيغ) لتشمل كل خرق لساني وغير لساني.

وقد توصل البحث إلى أن موضع كتابة (المتاهة) داخل الديوان، بالنسبة إلى مواضع كتابة (النصوص التي تحتها)، من أكثر الشواهد التي تتحقق فيها هذه الفكرة؛ لأن كتابة المتاهة وقعت في الثلث الأسفل من الصفحة، وتُرك مكان الثلثين في أعلى الصفحة فارغاً، ثم جاءت النصوص التي تحت كل متاهة على نسقٍ واحد، بحيث يؤدي إلى تحول في المسارات والاتجاهات بما يتناسب مع حصول التيه.

خامساً: جاء اختيار الشاعر لعلامات الترقيم نوعاً من التوظيف الإشاري المرتبط ببناء الدلالة، لما لها من قيمة في إبراز خطاب شعري اعتمد في بناء دلالاته على اللغوي والبصري معاً، وقصد إلى توظيفهما فنياً في إنتاج دلالة حاصلة عن تفاعل مشترك، وقد اتضح هذا من الأمثلة التطبيقية، حيث خلا الديوان من بعض علامات الترقيم، وبعضها جاء مرة واحدة، وبعضها حظي بتكرار مقصود، وهي اختيارات متسقة مع فكرة المتاهات الدلالية.

سادساً: المساحات البيضاء بين النصوص والفقرات الشعرية والنقاط الطويلة، لم تكن عبثية في المجموعة الشعرية، بل كانت مؤشراً بلاغياً على الحذف المتعمد المثير للأسئلة، فتوسع نطاق (بلاغة الحذف) من حذف الحرف، والمفردة، والجملة، إلى حذف العلامة البصرية، وهذا ما عالجته في مناقشة طريقة الكتابة والتنسيق، لافتاً النظر إلى مجموعة من التقنيات التي تتضمن دلالات معينة يريد الكاتب أن يوصلها للمتلقي.



المصادر والمراجع

المصادر:

- ١- يعقوب، محمد إبراهيم، متاهات، ديوان شعر، ط١، الرياض، طبعة تشكيل للنشر والتوزيع، ٢٠١٧م.

المراجع:

- 1- بلال، أحمد كريم، خرائط الجنوب دراسة نقدية في أعمال الشاعر محمد إبراهيم يعقوب، ط١، نجران السعودية، النادي الأدبي بنجران، القاهرة، مؤسسة أروقة للدراسات والترجمة والنشر، ٢٠١٩.
- 2- بلال، أحمد كريم، العنوان وبنية القصيدة في الشعر العربي المعاصر، ط١، طنطا مصر، دار النابغة للنشر والتوزيع، ١٤٣٩هـ - ٢٠١٨م.
- 3- بلعابد، عبد الحق، عتبات جزار جينيت من النص إلى المناس، تقديم، سعيد يقطين، ط١، بيروت، الدار العربية للعلوم ناشرون، ٢٠٠٨.
- 4- الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر، البيان والتبيين، تحقيق عبد السلام هارون، ط٧، القاهرة، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٤١٨هـ. ١٩٩٨م.
- 5- ابن جني، أبو الفتح عثمان، الخصائص، ط٤، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب.
- 6- الحازمي، حسن حجاب، النص والنص الموازي، قراءة في رواية جاهلية ليلى الجهني، كرسي الأدب السعودي، جامعة الملك سعود، ١٤٣٩هـ - ٢٠١٨م.
- 7- الحداوي، طائع، سيميائية التأويل.. الإنتاج ومنطق الدلائل، ط١، بيروت، المركز الثقافي العربي، ٢٠٠٦.
- 8- حمودة، يحيى، نظرية اللون، القاهرة، دار المعارف، ١٩٧٩م.
- 9- الخفاجي، كريم شلال، سيميائية الألوان في القرآن، ط١، بيروت، طبعة دار المتقين للثقافة والعلوم، ٢٠١٢.
- 10- صالح، أشرف، الإعلان فنون وجنون، أشرف صالح، القاهرة، دار غريب، ١٩٩٩.
- 11- الصفراني، محمد، التشكيل البصري في الشعر العربي الحديث ١٩٥٠-٢٠٠٤، ط١،

- الرياض، النادي الأدبي، وبيروت - والمركز الثقافي العربي، ٢٠٠٨.
- 12- عتيق، عبد العزيز، علم البديع، ط ١، القاهرة، دار الآفاق العربية، ١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م.
- 13- العجلان، سامي، إغواء العتبة عنوان القصيدة وأسئلة النقد، ط ١، نادي أبها ومؤسسة الانتشار العربي، ٢٠١٥.
- 14- العراي، مستورة، صناعة المعنى في شعر محمد إبراهيم يعقوب مقارنة سيمائية، ط ١، بيروت - مؤسسة الانتشار العربي، ١٤٤١هـ.
- 15- العسكري، أبو هلال، كتاب الصناعتين الكتابة والشعر، تحقيق/ علي محمد البجاوي، ومحمد أبو الفضل إبراهيم، ط ١، طبعة دار إحياء الكتب العربية عيسى الحلبي، ١٣٧١هـ، ١٩٥٢م.
- 16- فيدوح، عبد القادر، معارج المعنى في الشعر العربي الحديث، ط ١، سوريا، صفحات للدراسات والنشر، ٢٠١٢.
- 17- القيرواني، ابن رشيقي، العمدة في محاسن الشعر وآدابه، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، ط ٥، بيروت - طبعة دار الجليل، ١٤٠١هـ - ١٩٨١م.
- 18- الماكري، محمد، الشكل والخطاب مدخل لتحليل ظاهراتي، ط ١، بيروت، المركز الثقافي العربي، ١٩٩١.
- 19- المراغي، أحمد مصطفى، علوم البلاغة البيان والمعاني والبديع، ط ٥، بيروت، دار الكتب العلمية، ٢٠٢١.
- 20- المسدي، عبد السلام، الأسلوبية والأسلوب، ط ٣، دار سعاد الصباح، ١٩٩٣.
- 21- النويري، شهاب الدين، نهاية الأرب في فنون الأدب، تحقيق مفيد قمحية وآخرون، بيروت - طبعة دار الكتب العلمية، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٤.
- المراجع العربية المترجمة:

- 1- إيكو، إمبرتو، العلامة تحليل المفهوم وتاريخه، ترجمة سعيد بنكراد، ط ٢، الدار البيضاء - المركز الثقافي العربي، ٢٠١٠.
- 2- تشاندلر، دانيال، أسس السيميائية، ترجمة طلال وهبة، ط ١، بيروت، المنظمة العربية للترجمة، ٢٠٠٨.



- 3- جماعة مو، بحث في العلامة المرئية من أجل بلاغة الصورة، ترجمة سمر محمد سعد، ط ١، بيروت، المنظمة العربية للترجمة، مركز دراسات الوحدة العربية، ٢٠١٢.
- 4- دوسوسور، فردينان، علم اللغة العام، ترجمة يوثيل يوسف عزيز، بغداد- دار آفاق عربية، ١٩٨٥.
- 5- فراي، نورثروب، تشريح النقد محاولات أربع، ترجمة محمد عصفور، منشورات الجامعة الأردنية، عمّان ١٤١٢هـ، ١٩٩١م.
- 6- فرنكلين، روجرز، الشعر والرسم، ترجمة مي مظفر، دار المأمون بغداد ١٩٩٩.
- 7- كوهين، جون، بنية اللغة الشعرية، ترجمة محمد الولي ومحمد العمري، ط ١، المغرب، دار توبقال للنشر، ١٩٨٦.

الرسائل العلمية والأبحاث المنشورة:

- 1- خريصي محمد، آليات تفاعل أنساق العلامات اللسانية والأيقونية في الخطاب الإشهاري.. استراتيجيات الإقناع والتدليل من الإرسال إلى التلقي، مقارنة سيميائية- نسقية. مجموعة بحوث محكمة بعنوان: قضايا الخطاب في الفكر اللساني والسيميائي، ط ١، الأردن، طبعة كنوز المعرفة، ٢٠١٩.
- 2- راجع، عبد الله، الجنون المعقلن، مجلة الثقافة الجديدة، العدد ١٩، ١٩٨١.
- 3- الزهرة، فطيمة، التشكيل الجمالي لصورة الغلاف والعنوان دراسة سيميائية، جامعة محمد خيضر، بسكرة الجزائر، بحث منشور.
- 4- عياد، شكري، أنظمة العلامات في اللغة والأدب والثقافة (مدخل إلى السيميوطيقا)، مجلة فصول، العدد ٤، مجلد ٦، يوليه وأغسطس وسبتمبر ١٩٨٦.
- 5- مها بنت علي بن عبد الواحد الماجدي، سيميائية العتبات في ديوان متاهات للشاعر محمد إبراهيم يعقوب مقارنة سيميائية، مجلة كلية الآداب بجامعة جنوب الوادي بقنا، عدد ٥٦، سنة ٢٠٢٢.
- 6- الوادي، خولة محمد، قراءة سيميائية لأنظمة الألوان في نماذج قصصية، مجلة دراسات، العلوم الإنسانية والاجتماعية، مج ٤٥، عدد ٣، ٢٠١٨.

References

- 1-Ya'qūb, Muḥammad Ibrāhīm, Matāhāt, shi'r, Ṭ1, al-Riyād, Ṭab'ah tashkīl lil-Nashr wa-al-Tawzī', 2017m.
- 2-Bilāl, Aḥmad kryym, kharā'it al-Janūb dirāsah naqdīyah fī a'māl al-shā'ir Muḥammad Ibrāhīm Ya'qūb, Ṭ1, Najrān al-Sa'ūdīyah, al-Nādī al-Adabī bi-Najrān, al-Qāhirah, Mu'assasat Arwiqah lil-Dirāsāt wa-al-Tarjamah wa-al-Nashr, 2019m.
- 3-Bilāl, Aḥmad kryyim, al-'Unwān wa-binyat al-qaṣīdah fī al-shi'r al-'Arabī al-mu'āṣir, Ṭ1, Ṭantā Miṣr, Dār al-Nābighah lil-Nashr wa-al-Tawzī', 1439h-2018m.
- 4- Bil'ābid, 'Abd al-Ḥaqq, 'Atabāt Jīrār jynyat min al-naṣṣ ilā almnāṣ, taqdim, Sa'id Yaqtīn, Ṭ1, Bayrūt, al-Dār al-'Arabīyah lil-'Ulūm Nāshirūn, 2008M.
- 5-Al-Jāhīz, Abū 'Uthmān 'Amr ibn Baḥr, al-Bayān wa-al-tabyīn, taḥqīq 'Abd al-Salām Hārūn, ṭ7, al-Qāhirah, Maktabat al-Khānjī, al-Qāhirah, 1418h. 1998M.
- 6-Ibn Jinnī, Abū al-Faṭḥ 'Uthmān, al-Khaṣā'is, ṭ4, al-Qāhirah, al-Hay'ah al-Miṣrīyah al-'Āmmah lil-Kitāb.
- 7-Al-Ḥāzimī, Ḥasan Ḥijāb, al-naṣṣ wa-al-naṣṣ al-muwāzī, qirā'ah fī riwāyah jāhiliyyat li-Laylā al-Juhanī, Kursī al-adab al-Sa'ūdī, Jāmi'at al-Malik Sa'ūd, 1439h-2018m.
- 8-Al-Ḥaddāwī, ṭā', sīmā'iyah al-ta'wīl .. al-intāj wa-mantiq al-Dalā'il, Ṭ1, Bayrūt, al-Markaz al-Thaqāfi al-'Arabī, 2006m.
- 9-Ḥammūdah, Yaḥyá, Naẓarīyat al-lawn, al-Qāhirah, Dār al-Ma'ārif, 1979m.
- 10-Al-Khafājī, Karīm Shallāl, sīmīyā'iyah al-alwān fī al-Qur'ān, Ṭ1, Bayrūt, Ṭab'ah Dār al-muttaqīn lil-Thaqāfah wa-al-'Ulūm, 2012m.
- 11-Sāliḥ, Ashraf, al-I'lān Funūn wa-junūn, Ashraf Ṣāliḥ, al-Qāhirah, Dār Gharīb, 1999M.
- 12-Al-Ṣafrānī, Muḥammad, al-tashkīl al-Baṣrī fī al-shi'r al-'Arabī al-ḥadīth 1950-2004, Ṭ1, al-Riyād, al-Nādī al-Adabī, wbyrwt-wa-al-Markaz al-Thaqāfi al-'Arabī, 2008M.
- 13-Aṭīq, 'Abd al-'Azīz, 'ilm al-Badī', Ṭ1, al-Qāhirah, Dār al-Āfāq al-'Arabīyah, 1427-2006m.
- 14-Al-'Ajlān, Sāmī, Ighwā' al-'Atabah 'unwān al-qaṣīdah wa-as'ilat al-naqd, Ṭ1, Nādī Abḥā wa-Mu'assasat al-Intishār al-'Arabī, 2015.
- 15-Al-'Urābī, Maṣtūrah, ṣinā'at al-ma'nā fī shi'r Muḥammad Ibrāhīm Ya'qūb muqārabah sīmā'iyah, Ṭ1, byrwt-Mu'assasat al-Intishār al-'Arabī, 1441h.



- 16-Al-‘Askarī, Abū Hilāl, Kitāb al-ṣinā‘atayn al-kitābah wa-al-shi‘r, taḥqīq / ‘Alī Muḥammad al-Bajāwī, wa-Muḥammad Abū al-Faḍl Ibrāhīm, Ṭ1, Ṭab‘ah Dār Iḥyā’ al-Kutub al-‘Arabīyah ‘Īsā al-Ḥalabī, 1371h, 1952.
- 17-Faydūh, ‘Abd al-Qādir, Ma‘ārij al-ma‘nā fī al-shi‘r al-‘Arabī al-ḥadīth, Ṭ1, Sūriyā, Ṣafahāt lil-Dirāsāt wa-al-Nashr, 2012.
- 18-Al-Qayrawānī, Ibn Rashīq, al-‘Umdah fī Maḥāsin al-shi‘r wa-ādābuh, taḥqīq Muḥammad Muḥyī al-Dīn ‘Abd al-Ḥamīd, ṭ5, byrwt-Ṭab‘ah Dār al-Jīl, 1401h-1981.
- 19-Almākry, Muḥammad, al-shakl wa-al-khiṭāb madkhal li-taḥlīl ṣāhirātī, Ṭ1, Bayrūt, al-Markaz al-Thaqāfi al-‘Arabī, 1991m.
- 20-Al-Marāghī, Aḥmad Muṣṭafā, ‘ulūm al-balāghah al-Bayān wa-al-ma‘ānī wa-al-badī‘, ṭ5, Bayrūt, Dār al-Kutub al-‘Ilmiyah 2021m.
- 21-Al-Masaddī, ‘Abd al-Salām, al-uslūbiyah wa-al-uslūb, ṭ3, Dār Su‘ād al-Ṣabāh, 1993.
- 22-Al-Nuwayrī, Shihāb al-Dīn, nihāyat al-arab fī Funūn al-adab, taḥqīq Mufīd qa-mḥīyah wa-ākharūn, byrwt-Ṭab‘ah Dār al-Kutub al-‘Ilmiyah, 1424h-2004.

Translated Arabic References

- ١-Īkū, imbrtw, al-‘allāmah taḥlīl al-mafhūm wa-tārīkhuhu, tarjamat Sa‘īd Bingarād, ṭ٢, al-Dār albydā’-al-Markaz al-Thaqāfi al-‘Arabī, ٢٠١٠.
- 2-Tshāndlr, Dānyāl, Usus alsymyā’yh, tarjamat Ṭalāl Wahbah, Ṭ1, Bayrūt, al-Munazzamah al-‘Arabīyah lil-Tarjamah, 2008.
- 3-Jamā‘at mū, baḥth fī al-‘allāmah al-mar’īyah min ajl Balāghat al-Ṣūrah, tarjamat Samar Muḥammad Sa‘d, Ṭ1, Bayrūt, al-Munazzamah al-‘Arabīyah lil-Tarjamah, Markaz Dirāsāt al-Waḥdah al-‘Arabīyah, 2012.
- 4-Dwswwr, Firdīnān, ‘ilm al-lughah al-‘āmm, tarjamat yw’yl Yūsuf ‘Azīz, bgh-dād-Dār Āfāq ‘Arabīyah, 1985.
- 5-Frāy, nwrthrw, Tashrīh al-naqd muḥāwalāt arba‘, tarjamat Muḥammad ‘Uṣfūr, Manshūrāt al-Jāmi‘ah al-Urdunīyah, ‘Ammān 1412h, 1991.
- 6-Frnklyn, rwjrz, al-shi‘r wa-al-rasm, tarjamat Mayy Muẓaffar, Dār al-Ma’mūn Baghdād 1999.
- 7-Kūhīn, Jūn, Binyat al-lughah al-shi‘rīyah, tarjamat Muḥammad al-Walī wa-Muḥammad al-‘Umarī, Ṭ1, al-Maghrib, Dār Tūbqāl lil-Nashr, 1986.

8-Published studies and research

- 9-Khrysy Muḥammad, āliyyāt tafā'ul ansāq al-'alāmāt al-lisānīyah wāl'yqwnyh fī al-khiṭāb al-ishhārī .. Istīrātījīyāt al-Iqnā' wāldlyl min al-irsāl ilā al-talaqqī, muqārabah symyā'yt-nsqyh. majmū'ah Buḥūth Maḥkamat bi-'unwān : Qaḍāyā al-khiṭāb fī al-Fikr al-lisānī wālsymā'y, ٦1, al-Urdun, Ṭab'ah Kunūz al-Ma'rifāh, 2019.
- 10-Rāja'a, 'Abd Allāh, al-junūn alm'qln, Majallat al-Thaqāfah al-Jadīdah, al-'adad 19, 1981.
- 11-Al-Zahrah, Faṭīmah, al-tashkīl al-jamālī li-ṣūrat al-ghilāf wa-al-'Unwān dirāsah sīmiyā'īyah, Jāmi'at Muḥammad Khayḍar, Baskarah al-Jazā'ir, baḥth manshūr.
- ١٢- Ayyād, Shukrī, anẓimat al-'alāmāt fī al-lughah wa-al-adab wa-al-Thaqāfah (madkhal ilā al-Sīmiyūṭīqā), Majallat fuṣūl, al-'adad ٤, mujallad ٦, Yūliyah w'ghsts wsbtmbr ١٩٨٦.
- 13-Mahā bint 'Alī ibn 'Abd al-Wāḥid al-Mājidī, sīmiyā'īyah al-'atabāt fī Dīwān Matāhāt lil-shā'ir Muḥammad Ibrāhīm Ya'qūb muqārabah sīmiyā'īyah, Majallat Kullīyat al-Ādāb bi-Jāmi'at Janūb al-Wādī bqna, 'adad 56, sanat 2022.
- 14-Al-Wādī, Khawlah Muḥammad, qirā'ah sīmiyā'īyah l'nẓmh al-alwān fī namādhij qīṣaṣīyah, Majallat Dirāsāt, al-'Ulūm al-Insānīyah wa-al-Ijtimā'īyah, Majj 45, 'adad 3, 2018.



الجبل فضاءً سردياً

دراسة في المنجز القصصي لمحمد علوان

The Mountain as a Narrative Space

A Study of the Narrative Works of Muhammad Alwan

د. أحمد بن ماطر اليتيمي

Dr. Ahmed Mater Alyatimi

الأستاذ المشارك بقسم الأدب والبلاغة بكلية اللغة العربية والدراسات الإنسانية

في الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة

حاصل على الماجستير من الجامعة الإسلامية بتخصص الأدب والنقد

حاصل على الدكتوراه من الجامعة الإسلامية بتخصص الأدب والنقد

Associate Professor of Literature and Criticism, Department of Literature and Rhetoric, Faculty of Arabic Language and Humanities, Islamic University of Madinah, Saudi Arabia

Master's degree from the Islamic University, specializing in literature and criticism.

PhD from the Islamic University, specializing in literature and criticism.

البريد الإلكتروني: alyatimi-13@hotmail.com



<https://doi.org/10.65728/1625-000-022-010>

المستخلص

عنوان البحث: (الجليل فضاء سرديا: دراسة في المنجز القصصي لمحمد علوان).

أهداف البحث: يهدف البحث إلى تسليط الضوء على الجبل بوصفه فضاء سرديا في المنجز القصصي للقاص محمد علي علوان، ويقوم البحث على تتبع مظاهر تشكيل الفضاء المكاني وتقاطباته، وبيان الأبعاد الدلالية للفضاء، ورصد أوجه العلاقة بين الفضاء المكاني والعناصر البنائية للخطاب القصصي.

منهج البحث: يعتمد البحث على المقاربة البنيوية في تحليل النصوص ورصد المظاهر البنائية لفضاء الجبل.

أهم النتائج: توصلَ البحث إلى بعض النتائج التي تتمحور حول عناية القاص بالعنصر المكاني بشكل عام، وبالمكان الجبلي خاصة، وذلك من خلال وصف البيئة الجبلية بمظاهرها الحسية والمعنوية وتقاطباتها المكانية، وكشف البحث عن دور الفضاء الجبلي في خلق وتوجيه الدلالات النصية، وإثراء السياق الحكائي بقضايا إنسانية واجتماعية، وتعزيز حضور الأسطورة كموروث ثقافي، وما تحمله من رموز ودلالات، إضافة إلى أثر الفضاء الجبلي في بناء الشخصيات وتوجيه الأحداث بما يتسق مع سير الحكايات، وتأثيره في لغة السرد وتأثره بها.

أهم التوصيات: الاهتمام بدراسة الفضاء السردي وأثره في بناء العوالم الأدبية، وبخاصة الفضاء الجبلي؛ نظرا لتوجه كثير من الدراسات إلى فضاء المدينة أو الصحراء، وغيرها.

كلمات مفتاحية: الفضاء السردي، الفضاء المكاني، محمد علوان، القصة، القصة القصيرة.



Abstract

Research Objectives: This research aims to highlight the mountain as a narrative space in the short stories of Muhammad Ali Alwan. This is achieved by tracing the formation and polarities of the spatial environment, explaining its semantic dimensions, and examining the relationship between the spatial space and the structural elements of the narrative discourse.

Research Methodology: The study relies on a comparative approach to analyze texts and observe the structural features of the mountain as a narrative space.

Research Findings: The findings indicate the narrator's interest in the spatial element in general, and in the mountainous setting in particular. This includes detailed depictions of the mountainous environment with its sensory and symbolic aspects. The research also reveals the role of mountain space in creating and directing textual meanings, enriching the narrative context with human and social issues, and enhancing the presence of myth as a cultural heritage bearing symbols and connotations. Additionally, mountain space influences character development and the progression of events, aligning with the narrative structure of stories, and affecting the language of narration in constructing spatial story worlds.

Recommendations: Focus on studying narrative space and its impact on constructing literary worlds, particularly mountain space, given that many studies have concentrated on urban or desert spaces.

Keywords: narrative space, spatial environment, Muhammad Alwan, story, short story.

مقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.
وبعد:

فقد شهد الأدب السعودي تطوراً ملموساً في فن القصة، لا سيما في النصف الثاني من القرن العشرين؛ إذ تأثرت بالتحويلات الثقافية والاجتماعية، واستطاع رواد الفن القصصي ترسيخ مكانته بين مختلف الأجناس الأدبية؛ مما لفت أنظار الأدباء والدارسين الذين واكبوا تطور المشهد القصصي في أشكاله ومضامينه؛ لتصبح القصة أحد أهم الأجناس الأدبية التي تعبر عن هموم الإنسان وقضاياه، وتعكس أثر البيئة الثقافية والاجتماعية.

ويُعد القاص محمد علي علوان -رحمه الله- أحد أعلام الفن القصصي في المملكة العربية السعودية، وقد أصدر تسع مجموعات قصصية بين عامي ١٩٧٧م-٢٠٢٣م، احتوت على ما يزيد عن مئة وثلاثين قصة متفاوتة بين القصة القصيرة، والقصة القصيرة جداً، والمتأمل لهذا النتاج يلحظ احتفاءه بالمكان كعنصر رئيس من عناصر تشكيل النص القصصي، وعاملاً مؤثراً في بناء الشخصيات والأحداث وتفاعلها، وكانت البيئة الجبلية حاضرة بشكل لافت للنظر، ومتداخلة مع بنية النصوص القصصية؛ ولذلك رأيت من المناسب دراسة هذه الظاهرة في المنجز القصصي لمحمد علوان؛ للكشف عن مظاهر حضور الجبل بوصفه فضاء سردياً، وبيان أبرز التقاطعات المكانية المتعلقة بالفضاء الجبلي، والكشف عن المستوى الدلالي المرتبط به، ورصد العلاقة بين الفضاء المكاني (الجبل) وبقية عناصر السرد.

وفي إطار البحث عن الدراسات السابقة التي اهتمت بتجربة القاص محمد علوان، فقد تعددت الدراسات التي سلطت الضوء على تجربته القصصية ضمن تجارب أدباء المملكة العربية السعودية، في حين انفردت بعض الدراسات بنتاجه القصصي، وهي في مجملها قد اهتمت بدراسة المضامين القصصية ومستويات التشكيل الفني والتوظيف؛ ومن ذلك بحث: (البنية القصصية ومستويات الدلالة: قراءة قصص محمد علوان) لعبد الله السمطي، وبحث: (الموروث الثقافي في قصص محمد علوان) لإبراهيم أبو طالب، وهي أبحاث قيمة في بابها، إلا أنها لم تهتم بدراسة الفضاء المكاني في قصص علوان فضلاً عن دراستها للفضاء الجبلي، ولعل أقرب الأبحاث التي وقفت عليها: (دلالة المكان في المجموعة القصصية



دامسة) لمكي موكلي، وقد اهتم بدراسة دلالة المكان بشكل عام في إحدى مجموعات علوان القصصية (دامسة). وبهذا؛ فلم أقف على دراسة مستقلة للفضاء المكاني أو الفضاء الجبلي في تجربة علوان القصصية.

ويعتمد البحث على المقاربة البنيوية للخطاب السرد في قصص علوان، من خلال تتبع مظاهر الفضاء المكاني وتقاطباته، وتحليل البعد الدلالي للمكان، وبيان ارتباطه وتأثيره في العناصر البنائية للسرد؛ معتمداً في ذلك على المجموعات القصصية المنشورة، وعلى مدونة محمد علوان الإلكترونية^(١) التي تضم عدداً من القصص من ثلاث مجموعات قصصية مما لم أقف على نسخه الورقية.

وينتظم البحث في مقدمة وتمهيد وثلاثة مباحث وخاتمة، أما المقدمة فتضمنت أهمية الموضوع وأهدافه والدراسات السابقة ومنهج البحث وخطته، وجاء التمهيد لبيان مفهوم الفضاء السردى وقيمه في الدراسات النقدية، وتعريفاً بالقاص محمد علوان وتجربته القصصية، أما المبحث الأول، فقد اهتم بدراسة مظاهر الفضاء المكاني للجبل وأبرز التقاطبات المكانية، في حين نهض المبحث الثاني بدراسة الفضاء الدلالي وأهم المعاني والدلالات التي مثلها فضاء الجبل، واهتم المبحث الثالث برصد العلاقة بين الفضاء المكاني وعناصر السرد كالشخصيات والأحداث واللغة، وتضمنت الخاتمة تلخيصاً لأبرز نتائج البحث وتوصياته، تلاها قائمة بمصادر البحث ومراجعته.

(١) مدونة محمد علوان: <https://mohammedalwan.com>.

التمهيد

أولاً: مفهوم الفضاء السردى:

على الرغم من تأخر الدراسات النقدية في الوقوف على مفهوم الفضاء السردى في الأعمال الأدبية، فإنها تمكنت من تأسيس رؤية أولية لصياغة المفهوم وتحديد منطلقاته، فهو يتخطى حدود (المكان) وصولاً إلى رؤية أشمل تنظر إلى الفضاء على أنه وعي يبحث في عمق الكتابة جماليًا وتكوينيًا، ويتلبس بالذاكرة والهوية والوجود^(١)، إضافة إلى دوره المرتبط بإمكانة الوقائع والأحداث الحكائية المتشكلة داخل سياق الحكاية.

وقد ظهرت الدراسات النقدية المعنية بالفضاء السردى منذ القرن التاسع عشر الميلادى، مواكبةً التحول السردى الذي جعل الفضاء عنصراً رئيساً من عناصر البنية السردية؛ وذلك بأن تحول السرد الجديد من «وصف الأمكنة باعتبارها توقيفاً للحكي ومجرد تزيين، والقفز بها إلى اعتبارها مساهمة في تأسيس الخطاب الروائي»^(٢)؛ ليمثل العلاقة بين الفضاء وسائر العناصر التكوينية كالشخصيات والأحداث، وما يحمله من دلالات تتكشف من خلال مظهرات الفضاء السردى ودوره المؤثر في بناء تلك الشخصيات والأحداث، ويظهر الفضاء كعنصر رئيس يشكل الكتابة وتشكل من خلاله، وهو ما جعل البحث في بنية الفضاء بحثاً في عمق الكتابة وعناصرها وتكوينها.

ويرى بعض النقاد أن حضور الفضاء السردى لم يصل إلى رؤية تأصيلية واضحة، وأن ما كُتب حول الفضاء محض اجتهادات متفرقة، لها قيمتها، إلا أنها لا تزال بحاجة إلى معرفة تراكمية تُفضي إلى بناء تصور شامل، وصولاً إلى تأسيس نظرية متكاملة عن الفضاء الحكائي^(٣).

ويُعد المكان رافداً مؤثراً في دراسة شعرية المكان وأثره في بنية العمل الأدبي كما ظهر لدى غاستون باشلار في كتابه (جماليات المكان) الذي انطلق من فكرة مفادها أن الكتاب

(١) ينظر: حسن نجمي، شعرية الفضاء السردى، ط١، الدار البيضاء، المركز الثقافي العربي، ٢٠٠٠م، ص ١٢.

(٢) حورية الظل، الفضاء في الرواية العربية الجديدة، د. ط، دمشق، دار نينوى للدراسات والنشر والتوزيع، ٢٠١١م، ص ٣٠.

(٣) ينظر: حميد الحمداني، بنية النص السردى من منظور النقد الأدبي، ط٣، الدار البيضاء، المركز الثقافي العربي، ٢٠٠٠م، ص ٥٣.



قد لجؤوا إلى العالم المادي الذي يعرفون تفاصيله ويألفون مكوناته لبناء تصوراتهم ورؤاهم^(١)، ثم اتسع هذا المفهوم لدى النقاد ليخرج من إطار المكان ويمتزج بالزمن لتصبح العلاقة بينهما علاقة وجود؛ فيكون الزمن دالاً على المكان، والمكان دالاً على الزمن، وهي رؤية نتج عنها مصطلح (الزمكان)^(٢)؛ تأكيداً على هذا الارتباط بينهما.

أما الدراسات النقدية العربية، فقد تفرقت في تلقي مفهوم الفضاء وترجمته إلى مصطلحات عدة كالفرغ، والمكان، والفضاء، كما يظهر عند سيزا قاسم التي تنظر للمكان السردى على أنه مكان خيالي تخلقه الكلمات بمقوماته الخاصة وأبعاده المميزة^(٣)، في حين تتسع الرؤية عند حميد حمداني في تلقيه للفضاء ليكون أشمل من المكان، فهو يشير إلى المسرح السردى بكامله، في حين أن المكان يمثّل جزءاً من مجالات الفضاء السردى، والفضاء عنده «يُفترض دائماً تصور الحركة داخله، أي يفترض الاستمرارية الزمنية»^(٤).

ولعل الرؤية التي تبلورت في كتاب حسن نجمي (شعرية الفضاء) تتسق مع طبيعة الفضاء بوصفه عنصراً سردياً يتلبّس بالكتابة، وتتموضع الأحداث داخله، ليصبح بذلك عالمًا متكاملًا يظهر في عناصر السرد المختلفة، ويشارك في بنية الحكاية، ويسهم في صناعة الأحداث وتوجيه الشخصيات، فهو «مبثوث في كل مناطق النص، مُحايث لبنية الحكاية ذاتها، وليس كامناً فقط في معجم الكلمات والعلامات الفضائية، أو الأمكنة التي تعبر عنها الحكاية»^(٥).

ويدعو الناقد عبد الملك مرتاض إلى استخدام مصطلح (الحيز) بدلاً عن مصطلحي (المكان والفضاء) اللذين نُقلا عن طريق المترجمين دون تدقيق؛ إذ إن مصطلح المكان يدل على المكان الجغرافي دون غيره، أما الفضاء، فإنه يحمل دلالة الفراغ والحواء، على عكس

(١) ينظر: غاستون باشلار، جماليات المكان، ت: غالب هلسا، ط٢، بيروت، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، ١٩٨٤م، ص٣٨.

(٢) ينظر: ميخائيل باختين، أشكال الزمان والمكان في الرواية، ت: يوسف حلاق، دمشق، منشورات وزارة الثقافة، ١٩٩٠م، ص٥.

(٣) ينظر: سيزا قاسم، بناء الرواية: دراسة مقارنة في ثلاثية نجيب محفوظ، د. ط، القاهرة، مكتبة الأسرة، ٢٠٠٤م، ص١٠٤.

(٤) حمداني، بنية النص السردى، ص٦٣.

(٥) حسن نجمي، شعرية الفضاء، ص٧٢.

الحيز الذي يُستعمل دلالة على الوزن والثقل والحجم والشكل.^(١) ويمكن أن نطمئن إلى مصطلح الفضاء بما يحمله من دلالة الشمولية والاتساع، وقدرته على تجاوز مفهوم الفراغ والخواء لانشغاله بمدلولاتها المجازية؛ بحيث تُمثّل جانب امتلاء تأويلي، وهو من جانب آخر يتسق مع مفهوم (الفضاء النصي)^(٢) الذي يشغل على مساحة الكتابة وطريقتها، وتوظيف العناصر الطباعية وترتيبها داخل الكتاب.

والم تأمل في حضور مفهوم الفضاء في هذه الدراسات النقدية يلحظ وعيها بعناصره ومكوناته ودلالاته، إلا أن زاوية النظر تختلف من حيث حصر المفهوم على اعتبار (المكان) جزءاً أصيلاً في تكوين الفضاء؛ ليفضي ذلك الحصر إلى الدقة في وصف الظاهرة وتمثّلها، في حين يأتي التوسع في المفهوم لتحقيق به الشمولية التي تتسم بها دلالة الفضاء، ويتجاوز حدود (المكان) ليشمل الأنواع المختلفة كالفضاء النصي والدلالي والمكاني.

وبالنظر إلى تعدد المفاهيم وتنوعها - حصراً واتساعاً - فإن الدلالة المكانية جلية في هذه الدراسة؛ حيث تنطلق من فضاء الجبل داخل البنية الحكائية في قصص محمد علوان؛ لتكشف عن أثره في تشكيل الحكاية، ودلالاته الموضوعية والنفسية التي تتوارى خلف النص؛ لذلك فهي تتبنى مفهوم الفضاء بدلالته المكانية ليكون معادلاً للفضاء الجغرافي من جهة، ويتجاوز ذلك ليوظف الفضاء الدلالي المتواري خلف لغة السرد وأحداثه وشخصياته.

ثانياً: محمد علوان ومجموعاته القصصية:

يعد محمد بن علي علوان من أبرز كتّاب القصة في المملكة العربية السعودية، ولد في مدينة أبها عام ١٩٥٠م، ونشأ وتلقى تعليمه الأولي فيها، ثم انتقل إلى مدينة الرياض ليكمل دراسته الثانوية ويلتحق بقسم اللغة العربية بكلية الآداب في جامعة الملك سعود (جامعة الرياض آنذاك)، وتخرج فيها عام ١٩٧٢م، وما لبث أن التحق بوزارة الإعلام موظفاً في قسم المطبوعات، فتهيأت له فرصة الاطلاع على الكتب في مختلف الفنون، واختتم حياته المهنية في الوزارة بتوليّه منصب الوكيل المساعد للإعلام الداخلي، ثم أصبح مستشاراً إعلامياً بعد تقاعده، وهو عضو مؤسس في مؤسسة عسير للصحافة والنشر،

(١) ينظر: عبد الملك مرتاض، في نظرية الرواية: بحث في تقنيات السرد، د. ط، الكويت، عالم المعرفة، ١٩٩٨م، ص ١٢١.

(٢) ينظر: لحمداني، بنية النص السرد، ص ٥٣.



وله إسهامات صحفية كتابية وإشرافاً، ومشاركات ثقافية في عدد من الأمسيات والملتقيات الأدبية داخل المملكة وخارجها.^(١)

أما على الصعيد الإبداعي، فقد أصدر محمد علوان عدداً من المجموعات القصصية تضم في مجملها ما يزيد عن مئة وثلاثين قصة، افتتحها بمجموعته القصصية الأولى (الخبز والصمت) عام ١٩٧٧م، ضمت ثماني عشرة قصة، برزت فيها موهبته الأدبية من خلال أسلوبه الذاتي، وقدرته على مخاطبة الشعور والوجدان.^(٢)

وبعد خمسة أعوام أصدر مجموعته القصصية الثانية (الحكاية تبدأ هكذا) في ١٩٨٢م، وضمت ثماني عشرة قصة أيضاً، اعتمد في نسجها على توظيف الحكاية الشعبية ممتزجة بالملامح الأسطورية التي برزت في الحكايات، وشاعت في الأوساط الاجتماعية، موظفاً (القرية) مكاناً سردياً تدور فيه الأحداث المتلبسة بالأساطير.^(٣)

أما المجموعة الثالثة (دامسة) فقد صدرت عام ١٩٨٨م، وتضم عشرة قصص، اعتمد في تكوينها على عنصر المكان موظفاً اللغة المحكية في بنية السرد وتسمية الأمكنة؛ ولذلك «فإن تفرغ الحدث من سياقه المكاني يفقده كثيراً من دلالاته. فالمكان بهذا الحضور الطاعني يحتل وظيفة بنائية وموضوعية تضيء على الحدث حالات استحضار مهمة».^(٤)

وبعد انقطاع دام قرابة ربع قرن، استأنف علوان إصدار مجموعاته القصصية في عام ٢٠١٤م بمجموعة (هاتف)، ثم مجموعة (إحداهن) عام ٢٠١٩م، ثم توالى بعدها المجموعات القصصية (طائر العشا) عام ٢٠٢٠م، و(تهلّل) عام ٢٠٢١م، و(المرتزة) عام ٢٠٢٢م، وكانت آخر مجموعاته القصصية (موز ريدة) التي صدرت عام ٢٠٢٣م بعد أيام من وفاته رحمه الله.

المبحث الأول: الفضاء المكاني

يبرز المكان كأحد العناصر الرئيسة المكونة للحكاية، تدور فيه الأحداث وتتفاعل

(١) ينظر: قاموس الأدب والأدباء في المملكة العربية السعودية، د. ط، الرياض: دار الملك عبد العزيز، ١٤٣٥هـ،

٢: ١١٧٦ وينظر: مدونة محمد علوان على الرابط: <https://mohammedalwan.com>.

(٢) ينظر: قاموس الأدب والأدباء، ج ٢، ص ١١٧٧.

(٣) ينظر: المرجع نفسه.

(٤) حسن النعمي، جدلية الإنسان والمكان عند محمد علوان: مجموعة «دامسة» مثلاً، مجلة القافلة، العدد سبعمائة، المجلد الثاني والسبعون، ٢٠٢٣م، ص ٤١.

الشخصيات، وتنهض وظيفته بالتأثير على مجرى الحكاية؛ فهو عنصر يتشكل بوحي تام من الكاتب، ويحتضن العناصر البنائية ويتماهى معها في السياق الحكائي، ولذلك فإن حضور المكان يكون مُحَمَّلًا بدلالات وأبعاد فكرية ونفسية وموضوعية إلى جانب البعد الجغرافي أو الوصفي الذي يمهّد له الحضور الأولي وبمكّنه من التغلغل في سائر العناصر الأخرى.

ويرتبط المكان باللغة ليصبح مكاناً لفظياً متخيلاً تصنعه الحكاية وتنتجه اللغة؛ ليكون معادلاً موضوعياً للمكان الجغرافي أو للمكان في ذهن الكاتب^(١)؛ ذلك أن المكانية في الأدب لا تشترط وجود مكان حقيقي، بل تفترض مكاناً يرسمه الكاتب ويشكّله؛ لتخلّق داخله المشاعر والعواطف، وقد تنبّه الناقد الفرنسي (بيير بيار) إلى هذه القضية في حديثه عن تجريد الأمكنة في ذهن الكاتب، وبناء عالم متخيل، أو تحويل المكان المجهول إلى أماكن حقيقية يحيط الكاتب بتفاصيلها ومكوناتها.^(٢)

وبالنظر إلى مفهوم الفضاء المكاني يمكن أن نتطرق إلى حضور المكان الجغرافي في قصص محمد علوان من خلال وصف المواقع بأشكالها وتضاريسها ومكوناتها وارتباطها بالشخصيات والأحداث، وصولاً إلى بناء عالم متكامل تنظم داخله الرؤى والأفكار في سبيل تعزيزها في ذهن المتلقي، واستمالاته إلى الارتباط الذهني والنفسي مع سياق الحكاية؛ ذلك أن المكان يقوم بدور مؤثر في تشكيل الرؤى الفكرية والاجتماعية والفنية التي يعمد إليها القاص، ليحمل قيمة رمزية تتصل بتجسيد المكان^(٣)، ومن ذلك حديثه عن جبال (أبها) ووصف القرى الجبلية التي تدور فيها الأحداث، بمكوناتها ومظاهرها الطبيعية، مثل وصفه للقرية في قصة (دامسة): «شاهد قريته الحبيبة تكاد تنطق مداميك مبانيها، نتوء أحجارها، أبوابها الكثيفة، نوافذها الصغيرة... حفظ عن ظهر قلب أحجار قريته حجرًا حجرًا، طرقها المتلوية، سبلها المسقوفة الخفيضة... ينظر إلى بيوت القرية التي تتسلق الجبل، تتداخل ملتصقة ببعضها البعض، متقاربة ينظر إليها الناظر كبيت واحد بعشرات الأبواب، بنوافذ متعددة تنظر إلى جميع الأنحاء»^(٤)، ويظهر من خلال وصفه

(١) ينظر: حسن بن حجاب الحازمي، البناء الفني في الرواية السعودية، ط ١، ١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م، ص ٢٩٤.

(٢) ينظر: حسن المودن، الأدب والتحليل النفسي، د. ط، قطر، كتاب الدوحة، وزارة الثقافة والرياضة، د. ت، ص ١١٧.

(٣) ينظر: لحمداني، بنية النص السردي، ص ٧٠.

(٤) مدونة محمد علوان، قصة دامسة، على الرابط: <https://mohammedalwan.com/?p=138>.



لتضاريس المكان، وقَدَم جدرانها، وتشكّل بيوت القرية وطرقها، استمالة المتلقي وإشراكه في تفاصيل القصة وأحداثها من خلال رسم صورة متكاملة للموقع الجغرافي؛ متخذاً من ذلك الوصف سبيلاً لضخ المشاعر والعواطف للتأثير على المتلقي. ومن ذلك افتتاحه وصف القرية بـ«قريته الحبيبة»، وأنه حفظ تضاريسها عن ظهر قلب، وتصويره لتقارب البيوت وتداخلها بحيث يراها الناظر كأنها بيت واحد بنوافذ تطل على جميع الجهات، ولا يخفى ما في هذا التصوير من دلالات يسعى الكاتب لتكريسها والتأكيد عليها، دلالات محمّلة بمعاني الحب والانتماء، وقوة العلاقة والترابط بين أبنائها من خلال تداخل البيوت لتكون بمثابة بيت واحد يحمي به أهله، ويمكّنهم ذلك من مراقبة جميع الجهات، وهو ما يحيل إلى دلالة الأمان الذي يمكنهم من تجنب المخاطر والتهديدات الخارجية، وتتجلى قصدية هذه الدلالات التي حملها وصف المكان قوله بعد ذلك: «هل تخشى شيئاً تلك البيوت الطينية، هذه الأحجار الصلدة، هل يقبع في داخل صلابتها خوف يشبه خوف الإنسان وحيرته؟» (١).

وفي قصة (موز ريدة) يقدم علوان وصفا موجزا للمنزل الذي احتضن شخصية البطلة ووالديها: «كان منزلهما في قمة جبل ترمق به السحب والبروق والرعود التي تمنح العائلة الصغيرة معنى وطعما مختلفا للحياة... أحاطت الزوجة منزلها بأحواض زرعت بها الريحان والوزّاب والنعناع، تسقيها كل يوم... كان ديدنها كل صباح تحتطب وتضيفه إلى (السريف) الذي ينمو يوما إثر الآخر.. الحطب من ضرورات بيوت القرى» (٢)، وهو وصف لمكونات المنزل وهيبته بذكر موقعه، ووصف زواياه التي تنمو بها النباتات العطرية، وتجتمع فيها أكوام الحطب دليلاً على جدية العمل الدؤوب واستمراريته، ويظهر ذلك بساطة الحياة وديمومتها على نسق واحد، يشي بالطمأنينة التي تعيشها الأسرة؛ لتأخذ الأحداث بعد ذلك سياقاً مختلفاً حين تتعرض (موز ريدة) لمغريات صحية واجتماعية تتحول معها الحياة الهادئة إلى هموم وعقبات لا تسلم منها البيوت وإن نأت واستقرت في رأس جبل.

ويتمثل حضور المكان الجغرافي من خلال الإحالة على مواقع حقيقية، وتسميتها بأسمائها المعروفة، وهو حضور بارز في قصص علوان؛ حيث يُكثر من ذكر المواقع الجغرافية الحقيقية، ويمدها بدلالات من خلال السياق القصصي منطلقاً من الذاكرة التراثية والتاريخية للمكان، التي تضيف عليه صبغة واقعية وقيمة دلالية، معتمداً على ذاكرة المتلقي ومعرفته

(١) المصدر نفسه، على الرابط: <https://mohammedalwan.com/?p=138>.

(٢) محمد علوان، موز ريدة، ط ١، الرياض، دار أدب للنشر والتوزيع، ١٤٤٤هـ - ٢٠٢٣م، ص ٧.

بتفاصيل المكان، أو إثارة فضوله لمعرفة تاريخ المكان وتراثه، ويضطلع المكان بدور مؤثر في تشكيل الرؤى الفكرية والاجتماعية والفنية التي يعمد إليها القاص، ليحمل قيمة رمزية تتصل بتجسيد المكان.

ويأتي جبل (تهلل) كأحد أبرز المواقع الجغرافية التي دارت فيها أحداث مجموعته القصصية التي حملت اسمه، وهو أحد جبال أبها الشهيرة القابعة في الجنوب الغربي من المملكة العربية السعودية، ويحتضن قرية (السودة) المعروفة، ويبدو الجبل كأنه «حارس يفتح للشمس بابا للغروب ويودعها وهي تتجرد لتدخل البحر»^(١)؛ ولذلك فقد مثل اختيار المكان الجغرافي مرجعية ثقافية تمد النص القصصي بكثير من الأبعاد الثقافية والاجتماعية، ويظهر ذلك من خلال وصفه للجبل، فهو جبل له «حكاياته التي خبأتها الأيام عن الليالي... باحثة عن سر الحكايات المتشابكة مع شجر اكتهل مثقلا بقصص الجن والإنس وطروق الثلاية التي تختفي ملاحظهم، ثم تستبين مع هدأة الليل حيث ينبت العشق»، وهو -أي تهلل- «ذاكرة الناس الذين عبروا بين الأشجار مثقبة قلوبهم بشظف الحياة والبحث عن عمل أو أمل ينجيهم من فقر قراهم»، وهو «رفيق الغيم الدائم، وفي صمته تحتزن حكايات الأولين والآخرين».

إن اختيار (تهلل) مسرحاً لأحداث الحكايات القصصية كان مسوّغاً ومهيئاً لما تحمله تلك الحكايات من مضامين ترتبط ارتباطاً وثيقاً بحياة الجبال، ومدى ارتباط الإنسان بجذوره وانتماؤه إلى المكان الذي نشأ وترعرع فيه، وما يعايشه من هموم وصعوبات تزداد بمرور الأيام، وكيف استطاع حماية تاريخه وعاداته من زحف المدن وتأثيرها في قرى السهول، إضافة إلى ما تحمله حياة الجبال من موروث ثقافي وأسطوري نما في بيئة مليئة بالأسرار والغيبيات التي تختبئ في كهوف الجبال ووديانها وغاباتها؛ ولذلك فقد حملت حكايات (تهلل) عدداً من الموضوعات والقيم الثقافية والاجتماعية كما سيمر بنا.

وفي قصة (موز ريدة) يصف القاص عدداً من المواقع الحقيقية في رحلة الفتاة ومرافقيها من أعالي الجبال إلى المشفى في ضواحي أبها؛ حيث ساقهم الطريق مروراً بـ(المسقي) و(القرعاء)، ثم اتجهوا بعد ذلك إلى قرى (الشرف) وصولاً إلى (سوق الثلاثاء)^(٢)، وهي أسماء أماكن حقيقية، تكشف عن طول الرحلة وصعوبتها؛ لمرورهم بعدد من الأودية

(١) محمد علوان، تهلل: حكايات الجبال، ط ١، الرياض، دار تشكيل للنشر والتوزيع، ٢٠٢٢م، ص ١١.

(٢) ينظر: علوان، موز ريدة، ص ١٢.



والغابات وصولاً إلى المشفى؛ ليعوّل القاص بذلك على ثقافة القارئ ومعرفته بالأماكن، ويمكن أن نقف على ملمح طريف حين أشار القاص إلى ذهابهم إلى (سوق الثلاثاء) -رغم بعده- بعد فراغهم من زيارة المشفى في (المسقي)؛ ذلك أن أهالي الجبال يغتنمون فرصة نزولهم من أعالي الجبال لزيارة السوق وحمل ما يحتاجونه من ضروريات الحياة؛ إذ لا يتهياً لهم فعل ذلك على الدوام.

• أنواع التقاطب المكاني:

وتنهض دراسة الفضاء المكاني باستعراض التقاطب المتمثل في الثنائية الضدية التي يشكّلها المكان؛ وذلك بالنظر إلى ضدية المكان المفتوح والمغلق، والمألوف والمعادي، والخاص العام، والداخل والخارج، وغير ذلك من الثنائيات المؤثرة في بنية الفضاء المكاني، وهو تقاطب يحيل على علاقات تحدث بفعل اتصال السارد وشخصياته بأماكن الأحداث^(١)، وقد أشار غاستون باشلار لهذه التقاطبات في دراسته للمكان من حيث الألفة، والانفتاح والانغلاق، ودلالة القبو والعلية^(٢)، تلا ذلك عناية النقاد البنيويين والسيمائيين بالتوسع في دراسة دلالات التقاطب وأثرها في بنية النص السردي.

وتأسيساً على ذلك سيقف البحث على أهم التقاطبات التي شكّلها الفضاء المكاني في قصص علوان، وهي: المكان المفتوح والمغلق، والمكان المألوف والمعادي.

أولاً: المكان المفتوح والمغلق:

يُعرف المكان المفتوح بأنه «المكان الموصوف بالانفتاح والاتساع، ولا يوجد له حدود تحدّه أو أبعاد ضيقة خانقة له»^(٣)، وهو المكان الذي تنضوي داخله الأماكن المغلقة، ويتيح للشخصيات التنقل وصناعة الأحداث والالتقاء بالآخرين دون حدود ضيقة كالشارع والسوق والقرية والمدينة، أما المكان المغلق فيتمثل في المكان المحدود القابع داخل المكان المفتوح، وهو ما يلجأ إليه الشخص أو يدخل فيه بعد أن كان في المكان المفتوح، كالمسجد والبيت والغرفة والمكتب.

(١) ينظر: عبد الملك آل الشيخ، تقاطب الفضاء في المجموعة القصصية تضاريس الرخام، مجلة العلوم العربية، العدد الخامس والستون، ١٤٤٣هـ، ص ٣٥٧.

(٢) ينظر: باشلار، جماليات المكان، ص ٣٥.

(٣) ينظر: آل الشيخ، تقاطب الفضاء، ص ٣٥٨.

ولعل الجبل بمكوناته وتضاريسه يمثل المكان المفتوح في عدد من قصص علوان؛ فأصبح الجبل عالماً فسيحاً للإنسان، يسعد فيه بأوقات الصفاء، ويتكيف مع صعوبات الحياة فيه، ومن ذلك ما ورد في قصة (الرماد) على لسان الطبيب وهو يصف حال الرجل الجبلي الذي دخل العيادة مع ابنتيه: «هم قادمون من هناك، من الجبال البعيدة، حيث ينبت الطلح والحجارة، وتطر السماء.. الرعاة من جبل لآخر وراء الأغنام، خلف أحلامهم.. وصوت حزين يصدر من الحناجر تردد صدها رؤوس الجبال، حيث لا يملك الإنسان إلا الغناء»^(١)، ويأتي سياق الحكاية على بيان أثر الحياة الجبلية في هيئة الإنسان وسلوكه، وكيف يتشكل في هذا الفضاء الرحب، ويظهر ذلك الأثر في قول الطبيب: «الوجوه، الأيدي، الأقدام؛ نُحِتَتْ من هذه الجبال السوداء، تَجَهَّمَتْ، قُست عليها الحياة.. تجري لاهثة وراء الأغنام. أعتزف لهم بشيء واحد؛ مقدرتهم الفائقة على التحمل والصبر، ويملكون من الطيبة الكثير»^(٢)؛ ذلك أن طبيعة الحياة تقسو عليهم في جوانب كثيرة ينعكس أثرها في تكوينهم وما يتصفون به من شدة وحزم، وينعمون بطبيعة ساحرة وحياة ألفة تسهم في ترقيق طباعهم وتصفية نفوسهم، ويظهر ذلك من خلال توظيف فضاء الجبل في قصة (موز ريدة): «كان منزلهما في قمة جبل ترقق به السحب والبروق والرعود التي تمنح العائلة الصغيرة معنى وطعماً مختلفاً للحياة»^(٣).

وقد كانت القرية الجبلية من أهم معالم الفضاء المفتوح التي تردد ذكرها كثيراً في قصص علوان، إلا أنها في الوقت ذاته قد ضمت في طياتها عدداً من الأماكن المفتوحة والمغلقة، فشوارع القرية وأسواقها ومراعيها تعد فضاءات مفتوحة تشكلت فيها بعض الأحداث القصصية؛ وكان حضور (السوق) كمكان مفتوح قد تكرر في عدد من القصص، مثل سوق الاثنين في قصة (المرأة المشروخة)، وسوق الثلاثاء الذي كان مسرحاً لإحدى حكايات مجموعة (تهلل)؛ حيث يفتح القاص حكايته ببيان منزلة السوق، وما تحمله ذاكرة المكان من قصص وأحداث: «المدينة تحتفل كل مساء بالقصص التي تروى على موائد الطعام وذكريات (سوق الثلوث) وحكاياته الملونة، لكل بيت حكاية خاصة به... سوق الثلوث عرس اجتماعي يفدون إليه من تهامة والسراة، يحملون بضائعهم المختلفة من

(١) مدونة محمد علوان، قصة الرماد، على الرابط: <https://mohammedalwan.com/?p=152>.

(٢) مدونة محمد علوان، قصة الرماد، على الرابط: <https://mohammedalwan.com/?p=152>.

(٣) علوان، موز ريدة، ص ٧.



الخطب والفحم وأنواع الفواكه والخضروات...»^(١)، ويقدم القاص وصفا جغرافيا للمكان، يعكس أهمية السوق في توسطه للمرافق الحيوية، ليكون بذلك مكان اجتماع الأهالي: «مبنى البلدية الذي يقع في الجنوب من السوق، الدكاكين تحيطه من ناحية الشرق حيث تفضي إلى حارة (مناظر) وحارة (البديع) وحارة (الربوع) في شمال السوق، ثم تلك التلة الرابضة غربا متجهة إلى ساحة البحار حيث مبنى الشرطة فالجامع الكبير، وجنوبا مبنى الإمارة»^(٢)، ولم يكن هذا السرد والتوصيف لمكان السوق ومكانته إلا تهيئة للحدث الأبرز الذي تشكلت فيه سائر أحداث الحكاية حين قُطعت يد (حنش) وعُلِّقت على «عود الإتريك» في منتصف السوق؛ لتأخذ الحكاية منحى جديدا من خلال الاسترجاع الزمني لسرد أحداث قصة (حنش) القادم من أعالي الجبال، يتبع أحلامه بعد أن خَلَف وراءه أهله ومحبوبته (نالة).

ويمكن أن يلحظ القارئ ما تمثله شوارع القرى الجبلية ومرافقها من حميمية ودفع ناتج عن روح الألفة والمحبة بين أهالي القرى، ويتمثل ذلك في تجاور البيوت وتداخلها حتى كأنها قد أصبحت بيتا واحدا يضم أهل القرية، ويصبح سوقهم ساحة واسعة تتجلى فيها الصلات الاجتماعية والتواصل الدائم بين أهل القرية من جهة، وزوار السوق ومرتابيه من جهة أخرى، إضافة إلى أن وصف المكان المفتوح يحمله بمعاني الألفة من حيث وصف التضاريس، والشوارع، والمنازل، والمرافق، ووصف حركة حيوانات القرية الأنسة وأصواتها، ووصف الأزهار والنباتات العطرية التي تفوح رائحتها في جنبات البيوت والأسواق، كل ذلك يسهم في تشكيل ذاكرة المكان، وبناء صورة متكاملة للقرية الجبلية شكلا ومضمونا.

وفي مقابل الأماكن المفتوحة تحضر الأماكن المغلقة التي دارت فيها بعض الأحداث القصصية لتتشكل في داخلها كثير من المعاني والدلالات التي عمد القاص إلى توظيفها، وربطها بالفكرة الرئيسة التي تدور حولها الحكاية، وفي هذا الإطار يبرز المسجد أحد أهم الأماكن المغلقة الواردة في قصص علوان، كما جاء في حكايات جبل (تهلل) عندما صعد البطل إلى الجبل، حيث وصل إلى قرية (السودة) بعد مسيرة سبع ساعات يقطع فيها الأودية والغابات، يحفُّه فيها برد شديد، ثم دخل «إلى المسجد الصغير.. أنفاس المرتادين وملابسهم الصوفية الثقيلة التي يرتدونها تمنحني شعورا بالدفع، وضوء الفانوس وذباته التي

(١) علوان، تهلل، ص ٢٧.

(٢) المصدر نفسه.

يحرك شعلتها الهواء تمنح وجوه المصلين ملامح غريبة لا أكاد أستبينها»^(١) إن الشعور الحسي بالدفء يتضمن في داخله شعورا معنويا بالدفء لاعتبارات متعددة؛ إذ إن المسجد يمثل مكان الطمأنينة والسكينة والدفء الروحي عندما يكون الإنسان على اتصال بخالقه، يأنس به ويلجأ إليه من صعوبات الحياة ومعاناتها، إضافة إلى ما تحمله عمارة المسجد بالمصلين من شعور بالراحة والسكينة، ولا ريب أن وصفه للمسجد بـ«الصغير» يزيد من الشعور بالدفء النفسي؛ إذ إنَّ صغر المساحة تتضمن معنى امتلاء المسجد وهو ما يكشفه من خلال وصف الدفء الناتج عن «أنفاس المرتادين».

وفي موضع آخر يتحدث عن المسجد كمصدر للأمن والأمان، ومقر للقرارات السياسية والاجتماعية، «كل مسجد لدى أهل الجبال يحمل معنى آخر غير الطقس الديني المعتاد... المسجد أيام الخوف والهلع المكان الوحيد الذي يصدر أمر الدفاع أو الهجوم، وهو في وقت السلم مجلس الشورى المنتقى من أهل القرية»^(٢)، وهو وصف يحيل على مركزية المسجد ودوره المؤثر في الحياة القروية، وتقوم معه الذاكرة باستدعاء الدور الريادي للمسجد في التاريخ الإسلامي حين كان بمثابة مركز متعدد المهام.

ولا تلبث الأماكن المفتوحة والمغلقة أن تندمج وتتداخل لتعطي دلالة التشارك والاندماج بين أهالي القرية لتصبح بمثابة الأسرة الواحدة، ومن ذلك ما ورد في قصة (السيرة) حين اشتد المطر على مدينة أبها وقراها وكأنه «ماء كثيف تدلقه السحب السوداء على الوديان والأرض والبشر والمنازل الطينية المتشابهة»^(٣)، فيئن وادي أبها من شدة السيل، وتتبعه حبات البرد التي تعري الأشجار من أوراقها، ومع شدة المطر والسيول الجارفة لم تصمد بعض منازل القرى والأحياء فاضطر أهلها للخروج منها ليجمعوا في المنازل الكبيرة أو في مخيمات المتضررين، وهنا يبدأ مشهد تحول المكان المغلق (المنزل الكبير) ليكون بمثابة مكان مفتوح لاجتماع الناس فيه، أو يتحول المكان المفتوح (الساحة العامة) إلى أماكن مغلقة (الخيام)، مما هيأ للسكان أسباب التقارب والتعارف عن كثب، ونشأت صداقات جديدة في هذه البيئة الجديدة التي لجؤوا إليها.

وإذا دققنا النظر في حضور المكان المفتوح والمغلق في قصص علوان، وجدنا حضورا طاغيا للمكان المفتوح على حساب المكان المغلق؛ ولعل ذلك راجع إلى عنايته بالمعاني

(١) علوان، تهلل، ص ٢٢.

(٢) علوان، تهلل، ص ٧٠.

(٣) علوان، موز ريدة، ص ٤٩.



والدلالات الكبرى التي تتشكل في الفضاء العام، وما تحمله القصص من مرجعيات ثقافية واجتماعية تتكون في فضاءات عامة كبرى، أما المكان المغلق، فإن حضوره مرتبط بالدلالات النفسية والشعورية النابعة من النظر التأملي في سياق الحكاية، فناسب أن تدور تلك الأفكار والمعاني في الأماكن المغلقة.

ثانيا: المكان المألوف والمُعادي:

إن الحديث عن ألفة المكان يحيلنا على دراسة غاستون باشلار التي انطلقت من (البيت) وما يحمله من قيم الألفة، وذكريات الإنسانية وأحلامها^(١)، فهو العالم الصغير الذي تعيش فيه الأسرة وتتكون فيه شخصياتهم وسلوكياتهم وعواطفهم قبل تأثرهم بالعالم الخارجي؛ لذلك فقد شاعت دراسة فضاء (البيت) في الأعمال الأدبية، ومظاهر تأثرها أو تأثيرها في سياق الحكاية والشخصيات والأحداث، ولو نظرنا إلى المنجز القصصي لمحمد علوان سنجد (البيت) يمثل مكان الألفة بجلاء في مواضع متعددة، إلا أن القرية بوصفها (البيت الكبير) قد حظيت باهتمام بالغ من القاص، جعلها تتبوأ المنزلة العليا بوصفها مكانا مألوفاً، في مقابل المدينة التي تمثل المكان المعادي لأهل القرى؛ نتيجة التباين بين البيئتين، واختلافهما في كثير من العادات والسلوكيات؛ مما جعلهما قطبين رئيسين يحملان عددا من الثنائيات الضدية.

تظهر عناية القاص بالقرية من خلال الوصف الدقيق واستفزاز الحواس لإشراك المتلقي في الجو العام للقصّة، ففي قصة (دامسة) يتشكّل النص «ضمن سياق سردي يجعل من المكان سلطة عليا»^(٢)، ويتجلى فضاء القرية لاحتضان جدلية العلاقة بين الرجل والمرأة، بحثاً عن السكنينة التي يحتاجها كل منهما، وغياب الرغبة في ظل ضبابية الموقف وصعوبة الوصول، «شاهد قريته الحبيبة تكاد تنطق مداميك مبانيها، نتوء أحجارها، أبوابها الكثيفة، نوافذها الصغيرة، شعر لحظتها أنها تشاركه فرحة خبيثة، تكاد تفضحه رغبة في الصراخ والإعلان عن حبه لدامسة»^(٣)، وتتعزز مكانة القرية في نفسه بعد أن وجد فيها الفتاة التي سلبت عقله وتفكيره منذ أن رمقته بنظرها وهي تقول «الله ياخذ عقلك»؛ ليصبح سياق هذه الكلمة شرارة أشعلت النار التي لم يستطع إخمادها.

(١) ينظر: باشلار، جماليات المكان، ص ٣٨.

(٢) النعمي، جدلية الإنسان والمكان، ص ٤١.

(٣) مدونة محمد علوان، قصة دامسة، على الرابط: <https://mohammedalwan.com/?p=138>.

وفي سياق آخر تظهر القرية بالصورة التي تظهر تألف الناس وارتباطهم ببعضهم، وأثر ذلك التقارب الذي ينشر المحبة بينهم، «في القرية يعرف الناس بعضهم البعض، تاريخ كل عائلة ومزاجهم وعاداتهم، يحفظون أسماء حقولهم، آبارهم.. وديانها، جبالها وما ينبت بها من حشائش وأشجار، ولذا تنشأ المحبة»، ويبرز هذا الارتباط والمحبة للقرية والبيئة الجبلية في الدفاع عنها أمام خصومها أو من يحاول الانتقاص منها أو من أهلها الذي تأثروا بها؛ ففي قصة (مدونة البحر) يدور حوار بين شخصية الجبلي وتاجر الأسماك «هناك دول ولغات وأوطان تختلف عنا أيها الجبلي! شعر بأنه غمزه، لكن الجبلي لم يتركها له، قال موجهًا له الكلام: أعرف ذلك يا أكل السمك والسمّاكين»^(١)، إضافة إلى أن بساطة الحياة الجبلية تجعل من القرية وطنا دافئا مليئا بالأحلام: «الأماشي محدودة.. الحقل الصغير، المنزل، المرأة، إلا أن الحياة ذات إيقاع سريع غيرت الكثير من الأفكار والمبادئ.. والكثير من الأحلام»^(٢).

وفي إحدى حكايات (تأمل) يُقدم طبيب سوري إلى إحدى مستشفيات قرى أبها، وبعد أن عاش أهلها وأحبهم قرر أن يوطد علاقته بهم بالزواج، فتزوج من الفتاة (شريفة) التي غادرت قريتها بعد ذلك ورافقتها إلى دمشق، ولم تُنسها حياة الشام ورفقة زوجها وبناتها موطنها الأصلي، وظل الحنين يكبر في نفسها يوما بعد يوم، و«ذات ليلة سمعها زوجها وهي تجهش بالبكاء وتصرخ: الله.. ما أبعدك يا الجنوب!»^(٣)، وهو شعور ينبئ عن شدة التعلق بالأرض، والشوق إلى أهلها وذكرياتها وحياتها القديمة، ويتجلى ذلك في نداء الوطن واستشعار بُعد المسافة التي يتوارى خلفها عمق الأسى والحنين.

ويتكرر الحلم بالعودة إلى القرية هروبا من حياة المدن في قصة (مدونة البحر) حين يقرر أحد سكان الجبال مغادرة قريته قاصدا البحر يبحث عن خياراته وثرواته، إلا أنه ما فتئ الحنين يغزوه ليغريه بالعودة إلى قريته «كان كل ليلة يغزوه الحنين لقريته التي لا تتبدل فيها الوجوه، وكأن سكانها وُلدوا من أم واحدة وأب.. بعد صلاة كل فجر يسير إلى الشاطئ ويغني طروقا [أي ألحانا] جبليّة، وكأن الحنين يجذبه لأعالي الجبال ورائحة أشجار العرعر في

(١) علوان، موز ريدة، ص ٦٤.

(٢) مدونة محمد علوان، قصة النجم والحناء، على الرابط: <https://mohammedalwan.com/?p=155>

(٣) علوان، تأمل، ص ٩٦.



وقفقتها الشاخمة تناديه: تعال»^(١)، إن فتنه البحر واتساعه وندى أمواجه لم تكن قادرة على إغواء ابن الجبل إيقاعه في شراكها؛ لأن قلبه قد امتلأ بحب موطنه الذي نشأ فيه وترعرع، وعندما فارقه ظل يحلم بالعودة إليه.

وكثيرا ما تظهر القرية مكانا للألفة عند مقارنتها بالمدينة التي تمثل المكان المعادي لمن اعتاد حياة الجبال وهدهدها، وتأتي قصة (النجم والحذاء) لتكشف عن القرية العامرة بالألفة والمدينة الموحشة من منظور نفسي، «أيتها المدينة الموحشة كم يخشاك الإنسان، يخاف من مواجهة الأشياء... الضياع في المدن الكبيرة، الخوف في المدن الكبيرة، وحوش لا ترحم»^(٢)، وفي مقابل هذه الصورة الموحشة للمدينة تُطلُّ القرية في السياق ذاته لتصور القروي في المدينة وهو «ينام ليحلم بالقرية والحبيبة وبالبقرة الحلوب»، عندها يشعر بالدفء والطمأنينة، وهو شعور يعكس مفارقة الحلم؛ إذ إن من عادة الإنسان أن يحلم بالانتقال والتغيير، إلا أن الحلم هنا يتجلى في العودة إلى الحياة السابقة ومغادرة وحشة المدينة.

وتستمر هذه الرؤية التي تصف وحشة المدينة لتكون مكانا عدائياً لأبناء الجبال في عدد من القصص، فتارة تكون وحشا يلتهم القادمين إليها^(٣)، وتارة تكون غولا ينهش طيبة القرويين ويبدّل طباعهم^(٤)، وتشكل هذه الرؤية من خلال النظرة المقارنة بين القرية والمدينة، بين الفضاء المتسع الذي تبرز فيه ألوان الطبيعة وأصواتها ورائحة أزهارها، والفضاء المكتظ الذي لا تستبين ألوانه، وتختلط فيه أصوات الحياة، وتعدم فيه رائحة الطبيعة؛ ولذلك فقد كانت ألفة المكان وعدائته نابعة من شعور نفسي يحمل كثيرا من الدلالات التي تشير إلى طبيعة الإنسان المنتمي إلى بيئته الجبلية في علوّها وسموّها وجمالها، فإذا غادرها ضاق في نفسه الفضاء الرحب، وتبددت معالمه، واستوحش المكان.

(١) علوان، موز ريدة، ص ٦٤.

(٢) مدونة محمد علوان، قصة النجم والحذاء، على الرابط: <https://mohammedalwan.com/?p=155>

(٣) المصدر نفسه، قصة كانت النقطة ضيقة، على الرابط: <https://mohammedalwan.com/?p=153>

(٤) علوان، تهلل، ص ٣٠.

المبحث الثاني: الفضاء الدلالي

يُمثل الفضاء الدلالي أحد الأنواع الرئيسة لدراسة الفضاء في العمل الأدبي، ويسعى لرصد المعاني المجازية المتوارية خلف توظيف المكان، واستبطان المعاني الظاهرة لكشف الدلالات الخفية؛ لأن كل مكون من مكونات السرد يحمل عدداً من الوظائف التي تحمل -ضمننا- المعاني والدلالات؛ إذ «لا يمكن للفضاء أن يكون مجرد مكوّن مرمي في مساحات النص [السرد] بلا معنى»^(١)، ولذا فإن الفضاء الدلالي يهتم بالحفر في عمق البنية التكوينية للعمل الأدبي وتحليل مكوناتها، وصولاً إلى المعاني الخفية التي تكشف عن الرؤية التكاملية للنص، ويرى بعض النقاد أن الفضاء الدلالي «يتأسس بين المدلول المجازي والمدلول الحقيقي... وهو يشير إلى الصورة التي تخلقها لغة الحكيم وما ينشأ عنها من بُعد يرتبط بالدلالة المجازية بشكل عام»^(٢)، فهو لا يكتفي بالمعنى الظاهر للخطاب السردى، ولا يقتصر كذلك على بيان الدلالة الخفية، بل يسعى إلى رصد العلاقة بين المعاني وتتبعها في الخطاب؛ لكشف الرؤية الشاملة بين عناصر الخطاب وفضائه.

ويمكن للمتأمل في قصص علوان أن يلحظ تجاوزها للفضاء الجغرافي وصولاً إلى الفضاء الدلالي المتسم بالثراء والتنوع نتيجة تعدد الموضوعات والاتجاهات القصصية التي تعالج عدداً من القضايا الاجتماعية والوجدانية، وتتداخل التجارب الإنسانية في بنية الخطاب القصصي، لتعبر عن جوانب نفسية وجودية من خلال تشكيل الشخصيات والأحداث، وتوظيف ذاكرة المكان المحملة بالدلالات التاريخية والاجتماعية.

وتبرز قيمة الفضاء الدلالي في قصص علوان بما يحمله من المعاني الإنسانية والقضايا الوجودية التي تتمثل في صراع الذات والآخر، وجدل الهوية، وقيمة الذاكرة، وصناعة التاريخ، وفلسفة العادات الاجتماعية، إلا أن تلك الدلالات كثيراً ما تكون مرتبطة بالمكان؛ إذ تأخذ الدلالة -من منظور القاص- بُعداً آخر عندما ترتبط بالبيئة الجبلية، ويظهر ذلك من خلال المقارنة بين البيئات المتعددة كبيئة السهل والجبل، القرية والمدينة، والساحل والجبل، والوطن والغربة؛ وربما يتجلى هذا المعنى في اعتماده على توظيف الأساطير في الفضاء الجبلي، وهو ما يسوّغ بروز الأسطورة لتكون ظاهرة بارزة في قصص علوان.

وقد استطاع القاص في توظيفه لفضاء الجبل ترشيح كثير من الدلالات والمعاني التي

(١) نجمي، شعرية الفضاء، ص ٨٤.

(٢) لحمداني، بنية النص السردى، ص ٦٠-٦٢.



يبرزها الخطاب السردى، ويعززها سياق الحكاية، وكان اختيار البيئة الجبلية وما تتصف به من اتساع الأفق؛ عاملاً مؤثراً في بنية الحكاية وتكوين الشخصيات والأحداث، ومن هنا فقد مثل المكان انعكاساً للحالة النفسية المرتبطة بالتجربة، فتأخذ الشخصية نصيبها من حياة الجبل على المستوى الخارجى للبنية الجسدية، والمستوى الداخلى كالحالة النفسية والطباع والسلوكيات، ويظهر ذلك في عدد من قصص علوان؛ ففي قصة (الاتجاه شرقاً) يتجسد الصراع النفسى بين القلب والعقل، بين حفظ الأرض والوطن وحفظ الروح والمحبة، إلا أن الحياة بمقدورها تفسير الأحداث، ووضع المسوغات التي تُرجح الكفة. ويأخذنا سياق الحكاية إلى صراع داخلي للبطل يغالب فيه شعوره ودموعه عند استشهاد أخيه، «البكاء للنساء.. حكمة قديمة حين كان الرجل يملك الصحراء الواسعة، أما وهو يعيش في حديقة تنبت الياسمين، ويربي بجانب أطفاله القطط والكلاب؛ فصواب. وهناك الجبل يزرع الحجارة، الأرض ليست مستوية وإلا لكان الجميع سعداء. الشمس تصنع الظل، الكراهية تلد الحب، ليس هناك أطراف؛ كل شيء نسبي»^(١)، إن وجود الجبل في هذا السياق يحمل دلالة التنوع، ويثير فضول الإنسان إلى عوالم غامضة تشبه تنوع عوالم النفس وتعددتها، فكما أن حياة الصحراء لها ما يناسبها من العادات والسلوكيات؛ فإن حياة التمدن أيضاً لها ما يناسبها، وحياة الجبال تأخذ شكلاً آخر تتشكل فيه الشخصيات والعادات.

وفي قصة (تموت وحدك) تتكرس فكرة مكاشفة الذات وتعريتها، وحجتها للخروج من الدائرة الضيقة التي يحصر الإنسان فيها نفسه وفكره؛ لينطلق إلى فضاءات وأبعاد أخرى تمكنه من اكتشاف ذاته، والتعرف على الكون من حوله، الكون الحقيقي بعناصره المختلفة، والكون الذاتي الذي تهيم فيه الأفكار والمشاعر وتتشكل فيه الحالة النفسية، وقد وظف القاص (الجبل) ليكون أنموذجاً دالاً على اتساع الأفق ورحابته، وامتلائه بالأسرار التي يقف الإنسان عندها متأملاً، «أخرج من صومعتك الذهبية. اذهب إلى جبال تملؤها الحجارة الجبلية بأسرار الكون والناس، تلفها الأشجار الصامتة برهبة ووحشة، اذهب إلى قرية يأكل الذباب عينها الوحيدة، حيث يعيش الرجل والمرأة تحت الشمس والليل والأحزان، غير نعمة وخمس من ماعز يركضون وراءها من مكان لآخر، وبعدها يبيعون تعبهم في سوق يربح فيها المشتري»^(٢)، ولا ريب أن اتساع الأفق ورحابته معادل لاتساع الذات ورحابتها

(١) مدونة محمد علوان، قصة الاتجاه شرقاً، على الرابط: <https://mohammedalwan.com/?p=113>.

(٢) مدونة محمد علوان، قصة تموت وحدك، على الرابط: <https://mohammedalwan.com/?p=114>.

متى ما أدرك الإنسان ذلك؛ إذ إن انكفائه على ذاته يحدُّ من مدى رؤية الحقيقة، واكتفاء الإنسان بما يسمع من الآخرين يرسم له الحدود الضيقة، ولا سبيل إلى الخروج منها إلا بتحرره من قيود أفكاره وظنونه.

ولعل رمزية العلو والبعد التي عززتها قصص علوان في تموضع القرى الجبلية من خلال سياقات مختلفة تسهم في خلق دلالات متعددة: «الجبال التي لا أرى منها سوى زرق السماء»^(١)، «أتعرف... جبلاً يُغريك بالتحليق؟»^(٢)، «الجبال التي تحلم بلمس أقدام السحاب»^(٣)، «الرعاة من جبل لآخر وراء الأغنام، خلف أحلامهم، وصوت حزين يصدر من الحناجر تردد صداه رؤوس الجبال، حيث لا يملك الإنسان إلا الغناء»^(٤)، «الجبال تصعد عبر الغيم إلى السماء»^(٥)، «جاء رجلٌ من أقصى قريته الجبلية الملتصقة بالسماء»^(٦)، تتجلى من خلال هذه الرؤية قيمة المكان بتحقيق العزلة التي تتيح للإنسان أن يبقى متأملاً في الكون وأسراره، وفي الذات وتجلياتها، وفي الطبيعة وجمالها؛ فينظر إلى الأمور من جوانب مختلفة تبعا للمكان الذي نشأ فيه، ويظهر ذلك أيضاً في تأثير هذه البيئة على تكوين الشخصيات القصصية، إضافة إلى دلالة الحلم المنبثق من العلو، وهو ارتفاع يطير بالنفس البشرية إلى آفاق عليا؛ وهذا ما أظهرته سياقات القصص أن الجبلي يظل يحلم بالمستقبل، ويحلم بالتغيير، ويحلم بالمدينة؛ فإذا وصل إلى حلمه ظلَّ يحلم بالعودة إلى حيث كان.

وفي حكايات (تهلل) التي دارت أحداثها في قرى الجبال يحملنا السياق إلى تعزيز الشعور بالحرية عندما ينطلق الشاب أو الفتاة في الفضاء الجبلي صعوداً وهبوطاً خلف أغنامهم في المرعى، أو من أجل الاحتطاب الذي ارتبط بالمرأة أكثر من الرجل، والسياق هنا يصور الفتاة وهي تتربح لحظة الاحتطاب؛ وكأنها تخرج إلى عالم فسيح على خلاف المنزل الصغير الذي تقضي فيه جُلَّ وقتها، «كان أجمل موعد لديها اليوم الذي تقضيه مع صاحباتها في

(١) المصدر نفسه، قصة خضراء، على الرابط: <https://mohammedalwan.com/?p=112>.

(٢) المصدر نفسه، قصة العرس، على الرابط: <https://mohammedalwan.com/?p=131>.

(٣) المصدر نفسه، قصة الخروج من الدائرة، على الرابط: <https://mohammedalwan.com/?p=159>.

(٤) مدونة محمد علوان، قصة الرماد، على الرابط: <https://mohammedalwan.com/?p=152>.

(٥) علوان، تهلل، ص ٩.

(٦) علوان، موز ريدة، ص ٥٣.



الاحتطاب من الجبال البعيدة عن القرية، وكأنها تمتلك الحرية كاملة والوقت العذب الذي تترقبه من حين لآخر»^(١)، ولم تنطلق الرؤية من كونه عملاً شاقاً يأخذ من الفتاة كثيراً من الجهد والوقت بقدر ما هو وقت صفاء تترقبه الفتاة لتصنع ذكرياتها وترسم أحلامها برفقة صديقاتها، و«يبدأ [الاحتطاب] بعد صلاة الفجر وينتهي قرابة مغرب ذلك اليوم، يأكلن خبزة القمح ويشربن من الجداول التي تتخلل الجبال نقية، وتزيد متعتهن ترقباً لرحلة قادمة من الفرح والحرية التي يرعاها الأهل كطقس جبلي معتاد»، وينهض السرد بوظيفة تفسيرية لدلالة الحرية؛ إذ إن طول الوقت -من الفجر إلى الغروب- واتساع المساحة الجغرافية -الجبال البعيدة- وما يتخللها من أوقات مخصصة للأكل والشرب بصحبة الفتيات، كل ذلك يفسر الشعور بالحرية، ويسوّغ ترقب موعد الاحتطاب القادم، كما أن استمرارية العمل بشكل متكرر -طقس جبلي معتاد- يحقق دلالة الحرية، فهو شعور دائم لدى أهل الجبال، وبخاصة النساء.

ولا يخفى ما يحمله فضاء الجبل من دلالة الغموض واكتنازه بالأسرار؛ ولذلك فقد كانت الحياة الجبلية مليئة بالقصص والأساطير التي تدور في فضائه الواسع، وفي غاباته وشعابه وكهوفه، وحضرت تلك الأساطير والعجائبية في كثير من قصص علوان؛ لتمتج التجربة بالبعد الأسطوري، وهو حضور يكشف عن المعتقدات التي تدور في النفس البشرية المنعزلة؛ فمهما كان فضاء الجبل جميلاً في طبيعته المحسوسة، إلا أنه يحمل في طياته وحشة شعورية وخوفاً من المجهول الذي يتربعون أثره كل مساء.

وعند إمعان النظر في القصص الأسطورية في مجموعات علوان القصصية نلاحظ عنونتها باسم الجبل الذي تدور حوله تلك الأساطير، مثل مجموعة (تهلل) التي كرس فيها القاص دلالة الغموض واكتناز الجبل للأسرار: «كل جبل له حكايات خاصة به... لجبل تهلل حكاياته التي خبأتها الأيام... باحثة عن سر الحكايات المتشابكة مع شجر اكتهل مثقلاً بقصص الجن والإنس وطروق الثالابة»، «تهلل رفيق الغيم الدائم، وفي صمته تحتزن حكايات الأولين والآخرين»، ولا يلبث أن يؤكد حضور الأساطير التي جعلت الجبل مهاباً: «يقال في تهلل: إنه لقبيلة من الجن سكنته منذ أعوام سحيقة»^(٢)، وكأن افتتاح القاص لمجموعته القصصية بهذا الوصف يحيل إلى رمزية تلك الأساطير التي أصبحت أحد عناصر التكوين الثقافي والاجتماعي عند أهل الجبال؛ حيث إن الرمزية الأسطورية

(١) علوان، تهلل، ص ٧١.

(٢) علوان، تهلل، ص ١٠.

«حكاية مجهولة المؤلف تتحدث عن الأصل والعلة والقدر، يُفسّر بها المجتمع ظواهر الكون والإنسان»^(١)، ومن هنا فقد شكّلت الأساطير دلالات رمزية أسهمت في كشف النزعة الإنسانية تجاه الخوف والترقب، ومحاولة تفسير الظواهر الطبيعية بالعوالم الخفية التي لا يجد الإنسان سبيلا لاكتشافها.

ولم يكن توظيف الأسطورة ترشيحا أو تأكيداً لرمزيتها مطلقاً، بل نَحَتْ منحى آخر يتمثل في نقض الفكرة من خلال التجربة، ويظهر ذلك في قصة (جبل حرفة) الذي شاعت حوله أسطورة الجن والشعر؛ حيث إن المرء إذا صعد الجبل وبات ليلته هناك يصبح شاعراً من فوره، ومن خلال التجربة وتغلب الإنسان على مخاوفه استطاعت (زهراء) أن تقنع أبائها أن يصحبها لقضاء ليلة في أعلى الجبل لتصبح شاعرة، وبعد تلك الليلة عادا إلى المنزل دون موهبة الشعر، وأصبحت والدتها تدعوها بسخرية «مرحبا ألف بالشاعر والشاعرة»^(٢)، ليثبت القاص أن الأسطورة كانت محض خرافة متداولة من صنيع الإنسان، ناتجة عن استسلامه لمخاوفه وخيالاته.

أما قصة (دامسة) فقد ارتكزت على توظيف أسطورة (عنز الجبل)، وهي جنّة قررت الانتقام بعد أن فقدت حبيبها الإنسي، فسكنت أعالي الجبال، وتمثّل رعبها في أنها «حين يصرخ حيوان أو إنسان فإن هذه العنز اللعينة تعيد الكلام؛ فيخترم القلوب هلعاً يعجل بالخطى ويخرس الألسن»^(٣)، إلا أن سياق القصة قد اتخذ من هذه الأسطورة رمزاً للإنسان العاجز على الخروج من قلقه ومخاوفه، فالبطل الذي أحبّ (دامسة) عندما رآها في شوارع القرية حبسها في ذاكرته ظناً منه أنه يحتفظ بها، إلا أنها تسربت من تلك الذاكرة المغلقة وأصبح اسمها صدى ترده (عنز الجبل) عندما سمع أنها تزوجت وانتقلت إلى أبها، فكان يخرج كل مساء إلى قمة الجبل «ويصيح بأعلى صوته: دامسة. فترد عليه عنز الجبل: دامسة.. دامسة»، وبهذا تكون دامسة رمزاً لـ«ذاكرة البطل المغلقة والمضطربة أمام جلال المغيّب»^(٤).

(١) محمد فتوح، الرمز والرمزية في الشعر المعاصر، ط٣، القاهرة، دار المعارف، ١٩٨٤م، ص٢٨٨.

(٢) محمد علوان، المرتقة وقصص أخرى، ط١، الرياض، دار تشكيل للنشر والتوزيع، ٢٠٢١م، ص٥٥.

(٣) مدونة محمد علوان، قصة دامسة، على الرابط: <https://mohammedalwan.com/?p=138>.

(٤) النعمي، جدلية الإنسان والمكان، ص٤١.



إن الأسطورة تغدو ثقافة عامة مرتبطة باللاشعور الجمعي^(١)، أو هي أشبه بمعتقدات يعتنقها أو يصدّقها الصغار قبل الكبار، وهو ملمح يشي بصغر القرى وبساطة الحياة وتداولية القصص وتأثيرها في النسيج الاجتماعي، وهكذا يوظف علوان إحدى الأساطير الشعبية في قصة (الرماد)، فالأم تعاني من المخاض وتعسر الولادة، وليس ثمة طبيب أو مُعالِجَة تسعفها، عدا ظل ابنتها الصغيرة تراقب ملامح أمها، وصوت نباح الكلاب يكسر حاجز الصمت عن وجه الطفلة، «عند كل نباح كانت الطفلة ترفع رأسها، تسمح بنظراتها وجه الأم الحائر في استفهام صامت. أتموت؟ تحتضن رأس الأم» ثم تأتي الأسطورة عن طريق الإيحاء والاختزال لتُفسّر ذلك الخوف الذي يعتري الفتاة: «نباح الكلب ارتبط بالموت».^(٢)

وقد وجد القاص في البيئة الجبلية فضاء خصبا لتحميله بالرمزية وما تُفضي إليه الأساطير الشعبية من دلالات تحيل على مرجعيات تاريخية وثقافية واجتماعية، استطاع من خلالها تكثيف النص، وإضافة أبعاد ثقافية تسهم في تقديم التجارب الإنسانية بصورة أعمق وأقرب إلى الذات وهومها، وهي وسيلة لاستدعاء ذاكرة المكان وما يحمله من قيم جمالية وموروث ثقافي ممتد عبر أجيال متعددة.

المبحث الثالث: علاقة الفضاء المكاني بعناصر السرد

يسهم الفضاء المكاني في تشكيل عناصر السرد والتفاعل معها داخل العمل القصصي؛ فيؤثر ويتأثر بالشخصيات والأحداث السردية، ويظهر اندماجه مع لغة السرد؛ إذ هي وسيلة المبدع في بناء عالمه السردية؛ وبهذا فإن الفضاء المكاني «لا يعيش منعزلاً عن باقي عناصر السرد، وإنما يدخل في علاقات متعددة مع المكونات الحكائية الأخرى للسرد، كالشخصيات والأحداث...»^(٣)؛ ولذا ينبغي الوقوف على ملامح العلاقة بين الفضاء المكاني وعناصر السرد الأخرى، وبيان مظاهر التأثير والتأثير بينها.

أولاً: الفضاء المكاني والشخصيات:

تبرز الشخصية في البناء القصصي بوصفها محورا تدور حوله الحكاية؛ ولذلك فإنه «لا

(١) ينظر: فتوح، الرمز والرمزية، ص ٢٨٩.

(٢) مدونة محمد علوان، قصة الرماد، على الرابط: <https://mohammedalwan.com/?p=152>.

(٣) بحراوي، بنية الشكل الروائي، ص ٢٦.

معنى ولا وجود لأية قصة إلا بما فيها من شخصية أو أكثر»^(١)، وتتجلى قيمتها من خلال دورها المؤثر في تشكيل الفضاء المكاني الذي لا يظهر «إلا من خلال وجهة نظر شخصية تتحرك فيه؛ ولذلك فإنها لا ترينا منه إلا ما تريدنا أن نراه، ومن ثم فإن مشاعر الشخصية وحالتها النفسية قد تنعكس على رؤيتها للمكان»^(٢)، وهو ما دعا القاص إلى الاهتمام ببناء شخصيات الحكاية، وإبراز صفاتها وحالاتها الشعورية التي ترتبط ارتباطاً وثيقاً بكافة العناصر السردية.

ونظراً لطبيعة القصة القصيرة أو القصيرة جداً من حيث محدودية الحجم، واعتمادها على تكثيف الأفكار واكتناز المعنى؛ فإن حضور الشخصيات على اختلاف مستوياتها -الرئيسة والثانوية- يكون على قدر الأحداث والأفكار التي يسعى القاص لتحقيقها، وبقدر ما يحتمله سياق الحكاية من حركية الشخصيات ونمّوها وتفاعلها مع سائر العناصر، لا سيما التفاعل مع المكان ومكوناته داخل العمل السردى.

وفي المنجز القصصي لمحمد علوان يمكن للقارئ أن يلحظ هذه العلاقة بين المكان والشخصية، وهي أشبه ما يكون بعلاقة وجودية يكتسب بها قيمته ويعزز وجوده، ويرتبط فيها بأصله وهويته، وقد بدا ذلك جلياً في عدد من قصص علوان؛ حيث ارتبط بناء الشخصية بالبيئة الجبلية بكل مكوناتها الحسية والمعنوية، بما يناسب طبيعة الشخصية؛ ففي قصة (الرماد) يتحدث عن شخصية الأب القادم من أعالي الجبال مع ابنته إلى المشفى: «الوجه، الأيدي، الأقدام.. نُحِتَت من هذه الجبال السوداء، تجمّعت، قست عليها الحياة... أعترف لهم بشيء واحد؛ مقدرتهم الفائقة على التحمل والصبر، ويملكون من الطيبة الكثير»^(٣)، وينهض وصف الشخصية مرتبطة بالمكان بوظيفة تفسيرية تكشف عن مدى التشابه بين الشخصية والمكان؛ فالمكان «يعكس حقيقة الشخصية... وطبيعة حياة الشخصية تفسّر لها طبيعة المكان الذي يرتبط بها»^(٤)؛ فصعوبة الحياة الجبلية ومشقتها قد أُلْقَت بظلالها على تكوين الشخصية في البنية الخارجية، فيصف شخصية الأب أنه كان «أسود اللون، نحيلاً، حافي القدمين. الشعر الطويل مسترسل فوق كتفيه، يلمع من أثر الدهن. مئزر قصير يحيط بوسطه، اندلقت منه ساقان سوداوان بها آثار جروح

(١) حسين القباني، فن كتابة القصة، د. ط، القاهرة الدار المصرية للتأليف والترجمة، د. ت، ص ٦٨.

(٢) الحازمي، البناء الفني في الرواية السعودية، ص ٣٧٤.

(٣) مدونة محمد علوان، قصة الرماد، على الرابط: <https://mohammedalwan.com/?p=152>.

(٤) سيزا قاسم، بناء الرواية، ص ١١٨.



واضحة»^(١)، ويظهر من ذلك الارتباط الوثيق بين المكان وتصوير الشخصية حسياً ومعنوياً بما يلائم سياق الحكاية، ويظهر الارتباط المعنوي من خلال سرد الصفات المعنوية التي تتشكل وتنمو في بيئتها الخاصة «الحب، العمل، الشجاعة، الصبر، موازين جبلية قاسية كالحجارة، معقدة كجباه الرجال ساعة الألم والغضب، صادقة صدق أغاني الرعاة ساعة الغروب»^(٢).

وينهض بناء الشخصية في إطار الفضاء المكاني بحمل دلالات يمكن أن توجه المعنى، وتقدم الشخصية بصورة أكثر وضوحاً، أو تسهم في إضفاء طابع الغموض المتسق مع طبيعة البيئة الجبلية؛ ولذلك فقد ضمت قصص علوان كثيراً من صور الربط بين الشخصية وبيئتها الجبلية، ومن ذلك قوله في حكايات تهلل: «والدي يمثل لنا جبلاً ضخماً، وكنت أشبهه بجبل تهلل؛ مبهماً ومليئاً بالألغاز»^(٣)، «كان وجه الأب لا يحمل أي تعبير؛ أشبه بتلك الصخور أعالي الجبال»^(٤)، وفي قصة (خفرة) يفتتح حديثه عن علاقتها بمحبوبها «كان يمثل لها جبلاً شاهقاً لا تعرف تفاصيله ولا تفقه الدروب إليه»^(٥)، وهي أوصاف تعزز حضور الشخصية بصفاتها المعنوية المتأثرة بطبيعة البيئة التي نشأ فيها، حاملة في طياتها دلالات متنوعة تشي بالضخامة والقوة في الجانب الحسي، وبالغموض والصمت والهدوء في الجانب المعنوي أو السلوكي؛ ولذلك فقد انطلق بعض النقاد في تحليل ظاهرة الانطواء والصمت عند أهل الجبال لما تتميز به حياة الجبال من «العيش في مجموعات مغلقة صغيرة، وإمكان الاختلاط بهم أقل»^(٦)، فأصبح الصمت سمة من سمات البيئة التي اتصفوا بها.

ويمكن أن يجد المتأمل روابط بين المكان والشخصية من خلال تسميتها في سبيل تكثيف الدلالة، ورسم صورة نمطية للشخصية، ومن ذلك ما ورد في تسمية شخصية (حنش)، فهو «رجل يمتلك جسداً قويا وملامح صارمة... لكنه يملك ملاحظة في الوجه وابتسامة مليئة بالخبث والسخرية. كانت له جمّة كثيفة تصل إلى كتفيه، لونها أسود مثل ليل حالك

(١) مدونة محمد علوان، قصة الرماد، على الرابط: <https://mohammedalwan.com/?p=152>.

(٢) المصدر نفسه.

(٣) علوان، تهلل، ص ٤٧.

(٤) المصدر نفسه، ص ٩٤.

(٥) علوان، موز ريدة، ص ٩٣.

(٦) صلاح صالح، قضايا المكان الروائي، ط ١، اللاذقية-سوريا، فواصل للنشر والتوزيع، ٢٠١٩م، ص ٢٣٥.

تمنحه تأثيراً على الآخرين، ويتمنطق بجنبيه شامية، خطواته ثابتة، ومن بأسه لا يلتفت إلى الخلف»^(١)، وهي صورة لا تقف عند حدود البناء الشكلي الظاهر في وصف ملامحه الخارجية ولباسه وسلاحه، وإنما يتعدى ذلك لاستبطان الداخل، ومحاولة إقناع القارئ بما تتمتع به الشخصية من سمات وقدرات جعلت منه بعد ذلك لصاً متخفياً.

أما شخصية المرأة في قصص علوان فقد قامت على إبراز السمات المعنوية والسلوكية التي تكشف عن طبيعة حياتها وخصوصيتها؛ فهي الزوجة والأم التي تركز حياتها لرعاية أسرتها وتربية أبنائها، وهي الفتاة المدللة في أسرتها، وهي المحبوبة التي تكتوي بجمر البُعد والفرق، وهي الطفلة التي تواجه صعوبات الحياة منذ حداثه عمرها، والعجوز التي جرت على لسانها الحكايات والأغنيات، إلى جانب ما وصفت به شخصية المرأة من اعتنائها بزينتها التي تربطها ببيئتها، من استخدام النباتات العطرية، ووضع الحناء، ولبس المنديل الأصفر، إلى غير ذلك من الأوصاف التي تميزت بها شخصية المرأة.

وإذا أردنا تكوين صورة عامة للشخصية الجبلية في قصص علوان سنجدتها تتراوح بين وصف حسي يبرز قوة البنية الجسدية، وتأثيرها بطبيعة التكوين الجبلي، وقدرتها على التكيف مع الطبيعة ومواجهة الصعاب، في حين يتمحور الوصف المعنوي أو السلوكي في الشجاعة والصبر، ونقاء القلب، ورهافة الشعور، إلى جانب حدة الطباع، وشدة الانتماء إلى الموطن والهوية، ويبرز ذلك عندما يأتي استعراض السمات في سبيل الموازنة بين حياة القرية والمدينة كما في قصة (مدونة البحر): «يحدث نفسه: لا تكن جبلياً حاداً ولا تكن ساحلياً رطباً».^(٢)

ثانياً: الفضاء المكاني والأحداث:

يُعد الفضاء المكاني وثيق الصلة ببنية الحدث القصصي؛ مما يجعل تشكُّل الأمكنة يعتمد على الأحداث التي تقوم بها شخصيات القصة في إطار ارتباطها بِحَظِيَّةِ الأحداث السردية^(٣)، ويضطلع الفضاء المكاني بمهمة كبرى في السرد، و«مهمته الأساسية هي التنظيم الدرامي للأحداث»^(٤)؛ ولذلك فإن القاص يحرص على إحداث الانسجام بين

(١) علوان، تمل، ص ٣٧.

(٢) علوان، موز ريدة، ص ٦٤.

(٣) ينظر: بحراني، بنية الشكل الروائي، ص ٢٩.

(٤) المرجع نفسه، ص ٣٠.



الشخصيات، وحركة الأحداث التي تتفاعل داخل الفضاء المكاني، ليصبح المكان عنصراً بارزاً ومؤثراً في تسيير الأحداث والسيطرة عليها.

ولعل هذه العلاقة بين الفضاء المكاني والأحداث الحكائية من أظهر العلاقات في قصص علوان؛ حيث أسهم المكان في خلق الأحداث وتناميها، وتكوين التحولات الداخلية في سياق الحكاية، ويظهر ذلك جلياً في عدد من القصص ذات الصبغة الأسطورية أو الاجتماعية؛ حيث ينهض المكان بدور رئيس في صناعة الأحداث وتوجيهها نحو سياقات متعددة، وإذا نظرنا إلى قصة (دامسة) ظهر لنا ارتباط الأحداث وتفاعلها داخل المكان الجبلي؛ فالأساطير - كما أسلفت - تنمو في هذه البيئة؛ ولذلك فإن حالة فقد الجنية لحبيبها الإنسي دعاها للتحويل إلى (عنز الجبل) التي سكنت قمم الجبال، وارتبط صوت الصدى بصوتها، ثم تتوالى الأحداث ليفقد البطل محبوبته الحلم (دامسة) التي تزوجت وانتقلت إلى أبها؛ ليصعد الجبل ويصرخ باسمها، فتزد عليه (عنز الجبل) الصدى: دامسة دامسة.^(١) ومن هنا يظهر أثر المكان في بنية الحدث وتطوره واستمراره، كما استطاع تكثيف الحدث ونقله ابتداءً من النمط الواقعي إلى النمط الأسطوري، وامتزاج هذين النمطين ليُسفر عن نتيجة واحدة تعكس الصراع والاضطراب النفسي الذي يعيشه البطل بين الحقيقة والوهم.

ويمكن رصد تأثير الفضاء المكاني في سير الأحداث المرتبطة بالعادات الاجتماعية الجبلية، كما في قصة (العسل الأسود) التي اهتمت بسرد عادة الحِثان وتطهير (مسعود)، وهي إحدى العادات الاجتماعية المشهورة لدى بعض القرى، وتقف القصة على مفارقة الاحتفال بالرجولة، وما يصاحبها من مظاهر الفرح والقلق على حد سواء «دقات الطبول ترتفع قليلاً قليلاً، تهدأ ثم تعاود مرة أخرى، الإيقاع يدخل دمي، القصيدة.. الرمح.. الإيقاع يزداد توتراً، بدأ الإيقاع يخفت شيئاً فشيئاً، الزغاريد تنطلق، مئات من طلقات البنادق تشق السماء... لا زال الإيقاع مستمراً، ها هو يأخذ طريقه إلى ساقِي المليئين بالدماء... جروحي تنزف، لكن لا بد من الرقص، لا بد من الرقص»^(٢)، وإذا نظرنا إلى هذه القصة وجدنا ارتباط الحدث بالبيئة التي تفرض على (مسعود) أن يبقى صامداً فرحاً رغم الألم والدم؛ تمهيداً لتحمل مسؤوليات الحياة في المرحلة القادمة، وقد تمكن القاص من

(١) مدونة محمد علوان، قصة دامسة، على الرابط: <https://mohammedalwan.com/?p=138>.

(٢) مدونة محمد علوان، قصة العسل الأسود، على الرابط: <https://mohammedalwan.com/?p=132>.

وصف أحداث الختان «وصفا قصصيا لا يخلو من حركة سينمائية ذات مشاهد مثيرة في تجسيد اللحظة»^(١)، ولم يكن ذلك الاسترسال الواسع إلا لتعزيز صورة المفارقات التي تحدث في هذه المناسبة؛ حيث يصدم الفرح بالقلق، واللذة بالألم، والصِّبَا بالرجولة، وهي مفارقات تنمو في مجتمعات القرى، وتزدهر في القرى الجبلية، إلى غير ذلك من العادات المرتبطة بالقرى الجبلية كمناسبات الزفاف، والرقص في الأفراح، ومظاهر إكرام الضيف، وقضية تكافؤ النسب؛ كل ذلك يمكن أن يكشف عن العلاقة الوثيقة بين الفضاء المكاني بما يضمنه من عادات ومؤثرات اجتماعية وتشكيل الأحداث الحكائية وتنميتها داخل القصة.

ثالثا: الفضاء المكاني واللغة:

تنبع أهمية اللغة السردية من مكانتها الرئيسة بين عناصر السرد، وتُعد أهم تلك العناصر؛ «فمن خلالها تُقدّم الشخصيات وتوصف، وبها تتحدث فتكشف عن مشاعرها وأفكارها... واللغة هي التي تصور الحدث، وتنقل الحركة، وهي التي تجسد الزمن وتصور الأماكن وتصف الأشياء»^(٢)، ومن هنا تظهر العلاقة ابتداء من حيث أن اللغة تمثل الوعاء الذي تتشكل داخله القصة بأماكنها وأزميتها وشخصياتها وأحداثها.

وتجدر الإشارة إلى الدور الذي تقوم به اللغة في تشكيل هوية الفن؛ حيث تعتمد القصة القصيرة والقصيرة جدا على عنصر التكثيف الذي يحقق خاصية الحدود الكمية، ويُقصد به توظيف الفكرة واكتنازها من خلال كلمات قليلة؛ تحمل تأويلات متنوعة مفتوحة على قراءات متعددة^(٣)، الأمر الذي جعلها ركنا رئيسا من أركان القصة القصيرة والقصيرة جدا؛ لما تتميز به من قدرة على الإيحاء الرمزي، والاختزال الدلالي، في سبيل تحقيق الدهشة السردية، وإثراء النص بالأساليب الجمالية.^(٤)

إن العلاقة بين الفضاء المكاني واللغة مترابطة، تتداخل فيها البنية السردية مع عناصر

(١) إبراهيم أبو طالب، الموروث الثقافي في قصص محمد علوان، مجلة جامعة الباحة للعلوم الإنسانية، العدد الثالث عشر، ٢٠١٨م، ص ٢٣٩.

(٢) الحازمي، البناء الفني في الرواية السعودية، ص ٤٩٠.

(٣) ينظر: هياء آل مواش، القصة القصيرة جدا النسائية السعودية، ط ١، الرياض، دار أدب للنشر والتوزيع، ١٤٤٥هـ-٢٠٢٣م، ص ١٠٣.

(٤) ينظر: المرجع نفسه، ص ١٠٤.



المكان ومكوناته، ويمكن الوقوف على حدود تلك العلاقة في قصص علوان من خلال مستويين: الأول: أثر اللغة في بناء الفضاء المكاني، ويقوم على قدرة القاص وأدواته الفنية في تطوير اللغة لبناء عوالمه المكانية التي تدور فيها الأحداث، وتتفاعل فيها الشخصيات من خلال الوصف الدقيق للمشاهد والمكونات المكانية، ورسم ملامح المكان بما يمكنه من تحويله إلى فضاء واسع ملائم للأفكار والمعاني والدلالات التي يسعى إليها القاص، ويدخل تحت هذا النوع وصف البيئة الجبلية، والقرى بمنازلها وشوارعها وأسواقها وما يحيط بها من عناصر وصفية تستهدف الحواس، في سبيل استمالة القارئ للدخول في جو النص، أو تستدعي صورة حاضرة في ذهن القارئ كما حصل في توظيف القاص لمصطلح (الخطوة) (١) ليحيل القارئ على استحضار هيئة تلك الرقصة الشهيرة في منطقة عسير.

أما المستوى الثاني، فهو متعلق بأثر الفضاء المكاني في تشكيل اللغة، وينضوي تحت ذلك توظيف القاص لبعض المسميات المحكية باللهجة الشعبية، أو استخدام بعض الأساليب العامة الدارجة، أو توظيف الموروث الشعبي المعني بالأمثال والأغاني، مما يعطي النص صبغة واقعية تثير القارئ وتستميله إلى الارتباط الذهني والعاطفي مع جو القصة، ومن ذلك ما ورد في قصة (موز ريدة) على لسان شخصية (قارش): «في المسقي يذكرون يحيي الصَّحِيَّة، يقولون يده خفيفة» (٢)، فابتدأ بنسبة الطبيب إلى مكان عمله، وأتبعها بوصف شعبي متداول يكنى به عن مهارة الطبيب وسرعته في العلاج، ومن ذلك توظيف أسلوب الدعاء «الله ياخذ عقلك» (٣)، وهو أسلوب شعبي متداول، في ظاهره دعاء بالشر، وفي حقيقته همس بدلالة الإعجاب؛ ف«الجملة تُعد تعبيراً شعبياً يكتنفه إعجاب» (٤)، وقد حضر أسلوب التوسل على لسان موز ريدة عندما أُلحَّت على والديها لإخبارها بما يخفيانه عنها «عليكم وجه الله علموني» (٥).

وفي قصة (خفرة) يوظف القاص أغنية شعبية في سياق عودة العلاقة بين الرجل وزوجه بعد أن تراضيا وأعادها من بيت أهلها، «فاض وجهها بالمحبة وابتسمت ابتسامة عريضة. في طريق العودة سمعا أغنية شعبية تقول: (سَلَمْتُكَ يا صاحبي مثل العسل لا جني يا ناس

(١) علوان، تهلل، ص ٩٥.

(٢) علوان، موز ريدة، ص ١١.

(٣) مدونة محمد علوان، قصة دامية، على الرابط: <https://mohammedalwan.com/?p=138>.

(٤) النعمي، جدلية الإنسان والمكان، ص ٤١.

(٥) علوان، موز ريدة، ص ١٥.

من عود نحلة)». (١) لينقل للقارئ شعور الرضا والصفاء الذي يطغى على الحالة الشعرية لـ (خفرة) وزوجها، معتمدا على تأويل القارئ واستنتاجه، وهكذا كانت اللغة عنصرا مؤثرا في تكوين الفضاء المكاني، ومتأثرا بالمكان ومكوناته وعادات أهله في تشكيل النص القصصي، بما يؤكد العلاقة الوثيقة بين الفضاء المكاني وأهم العناصر السردية.

الخاتمة

خلص البحث إلى عدد من النتائج والتوصيات، ومن أبرزها:

- ١- ظهر الجبل في قصص محمد علوان بوصفه فضاء مكانيا مؤثرا في بنية النصوص القصصية؛ حيث تتشكّل فيه الشخصيات، وتدور الأحداث، ويحتضن سائر العناصر البنائية ويتماهى معها داخل المتن الحكائي.
- ٢- اهتم القاص بتوظيف المكان الجغرافي من خلال وصف المواقع بأشكالها وتضاريسها ومكوناتها، أو الإحالة على مواقع حقيقية يستدعي من خلالها ذاكرة المكان التاريخية والاجتماعية وما تحمله من دلالات وأفكار، أو مشاعر وعواطف تعزز ارتباط المتلقي بالجو العام، وتعتمد على ذاكرته بالتفاعل مع سياق الحكاية.
- ٣- كان فضاء الجبل في دراسة التقاطب المكاني والثنائيات الضدية فضاء مفتوحا عاما ينضوي داخله عدد من الفضاءات المفتوحة الأخرى كالقرية والسوق والشوارع، أو المغلقة كالبيت والمسجد والدكان، وكان حضور المكان المفتوح لافتا؛ وهو ما يتسق مع طبيعة الحياة الجبلية، ومع دلالات اتساع الأفق والحرية والبعد عن المدينة التي برزت في قصص علوان.
- ٤- وقد حضر الجبل ليمثّل مكان الألفة في مقابل السهل والساحل، أو القرية الجبلية في مقابل المدينة التي برزت كمكان معادٍ في مواضع متعددة من مجموعات علوان القصصية.
- ٥- كشف الفضاء الدلالي عن كثير من المعاني الإنسانية والقضايا الوجودية التي تشكّلت في فضاء الجبل، كصراع الذات والآخر، وجدل الهوية، وقيمة الذاكرة، والتمسك بالعادات والتقاليد، إضافة إلى بروز بعض الدلالات النفسية التي يمكن استنتاجها من خلال وصف الشخصيات أو سرد تفاصيل الحياة الجبلية.
- ٦- أسهم فضاء الجبل في حضور الأساطير بشكل مستمر من قصص علوان؛ لما يحمله من

(١) المصدر نفسه، ص ٩٧.



دلالات الغموض واكتنازه بالأسرار، إضافة إلى طبيعة الحياة الجبلية المليئة بالقصص والأساطير التي وجد فيها القاص بيئة خصبة لتحميلها بالرمزية، وتكثيف النص القصصي.

٧- ظهرت العلاقة واضحة بين فضاء الجبل وعناصر السرد المختلفة؛ ويعود ذلك إلى اهتمام القاص ببناء الشخصيات والأحداث منطلقاً من انتمائها للحياة الجبلية، فكانت السمات الشخصية مرتبطة بطبيعة الحياة متأثرة بعواملها وعواملها المتنوعة، وتبعاً لذلك فقد جاءت الأحداث متسقة مع الحالة الشعورية للشخصيات، وملائمة لطبيعة المكان الذي دارت فيه.

٨- تفاوتت العلاقة بين فضاء الجبل واللغة؛ فؤثر فيها تارة ويتأثر بها تارة أخرى؛ ولذلك فقد ظهر أثر اللغة في تشكيل الفضاء الجبلي بكل تضاريسه ومكوناته الحسية والمعنوية، وبدوره فقد كان الفضاء الجبلي مؤثراً في اللغة من حيث توظيف المصطلحات والأساليب والموروث الشعبي؛ ليُمد النص بدلالات رمزية إيحائية؛ تسهم في إثراء النص، وتحقيق سمة التكثيف والاختزال.

ويوصي البحث بالاهتمام بدراسة الفضاء السردية في الأعمال الأدبية، وأثره في بناء وتشكيل العوالم الشعرية والسردية بعناصرها المختلفة، إضافة إلى أن فضاء الجبل لا يزال جديراً بالدراسة والتأمل في مدونات أدبية متعددة؛ إذ كان جُل اهتمام الدارسين ينصب على فضاء المدينة أو الصحراء، في حين ينهض الجبل بدور واعد في تشكيل الخطاب السردية في عدد من المدونات الأدبية.

المصادر والمراجع

أولا المصادر:

١. علوان، محمد، تهمل: حكايات الجبال، ط ١، دار تشكيل للنشر والتوزيع، ٢٠٢١م.
٢. علوان، محمد، المرتزقة وقصص أخرى، ط ١، دار تشكيل للنشر والتوزيع، ٢٠٢٢م.
٣. علوان، محمد، موزيدة، ط ١، الرياض: دار أدب للنشر والتوزيع، ١٤٤٤هـ - ٢٠٢٣م.
٤. مدونة محمد علوان الإلكترونية، على الرابط: <https://mohammedalwan.com>.

وفيها: مجموعة (الخبز والصمت)، ومجموعة (الحكاية تبدأ هكذا)، ومجموعة (دامسة).

ثانيا: المراجع:

1. باختين، ميخائيل، أشكال الزمان والمكان في الرواية، ت: يوسف حلاق، دمشق، منشورات وزارة الثقافة، ١٩٩٠م.
2. باشلار، غاستون، جماليات المكان، ت: غالب هلسا، ط ٢، بيروت، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، ١٩٨٤م.
3. الحازمي، حسن بن حجاب، البناء الفني في الرواية السعودية، ط ١، ١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م.
4. آل الشيخ، عبد الملك، «تقاطب الفضاء في المجموعة القصصية تضاريس الرخام»، مجلة العلوم العربية، العدد الخامس والستون، ١٤٤٣هـ: ٣٤٦-٤٠٠.
5. صالح، صلاح، قضايا المكان الروائي، ط ١، اللاذقية-سوريا، فواصل للنشر والتوزيع، ٢٠١٩م.
6. أبو طالب، إبراهيم، «الموروث الثقافي في قصص محمد علوان»، مجلة جامعة الباحة للعلوم الإنسانية، العدد الثالث عشر، ٢٠١٨م: ٢٠٩-٢٥٩.
7. الظل، حورية، الفضاء في الرواية العربية الجديدة، د. ط، دمشق، دار نينوى للدراسات والنشر والتوزيع، ٢٠١١م.
8. فتوح، محمد، الرمز والرمزية في الشعر المعاصر، ط ٣، القاهرة، دار المعارف، ١٩٨٤م.
9. قاسم، سيزا، بناء الرواية: دراسة مقارنة في ثلاثية نجيب محفوظ، د. ط، القاهرة، مكتبة الأسرة، ٢٠٠٤م.



10. قاموس الأدب والأدباء في المملكة العربية السعودية، د. ط، الرياض: دار الملك عبد العزيز، ١٤٣٥هـ.
11. القباني، حسين، فن كتابة القصة، د. ط، القاهرة، الدار المصرية للتأليف والترجمة، د.ت.
12. لحمداني، حميد، بنية النص السردى من منظور النقد الأدبي، ط٣، الدار البيضاء، المركز الثقافي العربي، ٢٠٠٠م.
13. مرتاض، عبد الملك، في نظرية الرواية: بحث في تقنيات السرد، د. ط، الكويت، عالم المعرفة، ١٩٩٨م.
14. آل مواش، هياء، القصة القصيرة جدا النسائية السعودية، ط١، الرياض، دار أدب للنشر والتوزيع، ١٤٤٥هـ-٢٠٢٣م.
15. المودن، حسن، الأدب والتحليل النفسي، د. ط، قطر، كتاب الدوحة، وزارة الثقافة والرياضة، د.ت.
16. نجمي، حسن، شعرية الفضاء السردى، ط١، الدار البيضاء المركز الثقافي العربي، ٢٠٠٠م.
17. النعمي، حسن، «جدلية الإنسان والمكان عند محمد علوان: مجموعة «دامسة» مثالا»، مجلة القافلة، العدد سبعمئة، المجلد الثاني والسبعون، ٢٠٢٣م: ٤١-٤٤.

References

1. 'Alwān, Muḥammad, thll : Hikāyāt al-jibāl, Ṭ', tashkīl lil-Nashr wa-al-Tawzī', ٢٠٢١.
2. 'Alwān, Muḥammad, almrtzqh wa-qīṣaṣ ukhrā, Ṭ', tashkīl lil-Nashr wa-al-Tawzī', ٢٠٢٢.
3. 'Alwān, Muḥammad, mwz Rīdah, Ṭ', al-Riyād : Dār adab lil-Nashr wa-al-Tawzī', ٢٠٢٣-١٤٤٤.
4. Mudawwanat Muḥammad 'Alwān al-iliktrūnīyah, 'Alā al-Rābiṭ: <https://mohammedalwan.com/>
5. Bākhtīn, Mīkhā'il, Ashkāl al-Zamān wa-al-makān fī al-riwāyah, t : Yūsuf Ḥallāq, Dimashq, Manshūrāt Wizārat al-Thaqāfah, 1990.
6. Bāshilār, Ghāstūn, Jamālīyāt al-makān, t : Ghālib Halasā, ٢2, Bayrūt, al-Mu'assasah al-Jāmi'īyah lil-Dirāsāt wa-al-Nashr wa-al-Tawzī', 1984.
7. al-Hāzimī, Ḥasan, al-binā' al-Fannī fī al-riwāyah al-Sa'ūdīyah, Ṭ1, 1427-2006.
8. Āl al-Shaykh, 'bdālmīk, «tqāṭb al-faḍā' fī al-Majmū'ah al-qīṣaṣīyah Taḍārīs al-rukhām», Majallat al-'Ulūm al-'Arabīyah, (٦٥), (٤٤٣), (٤٠٠-٣٤٦)).
9. Šāliḥ, Šalāḥ, Qaḍāyā al-makān al-riwā'i, Ṭ1, allādhqyt-swryā, Fawāṣil lil-Nashr wa-al-Tawzī', 2019.
10. Abū Ṭālib, Ibrāhīm, "al-mawrūth al-Thaqāfī fī qīṣaṣ Muḥammad 'Alwān", Majallat Jāmi'at al-Bāḥah lil-'Ulūm al-Insānīyah, (13), 2018, (209-259).
11. al-Zill, Ḥūrīyah, al-faḍā' fī al-riwāyah al-'Arabīyah al-Jadīdah, D. Ṭ, Dimashq, Dār Nīnawā lil-Dirāsāt wa-al-Nashr wa-al-Tawzī', 2011.
12. Fattūḥ, Muḥammad, al-ramz wālmzyh fī al-shi'r al-mu'āṣir, ٣3, al-Qāhirah, Dār al-Ma'ārif, 1984.
13. Qāsim, Sīzā, binā' al-riwāyah : dirāsah muqāranah fī thulāthīyat Najīb Maḥfūz, D. Ṭ, al-Qāhirah, Maktabat al-usrah, 2004.
14. Qāmūs al-adab wa-al-Udabā' fī al-Mamlakah al-'Arabīyah al-Sa'ūdīyah, D. Ṭ, al-Riyād : Dārat al-Malik 'Abd-al-'Azīz, 1435h.
15. al-Qabbānī, Ḥusayn, Fann kitābat al-qīṣṣah, D. Ṭ, al-Qāhirah, al-Dār al-Miṣrīyah lil-Ta'līf wa-al-Tarjamah, D. t.
16. Laḥmidānī, Ḥamīd, Binyat al-naṣṣ al-sardī min manzūr al-naqd al-Adabī, ٣3, al-Dār al-Bayḍā', al-Markaz al-Thaqāfī al-'Arabī, 2000.



17. Murtāḍ, ‘Abdālmīk, fī Naẓarīyat al-riwāyah : baḥṭh fī Tiqniyāt al-sard, D. Ṭ, al-Kuwayt, ‘Ālam al-Ma‘rifah, 1998.
18. Āl mwāsh, Hyā’, al-qīṣṣah al-qāṣīrah jiddan al-nisā’iyah al-Sa‘ūdīyah, Ṭ, al-Riyāḍ, Dār adab lil-Nashr wa-al-Tawzī’, ٢٠٢٣-١٤٤٥.
19. al-Mawdin, Ḥasan, al-adab wa-al-tahlīl al-nafsī, D. Ṭ, Qaṭar, Kitāb al-Dawḥah, Wizārat al-Thaqāfah wa-al-Riyāḍah, D. t.
20. Najmī, Ḥasan, shi‘rīyah al-faḍā’ al-sardī, Ṭ1, al-Dār al-Bayḍā’ al-Markaz al-Thaqāfī al-‘Arabī, 2000.
21. al-Ni‘mī, Ḥasan, “Jadalīyat al-insān wa-al-makān ‘inda Muḥammad ‘Alwān : majmū‘ah” dāmsh “mithālan”, Majallat al-qāfilah, 72, (700), 2023, (41-44).

الأنساق الثقافية للمرأة في سيرة (عشيّات الحمى) لحمد البليهد (قراءة من منظور النقد الثقافي)

د. البندري بنت ضيف الله المطيري

أستاذ الأدب والنقد المشارك، بقسم اللغة العربيّة، كليّة العلوم والآداب بساجر، جامعة
شقراء،

المملكة العربيّة السّعوديّة

حاصل على الماجستير من جامعة الأميرة نورة بتخصص الأدب والنقد

حاصل على الدكتوراه من جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بتخصص الأدب والنقد

البريد الإلكتروني

almutairi.a@su.edu.sa



<https://doi.org/10.65728/1625-000-022-011>



الملخص

موضوع البحث: يتناول هذا البحث الأنساق الثقافية للمرأة في سيرة (عشيّات الحمى) للكاتب حمد البليهد، وهي سيرة ذاتية مرتبطة بمرحلة الطفولة.

وهدف البحث: معرفة الأنساق الثقافية التي تشكلت فيها المرأة وعلاقتها بحياة كاتب السيرة والمجتمع من حوله، وكيف بدا أثرها في تشكيل حياة السارد في مرحلة الطفولة، فضلاً عن الدلالات النسقية التي توحى بها تلك الأنساق الثقافية في سياقاتها المرتبطة بالمرأة في نموذج الدراسة.

منهج البحث: اعتمد البحث منهج النقد الثقافي الذي يمثل وسيلة مهمة لمعرفة الأنساق الثقافية المعلنة والمضمرة في السيرة الذاتية، سواء ما ارتبط منها بنسق البناء الخارجي المتمثل في عتبي العنوان والإهداء أو ما ارتبط منها بنسق البناء الداخلي المتمثل في متن السيرة الذاتية التي تكشف عن هيمنة الذكورة والأنوثة وتشكلاتها النسقية الثقافية بتنوعاتها المختلفة.

أهم نتائج البحث: هيمنة نسق الأنوثة على نسق الذكورة في عينة الدراسة؛ بسبب طبيعة مرحلة الطفولة نفسها التي تكشف عنها؛ إذ يبدو الرجل أكثر ارتباطاً بالمرأة في هذه المرحلة وأكثر تأثراً بها، كما غلب النسق التعليمي والديني على المرأة الأم بشكل خاص؛ ليخفي نسقاً مضمراً يحيل على تحدي الإعاقة ومحاولة تجاوزها.

وأهم توصيات البحث: أن يُدرس خطاب الإعاقة في السيرة الذاتية وأثره في تشكيل الخطاب السيرذاتي.

الكلمات المفتاحية: النقد الثقافي، النسق، السيرة الذاتية، المرأة، الذكورة والأنوثة.

Abstract

Study topic: This article tackles the cultural patterns of women in Hamad AlBulaid's biography entitled "*ashiyyat al-Humma*". This work of art is his own biography tied to the childhood stage.

Objectives: The study aims to address the cultural patterns in which women were shaped and their relationship with the life of the author's biography and the society surrounding him. It also explores how these patterns influenced the narrator's life during childhood and the cultural connotations these patterns suggest about women in this study context.

Methods: The study employs the cultural critical approach, which serves as a substantial instrument for unveiling both the explicit and implicit cultural patterns in the biography, including the external structure, viz. the title and dedication, and the internal structure, i.e. the main body of the biography. This reveals the dominance of manhood and womanhood and their various cultural manifestations.

Findings: The study findings indicate that the womanhood pattern dominates manhood pattern in the study sample due to the nature of childhood itself, as revealed in the narrative. In this stage, men appear more connected to and influenced by women. Educational and religious patterns are predominant, specifically in relation to the mother, concealing an implicit pattern that reflects a challenge to disability and how to overcome it.

Recommendations: The study recommends examining the discourse of disability in biographies and its impact on shaping biographical narratives.

Keywords: Cultural criticism, pattern, biography, women, manhood,



مقدمة

يكشف هذا البحث عن الأنساق الثقافية للمرأة وتمثلاتها في سيرة (عشيّات الحمى) للكاتب السعودي حمد البليهد المرتبطة بمرحلة الطفولة التي عاشها الكاتب وعاصر أحداثها، وكان لها أثر كبير في تكوين شخصيته من جميع جوانبها، وغاية ذلك معرفة مدى حضور المرأة بوصفها شخصية مهمة من شخصيات السيرة الذاتية المهيمنة على سير الخطاب السيرذاتي في عينة الدراسة المختارة، وما هي الأنساق الثقافية التي تمثل علاقتها بحياة كاتب السيرة وتفاعلها معه، وكيف بدا أثرها في تشكيل حياة السارد في مرحلة الطفولة وعلاقتها بالمجتمع من حوله، فضلاً عن الدلالات التي توحى بها تلك الأنساق الثقافية في سياقاتها المرتبطة بالمرأة في السيرة الذاتية.

ويحاول هذا البحث الإجابة عن الأسئلة الآتية:

- ١- ما الأنساق الثقافية التي تشكلت فيها المرأة في السيرة الذاتية عينة الدراسة، وما موقف الكاتب منها، وهل أثرت المرأة في تشكيل الخطاب السيرذاتي؟
- ٢- كيف ظهرت علاقة الرجل بالمرأة في نسق الذكورة مقابل الأنوثة؟
- ٣- ما أثر الثقافة المضمرة في صياغة موقف الرجل تجاه المرأة؟
- ٤- هل هناك تأثير للمرأة في بناء شخصية الرجل الثقافية في السيرة الذاتية المختارة عينة للدراسة؟

وغاية هذا البحث تحقيق الأهداف الآتية:

- 1- معاينة الأنساق الثقافية التي تشكلت فيها المرأة في أدب السيرة الذاتية في النموذج المختار عينة للدراسة وموقف الكاتب منها.
- 2- الكشف عن علاقة المرأة بالرجل في السيرة الذاتية المختارة ومدى هيمنة كل منهما على الآخر.
- 3- الكشف عن تأثير المرأة في بناء شخصية الرجل الثقافية من خلال سيرته الذاتية.
- 4- الكشف عن تأثير المرأة في تشكيل الخطاب السيرذاتي للعينة المختارة عينة للدراسة.

ولتحقيق تلك الأهداف؛ اعتمدت الدراسة المنهج الثقافي؛ لأنه المنهج الأنسب لتحليل النصوص الأدبية في ضوء معايير ثقافية وسياسية واجتماعية وأخلاقية، بعيداً عن معايير التحليل الجمالية والفنية التي تنتهجها المناهج الأخرى.^(١)

جرى تقسيم البحث إلى مقدمة، وتمهيد نظري، ومبحثين؛ حيث اشتمل التمهيد على تعريف نظري بالنسق الثقافي، والنقد الثقافي، في حين خصص المبحث الأول بالأنساق الخارجية للسيرة الذاتية المتضمنة للعبات الخارجية كالعنوان والإهداء، أما المبحث الثاني فتضمن الأنساق الداخلية للمرأة في السيرة الذاتية من حيث هيمنة الذكورة على الأنوثة، وهيمنة الأنوثة على الذكورة ضمن الأنساق الثقافية المختلفة في السيرة الذاتية عينة الدراسة. ثم ختم البحث بخاتمة أوضحت أبرز النتائج والتوصيات التي توصل إليها.

الدراسات السابقة:

بعد البحث والتقصي في أوعية المعلومات المتاحة، لم أعر -على حد علمي- على دراسة علمية تناولت موضوع الأنساق الثقافية للمرأة في سيرة (عشيّات الحمى) للكاتب السعودي حمد البليهد بالمنهج نفسه الذي اعتمدته هذه الدراسة للكشف عن تلك الأنساق في العينة المختارة، وكان هذا محل إغراء للباحثة للتصدي لمثل هذا الموضوع بالبحث والدراسة، فضلاً عن عدم وجود دراسة علمية أو أكاديمية تصدت لسيرة الكاتب المختارة (عشيّات الحمى) بالبحث والدراسة، عدا مقالة صحفية تعرضت لهذه السيرة الذاتية للباحثة حصة المفرح المنشورة في صحيفة الجزيرة بعنوان (سيرة طفولة: بين الراوي والمروي له) بتاريخ ٢٦/مايو/ ٢٠٢٣م، وفيها أشارت الباحثة إلى أهمية الراوي والمروي له في السيرة الذاتية عينة الدراسة، وركزت على المرأة بوصفها راوياً مسانداً للراوي الأساسي، كما أشارت إلى استئثار المرأة ببعض تفاصيل الأحداث التي غابت عن الراوي والتحكم فيها، لا سيما في عملية سرد الأحداث واسترجاعها والتنبؤ بها.

ومع ندرة الدراسات التي اهتمت بالسيرة الذاتية المختارة، فإن هناك دراسات

(١) ينظر: جميل حمداوي، النقد الثقافي بين المطرقة والسندان، ط١، المغرب (تطوان)، دار الريف للطبع والنشر الإلكتروني، ٢٠١٥م، ص٧، ٨.



تقرب في موضوعاتها من موضوع هذه الدراسة، وقد أفادت الباحثة منها في سياقاتها، ومن تلك الدراسات ما عني منها بدراسة الأنساق الثقافية في الخطاب السردى بشكل عام. ونظرًا لكثرة هذه الدراسات؛ فإننا سنقتصر على بعض الدراسات المعنية بالسيرة الذاتية أو الرواية على مستوى المملكة العربية السعودية، ومنها:

- الخروج من القارورة/الخروج من النسق، قراءة الأنساق المضمرة في رواية القارورة ليوسف المحميد، عمر باصريح، الآداب للدراسات اللغوية والأدبية، جامعة ذمار، مج ٦، ع ٣٤، ٢٠٢٤م، ٢٥٩-٢٨١.

- الآخر في السيرة الذاتية النسائية السعودية من منظور ثقافي، سامي الجمعان، جامعة الأزهر، حولية كلية اللغة العربية للبنين بجرجا، مج ٢٧، ٢٠٢٣م، ٦٦٦-٧١٠.

- الأنساق الثقافية في السيرة الذاتية سيرة غازي القصيبي نموذجًا، ماجدة زين العابدين الصديق، مجلة جامعة الطائف، مج ٧، ع ٣١، ٢٠٢٢م، ٥٥٩-٥٩٠.

- أثر النسق الثقافي في تشكيل الرواية النسوية العربية بحث في الثيمات والتمثيلات، محمد الشحات، جامعة القاهرة، مركز اللغات والترجمة، مج ٧، ع ٣٤، ٢٠١٨م، ٩-٥٢.

أما الدراسات العربية التي اهتمت بالأنساق الثقافية بشكل عام وأنساق المرأة بشكل خاص في السيرة الذاتية أو في الرواية، فهي كثيرة، ولا يتسع المجال للتعريف بها وتفصيلها، لكن ستفيد منها الدراسة في الجانب النظري والتطبيقي.

التمهيد: التعريف بالمصطلحات

أولاً: النقد الثقافي:

تعددت مفاهيم النقد الثقافي عند النقاد المحدثين بوصفه نشاطاً فكرياً يرتبط بالحياة الاجتماعية المتغيرة لأفراد المجتمع، ويتخذ من الثقافة بكل موضوعاتها منهجاً له، وللثقافة الغربية قصب السبق في مجال التطور والمراحل التي مر بها هذا المنهج^(١)، ويتضح ذلك من خلال تلك الجهود التي قدمها الباحث الأمريكي فنسنت ليتش الذي دعا إلى نقد ثقافي ما بعد بنيوي يتجاوز الدراسة الشكلانية، ويدرس الأنساق الثقافية في الخطاب^(٢)، في حين برز الناقد عبد الله الغذامي بوصفه رائداً من رواد النقد الثقافي في الوطن العربي؛ إذ يرى أنه «أحد علوم اللغة والألسنة يُعنى بنقد الأنساق المضمرة التي تنطوي على الخطاب الثقافي بكل تجلياته وأنماطه وصيغته؛ ما هو غير رسمي ومؤسسي، وما هو كذلك سواء بسواء، هُمة كشف المخبوء تحت أقنعة البلاغي الجمالي».^(٣)

والنقد الثقافي «هو الذي يدرس الأدب الفني والجمالي باعتباره ظاهرة ثقافية مضمرة، وتعبير آخر هو ربط الأدب بسياقه الثقافي غير المعلن، ومن ثم لا يتعامل النقد الثقافي مع النصوص والخطابات الجمالية والفنية على أنها رموز جمالية، ومجازات شكلية موحية، بل أنها أنساق ثقافية مضمرة، تعكس مجموعة من السياقات الثقافية التاريخية والسياسية والاجتماعية والاقتصادية والأخلاقية والقيم الحضارية والإنسانية، ومن هنا يتعامل النقد الثقافي مع الأدب الجمالي ليس باعتباره نصاً، بل بمثابة نسق ثقافي يؤدي وظيفة نسقية ثقافية تضرر أكثر مما تعلن».^(٤)

(١) ينظر: ميجان الرويلي وسعد البازعي، دليل الناقد الأدبي، ط ٣، بيروت، المركز الثقافي العربي، ٢٠٠٢م، ص ٣٠٥.

(٢) ينظر: فنسنت ليتش، النقد الثقافي النظرية الأدبية وما بعد البنيوية، ترجمة: هشام زغلول، ط ١، القاهرة، المركز القومي للترجمة، ٢٠٢٢م، ص ٣٣.

(٣) عبد الله محمد الغذامي، النقد الثقافي قراءة في الأنساق الثقافية، ط ٣، الدار البيضاء، المركز الثقافي العربي، ٢٠٠٥م، ص ٢٠.

(٤) حمداوي، النقد الثقافي بين المطرقة والسندان، ص ٩.



وتسعى قراءة النقد الثقافي «إلى رصد التفاعل بين مرجعية النص الثقافية والوعي الفردي للمبدع فتنتقل من الخلفية الثقافية للنص، مروراً بتأويل مقاصد للمبدع ووعيه، انتهاء بدور القارئ الناقد؛ حيث يفتح المجال أمامه لتأويل العلاقة بين دور المفهوم دلاليًا وجماليًا داخل النص ودوره الاجتماعي في الثقافة».^(١)

ثانيًا: النسق الثقافي:

النسق في اللغة «ما كان على طريقة نظام واحد عام في الأشياء».^(٢) أما في اصطلاح النقاد فإن النسق هو «نظام يحكم أفراد (أشخاص وهيمن) تتحدد علاقاتهم بعواطفهم وأدوارهم التي تتبع من الركوز المشتركة أو المقررة ثقافيًا حتى يصبح مفهوم النسق أوسع من مفهوم البناء الاجتماعي».^(٣) ويرى الغدامي أن الأنساق الثقافية «أنساق تاريخية أزلية وراسخة ولها الغلبة دائمًا، وعلامتها هي اندفاع الجمهور إلى استهلاك المنتج الثقافي المنطوي على هذا النوع من الأنساق، وقد يكون ذلك في الأغاني أو الأزياء أو الحكايات والأمثال مثلما هو في الأشعار والإشاعات والنكت، وكل هذه الوسائل هي جمل بلاغية جمالية تعتمد على المجاز، وينطوي تحتها نسق ثقافي، ونحن نستقبله لتوافقه السري وتواطئه مع نسق قديم منغرس فنيًا».^(٤) و«الأنساق الثقافية بمثابة قوانين وتشريعات أرضية من صنع الإنسان لضبط نفسه ولتصريف أموره في الحياة، وهي تعبير عن تصوير الإنسان القديم لما ينبغي أن تكون عليه الحياة».^(٥) وعليه، فالنسق الثقافي تركيبة اجتماعية تعبر عن الصورة الاجتماعية والثقافية لمجتمع ما، وهو عنوان المجتمع وهويته.^(٦)

(١) عبد القادر الرباعي، جماليات الخطاب في النقد الثقافي: رؤية جدلية جديدة، ط١، عمان، دار جرير للنشر والتوزيع، ٢٠١٥م، ص١٩١.

(٢) محمد بن مكرم ابن منظور، لسان العرب، ط٣، بيروت، دار صادر، ١٤١٤هـ، ج١٠، ص٣٥٣، مادة (نسق).

(٣) محمد الخبو، مدخل إلى الخطاب الإيحائي في الرواية العربية، ط١، صفافس، مكتبة علاء الدين، ٢٠٠٦م، ص٦٨.

(٤) الغدامي، النقد الثقافي، ص٧٦.

(٥) عبد الفتاح أحمد يوسف، لسانيات الخطاب وأنساق الثقافة، ط١، بيروت، منشورات الاختلاف، ٢٠١٠م، ص١٥١.

(٦) ينظر: سماح عبد الله الفران، ثقافة النص، قراءة في السرد اليميني المعاصر، ط١، عمان، شركة دار الأكاديميون

هناك أنساق ظاهرة معلنة، وأنساق مضمرة خفية، ووظيفة النسق الظاهر هي الكشف عن الأنساق المضمرة؛ إذ يهدف النسق المضمّر «إلى ربط الأدب بسياقه الثقافي غير المعلن؛ كون النقد الثقافي يتعامل مع النصوص والخطابات، على أنها رموز جمالية ومجازات شكلية موحية، بل أساس أنها أنساق ثقافية مضمرة تعكس مجموعة عن السياقات الثقافية التاريخية والسياسية والاجتماعية والاقتصادية والأخلاقية والقيم الحضارية والإنسانية»^(١)، وهدف الناقد الثقافي في هذا السياق هو استقراء الأنساق الثقافية الظاهرة للوصول إلى النسق المضمّر بواسطة التأويل الذي يكشف عن عمق المعرفة وأصل المعنى.

الأنساق الثقافية للمرأة في سيرة (عشيّات الحمى)

تمثل المرأة بوظائفها المختلفة وأنساقها الثقافية المتنوعة عنصراً فاعلاً في سيرة عشيّات الحمى للكاتب حمد البليهد؛ إذ يطغى حضورها بقوة على أحداث الرواية ومواقفها وشخصياتها، وتستأثر إلى -حد كبير- بمجريات الأحداث، بل وتتحكم أحياناً في مجرى السرد والوصف، فتشكل بذلك حضوراً لافتاً له أثره في تشكيل الخطاب السردى وأحداثه، والكشف عن الأنساق الثقافية والاجتماعية واللغوية في السيرة الذاتية المختارة بشكل كبير. ومن هنا تحاول الباحثة تتبع هذا الحضور الأنتوي المهيمن وتمثاله الثقافية في عينة الدراسة، بواسطة استقراء النسق الخارجي المتمثل في العتبات، والنسق الداخلي المتمثل في المتن بسياقاته المختلفة المتضمنة لتمثالات الذكورة والأنوثة بسياقاتها الاجتماعية والثقافية، كالآتي:

المبحث الأول: النسق الخارجي

المطلب الأول: عتبة العنوان:

يمثل العنوان العتبة الأولى التي تواجه القارئ وتشدّ انتباهه لما يدل عليه من موضوع، فضلاً عن أن العنوان هو البوابة الرئيسة للدخول إلى النص وسبر أغواره، وفتح مغاليقه.

للنشر والتوزيع، ٢٠١٦م، ص ١٧.

(١) جميل حمداوي، نحو نظرية أدبية ونقدية جديدة، (نظرية الأنساق المتعددة)، ط ١، الشاملة الذهبية، ٢٠٠٦م، ص ١٥.



وعليه، يأتي عنوان السيرة الذاتية المختارة للدراسة (عشّيات الحمى)، ليكشف عن اختيار واع وعناية بالغة تدل على موضوع سيرته الخاصة بمرحلة الطفولة التي عاشها. ولو وقفنا على لفظة «عشّيات» بصيغة جمع المؤنث لوجدنا أنها جمع لمفردة «عشّية» التي تشير إلى وقت العشاء، وهذا الوقت مهمٌ جدًّا في الذاكرة الشعبية العربية؛ إذ إنه الوقت المخصص للمتعة الفكرية بسماع أحاديث السَّمَر، وحكايات الطفولة من ألسنة الجدات، فضلًا عن أن العشّيات هي أوقات استراحة الذهن وراحته، فهي أنسب الأوقات التي يستمتع فيها السمار ويتأثرون فيها، لا سيما في مرحلة الطفولة وهم يستمعون لتلك القصص والحكايات المروية بطريقة سردية يتخللها عناصر التشويق والإثارة والمتعة.

ومن هنا فإن علاقة العنوان بالمرأة تتمثل في جهتين الأولى دلالات لفظ «عشّيات» بصيغة المؤنث على تلك الليالي المؤنسة والمظلمة في الوقت ذاته، والأخرى دلالاته على محاولة السارد الخروج عن النسق المظلم، بدلالة العشّيات على الظلام وما يحمله من دلالات إيجابية سلبية، إلى النسق المضيء المرتبط بأحاديث السمر والتسلية والقصص الشعبية؛ ليتناسى السارد تلك الليالي بأحاديث السمر الملقاة على ألسنة الجدات، فيشعر بالمتعة والأنس.

وكأن السارد يكشف -بقصدٍ أو بدون قصد- عن كيفية بداية تشكيل وعيه الثقافي المرتبط بتلك القصص والأحاديث والمسامرات التي كان يستمع إليها في مرحلة طفولته على لسان المرأة؛ فيوحي بأن المرأة كانت هي الملهمّة الأولى للرجل، فضلًا عن إشارته إلى دور المرأة الرئيس في السيرة الذاتية موضوع الدراسة، وغلبة حضور نسق الأنوثة على نسق الذكورة من خلال العنوان ودلالاته الرمزية والثقافية.

المطلب الثاني: عتبة الإهداء:

يطغى حضور النسق الأنثوي في عتبة الإهداء على النسق الذكوري؛ إذ تحضر الأم بوصفها الشخصية الأكثر تأثيرًا في السيرة الذاتية «إلى أمي وقد غادرها نور البصر فطوت رحلتها بضياء البصيرة»^(١)، في سياق الفخر والإعجاب بنفاذ بصيرتها ونضجها وتأثيرها

(١) حمد البليهد، عشّيات الحمى سيرة طفولة، ط ١، بيروت، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ٢٠٢١م، ص ٢٤.

على تشكيل وعي السارد وثقافته، ذلك الوعي الذي يعوض ما فقدته من نور البصر الذي غادرها، بضياء البصيرة النافذة التي شكلت شخصية الكاتب وثقافته؛ لتبدو الأم في صورة المرأة الواعية المبصرة بضياء العقل في رحلة الحياة، فتضيء لغيرها المتاهات المظلمة في تلك العشيّات. وهنا نلاحظ أن النسق الثقافي المعلن في صورة الأم الكفيفة يحاول تجاوز النسق الداخلي المضمّر المتمثل في حجم الألم الخفي الكامن وراءه. في حين يظهر الأب بوصفه آخر في محيط القرابة، «إلى أبي حقل القمح الذي ظل يطعمنا بعد أن ضحا ظله»^(١) وبدوره التحفيزي للذات، في صورة حقل القمح الذي يرتبط بالأرض ونتائجها، والكفاح الذي يبذله الأب في سبيل تربية أبنائه وسعادتهم.

فهناك حضور طاغ للأم يكشف عن دورها المحوري في حياة الكاتب، ويمثله التعبير الدال على تعويض فقد البصر وما يصاحبه من آثار نفسية واجتماعية، في «فطوت رحلتها بضياء البصيرة»، مقابل حضور أقل للأب يوحى بالمجاهدة والتعب في جملة «بعد أن ضحا ظله».

ثم تحضر المرأة المعشوقة مريم في المرتبة الثانية بعد الأم، وقبل الأخوات، بوصفها المرأة المحبوبة التي ارتبطت بالحب الأول للسارد في طفولته، بدلالات اسم مريم الرمزية التي تحيل على سيرة السيدة مريم في القرآن الكريم، بدلالاتها على الطهر والعفاف والبراءة والتدين والتقوى، التي شكل رحيلها وهي صغيرة أثراً بالغاً في حياة السارد، فاستعصت على النسيان، «إلى مريم غزالة الأمس، وقد قنصها الموت طفلة، ولكنها دوخت سطوة النسيان....»^(٢)؛ فربما شكل رحيلها خلاصاً من الحزن الذي كان سيلحق بها حال أصيبت بالإعاقة نتيجة ذلك الحادث الذي تعرضت له، فاستدعاؤها له معنى رمزي سيظل مرتبطاً بأحزان الرجال على ذهاب المحبوبات، ومن جهة أخرى يوحى نسق المحبوبة الظاهر بنسق خفي يعكس موقف المجتمع آنذاك تجاه الحب؛ مما جعل عدم اكتماله وسيلة للتوافق مع عاداته وتقاليده.

(١) البليهد، عشيّات الحمى، ص ٢٤.

(٢) المرجع نفسه.



ثم «إلى إخوتي وأخواتي...»^(١)، وفي هذه الجزئية تبدو معادلة الخطاب السيرذاتي متساوية الحضور بين الرجل والمرأة.

وعليه، فإن حضور المرأة بدلالاتها الثقافية في خطاب الإهداء في صورة طغت على حضور الرجل، يشير إلى أثر المرأة بشكل عام في السيرة الذاتية وأحداثها وشخصياتها، فضلاً عن أثرها الكبير على حياة السارد بشكل عام، وعلى تشكيل شخصيته ووعيه وسعة مداركه. وقد انعكس أثر ذلك الحضور على البناء الداخلي للسيرة الذاتية، وهو ما سنراه بالتفصيل لاحقاً.

(١) المرجع نفسه.

فظهر الأم في السيرة الذاتية وهي تعي دورها تجاه ولدها رغم فقد بصرها، يكشف عن حرصها الشديد على تنشئة ولدها تنشئة سليمة، فضلاً عن تثقيفه؛ لإيمانها العميق بقدرة الثقافة في منح نفسها «قيماً إضافية بواسطة منح الكلمات دلالات مزدوجة».^(١)

فهناك حضور نسقي للمرأة في عتبات السيرة الذاتية يطغى على الحضور الذكوري للرجل؛ مما يشير إلى تحولات إيجابية للمرأة في مجتمع السارد بواسطة الظهور والإفصاح؛ مما يعكس بظلاله حضوراً فاعلاً للمرأة في المتن الداخلي للسيرة الذاتية، وهذا ما سيقف عليه بالتحليل المبحث الثاني.

المبحث الثاني: النسق الداخلي

تكمن الأنساق الثقافية للمرأة في السيرة الذاتية المختارة (عشّيات الحمى)، في نسق علاقة المرأة بالرجل، ومدى التأثير والتأثر في السياق الاجتماعي أو السياق الثقافي؛ إذ تبدو تلك العلاقة متأرجحة إلى حدٍّ ما، فأحياناً يهيمن الذكر على الأنثى، وأحياناً تهيمن الأنثى على الذكر، وسنقف بالتحليل على بعض الشواهد البارزة في السيرة الذاتية عينة الدراسة؛ لنعين تمثلات الأنساق الثقافية للمرأة عبر محورين:

المطلب الأول: هيمنة الذكورة/غياب الأنوثة:

١- نسق مصادرة الاختيار:

تهيمن الثقافة الذكورية على الثقافة الأنثوية في النسق الاجتماعي المرتبط بتسمية الأبناء بأسماء آبائهم وأجدادهم؛ إذ يكشف الخطاب السيرذاتي في سيرة (عشّيات الحمى) عن استئثار الرجل في اختيار أسماء أبنائه دون المرأة؛ إذ يحرص الآباء «على تسمية الذكور بأسماء آبائهم، أو أجدادهم أكثر من حرصهم على تسمية الفتيات بأسماء الأمهات والجندات»^(٢)، وهذا يكشف عن مصادرة الرجل لقرار الأنثى وإزاحتها عن دائرة صنع القرار، وحرمانها من حق المشاركة باختيار اسم ولدها، ويعلل الكاتب ذلك الاختيار بما

(١) عبد الله محمد الغدامي، القبيلة والقبائلية أو هويات ما بعد الحداثة، ط١، الدار البيضاء، المركز الثقافي العربي،

٢٠٠٩م، ص ١٥.

(٢) البليهد، عشّيات الحمى، ص ٢٤.



جرت عليه العادات والتقاليد السائدة في المجتمع؛ «لأن الذكر هو من يخلد اسم العائلة بحسب النسق الاجتماعي، فليس الذكر كالأنثى التي يغيب اسمها مع الزمن، ولا سيما حين تتزوج من خارج عائلتها»^(١).

وهنا يكون الخطاب السيرذاتي نتيجةً لتفاعل هذه الأنساق الثقافية في ما بينها، فهي «ذات صلة وثيقة بإنتاج الخطاب الإبداعي والفكري وطرائق تلقيه، والأنساق لا تقتصر على الأدب الرسمي أو المعتمد... في ثقافة ما، إنما تتجاوز ذلك الأدب الرسمي»^(٢)؛ إذ يكشف النسق الاجتماعي الظاهر في بنيته السابقة عن نسق ثقافي اجتماعي مضمّر «مرتبط بأعراف وتقاليد بالية، تُعلي من مكانة الرجل في مقابل تهميش دور المرأة في اتخاذ القرار على الرغم من أنّها شريكته في البناء الأسري»^(٣). وهذا لا يعني أن استسلام المرأة لذلك القرار الذي يهملها، بل إن هناك محاولات عديدة تبذلها المرأة لتسمية ولدها باسم أبيها، إلا أن محاولتها تبوء بالفشل؛ نتيجة لهيمنة الرجال على القرار تماشيًا مع النسق الاجتماعي والتقاليد المجتمعية آنذاك؛ إذ تحرص والدّة الكاتب على أن تسمي ابنها بعمر تيمُنًا باسم أبيها، ولكن ثقافة الذكورة عند أبيه غلبت فلم يتحقق لها ذلك الحلم إلا بعد وفاتها في اسم أحد أحفادها «وعمر اسم جدّي الذي ظلّت أُمّي تتأمل طيلة حياتها أن تسمي أحد أبنائها باسمه، إلا أن أبي في ما يبدو لم يجد في إيقاع اسم عمر ما ينسجم مع ذوقه الخاص، وربما استشعر غرابته في شجرة أسماء أبناء عائلته وأحفادهم التي يكاد يندر فيها هذا الاسم، وهكذا تأخر حلم أُمّي سنوات، إلا أنه تحقق قبل وفاتها بأربع سنوات في أحفادها، حينما أسمت أختي أحد أبنائها عمرًا، وقد ظل هذا الابن أثيرًا عند أُمّي، تجد أنسًا في ترديد اسمه، وهي تفاخرنا به»^(٤)، وهذا يكشف عن أن تسمية الأبناء يخضع لنسقية اجتماعية تدور حول تخليد أسماء العائلة وعدم الخروج عن عاداتها وتقاليدها،

(١) المرجع نفسه.

(٢) ضياء الكعبي، السرد العربي القديم الأنساق الثقافية وإشكاليات التأويل، ط١، بيروت، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ٢٠٠٥م، ص ٢٢.

(٣) بركات أحمد، ثنائية الذكورة والأنوثة بين الهيمنة والتحرر، قراءة سوسيو ثقافية في رواية «قصيد في التذلل» لطاهر وطار، دراسات معاصرة، ٢٠٢٣م، المجلد السابع، العدد الخامس، ص ٤٧٨.

(٤) البليهد، عشيات الحمى، ص ٥٥.

وليست المرأة في هذا النسق سوى متلقٍ تحذو حذو زوجها بدون أن يكون لها رأي فيه. حتى إن حلمها في تسمية أحد أولادها باسم أبيها جاء على يد ابنتها بعد أمدٍ بعيد، وليس من قبل ابنها، وهنا يوحى النسق المضمّر بثمرة نجاح المرأة وكفاحها لإثبات وجودها في عالم الرجل، ونيلها الحقوق التي كانت تصبو إليها مع تطور المجتمع وتجاوزه العادات والتقاليد البالية؛ ليغدو رأيها مقبولاً ومحترماً. فالكاتب في هذا النسق يقوم بتحليل السلطة الذكورية؛ ليسهم بالحديث نيابة عن المرأة أو تمثيلاً لموقفها.

٢- نسق إقصاء الأنثى عن مجالس الرجال:

يكمّن هذا النسق في ممارسة العادات والتقاليد التي توارثتها المجتمعات بإبعاد الأنثى عن مجالس الرجال والنظر إليها بدونية، و«تعبّر عن حالات معنوية ذات علاقة روحية عميقة الجذور، بنفسيات الناس وقيمهم الثقافية والاجتماعية، فهي ساكنة في ضمائرهم ومنعكسة في أساليب سلوكهم... وهي حكمة الشعب»^(١)، ويبدو هذا النسق في عينة الدراسة بواسطة حكاية الكاتب عن ممارسات اجتماعية يمارسها جدّه في موقفه تجاه المرأة، كما يكشف الكاتب بذلك عن طبيعة المجتمع وأنساق المتوارثة في تغليب الذكورة على الأنوثة وتهميشها، ويتمثل ذلك في رفض جدّه حضور النساء في مجالس الرجال حتى لو كنَّ صغاراً، ويعزو الكاتب السبب إلى تأثير ثقافة الذكورة، فيتجلى النسق المتشدد مجتمعياً في أعتى صوره نحو منع المرأة بقوله: «وكانت مجالس الرجال في ذلك الزمن محظورة على النساء بتأثير من الثقافة الذكورية، فرفع جدي صوته مستنكراً: «من اللي بالقهوة؟» وكان أخوه عبد الله قد طلب من ابنته الأثيرة (نورة) وكانت أميرة أبيها، إعداد القهوة ريثما يعودان من الصلاة، فقال الشيخ عبد الله لأخيه: «هذه نورة تسوي القهوة». فثار جدي محتجاً غاضباً غضبة مضرية: «من متى الحريم تدخل مجالس الرجال؟!» فهوّن أخوه الأمر، فاحتدّ جدي قائلاً: «لو تعاندني يدي قطعها»، فأمسك الشيخ بيد جدي وقال برجاحة الحليم: «لمنك قطعت يدك ما يصير لك إلا يد وحدة يا خوي!».»^(٢) فاستدعاء الرمز

(١) محمد سعيدي، العائلة وعاداتها وتقاليدها بين الماضي والحاضر، ظاهرة الاحتفالات بالأعياد نموذجاً، مجلة إنسانيات وهران، جانفي، ١٩٨٨م، العدد الرابع، ص ٤٥.

(٢) البليهد، عشّيات الحمى، ص ٢٥.



(اليد) في سياق ثقافي لإقناع الرجل بأهمية الأثني بالنسبة له في كونها الجزء المكمل للرجل في الحياة، وتشبيهها باليد يوحي بعدم إمكانية الاستغناء عنها.

وهنا نلاحظ حوارًا حجاجيًا يكشف عن صراع الشخصيات في السيرة الذاتية حول وجهة نظر النسق الاجتماعي نحو المرأة؛ فطرفٌ يحاول تغييبها عن المشهد الاجتماعي بما تملّيه ثقافة العادات الاجتماعية والنظرة السلبية المتوارثة عن المرأة بعدم مخالطتها للرجال، وعدم حضور مجالسهم حتى لو كانت صغيرة، بل حتى لو كانت فردًا من أفراد الأسرة الذين يحق لهم مخالطة الرجال؛ لأنهم من المحارم، وآخر يحاول تغيير المفاهيم الثقافية السائدة التي رسخت في اللاوعي «بأن مشاركة المرأة في الحياة العامة سوف تشكل تهديدًا لمفاهيم الرجولة التي نشأوا عليها، أو تنخر في جذور وأنساق القواعد السائدة في توزيع العمل وأدوار الحياة»^(١)، فيحاول تغيير تلك النظرة في الفكر الاجتماعي، وإرساء قيم العدالة بين الرجل والمرأة، بواسطة أعمال العقل والمنطق، وإثبات حضور المرأة اجتماعيًا بالحجة والمنطق العقلي بأنها نصيف الرجل، وركنٌ مهمٌ من أركان الأسرة التي لا تستقيم الحياة بدونها، فيشبهها باليد التي لو قُطعت فلن يستطيع الإنسان العمل بيد واحدة، وهذا يدل على أهمية المرأة بالنسبة للرجل وللمجتمع ككل.

٣- نسق تعدد الزوجات:

يبدو هذا النسق في نموذج الدراسة من استدعاء الكاتب لسيرة جده؛ إذ يتفنن الكاتب بإظهار موقفه وعدم قناعته بظاهرة تعدد الزوجات التي لا يجد لها مسوغًا لدى جدّه، فيعرض لمغامراته في عالم النساء بأسلوب المدح بما يشبه الذم بقوله: «وهذي إحدى مآثر هذا الجد وإنجازاته في عالم النساء، على أن أحد أحفاده بعد ذلك بزمان طويل، بعد أن يقرأ هذه الأسطر، قد يقدم بعض (المسوغات) الجاهزة لهذه الزوجات الكثيرة، وهي أسباب دينية واقتصادية واجتماعية، وسنقتنع! لأننا لا نملك غير ذلك»^(٢)، وهنا يشير الكاتب إلى أسباب تعدد الزوجات المرتبطة بعادات وتقاليد المجتمع المتعارف عليها، وهي

(١) محمد الشحات، أثر النسق الثقافي في تشكيل الرواية النسوية العربية بحث في النيمات والتمثيلات، جامعة القاهرة، مركز اللغات والترجمة، ٢٠١٨م، المجلد السابع، العدد الثالث، ص ٢٧.
(٢) البليهد، عشيات الحمى، ص ٢٦.

أسباب دينية واقتصادية واجتماعية، وهذا هو النسق الثقافي الظاهر في أوساط المجتمعات، إلا أن هذا النسق يخفي نسقاً مضمراً يوحى بوجهة نظر الكاتب وموقفه المعارض تجاه تعدد الزوجات، وعدم اقتناعه بالأسباب المتعارف عليها في المجتمع وهذا ما تشير إليه دلالات قوله: «وهذي إحدى مآثر هذا الجد وإنجازاته في عالم النساء»؛ إذ يوحى بالأثر السلبي لهذه المآثر والإنجازات على حياة الأبناء والأحفاد، وكأنَّ الأولى في نظر الكاتب أن يحقق إنجازات أخرى ذات مردود إيجابي على الأبناء والأحفاد في مجالات أخرى غير مجال تعدد الزوجات والبحث عن المتعة واللذة والترف الاجتماعي، وهذا ما يخفيه النسق الظاهر لتعدد الزوجات في هذا السياق، لدرجة أن الكاتب لا يستطيع إحصاء عدد زوجات جدّه لأبيه على وجه الدقة «من الصعب إحصاء عدد زوجات جدي لأبي على وجه الدقة؛ لذا فقد يكون ترتيب جدتي الخامسة أو السادسة، ولم يتزوجها بكراً»^(١).

كما يبدو هذا النسق الثقافي في تغييب زوجة أبيه الأولى التي تزوجها قبل والدته، ثم طلقها؛ إذ لا يكاد الكاتب يجد لها أثراً يذكر في سيرته لتغييبها من قبل أبيه وأمه أو لعدم بيان سبب الطلاق أيضاً؛ إذ يقول إن أباه تزوجها في سن الثامنة والعشرين: «ليتزوج بامرأة، لا نكاد نحن الأبناء نعرف عنها شيئاً، وكان كلما سألتها عنها يصرف الحديث إلى موضوع آخر، أما أمي فكانت تكتفي بأن تقول: «الزواج قسمة ونصيب»، وهو مشروع يبدو أنه لم يتجاوز الأشهر القليلة»^(٢).

وفضلاً عن ذلك، يتضح تأثير رصد العادات والتقاليد المرتبطة بالزواج وطريقته وأثره في حياة الكاتب، ودور هذا الأسلوب في تشكيل الخطاب الاجتماعي السيرذاتي، من خلال عرض الكاتب لطريقة زواج جدّه لأُمّه من جدّته؛ إذ يذكر أن من بين طرق الزواج مدح الفتيات بشعرٍ أثناء العمل كالخصاد وغيره من الأعمال التي يقوم بها الرجال والنساء معاً، فيستولي على قلوبهن، ومن ثم تصبح تلك طريقة لجذب الفتاة والزواج بها، وكانت جدّته لأُمّه من تلك الفتيات اللاتي تأثرن بالمدح، فتزوجت بجدّه: «وقد يمدح أحدهم بشعره فتاة أو مجموعة فتيات؛ لنشاطهن في العمل، أو لأن بعض الأمهات أكرمته بقطعة

(١) المرجع نفسه، ص ٢٧.

(٢) البليهد، عشّيات الحمى، ص ٣٦.



من الملابس، أو قدّمن له يسير الطعام، ويطلقون عليه (السلب)... وقد كانت جدتي لأمي من اللواتي قيل فيهنّ مثل هذا النوع من الشعر، حتى سارت به الركبان، وتناهى ذلك إلى سمع الشاب العائد من غربته، خبر هذه الفتاة، فطار خياله إلى عوالم جميلة، وردد مع بشار بن برد: يا قوم أذني لبعض الحي عاشقة والأذن تعشق قبل العين أحياناً^(١)، وهذا يوحى بأثر النسق الاجتماعي المتداول باللسنة الناس بفعل التأثير الشعري «والغواني يغرنه الثناء» بما للشاء والمدح من أثر في جذب المرأة وشدّ انتباهها وإعجابها بالرجل؛ إذ تحب المرأة من يملأ مشاعرها بالكلام الجذاب.

وبالرغم من محاولة الكاتب استكشاف الأنساق المضمرة حول طريقة زواج جدّه بجذّته بواسطة أسئلته التي كان يطرحها مرارًا على والدته الساردة لتلك الحكايات لكن دون جدوى: «حاولت اكتشاف المزيد من تفاصيل اللقاء الأول، لكن دون جدوى، وقد سألت أُمي مرارًا هل عاش جدّي قصّة حبٍّ مع جدتي؟ فلم أجد جوابًا دقيقًا، فقد كانت أسئلتي تضيع في الفراغ، وتحاط بأجوبة عامة من أمثال: كان بينهما محبة ووثام، وقد قدّما تضحيات كثيرة لبعضهما بعضًا، ويبدو أن التعبيرات عن الحب في ذلك الزمن كانت تأخذ شكلًا عمليًا دون التصريح بالمشاعر الرومانسية بالهدايا والورود والكلام العاطفي، ولا شك أن العفة والحياء أيضًا كانتا تتحكمان في مثل هذا الموضوع؛ لذا لم أجد عند أُمي الأجوبة التي تخيلتها»^(٢). فهو يكشف عن طبيعة العلاقات التي كانت سائدة عن الحب وموقف المجتمع منها، بما يوحى بنسق مضمر بأن التصريح بالمشاعر الرومانسية في ذلك المجتمع تجاه المرأة بحبها وبالوسائل التي تدل على الحب، كان من الأمور المسكوت عنها، والتي كان المجتمع يقف منها موقف الرفض؛ نتيجة لتأثيرات العادات والتقاليد السائدة آنذاك التي تعد مثل هذا التصريح من خوارم المروءة؛ كونه منافيًا للحشمة والعفة حسب معيار المجتمع ووجهة نظره آنذاك.

(١) المرجع نفسه، ص ٥٢.

(٢) البليهد، عشّيات الحمى، ص ٥٣.

٤- نسق الإغراء واستمالة المرأة باللغة:

يكشف هذا النسق عن نسق مضمّر تسرب في أوساط المجتمع، ومفاده أن المرأة ضعيفة وعاطفية تتأثر بسرعة وتستسلم للرجل، ولا تستطيع مقاومة إغرائه اللفظي؛ لما يمتلكه الرجل من مهارة الإغراء باستعمال اللغة التي لها تشبه السحر في تأثيرها؛ إذ كان الشعر والمدح والإطراء من الوسائل التي تغري المرأة لتحقيق الإقناع بما يريده الرجل سواء بقبول الزواج أو بالانقياد له وعدم مخالفته، فيحاول استمالة قلبها بواسطة أسلوب السرد، فتنقاد له وتتماشى مع سلطته، «وقد أثارت هذه القضية جدلاً واسعاً حول الامتلاك الشرعي للغة ولمن الريادة في ذلك، فعلى مر العصور ومنذ الأزمنة الغابرة كانت المرأة كائنًا ضعيفًا مهمشًا لا يستطيع أن يجهر بصوته ولا أن يدلي برأيه، فهي دائماً تحت سلطة الذكر الذي يعد صانع اللغة وممتلكها، فهي حكرٌ عليه مادامت الثقافة تقف إلى جانبه وتمنحه السلطة الكاملة»^(١) وعليه، فإن الرجل يستثمر إمكانات اللغة لتحقيق سلطته على المرأة، متخفياً بعباءة الثقافة؛ حتى لا تستطيع المرأة نزعها منه، فتنقاد لرغبته إلى أي وجهة يريدها، فهي تابع للرجل كما يصورها الكاتب حين يرصد خوف الأنثى من الرحيل؛ لأنها خلقت للاستقرار «أخذ أبي يفتن أُمّي بمخيلة السرد، وينمّق لها طيب العيش هناك، وتوافر وسائل الراحة، وبعد أن نجح في استمالة قلب فانتته، شرع يبحث عن خطة محكمة يقنع بها جدّاي..»^(٢) فيكشف الكاتب ما استقر في الفكر الاجتماعي السائد من أن المرأة ضعيفة وسهلة الانصياع؛ ونتيجة لذلك فإنها تُغرى بالكلام المعسول، وتنجذب للوصف، وتنخدع بالإطراء، فيستطيع الرجل أن يسيطر عليها من هذا المنظور الثقافي الذي رسخته العادات والتقاليد عن الرجل المهيمن مقابل المرأة الهامش.

(١) شريف بموسى عبد القادر، الأنوثة في الخطاب العربي عبد الله الغدامي أنموذجاً، مجلة مقاليد، ٢٠١٦م، العدد الحادي عشر، ص ٢٤٥.

(٢) البليهد، عشّيات الحمى، ص ٣٩.



المطلب الثاني: هيمنة الأنوثة/تغيب الذكورة

١- نسق المرأة ملاذ الرجل:

يظهر هذا النسق في لجوء الكاتب إلى حضن أمه لتعويض فشله وخيبته مع زملائه في عدم رؤية الملك فيصل بقوله: «عدنا كقطيع الراعي، فاحتضنتنا الأمهات، ونسينا الخيبة، ومضينا نلهو ونرتع في دروب الحياة، بأحلام لا تتجاوز حجم أقدامنا الغضة»^(١). فكانت الأم ملجأ الكاتب حين أحسَّ بخيبة أمل من عدم رؤيته الملك بوصفه حلماً كان يحلم به الصغار؛ لأن الأم مصدر الفرح ومآل الروح، ومبعث الأمل، في الوقت الذي لم يحفل به الشيخ ذو اللحية البيضاء، وأظنه والده «الذي فتح ذراعيه لاستقباله، احتضنه برفق، فاستمر يشاغب لملاحقة البهم»^(٢). وهنا تتجسد القوة في المرأة؛ إذ تصبح هي المركز لدى الكاتب مقابل الرجل الهامش، فيطغى نسق الأنوثة على نسق الذكورة.

كما تغدو المرأة مصدر الضياء والنور، وملجأ الرجال لتوفير الراحة والاطمئنان بعد تعب الحياة وكدها: «وحين يهطل الظلام يحملهم العناء إلى منازلهم الحزينة، المضاءة بغيش السرج المعتمدة، حينها تكون الجدّات قد أشعلن النار بسعف النخيل أو (الجلّة) أو هذب الأثل، وربما أسعفن الحظ العاثر ببعض شجر (الرمث) فنصبن القدور النحاسية، بعد أن أسهمن في كدح الحياة بنصيب وافر»^(٣). فالمرأة هنا مصدر لتخفيف الألم الناتج عن كدح الحياة.

كما تبدو المرأة في هذا النسق بوصفها مصدر الحنان بالنسبة للرجل، وباعثة الأمل، لا سيما الأم التي تشد من عضد الأبناء وتشحذ همهم بدعواتها، فيستمدون منها القوة والعزيمة في مواجهة تقلبات الحياة وقسوتها، ببركة دعائها وحبها: «وبشموخ أمني المعتاد راحت تلمسها بيدها [أي دفاتره المبعثرة]، وطوقني بحنان، وارتعش صوتها بكلمات أظنها عن المستقبل، ثم رشّت وجهي ببعض الأدعية، وفجأة امتلأت الحجرة بطيور الجنة»^(٤).

(١) البليهد، عشّيّات الحمى، ص ٢٠.

(٢) المرجع نفسه.

(٣) المرجع نفسه، ص ٢١، ٢٢.

(٤) البليهد، عشّيّات الحمى، ص ١٠١.

وقد تشكل المرأة ملجأً للكاتب من عقاب الرجل وقسوته، فتكون الأنوثة في هذا النسق مكنى الأمان والاطمئنان بالنسبة للطفل، مقابل قسوة الذكورة وشدها وعنفها؛ إذ يلود الكاتب بأمه مستشفعاً من عقاب أبيه^(١) الذي كان يعتقد أن قسوته كانت نتيجة لكونه ضحية لظلم غامض، فينعكس أثره في أبنائه.

٢- نسق غياب المرأة/تصدع الرجل:

يمثل غياب المرأة عن حياة الرجل في هذا النسق تصدعاً لحياة الرجل وكيانه، ومن ثم تصدع النظام الأسري داخل المجتمع، وخلخلة علاقاته، وإضعاف بناءه الداخلية، فيفقد تماسكه؛ بسبب غياب أهم عنصرين في تكوين شخصية الرجل وتوازنها بعلاقته مع المرأة، وهما العطف والحنان؛ مما يؤدي ذلك الفقد إلى الصراع العاطفي والقلق والاضطراب، فغياب المرأة له أثره في فقد الحنان لدى والد الكاتب، ومن ثم نزوعه للعزلة والصمت، وافتقاده السلام النفسي، «فتضاعفت غربته، ودخل في دوامة من الصراع العاطفي، وفقد حنان أمه ورعايتها، ولا شك أن تلك العزلة التي سترافقه طيلة حياته، وتجعله يميل إلى الصمت والتأمل، هي من نتائج تلك التربية، ومن أثر ذلك المناخ الضبابي الذي تسرب إلى روحه وهي غصة طرية، فرافقته الوحدة، وأحس بنقص في نظامه الأسري... ومنهم من فارق أمه مثل أبي، ففقد الحماية والسلام النفسي، ومنهم من يعيش تحت جناح أمه، تدافع عنه أمام هذا العدد من الإخوة أبناء العلات، فتطعمه من جوع، وتأمّنه من خوف، وتدفعه في ليالي الشتاء، وتهتم به إذا مرض، وما أكثر الأمراض في مرحلة الطفولة.

في وسط هذا الاضطراب، عاش أبي، فلازمته غربة التوحد، وظل حنينه إلى أمه يتراكم على مر الأيام في نفسه مزيجاً طاغياً من العواطف المكتومة، وقد رأيت يذرف الدموع السخية حين تلوح في مخيلته ذكراها، وقد جاوز السبعين من عمره، فعرفت حجم الحرمان الذي فُجع به في طفولته، يُضاف إلى كل ذلك شدة اتصف بها والده، فكانت طفولته تتقلب بين مواجه الفقد وهيب الشدة^(٢)؛ لذا كان شديد الحنين إلى والدته، ففي السابعة من عمره يقود شيخاً من البكيرية إلى الرس، «فلما انتصفوا الطريق،

(١) المرجع نفسه، ص ١١٣.

(٢) البليهد، عشيات الحمى، ص ٢٨.



لاحت من بعيد نخيل مزرعة جدّه حيث تقيم أمه، فخفق الحنين في صدره، واستولى عليه الحرمان، فاستأذن الشيخ لقضاء حاجته، وما أن أفلتت معصمه، حتى سابق الريح، وفرّ إلى أمه، وكان في نيته أن ينهل من حنائها، ثم يعود إلى الشيخ». (١) وهنا نلاحظ ارتباط الأم بالنخلة في ما سبق لتشابه الطرفين في العطاء والخير والبذل والحب وإسعاد الآخرين، كما نلاحظ حضور المرأة برمزيّتها على أنها مصدر الحنان داخل السارد، وتفضيلها على الشيخ بمزيّته الدينية، وهذا يوحي بتفضيل النسق العاطفي ومصدره المرأة على النسق الديني المرتبط بالشيخ؛ لتغدو المرأة محنة المركز والرجل في الهامش، وهذا ما يكشف عنه الخطاب السيرداتي في عينة الدراسة.

٣- نسق الاختيار في اتخاذ القرار:

يكشف هذا النسق عن صورة المرأة النموذج المثال الذي يحتذى به، فيجلو ما علّق في الفكر الاجتماعي من تغييب المرأة وعدم الأخذ برأيها؛ إذ يحو الخطاب السيرداتي في نموذج الدراسة تلك النظرة الخاطئة التي هيمنت على النسق الثقافي للمرأة، فيجعلها مرجعية الرجل للاستشارة في أهم الأمور التي تبني بها الأسرة والمجتمع ككل، والتي يجهل الرجل معرفتها؛ بسبب الهوة الواسعة الحاصلة بين الرجال والنساء آنذاك، وهنا تصبح المرأة هي المركز في اتخاذ القرار الصائب في نسق اختيار الزوجة المناسبة بعد فشل الرجل في اختياره بنفسه؛ إذ كانت جدته مرجعاً لوالده للاستئناس والسكينة والمشورة أيضاً؛ فهو يرجع إليها حينما ينتابه أي ظرف، ومن ذلك زيارته لها بعد نهاية زواجه غير السعيد بالزوجة الأولى، واستشارتها في زواجه بأمه التي كانت تلميذة نجية عندها كما صرح السارد في وصفها سابقاً: «وفي إحدى زيارته لها أخذت تقترح عليه زوجة من فتيات العوائل التي تعرفها، أو تلك التي تربطهم بها صلة قرابة، وكان أبي في تلك الأمسية يستمع إليها باهتمام ملحوظ، ولسبب مجهول في تلك اللحظة تنهد بعمق وسألها عن والدتي، فابتسمت جدتي بالموافقة، وهكذا قرر أبي الزواج بأمي، بطريقة دراماتيكية، وقبلت هي بالزواج من رجل لم تشاهده من قبل، ويحصل على رزقه في مكان يتخطى حدود خيالها، وكانت طريقة زواجهما هي أفضل

(١) المرجع نفسه، ص ٢٩.

ما يوفره ذلك الزمن». (١) ومن جهة أخرى يكشف هذا الخطاب عن النسق التقليدي في اختيار شريكة الحياة لدى الزوجة نفسها؛ إذ إن ارتباط الزوجين في المجتمع العربي نتيجة عن نسقية اجتماعية راسخة لدى أسر هذا المجتمع، وتقوم على أساس أن قرار الاختيار ليس حقاً من حقوق الأنثى، وربما حتى الرجل، وهذا هو الزواج المتعارف عليه والمألوف في المجتمع، وربما ما يزال سارياً عند بعض الأسر والمجتمعات حتى الآن؛ إذ تتولى الأم غالباً أو الأخت الكبرى أحياناً اختيار الزوجة التي تراها مناسبة لابنها أو لأخيها، أما الفتاة التي وقع الاختيار عليها فإن والديها هما المعنيين بالقبول أو الرفض منها.

٤- نسق الآخر المساند/الخالة والعمة:

تحضر الخالة والعمة في السياق الثقافي في المجتمع لتأدية وظائف اجتماعية عدّة، فحضور الخالة يمثل دور الأم في الحنان والحب والرعاية في النسق الثقافي والديني؛ إذ يستدعي الكاتب الموروث الديني الذي يعزز من دور الخالة في كونها المعادل للأم، «فالخالة أمّ كما جاء في الحديث الصحيح». (٢) ثم يعزز تلك الرؤية ويبين ذلك الدور المهم الذي تؤديه الخالة والعمة في السياق المجتمعي باستدعاء العقّاد؛ للتفريق بين الخال والعم، والخالة والعمة، بواسطة معايير نسقية تعارف عليها الناس في علاقاتهم الاجتماعية، بقوله: «الخال أشدّ عطفاً من العم؛ لأن الرجل ينافس أخاه بأبنائه، ولا ينافس أخته بهم. والعمة أشدّ عطفاً من الخالة؛ لأن المرأة تنافس أختها بأبنائها ولا تنافس أخاها». (٣) فالكاتب يستحضر العقّاد في إثبات وجهة نظره؛ لحضور العقّاد وشهرته وما عرف عنه من عبقرية في الثقافة العربية؛ ليؤكد المكانة التي تحظى بها المرأة في المجتمع، بما تمتلكه من صفات لها تأثير كبير في تشكيل شخصية الرجل بواسطة تغذيته بالحب والحنان.

فالعمة (نورة) شبه المنفصلة عن زوجها مثلت المرأة المساندة للأم في رحلتها ومؤانستها في عالم الغربة والتخفيف من أثر الإعاقة التي تعاني منها والدة السارد، فكانت وسيلة والده لإقناع جدّيه بانتقال والدته معه إلى المنطقة الشرقية: «فكانت موافقة العمة

(١) البليهد، عشّيات الحمى، ص ٣٧.

(٢) المرجع نفسه، ص ٢٧.

(٣) المرجع نفسه.



(نورة) إحدى الحجاج القوية التي قدمها أبي»^(١)؛ لتتحدى الأم بعد ذلك كل مخاوفها الداخلية، وتقرر خوض معركة الرحيل، رغم أنها مسكونة بوطن المنشأ بواسطة العمّة المساندة، «وليس بإمكان أحد أن يثمن ما قدمته عمّتي أيقونة الإثارة بنخوتها السخية، فقد مكثت معنا هناك سنة كاملة، تطوّق جيد أمني بفضل عظيم، ظلّت أمني تتلوه مع وردها اليومي، وقد عجزت عن الوفاء به طيلة حياتها». ^(٢) فالأنوثة تقوي الأنوثة، وتبدد مخاوفها، وتمنحها إحساساً بالأمل والعزيمة لتجاوز كل العوائق التي تعثر طريقها.

٥- نسق المرأة المحبوبة/فاتنة الرجل:

يكشف هذا النسق عن العلاقة الاجتماعية القائمة على الحب بين الرجل والمرأة؛ إذ يشكل الحب في هذا النسق تجربة وجودية تبدل حياة من ينخرط فيها، وتجعل المرء يمارس وجوده على سبيل الحضور والازدهار والاستمتاع.^(٣) ولمعينة تشكّل هذا النسق في السيرة الذاتية عينة الدراسة؛ نلاحظ أن الكاتب يستحضر تلك المحبوبة التي أحبها حينما كان طفلاً بواسطة نسق المشاهدة الأولى، ثم تذكرها في الغياب حينما رحلت عن حياته إلى ربها: «أستحضرُ عبق أول فتاة اقتربت من روحي وأنا في الثامنة من عمري، وكأنه أريج الأمس الحار بخدره الساحر. رحلت الفتاة إلى ربها مبكراً، وطوى النسيان زمن الصبا، ولكن الرائحة بقيت ماثلة تستدعي معها أدق التفاصيل، وكان رحيلها نافذة أولى للتعرف إلى الموت بطريقة هلامية مشوشة. وقد عدت تلك الليلة إلى منزلنا محمّوفاً أنتفض رعباً، وقد امتلأت عيوني بالدمع، واختنقت روحي بالغصّة لفقدائها، ولجهلي بهذا المصير بعد أن رأيت دمها منشوراً على الإسفلت، ولا أظن حادثاً آخر في حياتي ركز ألمه في خاصرة أيامي مثلما فعل هذا الحادث الفاجع، فقد تحول إلى جرح ظل يثج حزناً لا ينضب، بل إنه أورثني علّة لا زلت أعانيها وأنا في منحى الغروب». ^(٤) فيكشف النص السابق عن مدى سلطة تلك المرأة وتمكّنها من نفس الكاتب، وتملكها لقلبه، وأثر رحيلها الذي تركته

(١) المرجع نفسه، ص ٣٩.

(٢) البليهد، عشّيّات الحمى، ص ٤٠.

(٣) ينظر: علي حرب، التأويل والحقيقة قراءات تأويلية في الثقافة العربية، ط ٣، بيروت، دار التنوير، ٢٠٠٧م، ص ٥٦.

(٤) البليهد، عشّيّات الحمى، ص ٧٧، ٧٨.

في روحه جرحًا لا يلتئم طوال حياته، «فلحظات الحب تجعل العاشق يعيش التجربة بكل كيانها، وقوة مداركه الحسية والجسدية، يعيش بخيال واسع، ورهافة الذوق، والتي تهيمن عليها سلطة الغواية، وبسحر الكلام العذب، وفيض الإلهام»^(١) فالحب الأول لا يعوض في النسق الثقافي الاجتماعي؛ كونه بداية للارتباط الأول في الذاكرة المجتمعية، وكأنه نازعٌ فطري بطبعه يتجذر في الذاكرة ولا يزول، ويحدد الكاتب مكان ذلك اللقاء والحب الأول في مدينة الدمام: «وهناك لامس الحب قلبي لأول مرة، وبكيت بألم موجع حين خطف الموت أول حبيبة لي في الحياة، وقد بقيت تلك الفتاة إلى اليوم في ذاكرتي إحدى أهم الحقائق الرائعة التي قاربت الخيال، وما استطعت أن أبرأ منها، ولا نسيتها ما حييت»^(٢)

فلنلاحظ أن نسق العشق في عينة الدراسة جاء نسقًا معلنًا معبرًا عن مشاعر الكاتب تجاه معشوقته الأولى، لكنه لم يصرح بمشاعرها نحوه، وهل كانت تبادلها الشعور نفسه أم لا؟ والشيء الذي نستنتجه أن هناك نسقًا مضمّرًا يخفيه الكاتب، وهو أن الحب لم يكن من طرف واحد، وإنما كان متبادلًا بين الطرفين، وإلا لما ترك ذلك الأثر والجرح الغائر الذي لم يستطع الفكك منه طيلة حياته، فالمشهد السرد يروي أحداث ذلك الحب، ولكن نسق الموت جاء متساوقًا مع نسق العشق، «فإن كان الحرمان سمة العاشق فإن الموت هو الحرمان الأبدي لهذا العاشق»^(٣) فذكرها لا تفارقه في صحوه ونومه: «كانت حادثة موت مريم أول حبيبة لي في الحياة ماثلة في خاطري، ولا تزال نارها ملتهبة في صدري، وبدأت تزورني في بعض الليالي كوايبس تؤرق نومي»^(٤)، وهذا الخطاب يكشف عن سمة الإفصاح التي يتصف بها الكاتب مقابل الكبت الذي يخفيه.

ومهما حاول الكاتب أن يسلي نفسه بمحبةٍ أخرى نالت إعجابه بما تمتلك من صفات حسية تثير مشاعره نحوها، فإنها لا يمكن أن تسد الفراغ الذي تركته مريم في

(١) سليمة سوادى زغير، النقد الثقافي قراءة في الأنساق الثقافية (ثلاثية أحلام مستغانمي نموذجًا)، مجلة الفنون والآداب وعلوم الإنسانيات والاجتماع، ٢٠٢٠م، العدد السادس والخمسون، ص ٢٦٣.

(٢) البليهد، عشيات الحمى، ص ١٠٩.

(٣) إيمان مطر السلطاني، نسق التسوية في سرديات عالية طالب، مجلة وميض الفكر للبحوث، ٢٠٢٠م، العدد الثامن، ص ٤٢٠.

(٤) البليهد، عشيات الحمى، ص ١١٩.



روحه: «فتاة قريبة من عمري، إلا أنها كانت يافعة قبل أوانها، فمنحها ذلك قواماً رشيماً، استيقظت فيه الرغبات، وكان وجهها يفيض حيوية ونضارة، وكانت تبدو لي وهي في ذلك العمر أميرة صغيرة بشعرها المرسل على كتفيها، وفساتينها المتأنقة، فكان منظرها يبعث في صدري خففاً عذباً. ولأن مئني وكان هذا هو اسمها، لا تقوى بمفردها على اجتياز الظلام إلى الضفة الأخرى، فقد استنجدوا بي، فكانت رفقتها في تلك المساءات نزهة على ضفاف الأنس، وبعد أسبوع من الرفقة اليومية، تحولت لحظات الشفق إلى لطفة لم أكن أدرك مبعثها، ولا أجد لها وصفاً، وقد بدأت ألاحظ وهي تحدثني بصوتها الرصين الهامس ظهور بعض الارتباك في تصرفاتي، وكنت أحدث نفسي بأنها علامات الإعجاب بطبيعتها، وقد كانت الكلمات حين تخرج من ثغرها تتراقص كالفراشات بين الماء والنور، وفي نسيم الليل وأنا أمشي بجانبها يمس شعرها فتصليني رائحة نقية كنعاء الليمون»^(١)، ثم يصف ثباتها وعدم سماحها بأن يتخطى حدوده معها وكيف كانت حريصة على المحافظة على مساحتها الخاصة في علاقتها معه.

فسلطة المحبوبة الأولى مريم مهيمنة على الكاتب حتى آخر سيرته، وعليه أن يرشف من حبها تريباً لتجارب حبه مع المحبوبات الأخرى التي ستعرضه في محطات حياته العاطفية، «عندما تمنح الحب لفتاة تعترضك في منتصف العمر، عليك أن تأخذه من رصيد حبك القديم، لم يخطر لي هذا المعنى في تلك السنوات التي طفقت أفتش فيها في قلوب الأخريات عن ترياق ينسيني مقتل مريم. ما الذي جاء بها الآن؟ ألم تصلني رائحتها بوضوح مطلق مع رذاذ الموج، أشعر وكأنها تقف بجانبني، أستطيع لمسها وسط الضباب، ... لم تكن مريم هناك، ولم أكن أنا هناك أيضاً»^(٢).

فغياب الأنثى المحبوبة جعل الرجل يبدو مهمشاً محطماً أمام تلك المرأة حتى مع مرور الزمن؛ إذ يشعر دائماً بالأسى لفراقها المبكر، ويعاني وحشة البعد والضياع. وبالرغم من موتها المفاجئ، فإنها تبقى ذات نسقية ثقافية متسلطة في ذاته ومتحكمة فيه، فهي تمثل المركز، وهو يمثل الهامش في ماضيه وحاضره.

(١) البليهد، عشيات الحمى، ص ١٢٠.

(٢) المرجع نفسه، ص ١٨٧، ١٨٨.

٦ - نسق تحدي الإعاقة:

يمثل نسق تحدي الإعاقة ومحاولة تجاوزها نسقاً مضمراً لدى المرأة (الأم) في السيرة الذاتية المختارة عينة للدراسة، تحيل عليه عدة أنساق معلنة، فزواج رجل في أوج عنفوان شبابه وكامل صفاته من امرأة كفيفة يُعد في نظر الكاتب مغامرة، إلا أنه يحيل إلى نسق مضمّر جعل هذا الرجل يرهّن نفسه لامرأة فقدت نور بصرها، لكنها لم تفقد نور بصيرتها، ففيها من الصفات الأثيرة ما جعل الرجل منجذباً إليها ومعجباً بها، ففضلها على سائر النساء: «استطاع حفيد الجد العباسي (الأب) هزيمة كل مخاوفه وحيرته، فرهّن نفسه لمرأة فقدت نور عينيها، وهو شاب في أوج عنفوانه، قد طور تعليمه ذاتياً، وعمل في وظيفة إدارية وفرت له دخلاً لا بأس به في ذلك الوقت على الساحل الشرقي من البلاد.

لم يكن أبي مضطراً لخوض تلك المغامرة لو لم يجد في أمي ما دفعه لاتخاذ ذلك القرار المصيري»^(١)، ويعتقد الكاتب أن قرار أبيه بالزواج من أمه: «كان إلهاماً من العناية الإلهية؛ ليقترن بتلك الأم العظيمة التي أنجبت له سبعة أبناء أصبحوا رجالاً، وحققوا نجاحاً يفخر به، وأربع بنات جميلات حققت تفوقاً في تعليمهن، وأصبحن أمهات عظيمات»^(٢)، وهذا «تقليد مجتمعي مقدس وهو فكرة تخليد اسم الوالدين في مجتمعاتنا العربية خاصة»^(٣).

ومن آثار تحدي الإعاقة في هذا النسق لدى المرأة أن هاجس المساعدة يشغل المرأة من ذوي الإعاقة؛ ولذا تنسف كل توقعات السارد في أن يكون الأب على معرفة بمكان المدرسة بنفسه حسب ما رواه السارد، وأن هناك من أرشده إليها، وأن يقين ولدها بما كان يراه في أبيه ما هو إلا زيادة ثقته بخبرات أبيه.^(٤) وهذا من سمات المرأة المربية

(١) البليهد، عشّيّات الحمى، ص ٩٤.

(٢) المرجع نفسه.

(٣) سامي عبد اللطيف الجمعان، الآخر في السيرة الذاتية النسائية السعودية من منظور ثقافي، حولية كلية اللغة العربية للبنين بجرّاء، جامعة الأزهر، ٢٠٢٣م، المجلد السابع والعشرون، ص ٦٩٦.

(٤) البليهد، عشّيّات الحمى، ص ٩٧.



في تعزيز قيمة الصدق، والدقة في الأحكام لدى الابن حتى لا تقوده الثقة الزائدة إلى إصدار أحكام خاطئة سواء بأبيه أو بغيره، فضروري لأن تكون أحكامه مبنية على أدلة علمي لا عن ثقة زائدة.

٧ - النسق التعليمي والديني:

يعد هذا النسق من أكثر الأنساق بروزاً في السيرة الذاتية عينة الدراسة؛ إذ يوحي بسلطة الأنوثة الطاغية على الذكورة في الخطاب السيرذاتي، وهو من الأنساق المعلنة التي يجتنب وراءه نسق هيمنة الأنوثة على الذكورة:

فجدة الكاتب لأبيه (حصة الثيان): تتفوق في ثقافتها ومكانتها العلمية والاجتماعية «فقد كانت عالمة جليلة وشيخة في الكتاتيب تُعلم الفتيات الأمور الدينية، كالقرآن الكريم، وبعض الأحاديث النبوية الشريفة، أما صغيرات السن فقد تضيف إلى تعليمهن أساسيات القراءة والكتابة بوسائل تعليمية مذهلة من ألواح خشبية، وأقلام من غصون الشجر، وأحبار من عصارة النباتات كشجر (التنوم) وحبوب (الرأل) التي تُضاف إلى قشور الرمال، وقد تركت جدتي تأثيراً كبيراً في أجيال من الفتيات، ومنهن أُمِّي التي كانت إحدى طالباتها النجيبات، وهذا ما سيدفع جدتي في ما بعد لاختيار هذه التلميذة زوجة لأبي»^(١).

ويلعب مستوى الوعي لدى جدته إلى درجة أنها متصالحة مع الموت ولا تخشاه: «تتحدث جدتي عن الموت بهدوء وسكينة، كما لو كان صديقاً سيأتي لزيارتنا، فقد كان الموت رفيقاً لها منذ حياتها المبكرة، فهو في نظرها بداية وليس نهاية، فقدت في أول حياتها ثلاثة من أبنائها؛ بعضهم بمرض الحصبة، وآخر شاب سقط من النخيل فبقي حياً أياماً ثم رحل، وقد سبقت هذا الشاب ابنة صغيرة، فكان بين رحيل ابنتها وابنها تسعة أيام... ثم يمضي سارداً الآلام التي تعرضت لها الجدة»^(٢)، ليشبهها بالخنساء بما للخنساء من رمزية تاريخية وثقافية في النسق التاريخي العربي والإسلامي:

(١) البليهد، عشيات الحمى، ص ٢٦، ٢٧.

(٢) المرجع نفسه، ص ٦٢.

«جعلتها الذكرى تستحضر شقيقها الوحيد الخال الذي تتحدث عنه أمي كثيراً كما تتحدث الخنساء عن أخيها صخر»^(١).

يكشف هذا الخطاب عن غلبة نسق الأنوثة في صبرها وتحملها ومواجهتها للحوادث بشكل يفوق صبر أعتى الرجال: «وقد ظلت مثل تلك الحوادث الفادحة تتابع بلا توقف في حياة جدتي، وربما كسرت هذه الفواجع أشد الرجال صبراً، إلا أن جدتي كانت قد زرعت في صدرها يقيناً ظل يتعاضد مع تراكم الأيام، حتى استحال إلى طودٍ مكين تحتمي به من نوازل الدهر؛ ثقة بما ستجده عند ربها»^(٢)، ويعزز ذلك التفوق يقينها الذي يشبه يقين الملائكة: «بعد سنوات من رحيلها تأكدت أن يقينها الملائكي هو الذي أَمَّن لها تلك الصلابة الفولاذية، وإلا لكانت قد سقطت في مصائد الحيات منذ زمن طويل»^(٣)؛ لذا تجاوزت معاناتها وشقاءها في الحياة وتربية الأبناء، لكن ذلك لم يؤثر في كرامتها التي هي من أهم ما يميز المرأة في النسق المجتمعي العربي «أفنت جدتي أيامها في شقاء لا مثيل له بين الركض قبل شروق الشمس في الحقول، وتربية أبنائها، وتحمل مشاق الحياة كاملة، ولكنها لم تفقد الصبر، ولم تهدر كرامتها وربما باتت على الطوى هي وأطفالها لئلا تقبل إحساناً من أحد، وقد ظلت أنفتها الشامخة ترافقها حتى نهاية الرحلة؛ لذا لم تعرف كيف تسخط على الحياة، فعاشت راضية بنصيبها، مرضية بقناعتها»^(٤).

وأمام هذا القوة الأنثوية يتساءل الكاتب بحيرة «كيف استطاعت هذه المرأة عبور مفازات حياتها المنسوجة بالرزايا والفاقة دون أن تستسلم؟!»^(٥)؛ ليحيل في نسق مضمهر على أن سبب صمودها هو قوة إيمانها وعلاقتها برها وإخلاصها للعلم والعمل: «كانت جدتي تقرأ في مصحفها بحروفه الكبيرة بترتيل رخيم، وحين فرغت من تلاوتها... في ذلك اليوم رأيت جدتي تحصد البرسيم ببراعة، ثم تجمع أكواماً، وتحمله فوق رأسها إلى

(١) المرجع نفسه، ص ٧٤.

(٢) المرجع نفسه، ص ٦٢.

(٣) المرجع نفسه.

(٤) البليهد، عشيات الحمى، ص ٦٢.

(٥) المرجع نفسه، ص ٦٣.



حوش الإبل والأبقار، ثم تعود مسرعة إلى الحقل وتلفُ الكرَّ حول وسطها، ثم تتسلق النخل لتخرف التمر، وتضعه في المكدرة المعلقة على كتفها»^(١)، و«حين ارتفعت الشمس قليلاً وضعت جدتي وعاء من الغضار بين رجليها تحلب البقرة، وبعد أن فرغت حملته إلى ظلال النخيل، ونصبت القنارة وعلقت عليها السقا، سكبت الحليب في السقا، وشرعت ترج شكوة الحليب، جلست قربها أسمع خض الحليب، فأعجبني اللعبة، طلبت منها أن تسمح لي بالمشاركة، لكني لم أستطع تقليد مهارتها فمللت بسرعة، وركضت أطارد الدجاج إلى أن تعبت، فلما رجعت فإذا جدتي قد مخضت الزبد، فأعطتني منها بعد أن غمست فيها بعض التمر، فكان إفطاراً لن أذوق مثله ما حييت»^(٢).

يبدو الكاتب عاجزاً وضعيفاً أمام مهارة المرأة وقوتها وحكمتها، فهي معلّمة الأولى، ومنها تعلم «القراءة وبعض مبادئ الكتابة اليسيرة التي نسيبتها مع الزمن، ولكنها تحمل في رأسها ثقافة جيل كامل، عاشت الحياة بقصة كفاح نادرة ظلت جذوتها متقدمة لرجل لم تعرف سواه، وقد بقيت تتذكره ما يقرب من أربعين عاماً بعد رحيله»^(٣).

وتحضر الأميرة (نورة) برمزيتها التاريخية والسياسية ومكانتها لتدعم النسق التعليمي والثقافي؛ إذ يشير السارد إلى دور مدارس الأميرة نورة الوقفية في تعليم الأطفال ورعايتهم في سياق قبولها لأبيه بقوله: «مدارس الأميرة نورة، وهي مدارس وقفية، تتكفل ببعض الأطفال وترعاهم، وتوفر لهم الطعام والملبس، وكان للأميرة نورة وهي كبرى شقيقات الملك عبد العزيز اهتمام كبير بتعليم الأطفال، وتوسيع مداركهم العلمية وتحفيزهم على التعليم، ولا شك أن مكانة جدي وعمي الشيخ عبد الله عند الملك عبد العزيز قد أسهمت في قبول أبي في تلك المدارس»^(٤).

(١) المرجع نفسه، ص ٦٦.

(٢) المرجع نفسه، ص ٦٧.

(٣) المرجع نفسه، ص ٧١.

(٤) البليهد، عشيات الحمى، ص ٣٠، ٣١.

٨- نسق المرأة الساردة/الملهمة للرجل:

قد يحيل هذا النسق المعلن الذي يعلي من شأن المرأة ودورها في التعليم والثقافة في تلك المرحلة التي قلما تجد فيها امرأة متعلمة على نسق مضمّر يتمثل في محاولة تجاوز الإعاقة وتحديها بالعلم والمعرفة والحكي، ويرتبط هذا النسق بالولدة الكاتب، فهي الساردة والمهيمنة أو المسككة بزمام السرد؛ لأنها تمتلك مهارة فائقة في سرد الأحداث؛ وعليها يعتمد الكاتب في سرد الأحداث التي غابت عنه، فضلاً عن تحليلها سيرة وحياة المجتمع من حوله؛ لتسهم في تشكيل ثقافة الكاتب وشخصيته، مقابل تغييب أثر الرجل عن هذا المشهد: «أعتمدُ في تثبيت هذه الأحداث على مهارة أُمّي في سرد الحكايات، أما أبي فقد كان يؤثر الصمت، ومن الصعب حثه على الكشف عن تفاصيل حياته، فهو يروي لنا أحياناً ما يجب قوله، لا ما نفكر فيه، ونرغب في سماعه، بل إنه نادراً ما تكلم عن السنوات التي سبقت زواجه بأُمّي»^(١) وهنا يطغى دور الأم التحفيزي ليكون موافقاً لرؤية الذات وتطلعاتها وإشباع رغبتها، على عكس دور الأب الذي ظهر بمظهر حيادي ذاتي غير مهتم بتطلعات الكاتب ورغباته؛ ليتماشى ذلك الاستنتاج مع ما أشرنا إليه في الإهداء من تقديم الأم على الأب، وإبراز علاقتها بالكاتب بصورة تطغى على دور الرجل، فالذات تتفاعل مع الآخر (المرأة) وتتأثر بها أكثر من تفاعلها وتأثرها مع الرجل، ففي حين كان المعتاد في الواقع الميل إلى دفة الرجل وتقديمه على المرأة في المجتمع، نلاحظ أن الكاتب يخرج عن نسق ذلك الواقع، فيظهر المرأة بصورة أكثر تأثيراً في حياته وثقافته وتربيته رغم أن الصورة لم تكتمل لديه ربما لصغر سنه آنذاك، «لقد حاولت تركيب أجزاء القصة المتناثرة من المقاطع السردية التي كانت تبوح بها أُمّي في إشراقات أمزجتها الرخية، حين كنا (نتعلل) خارج الدور في مزرعة جدي مع نسيم الغسق، إلا أن الصورة ظلت غير مكتملة، تلفها كتل من الضباب الكثيف»^(٢).

(١) المرجع نفسه، ص ٣٧.

(٢) المرجع نفسه.



فكان الحكيم الصادر عن المرأة هو وسيلة الكاتب لتبديد الخوف، «وقد مسني في تلك الليالي سحر النجوم البراقة، وأنا مستلق فوق الرمال الذهبية، ونباح الكلاب يتناهى من بعيد، بينما أُمي تروي لنا الحكايات خارج الدور في مزرعة جدي»^(١)، «كانت الغرفة كما تخيلتها من حكايات أُمي تغرق فيما يشبه الظلمة، يومض في أحد زواياها سراج شاحب، منسي منذ زمن بعيد»^(٢)، «كنت في الخامسة عشرة تقريباً، حين كانت أُمي تروي تلك الحياة التي عاشها جدي بين الفقر والجوع والخوف، والترحال والغربة، وما هي تترأى لي الآن ظلالاً بعيدة اختلط فيها الخيال بالحقيقة، وأنا أحاول رسمها من الذاكرة كما سمعتها في ذلك الزمن...»^(٣) وتتصدى المرأة لنقل أحداث الأوبئة والمجاعة التي أصابت المجتمع النجدي في ذلك الزمن لتصير المرأة شاهداً تاريخياً على تلك المأساة التي حلت بالجزيرة العربية، مع أن روايتها عن تلك الأحداث لم تضمن سوى مشاهد قليلة من المأساة التي ضربت الجزيرة العربية، وأنتجت ثقافة خاصة بها.^(٤)

فالأم تستأثر «بتفاصيل بعض الأحداث التي غابت عن الراوي بعد سنوات، ستروي أُمي كيف مات أحد أخوالي في شبابه»^(٥)، وتغيب عنها بعض تفاصيل الأحداث العامة المحيطة بحياة صاحب السيرة وحياة غيرها ممن عاصره أو سبقه، ومع ذلك فإنها تمتلك «الموهبة الساحرة التي تفوقت بها على نساء العائلة، جدي وخالتي وعماتي، فهي راوية الحكايات العجائبية»^(٦)، وهذا النفس الحكائي الذي دعم كتابة السيرة، ظهر أثره في السيرة نفسها؛ حين كانت الأم تروي هذه الحكايات العجائبية للراوي، وصاحب السيرة ومن معه، «فقد سمعت عنها في طفولتي تقريباً معظم القصص الشعبية التي جمعها بعد نصف قرن عبد الكريم الجهيمان في (أساطير شعبية من قلب

(١) البليهد، عشيات الحمى، ص ٤٣.

(٢) المرجع نفسه، ص ٤٦.

(٣) المرجع نفسه، ص ٥٤.

(٤) المرجع نفسه، ص ٧٠.

(٥) المرجع نفسه، ص ٦٦.

(٦) المرجع نفسه، ص ٨٧.

الجزيرة العربية)؛ إذ تتجلى الأنثى هنا بوصفها ساردة للحكايات ومصدرًا مهمًا لها، وما رواية الجذات والأمهات إلا صورة من هذا السرد الذي يغذي مخيلة الطفل، ويعزز مهاراته الحكائية لاحقًا». (١)

فالحكي يخفي وراءه نسقًا مضمّرًا؛ إذ تلجأ إليه المرأة لتناسي آلام الحياة ومتاعبها، وزرع الآمال السعيدة في الرجل «فقد كانت أُمِّي تخرج بي من تلك الغرفة البائسة التي ولدت فيها، في بعض الليالي المقمرة تجرّني النسمات الباردة، فأقضي الليل في حجرها شاخصًا في نجوم السماء، ولكن النجوم كانت تحتفي أحيانًا خلف الغيوم، فأقلبُ بصري بحثًا عنها إلى أن ينتهي بي المطاف دائمًا بالبكاء، فلا يسكتني سوى النوم، في حين تجلس أُمِّي للسمر في كنف أبويها وأخوتها، خارج الدور، يزرعون الأمل ببعض النوادر والحكايات». (٢)

ويصف الكاتب والدته بصفات ملهمة تمحو ما اعتاده النسق المجتمعي عن المرأة من نقص في العقل وضعف في التفكير والتذكر، فيصور كيف كانت «تلتقط كل ما يصل إلى سمعها وتعيد تنظيمه في عقلها، وقد حفظت نصيبًا وافرًا من القرآن، وروت الأخبار والسير والقصص، وليس من المبالغة عندما أقول إن كثيرًا من تاريخ نجد وثقافته الشعبية، وما جرى فيه من أحداث وحروب، قد سجلته في ذاكرتها الخارقة، وعندما تروي بالسليقة على مسامعك رحلات جدي ومغامراته، وما حفظته من قصص وأشعار له أو لغيره، ستظل غارقًا في صمتك إلى أن تنتهي، ثم اتسعت ذاكرتها بعد ذلك لترديد أشعار من مختلف العصور بجانب الأناشيد، والمعلومات الجغرافية، والأحداث التاريخية، التي كنت تسمعها منا ونحن نستذكر دروسنا بين أيديها، وإلى قبيل وفاتها كان بمقدورها تذكيرنا بأسماء أصدقاء لنا في الطفولة أو المراهقة إلخ». (٣)

(١) حصة المفرح، «سيرة طفولة: بين الراوي والمروي له»، صحيفة الجزيرة، العدد ١٨٣٣٣، ٢٦/مايو/٢٠٢٣م، <https://al-jazirah.com/2023/20230526/cm7.htm>

(٢) البليهد، عشيات الحمى، ص ٥٨.

(٣) المرجع نفسه، ص ٨٦، ٨٧.



والأخت هي الأستاذة المتحكمة بالرجل والمساندة له: «كانت أختي تذاكر دروسها، وأنا أتفرج عليها، وأحياناً أتعلم منها، فقد سبقتني إلى المدرسة بأربع سنوات، فسمحت لها تلك الخبرة إلى أن تمارس مهنة الأستاذة المتحكمة في تلميذ يجتاز العتبة الأولى، فأخذت تضع التنظيمات، وأحياناً تعطي الأوامر، وقد اكتسبت منها بعض المهارات الجديدة، فتعلمت منها كيف أبري القلم... وكثيراً من المهارات».(١)

وهنا يحاول الكاتب تغيير النظرة النسقية السائدة التي تميل إلى «نسبة العقل للرجل، وتخصه بصفة الفكر، وتفرد العاطفة للنساء، وهي خدعة ثقافية تعتمد على ما نسميه العمى الثقافي».(٢)

(١) ينظر: البليهد، عشيات الحمى، ص ١٠٥.

(٢) عبد الله محمد الغدامي، اليد واللسان القراءة والامية ورأسمالية الثقافة، ط ٣، الدار البيضاء، المركز الثقافي العربي، ٢٠١٧م، ص ٦٠.

الخاتمة

بعد دراسة الأنساق الثقافية للمرأة في سيرة (عشيّات الحمى) لحمد البليهد، والكشف عنها وتحليلها يمكن الخروج بالنتائج الآتية:

١- حضور نسق الأنوثة بشكل أكبر في العتبات الخارجية للسيرة الذاتية مقابل نسق الذكورة يحيل على نسق مضمّر هو إعلاء شأن الأنوثة مقابل الذكورة في متن السيرة الذاتية، فضلاً عن إشعار القارئ بأثر المرأة على حياة الكاتب وشخصيته وثقافته بشكل كبير.

٢- مثلت المرأة بأنساقها الثقافية المتنوعة عنصراً فاعلاً في السيرة الذاتية عينة الدراسة؛ إذ طغى حضورها بقوة على أحداث الرواية ومواقفها وشخصياتها، واستأثرت حضورها - إلى حدّ كبير - بمجريات الأحداث، وكانت شاهداً تاريخياً واجتماعياً وثقافياً على مرحلة زمنية معينة مر بها المجتمع العربي في نجد.

٣- هيمنة نسق الأنوثة على نسق الذكورة في عينة الدراسة في السياقات الثقافية والاجتماعية والدينية والتعليمية؛ بسبب طبيعة مرحلة الطفولة نفسها التي تكشف عنها السيرة الذاتية عينة الدراسة؛ إذ يبدو الرجل أكثر ارتباطاً بالمرأة في هذه المرحلة وأكثر تأثراً بها.

٤- تحكّم المرأة في مجرى السرد والوصف في السيرة الذاتية شكل حضوراً لافتاً له أثره في تشكيل الخطاب السردى وأحداثه، والكشف عن الأنساق الثقافية والاجتماعية واللغوية في السيرة الذاتية المختارة بشكل كبير.

٥- غلبة النسق التعليمي والديني والثقافي للمرأة (الأم) بشكل خاص بوصفه نسقاً مضمراً يحيل على تحدي الإعاقة ومحاوله تجاوزها لدى المرأة (الأم) ولدى الكاتب نفسه.



التوصيات:

يوصي البحث بالآتي:

- ١-دراسة خطاب العمى في السيرة الذاتية عينة الدراسة وفي السير الذاتية السعودية والعربية بشكل عام.
- ٢-دراسة تحولات المكان وأثره على الخطاب السردى السير ذاتي.
- ٣-دراسة مظاهر التنمية في السيرة الذاتية عينة الدراسة بوصفها شاهداً على التنمية وتطورها في المملكة العربية السعودية.

المراجع:

1-أحمد، بركاد، ثنائية الذكورة والأنوثة بين الهيمنة والتحرر، قراءة سوسيو ثقافية في رواية (قصيد في التذلل) لطاهر وطار، دراسات معاصرة، المجلد السابع، العدد الخامس، ٢٠٢٣م.

2-البليهد، حمد، عشيات الحمى سيرة طفولة، ط ١، بيروت، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ٢٠٢١م.

3-الجمعان، سامي عبد اللطيف، الآخر في السيرة الذاتية النسائية السعودية من منظور ثقافي، جامعة الأزهر، حولية كلية اللغة العربية للبنين بجرجا، المجلد السابع والعشرون، ٢٠٢٣م.

4-حرب، علي، التأويل والحقيقة قراءات تأويلية في الثقافة العربية، ط ٣، بيروت، دار التنوير، ٢٠٠٧م.

5-حمداوي، جميل، النقد الثقافي بين المطرقة والسندان، ط ١، المغرب (تطوان)، دار الريف للطبع والنشر الإلكتروني، ٢٠١٥م.

6-حمداوي، جميل، نحو نظرية أدبية ونقدية جديدة، (نظرية الأنساق المتعددة)، ط ١، الشاملة الذهبية، ٢٠٠٦م.

7-الخبو، محمد، مدخل إلى الخطاب الإيحائي في الرواية العربية، ط ١، صفافس، مكتبة علاء الدين، ٢٠٠٦م.

8-الرباعي، عبد القادر، جماليات الخطاب في النقد الثقافي، رؤية جدلية جديدة، ط ١، عمان، دار جرير للنشر والتوزيع، ٢٠١٥م.

9-الرويلي، ميجان والبازعي، سعد، دليل الناقد الأدبي، ط ٣، بيروت، المركز الثقافي العربي، ٢٠٠٢م.

10-زغير، سليمة سوادى، النقد الثقافي قراءة في الأنساق الثقافية (ثلاثية أحلام مستغانمي نموذجاً)،

- مجلة الفنون والآداب وعلوم الإنسانيات والاجتماع، العدد السادس والخمسون، ٢٠٢٠م.
- 11- سعيدي، محمد، العائلة وعاداتها وتقاليدها بين الماضي والحاضر، ظاهرة الاحتفالات بالأعياد نموذجاً، مجلة إنسانيات وهران، العدد الرابع، ٩٨٨م.
- 12- السلطاني، إيمان مطر، نسق النسوية في سرديات عالية طالب، مجلة وميض الفكر للبحوث، العدد الثامن، ٢٠٢٠م.
- 13- الشحات، محمد، أثر النسق الثقافي في تشكيل الرواية النسوية العربية بحث في الثيمات والتمثيلات، جامعة القاهرة، مركز اللغات والترجمة، المجلد السابع، العدد الثالث، ٢٠١٨م.
- 14- عبد القادر، شريف بموسى، الأنوثة في الخطاب العربي عبد الله الغدامي أنموذجاً، مجلة مقاليد، العدد الحادي عشر، ٢٠١٦م.
- 15- الغدامي، عبد الله محمد، القبيلة والقبائلية أو هويات ما بعد الحداثة، ط١، الدار البيضاء، المركز الثقافي العربي، ٢٠٠٩م.
- 16- الغدامي، عبد الله محمد، النقد الثقافي قراءة في الأنساق الثقافية، ط٣، الدار البيضاء، المركز الثقافي العربي، ٢٠٠٥م.
- 17- الغدامي، عبد الله محمد، اليد واللسان القراءة والأمية ورأسمالية الثقافة، ط٣، الدار البيضاء، المركز الثقافي العربي، ٢٠١٧م.
- 18- الفران، سماح عبد الله، ثقافة النص، قراءة في السرد اليميني المعاصر، ط١، عمان، شركة دار الأكاديميون للنشر والتوزيع، ٢٠١٦م.
- 19- الكعبي، ضياء، السرد العربي القديم الأنساق الثقافية وإشكاليات التأويل، ط١، بيروت، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ٢٠٠٥م.
- 20- ليتش، فنسنت، النقد الثقافي النظرية الأدبية وما بعد البنيوية، ترجمة: هشام زغلول، ط١، القاهرة، المركز القومي للترجمة، ٢٠٢٢م.
- 21- المفرح، حصّة، «سيرة طفولة: بين الراوي والمروي له»، صحيفة الجزيرة، العدد ١٨٣٣٣، ٢٦/مايو/ ٢٠٢٣م، <https://al-jazirah.com/2023/20230526/cm7.htm>.
- 22- ابن منظور، محمد بن مكرم، لسان العرب، دار صادر، ط٣، بيروت، دار صادر، ١٤١٤هـ.
- 23- يوسف، عبد الفتاح أحمد، لسانيات الخطاب وأنساق الثقافة، ط١، بيروت، منشورات الاختلاف، ٢٠١٠م.



REFERENCES:

- 1-Aḥmad, Brqād, thunā'iyat al-dhukūrah wa-al-unūthah bayna al-haymanah wa-al-taḥarrur, qirā'ah sūsiyū thqāfiyyh fī riwāyah "Qaṣīd fī altdhlīl" li-Ṭāhir Waṭṭār ", Dirāsāt mu'āṣirah, Vol 7, Issue 5, 2023m.
- 2-al-Bulayhid, Ḥamad, 'Ashīyāt alḥmā sīrat Ṭufūlat, ed 1, Bayrūt, al-Mu'asasah al-Arabīyah lil-Dirāsāt wa-al-Nashr, 2021m.
- 3-al-Jam'ān, Sāmī Latif, al-ākhar fī al-sīrah al-dhātīyah al-nisā'iyah al-Sa'ūdīyah min manzūr thaqāfī, Jāmi'at al-Azhar, Ḥawlīyat Kullīyat al-lughah al-'Arabīyah lil-banīn bjrjā, mj27, 2023m.
- 4-Ḥarb, 'Alī, al-ta'wīl wa-al-ḥaqīqah qirā'āt ta'wīliyah fī al-Thaqāfah al-'Arabīyah, ed 3, Bayrūt, Dār al-Tanwīr, 2007m.
- 5-Ḥamdāwī, Jamīl, al-naqd al-Thaqāfī bayna al-miṭraqah wa-al-sindān, ed 1, al-Maghrib (Tiṭwān), Dār al-rīf lil-Ṭab' wa-al-Nashr al-iliktrūnī, 2015m.
- 6-Ḥamdāwī, Jamīl, Naḥwa Nazarīyat adabīyah wa-naqḍīyah jadīdah, (Nazarīyat al-ansāq al-muta'addidah), ed 1, al-shāmilah al-dhahabīyah, 2006m.
- 7-al-Khabw, Muḥammad, madkhal ilā al-khiṭāb al'yḥā'y fī al-riwāyah al-'Arabīyah, ed 1, Ṣafāqis, Maktabat 'Alā' al-Dīn, 2006m.
- 8-al-Rabbā'ī, 'Abd al-Qādir, Jamālīyāt al-khiṭāb fī al-naqd al-Thaqāfī, ru'yah Jadālīyat jadīdah, ed 1, 'Ammān, Dār Jarīr lil-Nashr wa-al-Tawzī', 2015m.
- 9-al-Ruwaylī, Mījān wālbāz'y, Sa'd, Dalīl al-nāqid al-Adabī, ʔ3, Bayrūt, al-Markaz al-Thaqāfī al-'Arabī, 2002M.
- 10-Zughayr, Salīmah Sawādī, al-naqd al-Thaqāfī qirā'ah fī al-ansāq al-Thaqāfīyah (thulāthīyat Aḥlām Muṣṭaghānimī namūdḥajan), Majallat al-Funūn wa-al-Ādāb wa-'ulūm al-Insānīyāt wa-al-ijtimā', Issue 56, 2020m.
- 11-Sa'īdī, Muḥammad, al-'ā'ilah w'ādāthā wa-taqālīduhā bayna al-māḍī wa-al-ḥāḍir, Zāhirat al-Iḥtīfālāt bāl'yād namūdḥajan, Majallat Insānīyāt Wahrān, Issue 4, 988m.
- 12-al-Sultānī, Īmān Maṭar, nasaq al-niswīyah fī Sardīyāt 'Āliyah Ṭālib, Majallat Wamīd al-Fikr lil-Buḥūth, Issue 8, 2020m.
- 13-al-Shaḥḥāt, Muḥammad, Athar al-nasaq al-Thaqāfī fī tashkīl al-riwāyah al-niswīyah al-Arabīyah baḥth fī al-thīmāt wāltmthylāt, Jāmi'at al-Qāhīrah, Markaz al-lughāt wa-al-Tarjamah, Vol 7, Issue 3, 2018m.
- 14-Abd-al-Qādir, Sharīf Bmwsá, al-unūthah fī al-khiṭāb al-'Arabī Allāh al-Ghadhdhāmī unamūdḥajan, Majallat maqālīd, Issue 11, 2016m.

- 15-al-Ghadhdhāmī, ‘Abd Allāh Muḥammad, al-qabīlah wālqbā’lyh aw Huwīyāt mā ba‘da al-ḥadāthah, ed 1, al-Dār al-Bayḍā’, al-Markaz al-Thaqāfī al-‘Arabī, 2009M.
- 16-al-Ghadhdhāmī, ‘Abd Allāh Muḥammad, al-naqd al-Thaqāfī qirā’ah fī al-ansāq al-Thaqāfīyah, ed 3, al-Dār al-Bayḍā’, al-Markaz al-Thaqāfī al-‘Arabī, 2005m.
- 17-al-Ghadhdhāmī, ‘Abd Allāh Muḥammad, al-yad wa-al-lisān al-qirā’ah wāl’mayh wr’smālyh al-Thaqāfah, ed 3, al-Dār al-Bayḍā’, al-Markaz al-Thaqāfī al-‘Arabī, 2017m.
- 18-al-Farrān, Samāh Allāh, Thaqāfat al-naṣṣ, qirā’ah fī al-sard al-Yamanī al-mu‘āṣir, ed 1, Ammān, Sharikat Dār al-Akādimīyūn lil-Nashr wa-al-Tawzī‘, 2016m.
- 19-al-Ka‘bī, Diyā’, al-sard al-‘Arabī al-qadīm al-ansāq al-Thaqāfīyah wa-ishkāliyyāt al-ta’wīl, ed 1, Bayrūt, al-Mu’assasah al-‘Arabīyah lil-Dirāsāt wa-al-Nashr, 2005m.
- 20-Lytsh, Vinsint, al-naqd al-Thaqāfī al-naẓarīyah al-adabīyah wa-mā ba‘da al-binyawīyah, trans: Hishām Zaghlūl, ed 1, al-Qāhirah, al-Markaz al-Qawmī lil-Tarjamah, 2022m.
- 21-Almfrh, Ḥuṣṣah, “sīrat Ṭufūlat : bayna al-Rāwī wa-al-marwī la-hu”, Ṣaḥīfat al-Jazīrah, Issue 18333, 26 / Māyū / 2023m, <https://al-jazirah.com/2023/20230526/cm7.htm>.
- 22-Ibn manẓūr, Muḥammad ibn Mukarram, Lisān al-‘Arab, Dār Ṣādir, ed 3, Bayrūt, Dār Ṣādir, 1414h.
- 23-Yūsuf, ‘Abdālfatḥ Aḥmad, Lisānīyāt al-khiṭāb w’nsāq al-Thaqāfah, ed 1, Bayrūt, Manshūrāt al-Ikhtilāf, 2010m.

جامعة الأمير
سattam بن عبدالعزيز

PRINCE SATTAM BIN ABDULAZIZ UNIVERSITY



مَجَلَّةُ الْعَاوِمِ الشَّرْعِيَّةِ وَاللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ